الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الجيلالي اليابس سيدي بلعباس
كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإنسانية
قسم العلوم الإنسانية

أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي الوسيط

جهود علماء المغرب الأوسط في تطور العلوم النقلية من ظهور الرستميين إلى نهاية الزيانيين(160-962هـ/777-1554م)

إعداد الطالب :
- تيرس نوح

تحت إشراف
- أ. د: بلعربي خالد

أعضاء لجنة المناقشة

أ.د/ بوشنافي محمد	أستاذ التعليم العالي	جامعة سيدي بلعباس	رئيساً
أ.د/ خالد بلعربي	أستاذ التعليم العالي	جامعة سيدي بلعباس	مشرفاً ومقرراً
أ.د/ شخوم سعدي	أستاذ التعليم	جامعة سيدي بلعباس	مناقشة
أ.د/ بوداود عبيد	أستاذ التعليم العالي	جامعة معسكر	مناقشاً
أ.د/ بن معمر محمد	أستاذ التعليم العالي	جامعة وهران	مناقشاً
أ/ يالأعرج عبد الرحمن	أستاذ محاضر-أ-	جامعة تلمسان	مناقشاً

السنة الجامعية: 1439 – 1440هـ / 2018 – 2019م

بسم الله الرحمن الرحيم

شكـــر وعرفـــان

الحمد الله الذي بفضله، ومنه تتم الصالحات حمداً يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه، الذي أنعم علينا بأن أرشدنا لطريق الهداية ودلنا على طريق العلم وسخر لنا رجالاً منهم نأخذ قبس العلم والمعرفـــة.

أتقدم بجزيل الشكر، مع كل التقدير والامتنان إلى الأستاذ الفاضل الدكتور بلعربي خالد، على ما أولاه من رعاية واهتمام بهذا البحث....

والى أعضاء لجنة المناقشة

الذين تحملوا مشقة قراءة هذا البحث وتصويبه.

تـــيرس نوح

إهـــداء

إلى التي تقصر في حقها الكلمات، وتكبوا الأقلام عن بلوغ مداها خلد الله ذكرها في القرآن يتلى إلى يوم الدين، جعل الجنة تحت قدميها، حملتني وهن على وهن، قاسمتني الآمال، والآلام، الأفراح وكان بطنها لي وعاء، وثديها لي سقاء، وحجرها لي غطاء

فهي أولى الناس بي...

إلى أمي التي كان لسان حالها الدعاء لي بالتوفيق أسأل الله سبحّانه وتعالى أن يطيل في عمرها على الطاعة وأن يمنحها الصحة والعافية، وأن يجعل عافيتها جنة عرضها السموّات والأرض،

وأنّ يكتب هذا العمل المتوّاضع في ميزان حسنّاتها

يوم العرّض على رّب العّالمين.

وإلى روح والدي رحمة الله عليه.

وإلى جميع أفراد أسرتي الذين كانوا لي خير سند: زوجتي، وأبنائي

وإلى جميع الأساتذة والأحبة، والأصدقاء،

والذين قدموا لي يد المساعدة.

وإلى أعضاء اللجنة المناقشة.

نوح تيرس

مقدمة

يبقى الحديث عن المغرب الأوسط في جانبه العلمي وإسهاماته الحضارية عبر الفترات المتلاحقة من تاريخه الإسلامي موضوعا جديرا بالبحث والتعمق في مختلف جوانبه الزمنية ونواحيه الجغرافية. فلم يكن المغرب الأوسط جسرا أو ممرا لقوافل العلماء والفقهاء والمتصوفة الذين امتلأت كتب التراجم والملاحم والتاريخ والأدب والصلات بأسمائهم وما خلّفوه من تراث إسلامي مجيد مسَّ كل أنواع وفنون العلوم النقلية منها والعقلية، بل يعتبر هذا الأخير مهد الإشعاع الحضاري والفكري الذي عاشه المغرب الإسلامي والأندلس بامتياز، وامتد لاحقا ليشمل المشرق الإسلامي وأوربا وجنوب الصحراء بفضل أسماء لامعة ومقامات رائدة أَضفت على الحركة العلمية في العالم الإسلامي بريقا وتفوقا وريادة حتى لا نقول سيادة لا تزال آثارها ونتائجها بارزة للعيان ومعلومة المكان في المكتبات العامة والخاصة، وفي ثنايا الزوايا وبيوتات العلم والخزائن في كل أنحاء القطر الجزائري، ناهيك عن تلك المتواجدة في العديد من البلدان المجاورة أو البعيدة جغرافيا عن بلاد المغرب تصنع فخر مكتباتها ومتاحفها بما تضمه من تراث ضخم لهؤلاء الأعلام عرفانا منها بأصالة التراث المغاربي والنتاج العلمي الذي أبدعته عقول وأقلام أبناء هذا الوطن، من علماء وأدباء للحضارة الإسلامية والعالمية بذلك الكم الهائل من المؤلفات والمصنفات والكتب التي تنوعت مضامينها كالتفسير وعلوم الحديث والفلسفة والمنطق والتصوف دون ذكر تعداد ما تبقى منها كمخطوطات لا تعد ولا تحصى لم تحقق بعد ولم ترى النور إلى يومنا هذا.

لقد تجسد المشروع الحضاري النهضوي للمغرب الإسلامي وبرزت معالمه جليا في تلك المدن القائمة أو المنشئة من قبل قادة الفتح، الذين عملوا وتحملوا عبئ إيصال ونشر رسالة الإسلام العالمية في هاته المنطقة، وجاهدوا لنشر تعاليمه وسط بيئة وعقلية جديدة صعبة المراس لم يكن لهم بها دراية ولا تواصل من قبل، لكن هذا الجناح الغربي للدولة الإسلامية استطاع بعد اقتناع تام بصدقية ما يحمله العرب من بشائر وخلاص، فإنهم سرعان ما احتضنوا تلك الدعوة وناصروها بأبنائهم الذين أصبحوا في ظرف وجيز رسل علم

ودعوة للدين الجديد، وتحولت أغلب مدنهم إلى مراكز عمرانية نشطة وأخرى إلى حواضر علمية مشهورة ازدهرت فيها العلوم وتلألأت أضواؤها في سماء الحضارة، فأمَها العلماء من كل حدب وصوب، مما أنعش الجانب الثقافي وتجلى مفعوله في الامتزاج والانصهار السريع بين مكونات المجتمع المغاربي والعنصر العربي الوافد لتكون النتيجة نموذجا فريدا لمجتمع متحضر تجمعه وتوحده عوامل عقائدية وسياسية واجتماعية وثقافية.

والمتمعن في تاريخ المغرب الأوسط سيشد انتباهه لا محالة تلك العلامات والأحداث المميزة والهامة التي طبعت تاريخ المنطقة في جانبها العقدي والسياسي والثقافي. إذ يرى الكثير من المؤرخين والدارسين للتاريخ الإسلامي بأن نواة التجديد لنظام الحكم في الإسلام وجد سبيل الخلاص والنجاح في بلاد المغرب عامة وبالتحديد في المغرب الأوسط بقيام أول دولة مستقلة تحت راية المذهب الإباضي (الدولة الرستمية)، الذي يعد أحد أقدم المذاهب الفقهية الإسلامية التي تسربت إلى المغرب الإسلامي وأوجدت فيه قاعدة قوية لمعتقدها الذي هو وليد لفكر سياسي معارض امتد إلى بلاد المغرب، وانتهى به المطاف إلى إنشاء دولة مستقلة مارست حريتها في التطبيق الفعلي لأصول المذهب بعدما كان في المشرق يعيش حالة الدعوة. وشكل منطلقا لاجتهادات فكرية وعلمية أولت أهمية قصوى للعلوم النقلية التي أثرت المشهد العلمي في بلاد المغرب وفتحت المجال لحرية التدوين والتأليف ومناظرة الغير وسرعان ما تلاحقت أعداد أخرى من الأفراد والفرق التي أرادت تجريب حظها هي أيضا من مذاهب وتيارات فكرية متنوعة فكان النجاح حليفهم مثل دولة الأدارسة الزيدية ودولة الشيعة الفاطميين وجاء من بعدهم الزيريين والحماديين ودولة المرابطين السنية والموحدين والزيانيين كلها دول قامت على أسس الإصلاح الديني تحت زعامة رجال دين وفقهاء متمرسين في العلوم النقلية التي أخذت النصيب الأكبر من العناية والاهتمام، ثم توالت بعدها الإنجازات في أصناف العلوم الأخرى واستطاعوا أن يحدثوا نقلة نوعية في المزج بين السياسة والدين

والعلم فانجر عن ذلك نهضة فكرية وثقافية وعقائدية أبهرت العالم وأصبح المغرب الأوسط بحواضره والأندلس من الأقطار الذي تشد إليها الرحلة.

من خلال هذه اللمحة الموجزة عن فضل المغرب الأوسط في تفعيل الحركة العلمية في بلاد الغرب الإسلامي ومحاولة منا لاستحضار تاريخه الحافل بتلك الأسماء العلمية التي صنعت لنفسها مكانة في سلم الحضارة الإسلامية كون المغرب الأوسط كان الوعاء الذي نبتت وترعرعت فيه أفكار الخوارج مع أفكار الواصلية والمعتزلة فأينعت وربت. ثم جاء الدور من بعد ذلك على الشيعة الذين هيمنوا وسيطروا على الأرض بعدما أزاحوا من كان قبلهم من الدول، وبادروا إلى دعوة الناس ترغيبا وترهيبا لتبني مذهبهم القائم على أفكار جديدة وتصورات مغايرة لما ألفه الناس، إلا أن مسعاهم خاب واصطدم بجدار المقاومة العنيفة من التيار السني الممثل في المذهب المالكي بفقهائه وعلماءه ومشايخه الذين كانت أقدامهم راسخة في تربة بلاد المغرب، استعملت فيها كل أصناف الأسلحة الفكرية والعلمية والأدبية والتاريخية انجر عنها إنتاجا علميا متنوعا مسّ الكثير من أصناف العلوم والمعارف ساهم فيها المغرب الأوسط بقسط كبير بحواضره وعلماءه. ثم هبّت رياح الأشاعرة حاملة معها تيارا تزامن مع ظهور أقطاب التصوف والصوفية الذين انجذبوا والتحموا مع بعض عقائد الشيعة وتفننوا هم أيضا في وضع التصانيف والتآليف التي من كثرتها صعب عدّها وذكرها. وأخيرا حل ورواد الفلسفة والمنطق الذين اتخذوا من الأندلس قلعة لهم وتمكنوا من إيجاد متنفس لهم لإطلاق حرية التفكير والإبداع والخوض في كل المسائل المتعلقة بالوجود الإنساني والمسائل التي يمكن إثباتها بالأدلة العقلية، وقد كان لتنقل العلماء بين العدوتين واستقرار بعضهم في المغرب الأوسط العامل الإيجابي على المنحنى الذي أخذه هذا العلم في بلاد المغرب بصفة عامة. كلّ هذا دفع بالمغرب الأوسط أن يتصدر مشهد الحركية العلمية النشطة تجسدت في ميدان التأليف والتدريس والإقراء والإفتاء ليمتد صداها وإشعاعها إلى أوروبا آنذاك ويمهّد لها المجال لتنتزع عنها سرابيل الجهل والتخلف وتجد لها طريق العلم والنور.

وعليه جاء موضوع دراستنا الموسوم بـ "**جهود علماء المغرب الأوسط في تطور العلوم النقلية من ظهور الرستميين إلى نهاية الزيانيين (160- 954 هـ / 777 - 1554م)**". ليسلّط الضوء على فترة زمنية هامة من تاريخ بلاد المغرب الأوسط تجلّى فيها التفوّق العلمي لهذا القطر مقارنة بجيرانه، طيلة الفترة الزمنية المنتقاة، وهي فترة طويلة نسبيا، لكنها تبقى قصيرة قياسا بأعمار الدول، فترة لم ينقطع فيها عطاء أبناءه ولم يستكينوا للحظة في خدمة مشروع النهضة العلمية الإسلامية في الغرب الإسلامي، غفل عنها أو تغافل عن الإشارة إليها الكثير من المؤرخين والباحثين والمهتمين بتاريخ بلاد المغرب، ونسبوها لجهات أخرى رغم ثبوت الدلائل ووجود القرائن وتوفر البراهين في ثنايا المصادر وبين سطور كتب التراجم. كما أن الدراسات التي خاضت في موضوع الإنتاج الفكري للمغرب الأوسط بقيت محدودة ولم نجد إلا بعض الرسائل الجامعية التي حاول أصحابها التطرق لدور علماءه وإسهاماتهم في النهضة الثقافية مثل رسالة ماجستير لبلقاسم جدو بعنوان "**تطور العلوم النقلية والعقلية في بلاد المغرب الإسلامي على عهد الدول المستقلة(140_296هـ/757_ 909م)**"، وأطروحة دكتوراه لقاسمي بختاوي بعنوان "**التعليم بالمغرب الأوسط بين القرنين 4 و7هـ/ 10 و13م**"، أو أطروحة هادي جلول بعنوان "**العلوم الدينية في المغرب الأوسط (من القرن2هـ-8هـ/8م-14م)**".

ونظرا لطبيعة الموضوع الذي سيتناول فترة زمنية طويلة ولاستجلاء المراد من هذه الدراسة والوصول غلى ما نصبوا إليه من أهداف عالجنا الإشكالية المطروحة على النحو التالي: **هل فعلا استطاع المغرب الأوسط أن يحجز لنفسه مكانا في ركب الأقطار المغاربية التي عملت على تطوير العلوم النقلية بداية من الرستميين إلى غاية نهاية حكم أسرة بني زيان (100 - 954 هـ/777 - 1554م)؟ ما هي طبيعة العلوم التي أولاها المغاربة عنايتهم؟ هل قدم المشرق الإسلامي عن طريق الحركات المذهبية إضافات وإسهامات في مجال العلوم النقلية خاصة منه علوم البلاغة والتفسير وعلوم الحديث لبلاد المغرب**

الإسلامي؟ ما هو نوع التأثير الذي مارسته الأفكار وعقائد المذاهب الوافدة في تنوع الإنتاج الفكري والعلمي لعلماء المغرب في ميدان العلوم النقلية؟ ما نصيب المغرب الأوسط منها؟ وكيف تجلى ذلك؟ هل تفوق علماء المغرب الأوسط عن غيرهم في مختلف فنون العلوم وفروعها؟ وهل كانت العلوم والمؤلفات التي واكبت تاريخه المتغير بين قيام دول وزوالها في مستوى تطلعات الملوك والسلاطين الذين تداولوا على الحكم فيه؟ كيف شجع الحكام والخلفاء والسلاطين العلم والعلماء؟ وهل اقتصرت طبيعة التأليف إلا على العلوم النقلية خاصة أم أنها شملت غيرها من العلوم؟ وما هو الدور الذي لعبته حواضر المغرب الأوسط العلمية في تنشيط الحركة العلمية؟

وللإجابة على مختلف هذه التساؤلات كان لا بد من الاعتماد على **المنهج التاريخي** لتتبع المراحل والأحداث التاريخية التي طبعت هاته الفترة الزمنية الطويلة بداية من الدولة الأغلبية مرورا الرستميين ثم الفاطميين والحماديين ومن بعدهم المرابطين في لمحة خاطفة ثم الموحدين وأخيرا الزيانيين، مبرزين دور العلماء وأهم مصنفاتهم وترحالهم وأماكن استقرارهم في الفضاء المغاربي والمشرقي دون إغفال دور الأندلس وما قدمه علماءها الذين كانوا في غدو وإياب بين العدوتين وكان لهم تأثير بارز في مختلف مجالات العلوم. ثم كان اعتمادنا على **المنهج الإستقرائي** لرصد ومتابعة كل الظواهر والأحداث التاريخية الهامة التي طبعت هاته الفترة الطويلة لفهم الواقع المعاش وتتبع مسار العلماء وما عكفوا على دراسته وتدريسه والكتابة فيه، علماً أن التوجه العقدي كان دائما يغلب ويطبع مختلف الإنتاج الفكري خاصة في العلوم النقلية التي تنطوي أسسها على علوم الفقه والحديث والتاريخ واللغة وغيرها من الفنون. وكذا للوصول إلى تصور عام وشامل وجامل لهذا الزخم الكبير من الإنتاج الفكري الذي طبع المغرب الأوسط، ولمواكبة إنتاجات العلماء ومؤلفاتهم ومعرفة مضمون تصانيفهم ومقارنتها مع غيرها من العطاءات العلمية لإخوانهم من المشرق واستقراء الأسباب والعوامل التي دفعت بهذا القطر إلى الريادة والتفوق في مختلف المجالات بما فيها العلمي والثقافي،

وهو ما ساعدنا على استنباط عدة مفاهيم من نصوص المصادر مع إعمال الفكر والمعرفة في ذلك في محاولة لإظهار الفروق والتباين والتطرق أيضا لنقاط الإجماع والاختلاف بين علماء الأمة سواء في بلاد المغرب أو المشرق أو الأندلس في كل ما يخصها من الجانب الحضاري.

وقبل أن نتطرق إلى خطة الرسالة وجب علينا الإشارة إلى جملة من المصاعب والعقبات التي واجهتنا خلال إعدادنا لهذه الأطروحة وهي قلة المعلومات التي تطلب جمعها العودة إلى الكثير من المصادر التاريخية المغربية منها والمشرقية، كما أن كتب الجغرافيا والرحلات أفضت بنا إلى الكشف عن كثير من أسماء الأعلام من الفقهاء والعلماء والأدباء من المغرب الأوسط المنتشرين في العديد من المدن والحواضر، كما أسعفتنا المصادر الأدبية هي الأخرى بأعداد لا حصر لها من هؤلاء النوابغ الذين تفننوا في الكثير من فنون العلوم، فلم يسعفنا الحظ لذكرهم كلهم واقتصرنا على البعض منهم تبعا لمسيرتهم العلمية وإنتاجهم المعرفي، كل ذلك تطلب منا جهدا كبيرا وعملا متأنيا مع مراعاة التدقيق والتحقيق والمقارنة بين المعلومات الواردة في تلك المصادر خاصة فيما يتعلق بأسماء العلماء وتاريخ وفاتهم وعناوين مؤلفاتهم وغيرها من المسائل المرتبطة بقيمتها العلمية وتأثيرها على الحياة السياسية والثقافية في حياة الدويلات التي قامت في المغرب الأوسط.

ولبلوغ النتائج المرجوة من هذه الرسالة التي اهتمت بالخصوص للدور الحضاري للمغرب الأوسط في تطوير العلوم النقلية، تطلب الأمر أن تكون خطتنا على الشكل التالي: مقدمة وفصلا تمهيديا وأربعة فصول وخاتمة.

فخصصنا **الفصل التمهيدي** لدراسة الأوضاع السياسية للمغرب الأوسط منذ حلول بشائر الفتح الإسلامي وكيف تمت عملية التدرج للعنصر للبربري لاستيعاب الدين الجديد، مع إشارات إلى مراحل الفتح وعناية الولاة الأمويين بجغرافية المغرب الأوسط وإدراكهم المبكر للدور المحوري لهذا الإقليم الذي استعصى عليهم مقارنة بغيره من الأقاليم. وهو ما تأكد بعد

فترة عندما ظهرت بوادر الانعتاق السياسي أو الثورة المضادة للبربر ضد الحكم المركزي فنشأت أول دولة مستقلة تحت راية مذهب خارجي، الذي تمكن من التغلغل والتجذر وسط العديد من القبائل البربرية المنتشرة من برقة إلى غاية المغرب الأقصى. ثم ركزنا على جانب التوازنات السياسية التي فعلت من قبل الخلافة بظهور دولة الأغالبة التي تناولنا الجانب الحضاري فيها كون حاضرة القيروان شكلت الانطلاقة الفعلية لوضع أسس العلوم النقلية التي ستعرف انطلاقة قوية بترسخ المذهب المالكي وبروز المدرسة المالكية المغربية التي اهتمت وعنت بأصول المذهب وبرز فيها علماء جهابذة أضحوا علامات بارزة في علوم الفقه والحديث والتفسير بما يتناسب مع الطبيعة والتركيبة السكانية للمنطقة.

أما **الفصل الأول** الذي جاء تحت عنوان مميزات الحياة العلمية بالمغرب الأوسط من الرستميين إلى الزيانيين، فكان عبارة عن تفصيل لرعاية الحكام للعلم و العلماء والمكانة لتي كان يتبوؤها الفقهاء والعلماء في المجتمع المغاربي وتدخلهم حتى في الأمور السياسية ووقوفهم إلى جانب الحق دون خوف أو وجل، مع الإشارة إلى دور المؤسسات التعليمية في نشر وتعليم البربر مبادئ الدين الإسلامي وأصول المذهب المالكي.

أما في **الفصل الثاني** فكان عبارة عن إحاطة لأهم العلوم النقلية المتداولة في عصر كل دولة من الدول والتي كان يأتي في مقدمتها علوم القرآن من تفسير وأنواع القراءات التي اشتهرت في بلاد المغرب الإسلامي، ثم علم الحديث وأصول الفقه وأشهر ما دون في ذلك.

بالنسبة **للفصل الثالث** الذي جاء عنوانه: العلوم اللسانية بالمغرب الأوسط خلال تلك الفترة فإنه تناول جانبا مهما من الحياة الأدبية للعديد من الدول التي سادت جغرافية المغرب الأوسط مع ذكر الكثير من الأعلام الذين تفوقوا وصنعوا الاستثناء خاصة في اللغة العربية والأدب والنشر والشعر.

أما **الفصل الرابع** فآثرنا التطرق فيه لنماذج من مشاهير علماء المغرب الأوسط الذين تفوقوا في مجال العلوم النقلية واختزلنا النشاط العلمي لكل دولة التي تعاقبت على حكم

المغرب الأوسط على عينة لأحد علمائها الذين أثَّروا في تطور الإنتاج المعرفي وصنعت مجدا وسمعة في بلاد المغرب والعالم الإسلامي، مع ذكر لبعض أهم ما ألف فيه من العلوم. ثم الخاتمة التي خلصنا فيها إلى الجوانب المجهولة من تاريخ المغرب الأوسط الذي أثرى بإسهامات علماءه وفقهائه في مجال العلوم النقلية الساحة العلمية في بلاد المغرب الإسلامي، وانتشر صداها حتى في الأقطار الإسلامية البعيدة، وأماطت اللثام عن جانب خفي ظل مجهولا من عطاء المغرب الأوسط في العلوم الدينية،مبرزة النبوغ المغاربي الذي لم يكن أقل اجتهادا وعطاء مقارنة بالمشرق الإسلامي.

وحتى نستوفي الموضوع حقه ونلمّ بجوانبه كان توجب علينا العودة إلى أمهات المصادر التاريخية من كتب الطبقات والتراجم، وكتب التاريخ العام التي اعتمادنا عليها ويأتي في مقدمتها كتاب عبد الرحمن ابن خلدون:

- **ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر:** وهو من المصادر التاريخية التي لا يمكن لأي باحث في تاريخ بلاد المغرب الاستغناء عنه أو تجاهله، نظرا لما جاء به هذا العالم الفذ وأبداه من تحكم في سرد الوقائع التاريخية بدقة متناهية لمجمل الأحداث بعد تصفيتها من الشوائب والأخبار الزائدة، فكانت مجلداته السبع بحق موسوعة تاريخية صادقة تساعد الباحث أيا كان اختصاصه في العلوم الإنسانية أو الاجتماعية على إيجاد مراده في استخلاص ومعرفة الحقائق مجنبة إياه عناء البحث والمقارنة مع المصادر التاريخية الأخرى، فضلا على مقدمته التي جاءت مليئة وغنية بكل أنواع المعارف والمصطلحات التاريخية خاصة منها التعاريف لأنواع العلوم النقلية بتعاريفها وتواريخ نشأتها وعلاقاتها بتنظيرات المذاهب والفرق الإسلامية وأهم الأسماء التي اشتغلت على تلك العلوم في المشرق والمغرب والأندلس.

- **ابن عذارى المراكشي (ت– ق7هـ): البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب.** ويعد من المصادر التاريخية الهامة التي تناولت تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس معتمدا

فيه التأريخ بالحوليات ويؤرخ للفترة الممتدة من بداية الفتح إلى أواخر عصر الدولة المرابطية. وجاءت أجزاءه الثلاثة في بعض الطبعات وأخرى في أربعة بعد تحقيق جزء من الكتاب من قبل الأستاذ إحسان عباس، مليئة بأخبار الدول وملوكها يتوقف كثيرا بالتفصيل عند الأحداث المؤثرة في تاريخ بلاد المغرب والأندلس مع ذكر الأسماء والأماكن. كما تضمنت صفحاته تعاريف لعدد معتبر من العلماء والفقهاء الذين أثروا في المشهد العلمي،وحدث وأن وقعوا بقصد أو عن غير قصد أمام واجهة الأحداث السياسية خاصة في عصر الفاطميين ودولة بني زيري وأبناء عمومتهم أصحاب القلعة الحماديين. ويمكن القول بأن هذا الكتاب يعد من بين أوثق المصادر المتوفرة التي وثقت الطابع السياسي وبعض الجوانب الثقافية وتميز هو أيضا بالدقة وتنوع المعلومات.

- **أخبار وسير الأئمة الرستميين لابن الصغير:** يعد من بين أقدم المصادر الموضوعية والمنصفة التي أرخت لتاريخ الرستميين في المغرب الأوسط كون صاحبه عاصر وعاش في عاصمتها تيهرت رغم كونه سنيا. لذلك يعتبر هذا الكتاب من المصادر الموثوقة لنقله الأخبار اعتمادا على مشاهداته الشخصية والروايات الشفهية من الإباضية الذين عاش وسطهم، ولقد أفادنا هذا الكتاب كثيرا في معرفة أحوال الدولة وسيرة أئمتها خاصة فيما يخص الحياة العلمية وعلاقاتها مع إباضية المشرق ويعاب عليه خلوه من التواريخ وسنوات الأحداث.

- **طبقات المشائخ في المغرب لأبي العباس الدرجيني(ت 670هـ/1272م):** ويعتبر هذا الكتاب من بين أهم المصادر الإباضية التي ترجمت لجمع كبير من علماء فقهاء المذهب الإباضي. وقد ساعدنا في معرفة سيرهم وأماكن تواجدهم ومراسلاتهم العلمية مع نظرائهم من جبل نفوسة ومدى التأثير الذي كانوا يمارسونه على أئمة الدولة في الفتوى والنوازل وعلى تسيير شؤون الدولة.

- **معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان لأبي زيد عبد الرحمن بن محمد الأنصاري الأسدي المعروف بالدباغ (ت 696هـ/1297م):** وهو الكتاب الذي اعتمدنا عليه في الترجمة لعدد من علماء المذهب المالكي حين تطرقنا للحياة العلمية في عصر الأغالبة التي مهدت فيها حاضرة القيروان الطريق لتطور العلوم النقلية في كامل بلاد المغرب والأندلس.

- **رياض النفوس ففي طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم للمالكي:** وهو أيضا من كتب التراجم التي أفرد فيها صاحبها تراجم لعلماء إفريقية وجعلها على شكل طبقات وصولا إلى الطبقة الخامسة التي تنتهي سنة (300هـ) وذلك في جزئه الأول. أما الجزء الثاني فيذكر فيه تراجم العلماء بين سنتي (300هـ إلى غاية 356هـ). إضافة إلى كون صاحب الكتاب زيادة على تكوينه الفقهي إلا أنه كان يعد من المؤرخين الأوائل في إفريقية، وتكمن فائدة الكتاب في اعتماده على مصادر تاريخية مفقودة مثل كتاب الطبقات لمحمد بن سحنون التنوخي وكتاب تاريخ أبي السعيد الصدفي.

- **طبقات علماء إفريقية وتونس لأبي العرب محمد ابن أحمد بن تميم (ت 333هـ/944م):** وهو من المصنفات التاريخية التي اقتفى فيه صاحبه طريقة الطبقات في الترجمة ويعد من المصادر التاريخية القريبة العهد بالأحداث والتطورات التي عرفتها الحركة الفقهية في إفريقية من الفتح إلى غاية انتهاء فترة الأغالبة، وقد ترجم فيه لعدد من أعلام المذهب المالكي.

- **القاضي النعمان (ت363هـ/974م): كتاب افتتاح الدعوة:** وهو يعد من الكتب الدينية المعتمد عليها عند الشيعة الإسماعيلية، ويعتبر مرجعية لا يمكن الاستغناء عنه لمن أراد معرفة المبادئ الأساسية التي يقوم عليها المذهب الشيعي، فمن خلاله يمكن للباحث معرفة واستنباط الأحكام العامة التي تخص المذهب الشيعي وما ينبثق عنها من تفسير وتأويل لنصوص الفقه الإسلامي وفق نظرية آل البيت وما تواتر منها من أحاديث

واجتهادات أعطت مفهوما مغايرا ومخالفا لبقية الفرق الإسلامية. وهو من المصادر المعول عليها كثيرا في الدراسات التاريخية الخاصة بالحركة الإسماعيلية عامة والدولة الفاطمية خاصة، وما كان شأن خلفائها في توجيه فقهاء الدولة وعلمائها وعلى رأسهم القاضي العمان في بلورة مفهوم الفقه وعلوم الحديث وفق مبادئ المذهب.

- **أبو العباس الغبريني (ت704هـ/1304م): عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية:** من بين أهم ما ألف في كتب التراجم لعلماء وفقهاء المغرب الأوسط ذاكرا لأكثر من مائة عالم وأقطاب التصوف الذين ولدوا أو استوطنوا حاضرة بجاية، كما عدد مؤلفاتهم وتصانيفهم التي كانت غالبا في العلوم النقلية وهو الكتاب الذي يحمل في ثناياه تلك الصورة المشرقة التي عاشها المغرب الأوسط بمثل تلك الأصناف من العلماء الذين أبدعوا في مجال التأليف والتدريس والفتوى.

إضافة إلى اعتمادنا على مجموعة كبيرة من المصادر الأخرى خاصة منها كتب السير والتراجم المتأخرة وكذلك كتب التكملات والصلات التي تصدر باعها وبرع فيها علماء الأندلس بالتحديد، ويعتبر أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف الفرضي بمؤلفه "**تاريخ علماء الأندلس**" من السباقين إلى التأليف في هذا النوع الجديد من العلوم مازجا فيه الأدب بعلم التاريخ، مترجما فيه لعدد من العلماء افتقدنا أسمائهم في مظانها الأصلية. وجاءت على شكل معاجم ترجمت للعديد من الأسماء لعلماء وفقهاء خاضوا في مجال العلوم نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر: "**الصلة في تاريخ أئمة الأندلس**" لصاحبه القاسم خلف الأنصاري الخزرجي بن عبد الملك الأندلسي القرطبي المعروف باسم ابن بشكوال. و"**كتاب التكملة لكتاب الصلة**" لمحمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي المعروف بابن الأبار (ت 558هـ - 1259م) أتى فيه بترجمة لـ 2188 عالم وشاعر من الأندلس وهو تكملة لكتاب "**الصلة**" لابن بشكوال السابق الذكر جمع فيه تراجم لأعيان الأندلس مرتبا أسماءهم ترتيبا أبجديا. وبعدها لاحقا جاء كتاب "**الذيل والتكملة على الموصول والصلة**" لأبي عبد الله

محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري الأوسي المراكشي (ت 703هـ). وكتاب "**جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس**" لمحمد بن فتوح بن عبد الله للحميدي، و"**بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس**" لأحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة أبو جعفر الضبي، وهي المؤلفات التي استدركت أسماء لأعلام بلاد المغرب بما فيها الأوسط بذكر أماكن ولادتهم أو نسبتهم إلى المناطق التي جاؤوا منها، عكس الكثير من المصادر التي أغفلت هذه الجزئية. كما نود أن نشير إلى ورود أسماء كثيرة لشخصيات علمية لمعت في حقول العلم المتنوعة في المشرق الإسلامي وهي من أصول مغاربية أغلبها من المغرب الأوسط لكن أهملتها العديد من الدراسات التي تناولت الجانب الحضاري للمغرب الأوسط الذي يمكننا القول بأنه ظلم كثيرا في هذا الجانب من تاريخه، كما أننا اعتمدنا على الكثير من المراجع يأتي في مقدمتها:

- **ورقات عن الحضارة العربية الإسلامية بإفريقية التونسية لحسن حسني عبد الوهاب.**
- **القيروان ودورها في الحضارة الإسلامية لمحمد محمد زيتون.**
- **مدخل إلى تاريخ العلوم بالمغرب المسلم حتى القرن 9هـ/15م لإبراهيم حركات.**
- **الدولة الرستمية (160- 296هـ/777- 909م)، دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية لإبراهيم بكير بحاز.**
- **المذهب المالكي بالغرب الإسلامي إلى منتصف القرن الخامس الهجري/الحادي عشر ميلادي.**

أما فيما يخص كتب الرحالة والجغرافيين فكان اعتمادنا على بعضها خاصة منها التي تخدم موضوع أطروحاتنا وهي على التوالي كالآتي:

- **المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، البكري أبو عبيد بن عبد العزيز بن محمد بن أيوب بن عمرو البكري الأندلسي (ت487هـ). وهو جزء من كتاب المسالك والممالك.** وهو

من الكتب التي مزجت بين الجغرافيا والتاريخ، مستهلا في البداية الحديث على كل ما يتصل بالجغرافيا، ثم يبدأ في استخدام المنهج التاريخي للحديث عن المدن الكثيرة التي زارها أو حط بها الرحال واصفا أحوالها وأنماط الحياة فيها، مستعرضا فيه بدقة متناهية الأوضاع السياسية والاقتصادية والثقافية، متحدثا عن سجايا الناس وقاطنيها، مشيرا في بعض الصفحات إلى أسماء أعلام وعلماء ممن اشتهروا خاصة في الأندلس وبلاد المغرب.

- **صورة الأرض لابن حوقل أبو القاسم محمد النصيبي (ت380هـ).** من الجغرافيين المشارقة الذين ذاع صيتهم في القرن الرابع الهجري، زار العديد من المناطق وساح في الأقطار لمدة طويلة مكنته من إثراء مصنفه هذا بالكثير من المعلومات التي جمعها عن البلدان، ذاكرا المسافات وخصائص المدن وأكثر شيء ميزه عن أقرانه رسمه خرائط البلدان التي زارها وتوثيقه للمعلومات والتدقيق فيها قبل تدوينها، وقد استفدنا من كتابه في التأريخ لعصر الدولة الفاطمية لأنه اعتبر من قبل الكثير من المؤرخين من رجالات الشيعة المخلصين لقضيتهم وهناك من صنفه من الدعاة المتجولين تحت غطاء التجارة.

- **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق أبو عبد الله محمد الأريسي القرطبي الحسني السبتي المعروف بالإدريسي (ت 560هـ).** من الجغرافيين الذين جمعوا بين الكثير من العلوم. برز في الفلسفة والتاريخ والنجوم والأدب والشعر وغيرها، وإليه يعود الفضل في رسم خريطة العالم بطلب من ملك صقلية روجار الذي كان يستضيفه في بلاطه. وتكمن أهمية الكتاب في كون صاحبه جمع ثقافة علمية متعددة وظفها في كتابه، فضلا على أنه عرف عنه كثرة الترحال والسفر بين بلاد المغرب والأندلس. اختص الإدريسي بأنه أب الجغرافيا الوصفية لإضافته العديد من المعلومات التي لم يذكرها من سبقوه وانفرد هو بها. كما كان لسعة إطلاعه على مؤلفات من سبقوه دورا مهما في صقل موهبته وتفوقه في مجال الجغرافيا، فضمن كتابه العديد من المعلومات الهامة عن بلاد المغرب والتي اعتمدنا عليها في تدعيم رسالتنا.

كما كان لزاما علينا الرجوع إلى بعض الأطروحات الجامعية ما بين رسائل دكتوراه ومذكرات ماجستير مشرقية ومغربية ومجموعة من المقالات ممن اهتمت بالجانب الحضاري لبلاد المغرب الإسلامي خاصة في الجوانب الدينية واللغوية والتاريخ والأدب وكتب التراجم التي أعطت زخما ودفعا لتطور العلوم وبناء سرح الحضارة الإسلامية الذي يبقى شاهدا على الإنجازات العلمية لا تزال تشكل منهلا خصبا للباحثين والمهتمين بالدراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية.

وختاما لهذه الدراسة المتواضعة التي اشتملت على متابعة ومرافقة المسار الحضاري للمغرب الأوسط منذ بداية الرستميين وإلى غاية نهاية دولة الزيانيين في مجال العلوم النقلية دون سواها من العلوم، ومحاولة منّا لتقويم تراثنا المادي والمعنوي وإخراجه إلى واجهة المشهد المغاربي فيما يخص الإرث الثقافي والعلمي الذي عاشه هذا القطر طيلة تلك العهود. فإن جهدنا يمكن اعتباره مساهمة بسيطة ضمن الدراسات الكثيرة والتي تندرج في إطار التقويم المتجدد للتراث، وإعادة كتابة تاريخ بلدنا في العصور الوسطى بصورة مغايرة لما أنجز من قبل وما هو متداول من أجل محو كل التناقضات والمغالطات والإجحاف والإهمال الذي تعمد الكثيرون إصباغه عليه، متجاهلين عن قصد وسوء نية القفز على الحقائق والإنجازات المتعددة التي لا يستطيع أحدا إنكارها أو المرور عليها مرور الكرام.

وأخيرا نرجو من الله سبحانه وتعالى أن نكون قد وفقنا ولو بقسط صغير أو قدر يسير في بلوغ الهدف المتوخى من هذه الدراسة، مدركين في نفس الوقت وجود نقائص وأخطاء وسهو في جوانب الموضوع رغم توجيهات الأستاذ المشرف ومرافقته الدائمة لإنجاز هذا العمل بالنصائح والإرشادات.لكن يبقى الكمال لله سبحانه وتعالى.

وعلى الله توكلنا وبه استعنا وبرحمته نسأل التوفيق.

الفصل التمهيدي:

الأوضاع الثقافية والسياسية في المغرب الأوسط

من الرستميين إلى نهاية الزيانيين

1- الأوضاع الثقافية قبيل ظهور الإمارات والدول المستقلة.

عندما نريد أن نتحدث عن الأوضاع الثقافية وطرق التعليم المتبعة في بلاد المغرب الإسلامي، فإن ذلك يلزمنا العودة قليلا إلى الوراء للوقوف على المشهد العام لجغرافية المغرب الإسلامي ومكوناته القبلية والعرقية والممتد جغرافيا إلى غاية الأندلس، كما لا يمكننا إغفال المشهد السياسي الذي كان سائدا آنذاك، لأن بلاد المغرب لم تكن حينها قد اقتنعت بالإسلام كدين وعقيدة مسلم بها دون إكراه أو خوف[1]. وربما يعود ذلك إلى بعض الظروف الشاذة التي صاحبت عملية الفتح تسبب فيها بعض قادة الفتح ومن بعدهم الولاة الذين لم يستطيعوا نزع طابع العصبية والانتماء القومي والتعالي على الشعوب المهزومة أو الراغبة في الإسلام عن خوف ورهبة أو طوعا ورغبة[2].

لم يكن من السهل على أي كان أن يرسم صورة واقعية عن طرق التعليم السائدة في البدايات الأولى للفتح الإسلامي للمغرب بما تضمه وتجمعه من قبائل وأجناس مختلفة، ضف إلى ذلك أن تداعيات الأحداث السياسية الكبرى التي هزت المشرق الإسلامي بدءا بأزمة الحكم والصراع الدموي الذي أعقب مقتل الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه، وما نتج عنه من اختلاف وانقسام طال أعلى مراتب الحكم في الدولة الإسلامية، من انتقال مركز القرار السياسي من المدينة إلى دمشق في عهد الأمويين إلى بغداد في عهد العباسيين. فالنتيجة كانت فتن وحروب تولدت عنها حركات سياسية مناوئة للحكم، سرعان ما تطورت إلى تيارات دينية أبدعت في تنظير وتأصيل نظم الحكم التي ينبغي للمسلمين التقيد بها والسير على دربها، واجتهد زعمائها وقادتها إلى إخراج نظريات عقائدية تذهب إلى محاولة إحداث توازن بين ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ومتطلبات العيش في

---

(1)- يذهب الكثير من المؤرخين إلى القول بأن أهل المغرب ارتدوا حوالي اثنتي عشر مرة عن الإسلام وأن مراحل الفتح شهدت فترات تعثرات عديدة. ينظر، الناصري، أبو العباس أحمد بن خالد **الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، تح وتع: جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، 1418 هـ/ 1997م، ج1، الدار البيضاء، المملكة المغربية، ص 140.

(2)- محمد بن سحنون: **آداب المعلمين**، تح: حسن حسني عبد الوهاب، مطبعة المنار، ط2، 1971م، ص 33.

كنف الدولة دون إقصاء للانتماء القومي أو العرقي لمختلف الشعوب الداخلة ضمن نطاق الدولة.

لقد أرْخَتْ تلك الأوضاع المضطربة بسُدولها على بلاد المغرب، وعاش بعضا من فصولها على مضض، وأثرت تلك الأحداث بطريقة غير مباشرة على مسيرته الحضارية في عهدها الجديد، كانت أولى بوادرها الانتفاضة على حكم الولاة والقيام بثورات أخذت في كثير من الأحيان طابع العنف[1]. وبادر البربر إلى محاولة التوفيق بين الإسلام وتكييفها مع خصوصياتهم من دون أن يظهروا عداء أو كرها للإسلام كدين، بل كان يتم التعامل معه بروح متسامحة ونفس رحبة فبادروا إلى تعلم اللغة العربية وفقه العبادات والفرائض في المساجد التي كانت تبنى مع مراحل الفتح وتوسعه[2]. لكنهم تعاملوا مع ممثلي السلطة المركزية بحذر، اتخذ في بعض طابع الحقد والكره الذي كان وليد ممارسات عنصرية وقمع شديد وسياسة شاذة بالنسبة للبربر الذين لم يعتادوا على مثل تلك الممارسات وكانوا يعتزون كثيرا بكرامتهم وحريتهم[3].

لقد أسهبت العديد من المصادر ممن تتبعت مراحل الفتح الإسلامي لبلاد المغرب في الحديث عن الانتصارات العسكرية التي تم إنجازها من قبل قادة الفتح، وكيف تم التمكين للإسلام في هذه المنطقة بعد معارك ضارية، وما لاقاه الفاتحون من صعوبات اعترضتهم طوال مسيرتهم الجهادية، لكن المعلومات ظلت شحيحة وفي غاية الندرة إن لم نقل معدومة في كل ما يتعلق بالمراحل الأولى لطرق التعليم المنتهجة لتأصيل العقيدة الإسلامية في

---

(1)– ينظر، عبد الكريم غلاب: **قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي، مغرب الأرض والشعب. عصر الدول والدويلات**، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، لبنان، ج1، ص ص 144– 145.

– ينظر أيضا، حسين مؤنس: **معالم تاريخ المغرب والأندلس**، دار الرشاد، ط4، 1421هـ/2000م، القاهرة ص ص 69 – 70.

(2)– محمد بن سحنون، **آداب المعلمين**، المصدر السابق، ص 33.

(3)– ينظر ابن عذارى، **البيان**، ج1، المصدر السابق، ص29. وفيها سرد لأحداث معركة تهودة وما فعله ملك البربر كسيلة بجيش عقبة بن نافع عندما أهانه ووضعه في الأسر مقيدا بالأغلال. عبد الكريم غلاب، المرجع نفسه، ص 142. سعدون نصر الله: **تاريخ العرب السياسي في المغرب من الفتح العربي حتى سقوط غرناطة**، دار النهضة العربية، 2003م، بيروت، لبنان، ص 57.

نفوس البربر، فأغلب المصادر والكتب التي أرخت لتلك الفترة مفقودة، أما ما توفر من معلومات فهي في الغالب متناثرة في كتب التراجم والمناقب المعروفة، وسببه يعود على الأرجح للنكبات والرزايا التي ألمت بأغلب المكتبات الموجودة آنذاك والتي عانت من الأحداث السياسية وهي التي كان بإمكانها تقديم إضافات ومعلومات حول البدايات الأولى للتعليم[1].

ظلت فترة الفتوحات مستمرة لمدة فاقت السبعين سنة، وهناك من يرى أنها امتدت إلى غاية العقد الأول من القرن الأول الهجري أو أكثر. إذ يذكر الجزنائي في كتابه زهرة الآس أن إدريس الأكبر عمل على نشر الإسلام حتى سنة (197هـ) حين خرج لغزو من بقي من الكفار بنفيس[2]. فكان تعليم اللغة يسبق غيرها من أصناف العلوم الأخرى التي لم تعرف ازدهارا إلا بداية من القرن الثاني الهجري في المشرق، فكان من المطلوب أولا أن يتكيف البربر مع ضروريات التعريب المفروض تلقائيا كغيرهم من الشعوب الداخلة في الدولة الإسلامية، وسيكون لهذا العامل دوره في التمهيد لبروز أرضية جديدة بالنسبة للبربر للتعلم والتمكن في الدين، ومن بعده التحكم والإبداع في كل العلوم. وهذا التحول سيرتبط بطرق ومناهج التعليم التي ستنشأ تدريجيا مع مرور الوقت. لذلك يمكننا القول بأن تأخر بلاد المغرب في المجال المعرفي والعلمي الخاص بالإسلام، كان وليد أسباب سياسية وظروف

---

(1)– المالكي أبي بكر عبد الله بن محمد: **رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم**، تح: بشير البكوش، مراجعة: محمد العروسي المطوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1414هـ/1994م، ج1، ص 8.

*– يعتبر فتح المغرب العربي أطول حملة في تاريخ الفتح الإسلامي مقارنة بالفتوحات الأخرى في بلاد الشام والمشرق. ففتح مصر والأندلس كانت مدتها ثلاث سنوات، وأربع سنوات للعراق، وسبع سنوات لكل من فلسطين والشام. وحتى بعد نهاية الفتح، شهد المغرب أول ثورة على الأمويين سنة (122هـ). كما أن دولة الأدارسة هي من تكفلت بإتمام نشر الإسلام في المغرب الأقصى وسط العديد من القبائل البربرية التي لم تدخل الإسلام بعد علما بأن دولة الأدارسة لم تنشأ إلا في سنة (172هـ).

(2)– علي الجزنائي: **جني زهرة الآس في بناء مدينة فاس،** تح: عبد الوهاب ابن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، ط2، 1411هـ/1991م، ص 27.

آنية فرضت على البربر الاكتفاء بتلقي المبادئ العامة للإسلام ومعرفة أركانه ومتطلبات العبادات والمعاملات.

لكن يبقى من المؤكد أن المسجد كان وظل الحلقة الأولى التي بدأت منها عملية فتح أقفال القلوب والعقول، وسارت بشكل سلس ومتدرج بعد دخول عدد معتبر من الصحابة المشاركين في عملية الفتح وتبعهم من بعد ذلك نفر من التابعين الذين انبروا بعد تأسيس مدينة القيروان إلى تعليم أبناء المسلمين من العنصر العربي أو البربر مفاهيم الإسلام الصحيحة، وساهموا بقسط وافر في تعريب بلاد المغرب لأنها لغة الصلاة، وبها يتلى القرآن الكريم، واستعملت للإدارة والتراسل. فكان كل فرد منهم ينشأ مدرسته الخاصة أو يتخذ من المسجد زاوية أو ركنا يجتمع فيه مع أطفال المسلمين وكبارهم ليلقنهم معارفه فبنيت المساجد، وظهرت الكتاتيب في كل ناحية أو قطر مفتوح[1].

بدأت تلك السياسة تأتي أكلها بعد حين، إذ اعتبرت بداية عهد جديد للبربر وغيرهم من الأطياف. وهو ما أشار إليه الدباغ في كتابه معالم الإيمان في ترجمته لمن حل بالقيروان من كرام الصحابة بقوله: "كان سفيان ابن وهب صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم يمر بنا ونحن غلمه بالقيروان فيسلم علينا ونحن في الكتاب وعليه عمامة قد أرخاها من خلفه"[2]. فهذه الإشارة الصغيرة الملتقطة، تجعلنا نعرف الطريقة المتبعة في تلك الفترة التي اعتمدت في البداية على تعليم الناشئة اللغة العربية، وحفظ القرآن، وبعض جوانب التاريخ الإسلامي لسهولة ترويض وتعليم الصغار، عكس الكبار الذين كانوا لا يحسنون التحدث أو حتى فهم اللغة العربية، لذلك يغلب الظن أنهم كانوا يتلقون بعض المعارف والأمور الخاصة

---

(1)- لوبون غوستاف: **حضارة العرب**، ترجمة:عادل زعيتر، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2013م، القاهرة، مصر، ص 450.

(2)- الدباغ أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الأنصاري الأسيدي (605- 696هـ): **معالم الإيمان في معرفة رجال القيروان**، تعليق: أبو الفضل أبو القاسم بن عيسى بن ناجي التنوخي (ت839هـ)، تح: إبراهيم شبوح، نشر مكتبة الخانجي، ط2، 1388هـ/1968م، ج1، مصر، ص151. ينظر، المالكي أبي بكر عبد الله بن محمد: **رياض النفوس**، ج1، المصدر السابق، ص ص 89 - 90 -91.

بالدين شفاهة أو عن طريق الإلقاء من قبل مترجمين من قبائل زناتة السباقة إلى الإسلام التي أسهمت إلى حد كبير في إتمام عملية الفتح والجهاد[1].

كما يمكننا القول إلى أن غالبية البربر في بداية الأمر لم يولوا أهمية كبيرة للثقافة الإسلامية بتفاصيلها وعناصرها، لأنهم لم يكونوا مطالبين أساسا إلا النطق بالشهادة حتى يصبحوا مسلمين متساوي الحقوق مع العرب[2]. وقد تحدثت بعض المصادر وثبّتت أن عكرمة مولى ابن عباس دخل إفريقية ناشرا للعلم، وكانت دروسه في الحديث والتفسير يلقيها في جامع عقبة في مجلس بمؤخرة الجامع وحوله يلتف طلبة العلم. وكانت دروسه تدور حول السيرة والشعر والحث على مكارم الأخلاق، من خلال الحديث عن مناقب الرسول صلى الله عليه وسلم وسيرة أصحابه من بعده، فهي تلك إذن المناهج الأولى التي عرفت عن التعليم وطرقه. وقد أفادتنا وصية الصحابي الجليل عقبة بن نافع الفهري غداة توجهه لفتح ما تبقى من بلاد المغرب في تأكيد ذلك، عندما أوصى أبنائه بالقول: "إياكم أن تملؤوا صدوركم شعرا وتتركوا القرآن، وخذوا من كلام العرب ما تهتدي به ألسنتكم ويدلكم على مكارم الأخلاق"[3].

كان المسجد هو النواة الأولى المسخر لهذا الغرض، وأهم العلوم المتداولة حينها كانت تلقين الناشئة اللغة العربية الفصحى وأنواع القراءات المعروفة في اللسان العربي التي بها يقرأ القرآن وتشرح آياته، ثم فقه العبادات والفرائض، ويأتي بعدها تحفيظ الشعر الذي يعتبر ديوان العرب ومعجم كلماتهم وكل ما يلحق به سجع ونثر وبلاغة لتهذيب اللسان ومعرفة مخارج الحروف ونطقها، مما استوجب البحث عن أماكن خاصة للتعليم خصص لها أوقات معلومة مقسمة بين الذكور والإناث، فظهرت الكتاتيب أولا قبل أن تظهر المدارس

---

(1)– أسكان الحسين: **تاريخ التعليم بالمغرب خلال العصر الوسيط**، نشر المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، 2004م، الرباط، المملكة المغربية، ص 15.

(2)– بالنثيا أنخل جنثالث: **تاريخ الفكر الأندلسي**، نقله عن الإسبانية: حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، 1955م، ص1.

(3)– الدباغ: **معالم الإيمان**، المصدر السابق، ص 48.

النظامية بعدها بوقت، لتضارب أقوال العلماء والفقهاء واختلافهم حول استعمال المساجد واتخاذها مراكز لتعليم الصبيان[1].

وإن كانت تلك بعض صور بدايات التعليم في القيروان، فلا شك أن غيرها من المدن المتخذة كمراكز متقدمة للجيش الفاتح في المغرب الأوسط قد عرفت نفس المنهج التعليمي الذي كان سائدا في أول عاصمة إسلامية في بلاد المغرب (القيروان) وحذت حذوها فعرف منها مثلا مدينة ميلة التي اتخذها القائد أبي المهاجر دينار كعاصمة للغرب الإسلامي لمدة ثلاث سنوات (59–61هـ)[2]. ومدينة تلمسان التي ارتبطت أيضا باسم نفس الصحابي الذي أولاها عناية خاصة وألحقها بركب التعليم، كأحد المدن الهامة بالنسبة له وجعلها نقطة ارتكاز لمشروعه الطموح لنشر الإسلام نظرا لموقعها الإستراتيجي باعتبارها ممرا ومنفذا رئيسيا لا غنى عنه نحو المغرب الأقصى ومن بعده الأندلس[3].

كما أن منطقة الصحراء مثلتها مدينة ورقلة (ورجلان) التي شيدتها قبيلة بني واركلا الزناتية الأمازيغية التي حلت بالمنطقة وهي مدينة أزلية استوطنتها العديد من القبائل النوميدية قبل دخول الإسلام[4]. وقد ورد ذكرها في مؤلفات العديد من الرحالة والجغرافيين المسلمين، وعرفت ازدهارا ونشاطا تجاريا هاما في عهد الرستميين، باعتبارها مسلكا رئيسيا للمذهب الإباضي نحو معقله الرئيسي في جبل نفوسة، كما كانت ملتقى القوافل التجارية ومكان استراحة لركب الحجيج[5]. واستطاعت هذه المدينة العتيقة من أن تصنع لنفسها اسما

---

(1)– أبو الحسن علي القابسي: **الرسالة المفصلة لأحوال المعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين**، تح: أحمد خالد، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، ط1، 1986م، ص 145.

(2)– عبد العزيز فيلالي وإبراهيم بحاز: **مدينة ميلة في العصر الوسيط**، دار البلاد للخدمات، قسنطينة الجزائر، 1998م، ص 14 وما بعدها.

(3)– لقبال موسى: **المغرب الإسلامي**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط3، الجزائر،1981م، ص 102.

(4)– ينظر: الحسن ابن محمد الوزان الفاسي (ت 957 هـ/ 1550م): **وصف إفريقيا**، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1983م، ص ص 136– 137.

(5)– عبد الرحمن الجيلالي: **تاريخ الجزائر العام**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط7، 1415هـ/1994م، ج1، ص 176. أحمد توفيق المدني: **كتاب الجزائر**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1984م، ص 244.

ومكانة مرموقة بين المدن الحواضر وأضحت مركزا علميا له وزنه ومكانته بفضل كوكبة من العلماء والفقهاء الذين تلقوا علومهم الأولى فيها وذاع صيتهم لاحقا، أكدته كتب التراجم والطبقات التي عنت بالترجمة للأعلام مثل الزركلي والذهبي وغيرهم التي أفردوا في كثير من صفحاتها أسماء لطائفة من العلماء تنتهي أسمائهم بالورجلاني نسبة إليها.

تلك إذا هي بعض النماذج الحية لمدن تاريخية أرست الدعائم الأولى للتعليم الإسلامي في صوره الأولى، وظل العمل نفسه هو السائد في باقي المدن المفتوحة أو المنشئة أو المراكز العسكرية كالحاميات والرباطات، التي عرفت هي الأخرى نفس المسار في التعليم والتحصيل العلمي الذي كان يرافق جل الحملات العسكرية التي كانت تضم في صفوفها أعدادا معتبرة من المتعلمين بصفة علماء وفقهاء يحسنون القراءة والكتابة، دون إغفال لدور التابعين الذين تتلمذوا على أيدي الصحابة، وأدوا أدورا لا يستهان بها بغرس أولى بذور علوم الفقه، وعلى أيديهم تخرجت الطبقة الأولى من علماء إفريقية من أمثال أبي كريب المعافري، وعبد الله بن عبد الحكم البلوي، وأبي خالد عبد الرحمن بن زياد بن أنعم وغيرهم كثير[1].

وقبل أن نتطرق إلى نظم المستعملة في التعليم في بلاد المغرب، وجب علينا الإشارة إلى أن فترة عصر الولاة شهدت أيامهم قدوما متواصلا للكثير من القبائل العربية القادمة من المشرق، كان وراءها الدافع السياسي أو الانتماء القبلي. فعمل بعض الولاة على استقدام بني عمومتهم وعشائرهم، تمتينا لحكمهم ومناصرتهم ضد خصومهم، فاقطعوهم الأراضي والأملاك ضمانا لاستقرار الأوضاع وحماية الدولة من الثورات والفتن، فأسهموا بطريقة غير مباشرة في تعريب بلاد المغرب. وأضحت بلاد المغرب الإسلامي وجهة مفضلة للعديد من الأجناس والأقوام، وكان من بينهم دعاة المذاهب الإسلامية المتمكنين من علوم اللغة والخطابة والبلاغة والبيان، وأغلبهم اشتغل كمعلم أو مؤدب صبيان ظاهرا أما باطنا فكانوا دعاة مستترين، جلبوا معهم طرق التعليم ومناهج التدريس التي تلقوها في المشرق في مراكز الدًعوة كبغداد والكوفة والبصرة واليمن. وكانت متقدمة مقارنة بالمغرب الجديد العهد

(1)– ابن وردان: **تاريخ مملكة الأغالبة**، دراسة وتقديم وتحقيق وتعليق: محمد زينهم محمد عزب، مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر، ط1، 1408هـ/1988م، ص 27.

بالإسلام، ويمكن القول بأن تلك الجهود المبذولة من قبلهم كان لها الأثر الكبير في تسريع تعريب اللسان البربري[1].

2- الأوضاع السياسية قبيل ظهور الإمارات والدول المستقلة.

ما يمكن ملاحظته من خلال دراسة تاريخ بلاد المغرب في القديم أن أغلب الأنظمة السياسية المتعاقبة عليه كانت علاقتها بالبربر تتسم غالبا بممارسات عنيفة ضدهم شكل القهر والاستبداد والتسلط أهم مقوماتها[2]. وبقي الوضع على حاله لغاية الفتح الإسلامي الذي أدخل المنطقة في عهد جديد، تنفس فيه البربر الصعداء من سياسات القمع والظلم والازدراء والاستغلال[3]. فكان التحرر والانعتاق الشامل لكل ما تقوم عليه الحياة، وتصلح به المعاني والأشخاص، منتهيا إلى تعديل الأوضاع المنحرفة وإنصاف الضعيف من القوي بإعادة الكرامة والعزة لأهله، الذين أدركوا أن مقدم هؤلاء المسلمين إنما كان بنية نسج علاقة الأخوة والمساواة والمصلحة لا رابطة السيادة والاستئثار[4]. ليتحولوا في ظرف وجيز من فئة منكمشة ومهمشة ومستغلة إلى عناصر فاعلة ومنتجة جعلت من النبوغ والعطاء الحضاري أحد أبرز سماتها.

وفي ظل هذه المستجدات سيلعب المغرب الأوسط دوره كاملا في التفاعل الحضاري وسيظهر في حلته المتجددة تحت عباءة الإسلام، بنخبه وعلمائه وشيوخه الذين سيرفعون عاليا راية العلم ويشرفون الإسلام كدين وعقيدة. هذا الدين الذي أبان بأنه "دين الحق الذي

---

(1)- كان معظم الدعاة من المعلمين، وسنخص بالذكر منهم الداعية أبو عبد الله الشيعي، عرف بعلمه وبفصاحته، وأبو يزيد مخلد بن كيداد اليفرني الزناتي زعيم الخوارج في عهد الفاطميين، كان هو أيضا معلم صبيان في تقيوس. ينظر: المراكشي: **البيان**، ج1، المصدر السابق، ص ص 135- 216.

(2)- محمد محي الدين المشرفي: **إفريقيا الشمالية في العصر القديم**، دار الكتب العربية، لبنان، ط4، 1389هـ- 1969م، ص 45.

(3)- جورج مارسيه: **بلاد المغرب وعلاقاتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى**، تر: محمود عبد الصمد هيكل، مراجعة: مصطفى أبو ضيف أحمد، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1999م، ص29.

(4)- جورج مارسيه: نفسه، ص 283.

قامت شواهده، وتواترت بيِّناته"[1]. فما كاد القرن الأول الهجري أن ينقضي حتى كانت القرابة الدموية بين العرب والبربر قد استكملت، ولم يعد هنالك مجالا للتفريق بينهما وأصبح سكان المنطقة يتوقون إلى صنع مستقبلهم بأنفسهم بعيدا عن وصاية الخلافة في المشرق، فبدأت مرحلة ظهور الدويلات الوطنية التي سرعان ما تقاسمت خريطة المغرب الإسلامي. والبداية كانت من المغرب الأوسط الذي شهد ميلاد أول دولة مستقلة عن الخلافة وهي الدولة الرستمية التي كانت الواجهة الأولى لنحلة للإباضية في بلاد المغرب وفكرهم السياسي الإسلامي[2]. ثم تلتها دولة الأغالبة ومن بعدها الخلافة الفاطمية ثم دولة بني حماد، فالمرابطين والموحدين وانتهاء بالدولة الزيانية.

المبحث الأول: المغرب الأوسط أيام الرستميين (160– 296هـ)

لا يمكن فصل أسباب ظهور دولة الرستميين في المغرب الأوسط عن تلك الأحداث الكبرى التي عاشها المشرق الإسلامي في ظل بروز العديد من الحركات السياسية المناوئة للحكم وعلى رأسهم الخوارج[3]. وكانت البداية عندما امتنعت طائفة من جند علي كرم الله وجهه على مواصلة القتال بعد رفضهم لقضية التحكيم في موقعة صفين، منكرين عليه قبوله

---

(1)– أحمد الطالب الإبراهيمي: **آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي (1929– 1940م)**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1997م، ج1، ص ص 20– 21.

(2)– محمد عيسى الحريري: **الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي حضارتها وعلاقاتها الخارجية بالمغرب والأندلس (160هـ– 296هـ)**، دار القلم للنشر والتوزيع، مصر، ط3، 1408هـ– 1987م، ص 5.

(3)– ظهر الخوارج سنة (37هـ) كفرقة إسلامية معارضة لعلي بن أبي طالب بعد موقعة صفين رافضين ما توافق عليه علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان في قضية التحكيم، ورفعوا شعار لا حكم إلا الله. بعدها انقسموا إلى عدة فرق تكفر بعضها البعض، منها الأزارقة والنجدات والصفرية والإباضية. ينظر، سالم بن حمد بن سليمان الحارثي: **العقود الفضية في أصول الإباضية**، مراجعة: إبراهيم بن محمد العساكر، وزارة التراث والثقافة، سلطنة عمان، 1438هـ– 2017م، ط2، ص ص 50 –51. سعد رستم: **الفرق والمذاهب الإسلامية منذ البدايات، النشأة. التاريخ. العقيدة. التوزع الجغرافي**، الأوائل للنشر والتوزيع، جمهورية سوريا العربية، 2004م، ط1، ص ص51– 52. أبو عمار الكوفي الإباضي: **آراء الخوارج الكلامية**، تح: عمار طالبي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع 1398هـ/1978م، ج1، ص 79.

بذلك، وتشددوا في موقفهم رغم محاولات الخليفة ثنيهم عن ذلك[1]. وبعدها غالوا في تطرفهم لدرجة أنهم أجمعوا على تكفير علي بن أبي طالب واستحلوا دمه ودم أصحابه وكفروا عثمان بن عفان والحكمين وأصحاب الجمل، وكل من رضي بالتحكيم ونادوا بوجوب الخروج على السلطان الجائر[2]. وعندما يئس علي من رجوعهم إلى جادة الصواب أدرك بأنه لا مفر من مقاتلتهم بعدما استيقن عدائهم، فجرت موقعة النهروان التي أبادهم فيها وقتل منهم خلقا كثيرا[3]. لكن فكرهم بقي مع القلة التي نجت من المعركة وتمكنوا من إعادة تنظيم صفوفهم، وتحول فكرهم إلى عقيدة ثابتة وتمكنوا من قتل علي بن أبي طالب وبعدها قاموا بالعديد من الثورات وتسببوا في إضعاف الدولة الأموية وإنهاكها في الأنفس والأموال إلى أن انهارت وسقطت تحت ضربات العباسيين سنة (132هـ).

الخوارج وإنتشارهم في الغرب الإسلامي

أ- مرحلة الدَعوة.

لم يكن المغرب الإسلامي بمنأى عن تلك الأحداث الصاخبة التي كانت تجري في المشرق، إن تحديد بداية ظهور المذهب الخارجي في المغرب الإسلامي مسألة صعبة ويحتمل أن يكون دخولهم في النصف الثاني من القرن الأول الهجري في شكل مهاجرين وتجار وجنود في الجيوش الإسلامية مثل عكاشة بن أيوب الفزازي الذي كان مندسا في جيش عبد الله بن الحبحاب، أو كدعاة منظمين مثل عكرمة بن عبد الله مولى ابن عباس الذي يشار بأن أصله مغربي وسلمة بن سعيد. إذ تذكر المصادر أنهما قدما من البصرة

---

(1)- أبي منصور عبد القاهر بن محمد البغدادي: **الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم**، تح: محمد عثمان الخشيت، القاهرة، مكتبة ابن سينا، 1409هـ/1988م، ص 72.

(2)- أحمد أمين، **ضحى الإسلام**: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، 2012م، ص 943.

(3)- النهروان بضم الراء وفتحها وكسرها مع النون، ويقال بضم النون والراء معا، مدينة صغيرة من بغداد إليها مشرقا أربعة فراسخ، وعليها كانت الوقيعة بين علي رضي الله عنه والخوارج. ينظر، محمد بن عبد المنعم الحميري: **الروض المعطار في خبر الأقطار**: تح: إحسان عباس، طبع هيدلبرغ، لبنان، 1975م، ص582. الحافظ ابن كثير: **البداية والنهاية**، طبعة مؤسسة المعارف ودار ابن حزم، بيروت 1430هـ/2009م، ج7، ص 280.

على بعير واحد[1]. فالأول يدعو إلى مذهب الصفرية والثاني إلى مذهب الإباضية ونجح سلمة بن سعيد في استمالة عدد من الرجال وأرسلهم إلى زعيم المذهب أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي، وهو فقيه من علماء الإباضية أخذ المذهب عن جابر بن زيد ثم صار مرجعا فيه تشد إليه الرحال (ت 145هـ)[2].

وبحلول سنة (140هـ) بايع الإباضيون عبد الأعلى بن السمح أبو الخطاب بن السمح المعافري اليمني الأصل إماما وزعيما لهم في طرابلس الغرب، وكان هذا الأخير قد هرب من قمع الأمويين، فاستطاع إخضاع العديد من المدن ومن بينها القيروان، وكانت نفسه تواقة لإنشاء دولة إباضية في الغرب الإسلامي، لكنه قتل في أحد المواجهات مع قائد جيوش الخلافة العباسية محمد بن الأشعث الخزاعي والي مصر، فتفرقت جموع الإباضية في أنحاء البلاد، وتمكن بعدها عبد الرحمن بن رستم من الفرار إلى المغرب الأوسط بعد علمه بمقتل الإمام وكان حينها واليا على مدينة القيروان، فاختار ناحية تيهرت لمناعتها وحصانتها لإقامة دولة جديدة فاختطها ونزلها[3].

وإذا أردنا معرف الأسباب والعوامل التي ساعدت على انتشار مذهب الخوارج في بلاد المغرب، فإنه يعود لسياسة بعض الولاة الظالمة اتجاه العنصر البربري الذي تعرض إلى التمييز والإقصاء خاصة في ولاية يزيد بن أبي مسلم (102هـ) الذي أراد استنساخ سياسة الحجاج في العراق وتطبيقها في بلاد المغرب، فأساء السيرة بفرضه الجزية عليهم ووشم أيديهم وهو ما لم يرضى به البربر فقامت ثورة ضده أدت إلى مقتله[4]. وما ميز هذه الفترة هو الصراع الذي نشأ بين الولاة من القيسية واليمنية، وهو صراع متجذر وموروث من الجاهلية، جعل الأوضاع السياسية تتراوح ما بين الهدوء والاضطراب، الأمر الذي استغله الدعاة

(1)– أبي زكرياء يحي بن أبي بكر: **كتاب سير الأئمة وأخبارهم**، تح: إسماعيل العربي، المكتبة الوطنية الجزائرية، الجزائر، 1399هـ/1979م، ص 26.

(2)– ينظر ترجمته، أبو نعيم الأصفهاني: **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، مطبعة السعادة،1933م، ج3، ص ص 85–91.

(3)– ابن عذارى المراكشي: **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تح: ج.س. كولان وإ. ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، ط3، 1983م، ج1، ص 71.

(4)– وصفه المراكشي "بالظلوم الغشوم"، ينظر: ابن عذارى، **نفسه**، ج1، ص 48.

الخوارج المنتشرين بين البربر في القرى والأرياف، المسلحين بغزارة العلم وبالتدًين فقاموا باستمالة البربر المتذمرين من سياسة الولاة، وأنكروا ظلم الولاة، بالتركيز على مبدأ العدل والمساواة وبثوا نظرياتهم في مسألة الإمامة والحاكمية في الإسلام المبنية على مبدأ التولية للأفضل والأتقى وليس بالتعيين أو التوريث[1]. فلاقت هذه الأفكار قبولا واستجابة من طرف البربر فانطلقت شرارة الثورات وكانت أبرزها ثورة ميسرة المطغري[2].

ب-نشأة الدولة الرستمية.

تتفق معظم المصادر التاريخية على اختلاف مشاربها ومرجعياتها على أن عبد الرحمن بن رستم هو المؤسس الأول للدولة الرستمية في المغرب الأوسط بعد أن فشلت جهوده في نصرة الإمام عبد الأعلى بن السمح، الذي أفنى حياته في سبيل تحقيق حلم إنشاء دولة تقوم على أسس المذهب الإباضي، وكان في نيته إقامتها في جبل نفوسة إلا أنه قتل سنة (144هـ) في موقعة سرت. فما كان على واليه بالقيروان عبد الرحمن بن رستم إلا التوجه بعيدا عن الجيش العباسي متخذا مسالك وعرة قاصدا قبائل لماية ولواتة لحلف قديم بينه وبينهم وكانتا على المذهب الإباضي ومضاربها مبسوطة على مساحات واسعة من المغرب الأوسط وجنوبه، فاحتضنوه واجتمع الناس إليه وبايعوه بالإمامة سنة(160هـ)[3].

يعتبر عبد الرحمن بن رستم من القادة العلماء، كان من حملة العلم الخمسة الذين أخذوا العلم على يد الإمام مسلم بن أبي كريمة في البصرة، وكانت بداياته الأولى في القيروان وأخذ على علمائها وفقهائها العلوم، ثم مال إلى المذهب الإباضي بتأثير من أحد

(1)- محمود إسماعيل عبد الرزاق: **الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري**، دار الثقافة، المغرب، ط2، 1985م، ص31. عبيد بوداود: **ثورات الحركة الخارجية الصفرية في المغرب الإسلامي وتداعياتها**، مجلة المواقف، عدد خاص، منشورات المركز الجامعي مصطفى اسطنبولي، معسكر، أفريل، 2008م، ص 193.

(2)- حسين مؤنس: **فجر الأندلس**، دراسة في تاريخ الأندلس من الفتح إلى قيام الدولة الأموية (711-756م)، دار المناهل للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، ط1، 1432هـ/2002م، ص 59.

(3)- عبد الواحد الشماخي: **السيَر**، تح: أحمد بم مسعود السيابي، وزارة التراث القومي والثقافي، سلطنة عمان، ط2، 1412هـ/1992م، ج1، ص 133. موسى لقبال: **المغرب الإسلامي**، المرجع السابق، ص170. أبي زكرياء: **السيَر**، المصدر السابق، ص47. المراكشي: **البيان**، ج1، ص 196.

الدعاة وهو سلمة بن سعيد[1]، واستطاع بحنكته وذكائه وورعه من أن يقيم دولة عمادها القرآن والسنة النبوية وتعاليم المذهب الإباضي، فأحسن التدبير في رعيته وأصبحت البلد زائدة عمارتها والسيرة واحدة وقضاته مختارة وبيوت أمواله ممتلئة[2].

وبعد وفاته تولى الأمر من بعده ابنه عبد الوهاب (171-190هـ) الذي واصل على طريق أبيه، وعرف عهده توسعا وامتدادا في حدودها وعاشت وازدهارا علميا وثقافيا تجلى في الحركة العلمية النشطة والتبادل التجاري مع غيرها من الدول، وخاصة مع جنوب الصحراء، وتمكن من إخماد الفتن الداخلية التي كادت أن تعصف بأركان الدولة[3].

أما عهد أبو سعيد ميمون الأفلح (190- 240هـ) "فأيامه كانت كلها رغد ويسر، وكان يسلم عليه بالخلافة. جمع بين العلم والحزم والعزم في تدبير شؤون الدولة، وعمرت معه الدنيا وكثرت الأموال والمستغلات وأتته الرفاق والوفود من كل الأمصار والآفاق بأنواع التجارات"[4]. وبعد وفاته تولى شؤون الإمارة أبو بكر بن أفلح (240-241هـ) الذي عرفت فترته تراجعا في هيبتها بفعل إهماله وتفويضه أمور الدولة إلى صهره، فلم يكن مثل سابقيه في الشدة والحزم "فكانت الإمارة بالاسم لأبي بكر وبالحقيقة لمحمد بن عرفة"[5]. فاستخلفه أخاه الإمام أبو اليقظان بن أفلح (241-281هـ) فقد "عمل على إصلاح ما أفسده أخاه وتمكن من إعادة الأمور إلى نصابها، وبلغ في العدل والفضل غاية عظيمة"[6]. وبعد وفاته اضطربت أوضاع

---

(1)- محمد عيسى الحريري: **الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي**، المرجع السابق، ص 78.

(2)- ابن الصغير: **أخبار الأئمة الرستميين (القرن الثالث الهجري)**، تح: محمد ناصر وإبراهيم بحاز، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1985م، ص 35.

(3)- محمد عيسى الحريري: **الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي**، المرجع السابق، ص 112. عبد الرحمن بن محمد الجيلالي: **تاريخ الجزائر العام**، المرجع السابق، ص 169.

(4)- ابن الصغير: **أخبار الأئمة الرستميين (القرن الثالث الهجري)**، ص 21.

(5)- ابن الصغير: نفسه، ص 64.

(6)- أبي زكرياء: المصدر السابق، ص 98. أبو العباس أحمد بن سعيد الدرجيني: **طبقات المشائخ بالمغرب**، تح: إبراهيم طلاي، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر،(د- ت)، ج2، ص ص 83- 84. الشماخي: **السيَر**، ص ص 221- 222. المراكشي، **البيان**، ج1، ص 197.

الدولة، وباتت تتقاذفها الفتن والأهوال إلى غاية انقطاع ملكهم على يد داعي الفاطميين أبا عبد الله الشيعي سنة 296هـ.

المبحث الثاني: المغرب الأوسط أيام الفاطميين (296-362هـ/909-973م).

ولم يكن الشيعة من الغافلين عن بلاد المغرب التي كانوا يرونها بديلا عن المشرق إذا دعت الحاجة إلى ذلك، فقد مهدوا الطريق بإرسال دعاة متمرسين بشكل سرًي. وتتفق أغلب المصادر بأن الإمام جعفر الصادق سادس الأئمة العلويين، هو من أمر بتوجيه الداعيًين عبد الله بن علي بن محمد المشهور بالحلواني، وأبو سفيان الحسن بن القاسم إلى أرض كتامة ببلاد المغرب لتهيئة الأرضية وبث الدًعوة ونشرها، فأختار الأول موقع يسمى سو جمار[1]، أما أبو سفيان الحسن بن القاسم فإنه فضل الاستقرار بمرماجنة[2]، لنشر أصول المذهب ومبادئ الدًعوة والدعاء للرضا من آل محمد، لحين وصول صاحب البذر[3].

تعتبر شخصية الدًاعي عبد الله الحسين ابن أحمد بن محمد بن زكريا المعروف بأبي عبد الله الشيعي، إحدى أهم الحلقات الرئيسية التي ستدور حولها أغلب الأحداث التاريخية في مسار الدًعوة الإسماعيلية ونجاحها ببلاد المغرب. فقد تمكن بعلمه وبدهائه وذكائه وفطنته وقدرته العجيبة على التأقلم مع مختلف الأحداث، سياسية كانت أو حربية، من أن

---

(1)- هكذا جاء ذكرها في كتاب **افتتاح الدعوة** للقاضي النعمان في الصفحة 29. أما موسى إقبال فذكرها بتسمية سوق حمار وحدد موقعها بالقرب من مدينة قسنطينة حاليا وغير بعيدة عنها، على واد الرمل في كتابه، ينظر، موسى لقبال: **دور كتامة في تاريخ الدولة الفاطمية منذ تأسيسها إلى منتصف القرن الخامس الهجري**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979م، ص 211، هامش 11.

(2)- مرماجنة: قرية لقبيلة هوارة البربرية، تقع في منطقة اعتبرت من عمالة مدينة تبسة في الشرق الجزائري بالقرب من الحدود التونسية. ينظر، شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الحموي، **معجم البلدان**، دار صادر، بيروت، 1397هـ/1977م، ج5، ص 109.

(3)- عبد الرحمن بن خلدون: تاريخ ابن خلدون، **ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، ضبط المتن، خليل شحادة، مراجعة، سهيل زكار، دار الفكر، بيروت 1421هـ/2000م، ج3، ص 450.

ينال الرياسة ويتوغل بعيدا بدعوته في بلاد القبائل البربرية خاصة قبيلة كتامة[1]، التي آوته وساندته، ووقفت إلى جانبه ودعمته بالرجال والأموال، وخاضت معه المعارك الجسام ومكنته من تبليغ دعوته، ونصرته إلى أن ظهر أمره وقضى على جميع الدول قائمة.

ظهرت حنكة الدَّاعي عندما استطاع تجنيد قبيلة كتامة برمتها، وأفصح لهم عن غرضه من القدوم إلى مضاربهم بالقول: "أنا صاحب البذر الذي ذكر لكم الحلواني وأبو سفيان"[2].

وكانت تلك بداية الإشارة لانطلاق أكبر حملة دعوية وعسكرية ستكون نتائجها وخيمة على مختلف الدويلات القائمة كان التدرج في تثبيت أصول الدَّعوة في هذه البيئة المهيأة سابقا عملية سهلة بالنسبة لمثل هؤلاء الدُعاة المتمرسين بأساليبها. ففي مرحلة من مراحل بداية النشاط فاجأهم بسؤاله عن فج الأخيار، وما تبعه مباشرة من خطاب حماسي خاطب النفوس قبل العقول حين قال: "هذا فج الأخيار وما سمَيً إلا بكم، ولقد جاء في الآثار: للمهديَ هجرة تنبو عن الأوطان، في زمان محنة وافتتان، ينصره فيها الأخيار منه أهل ذلك الزمان قوم اسمهم مشتق من الكتمان وبخروجكم في هذا الفج سمي فج الأخيار"[3]. ثم ما لبث

---

(1)– فرع من قبائل البرانس البربرية، تمتد أراضيها على منطقة شاسعة من المغرب الأوسط، تجاور بلاد زواوة، كما تمتد في بلاد القبائل الصغرى بين كل من سطيف وجيجل القل، وبين سلسلة جبال البابور وقسنطينة. ومن أهم مدن كتامة الرئيسية، قسنطينة، سطيف ونقاوس والمليلة وجيجل وسكيكدة والقل. ينظر، ابن خلدون: **العبر**، مج6، **نفسه**، ص 134. أبو العباس أحمد القلقشندي: **نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب**، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط2، 1980م، ص405. موسى لقبال: **دور كتامة**، نفسه، ص ص 67– 98.

(2)– المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي: **اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا**، تح: محمد حلمي محمد أحمد، وزارة الأوقاف لجمهورية مصر، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، 1416هـ /1996م، ج2، ص 21.

(3)– القاضي النعمان: **افتتاح الدَّعوة**، تح: فرحات الدشراوي، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط2، 1986م، ص 48. عبد الواحد الشيباني ابن الأثير: **الكامل في التاريخ**، **تح**: عمر عبد السلام التدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، 2012م، ج6، ص451. محمد بن أبي القاسم الرعيني، ابن أبي دينار: **المؤنس في أخبار إفريقية وتونس**، مطبعة الدولة التونسية تونس، 1682م، ص 51.

أن أظهر حنكة وبُعد نظر، واتخذ من قلعة أيكجان الواقعة في أراضي قبيلة بنو سكتان على قمة جبل الذي سيصبح دار الهجرة لكل الأتباع والأنصار[1].

استغل الدًاعي تذمر البربر من سياسة الأغالبة ورأى أنه حان الوقت لبداية العمليات العسكرية بعد أن أحسً أنهم أصبحوا طوع إشارته، بتكاثر أعداد الملتحقين بحركته حيث لم يبق فيها إلا من يدخل دعوته إما راغبا أو راهبا أو مخذولا[2]. فتوجه صوب ميلة التي فتحت له أبوابها، ثم قصد إفريقية، إلا أنه انهزم أمام القائد الأحول ابن الأمير الأغلبي إبراهيم بن أحمد. لم يؤثر هذا الانكسار في نفسية الداعي وكانت ولاية زيادة الله لثالث هي الفرصة التي طالما كان في انتظارها، فهزيمة الجيش الأغلبي في معركة "كينونة" (292هـ) كانت بداية النهاية للدولة الأغلبية، ففي الوقت الذي كانت فيه المدن الأغلبية تتساقط الواحدة تلو الأخرى وشوكة الداعي تتقوى، كان الأمير الأغلبي غارقا في الملذات والملاهي[3]، وما أن بلغت أنباء هذه الانتصارات رقادة، حتى اضطربت أحوالها وماج الناس وبدؤوا في مغادرتها، وكان على رأسهم أميرها الأغلبي الذي علم انتهاء ملكه فخرج في جنح الظلام مع أهله وبعض خاصته متوجها إلى مصر[4].

انتهت دولة الأغالبة بدخول أبا عبد الله العاصمة رقادة بعد أن سبقتها مدينة القيروان معقل المذهب السُني المالكي التي طلب أهلها الأمان من الدًاعي فاستجاب لهم[5]. واكتمل الانتصار بتحرير إمام الدعوة عبيد الله الشيعي من سجنه بسجلماسة، ودخل الدًاعي رفقة إمامه رقادة يوم الخميس في العشرين من ربيع الثاني سنة (297هـ) وسلم عليه شيوخ أهل

---

(1)– المقريزي: **اتعاظ الحنفا**، المصدر نفسه، ص 21. النعمان: **افتتاح الدعوة**، نفسه، ص 47. ابن خلدون: **العبر**، ج4، ص 67.

(2)– أبو الفدا عماد الدين إسماعيل: **المختصر في أخبار البشر**، المطبعة الحسينية، القاهرة، 1325هـ، ج2، ص 65. النعمان، نفسه، ص 116.

(3)– المقريزي: **الاتعاظ،**، ج2 ، ص 23..

(4)– ابن عذارى: **البيان**، ج1 ، ص 150.

(5)– ابن عذارى: نفسه، نفس الصفحة. النعمان: **افتتاح الدعوة**، ص244. المقريزي: **الاتعاظ** ج2، ص24. ابن أبي دينار: **المؤنس**، المصدر السابق، ص 52.

القيروان بالخلافة والإمامة بعد أن قضى على دولة الرستميين وآخر أئمتهم اليقظان بن أبي اليقظان مع أهل بيته[1].

قامت للشيعة دولة في بلاد المغرب، وكان نصرا عظيما بالنسبة لهم. فأخيرا وبعد معاناة وتضحيات تجسد حلمهم القديم في إقامة كيانهم السياسي الخاص بهم، وأصبح الإمام الفاطمي هو الناطق الروحي باسم الإسلام الشيعي الذي اضطهد طويلا، ولاح له النصر في بلاد المغرب، ووقف ندَا للإسلام السني الذي كانت تمثله الخلافة العباسية. لكن هذا الإنجاز التاريخي للشيعة قابله رفض سني ظاهر من قبل العلماء والفقهاء نتيجة التغييرات التي أحدثوها في ممارسة العبادة، واستخفافهم بقواعد الشريعة،وقيامهم بفرض مذهبهم على الناس بقوة السلاح، فاندلعت حربا عقائدية ضروسا بين المذهبين،كانت الغلبة فيها للشيعة الذين لم يتوانوا في ملاحقة ومتابعة كل من عارض عقيدتهم وطعن في مذهبهم، فكانت محنة العلماء والفقهاء عظيمة[2].

في ظل هذه الأجواء المشحونة والمحقونة بالعداء والكره من الجانبين، اندلعت ثورة في جبال الأوراس أبطالها من الخوارج النكارية الذين كانوا يُكِنون كرها وعداء تاريخيا للشيعة تزعمها أبي يزيد بن كيداد اليفرني الزناتي الملقب بصاحب الحمار سنة (322هـ). بدأت شرارتها الأولى بجبال الأوراس[3]، وتوسعت شرقا حتى كادت أن تقضي على دولة الشيعة الفاطميين، والمثير أن علماء السنة تحالفوا مع هذت الثائر نكاية في الشيعة وكانوا في

---

(1)– النعمان: **افتتاح الدعوة**، ص 292. المقريزي: **الاتعاظ**، ص 25، ابن عذارى: **البيان**، ج1، المصدر السابق، ص 158.

(2)– أبي الفضل عياض بن موسى اليحصبيً (ت 544هـ): **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك**، ضبط وتصحيح: محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1418هـ/1998م، ج2، ص ص 161– 162.

(3)– هو أبو يزيد مخلد بن كيداد النكاري، لقب بصاحب الحمار. ولد بتوزر حوالي سنة (270هـ) عمل في بدايته معلما للصبيان ثم تبنى الدعوة الخارجية وسَب عليا (رضه) وأعلن الثورة بجبال الأوراس وتلقب بشيخ المؤمنين استولى على القيروان وحاصر الخليفة الفاطمي القائم في المهدية وانتهت حركته بعد انتصار الخليفة الفاطمي الثالث إسماعيل بن أبي القاسم بالمنصور عليه ومات متأثرا بجروحه سنة (336هـ). ينظر، القاضي النعمان: **افتتاح الدعوة**، ص ص 332– 334.

الصفوف الأولى[1]، مبررين موقفهم بأن هذا الخارجي من أهل القبلة، أما العبيديين فإنهم ليسوا منها نظرا لما أظهروه من تشيع سيئ ومروق عن الدين بسبِّهم الصحابة والتضييق على فقهاء وعلماء السنة، الذين عاشوا لقهر والذل والهوان، وتعرض كثير منهم للضرب والسجن[2]. وقد بيَّن هذا الحكم حجم الشرخ الكبير الذي كان موجودا بين السنة والشيعة وانتهت هذه الحركة بانهزام الثائر أبي يزيد الخارجي على يد الخليفة الفاطمي إسماعيل بن أبي القاسم الملقب بالمنصور، ومات متأثرا بجروحه سنة (336هـ)[3].

يعتبر عهد الخليفة الرابع المعز لدين الله الفاطمي[4]، عهد الرخاء والازدهار والسكينة "فقد وضعت الحرب أوزارها، وخمد دخانها، وطفئت نارها، وأمنت السبل، وهدأت الروعات وسكن الناس واطمأنوا"[5]، ورغم ذلك فإن أنظاره كانت دائما متجهة نحو المشرق فبدأ في تهيئة نفسه للرحيل من بلاد المغرب لإدراكه التام استحالة البقاء في هذا الوسط المعادي فكان الرحيل سنة (368هـ) بعدما أوكل أمر شؤون بلاد المغرب لبلكين بن مناد الزيري الصنهاجي، وسماه يوسف وكناه بأبي الفتوح أعطاه لقب سيف الدولة[6]. وكان المعز يعلم يقينا بأن بلاد المغرب لن تبقى أبد الدهر على ولائها للشيعة وأن الأمر مجرد مسألة وقت فقد قال لعمه أحمد بن المهدي في شأن هذا الأمر: "اعلم يا عم أن الأمر الذي طلبه جعفر

---

(1)- ابن عذارى: **البيان،** ج1، ص 218. لقبال موسى: **الحسبة المذهبية في بلاد المغرب العربي نشأتها وتطورها،** الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، 1971، ص 4.

(2)- أبو العرب محمد بن أحمد بن تميم التميمي (ت 333هـ)**: كتاب المحن،** تح: يحي وهيب الجبوري، دار الغرب الإسلامي، ط3، 1427هـ/2006م، ص ص 362- 363.

(3)- أبي علي منصور العزيزي، الجوذري: **سيرة الأستاذ جوذر**، تح: محمد كلما حسين ومحمد عبد الهادي شعيرة، دار الفكر العربي، 1374هـ/1954م، ص ص45- 46.

(4)- ينظر، عارف تامر: **الموسوعة التاريخية للخلفاء الفاطميين، الخليفة الرابع، المعز لدين الله الفاطمي**، دار الجيل، دار دمشق، ط1، 1400هـ/1980م، ج4، وهو مخصص كليا لهذا الخليفة.

(5)- القاضي النعمان، الافتتاح، ص 335.

(6)- عارف تامر :**الموسوعة**، المرجع السابق، ص ص 21- 22. المقريزي، الاتعاظ ،ج1، ص112.

ابتداء هو آخر ما يصير إليه أمر يوسف. فإذا تطاولت المدة سينفرد بالأمر ولكن هذا أولا أحسن وأجود عند ذوي العقول وهو نهاية ما يفعله من ترك دياره"[1].

المبحث الثالث: المغرب الأوسط أيام الحماديين (361–405هـ/972– 1014م).

بعد رحيل الفاطميين إلى مصر، بات في حكم المؤكد أن عودتهم إلى بلاد المغرب أصبحت من الماضي، فالمعز لدين الله الفاطمي حمل معه ذخائره ورفات أجداده[2]، لكنه ظل يفكر فيمن يوليه شؤون بلاد المغرب، فوقع اختياره على بلكين بن زيري بن مناد الذي سيصبح الآمر والناهي من بعده. فظل المغرب تابعا للخلافة الفاطمية بمصر، مع بقاء الحكم متوارثا في هذه الأسرة، وفي عهد المعز بن باديس (406– 453هـ) تمت القطيعة مع الفاطميين ودعا في المنابر للخليفة العباسي القائم بأمر الله ولعن الشيعة في كل مكان واستقل الأمير الجديد بدولته معلنا بداية عهد جديد لحكم الأسر البربرية[3].

اشتهرت قبيلة صنهاجة[4] بإنجابها للكثير من القادة ورجالات الدولة الأقوياء، برز منهم حماد بن بلكين بن زيري الذي أبلى البلاء الحسن في توطيد حكم أسرة بني زيري في بلاد المغرب، وكان سما زعافا على قبيلة زناتة وأحلافها من القبائل البربرية ومدعميهم أمويي الأندلس، وتمكن من القضاء على ثورات الزناتيين في المغرب الأوسط. فأقره باديس بن المنصور(387–406هـ) على ولايتي المسيلة وأشير وكل بلد جديد يفتحه، مانحا إياه لقب نائب الأمير فيها[5]، فأسس مدينة القلعة (398هـ) مضمرا في نفسه إنشاء إمارة له ولعقبه. وما أن حلت سنة (405هـ) حتى أعلن حمادا قيام دولته متحديا أبناء عمومته الذين لم يجدوا بُدًا من الاعتراف بها، والتسليم بالأمر الواقع بعد سنوات من الحروب، واعترف المعز بحماد

---

(1)– فرحات الدشراوي: **الخلافة الفاطمية بالمغرب**، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1994، ص404.

(2)– حسين مؤنس: **معالم تاريخ المغرب والأندلس**، دار الرشد، القاهرة، ط5، 1421هـ/2000م، ص162.

(3)– ابن عذاري: **البيان**، ج1، المصدر السابق، ص 280.

(4)– ابن خلدون: **العبر**، ج6، ص 201.

(5)– لسان الدين بن الخطيب: **تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط**، القسم الثالث من كتاب أعلام الأعلام، تح: أحمد مختار العبادي ومحمد إبراهيم الكتاني، دار الكتاب، الدار البيضاء، المغرب، 1964م، ص 85.

ملكا مستقلا على كل أعمال المغرب الأوسط، فانقسمت الدولة الصنهاجية إلى شرقية وغربية[1].

تعتبر الدولة الحمادية من بين الدول التي طبعت تاريخ المغرب الأوسط من كل جوانبه، ففي المجال السياسي رسمت معالم حيِّزه الجغرافي الممتد من وراء تلمسان غربا إلى بونة شرقا، ومن السواحل الشمالية إلى جنوب تيهرت والزاب ووادي ريغ وورجلان، وقد عدد ابن خلدون بعض المدن التي ضمها حماد إلى مملكته خلال حروبه وفتوحاته مثل طبنة وقسنطينة والمسيلة وتيهرت ومرسى الدجاج وسوق حمزة قرب البويرة وغيرها من المدن وكثيرا من المناطق الغربية التي كانت تابعة من قبل لسلطة الزيريين، عندما كان في خدمتهم، ولاحق قبائل زناتة المعادية وأجبرهم على للطاعة بعد أن قتل منهم جمعا كبيرا ووصل بجيشه إلى غاية فاس، وبعد إعلانه دولته كانت مدينة القلعة هي قاعدة ملكه وعاصمة مملكته وقد اختار لها مكانا حصينا على سفوح جبل تاقربوست سامي العلو صعب الارتفاع[2].

أما في الشق الحضاري والثقافي، فقد بلغت هذه الدولة في عهد مؤسسها مرتبة عالية في الرقي والازدهار، وعرفت القلعة حينها توافد للعلماء والأدباء، وأضحت مركزا تجاريا هاما يربط بين مختلف مدن بلاد المغرب وجنوبها، فقصدها الصناع وأصحاب الحرف فتمصرت

---

(1)- الهادي روجي إدريس: **الدولة الصنهاجية تاريخ إفريقية في عهد بني زيري من القرن 10 إلى القرن 12م**، ترجمة: حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1992م، ج1، ص192. عبد الرحمن الجيلالي: **تاريخ الجزائر العام**، ج1، ص 257.

(2)- أبو عبد الله الشريف الإدريسي: **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، مطبعة بريل، مدينة ليدن، (د-ت)، ص 86. شهاب الدين أبو عبد الله، ياقوت الحموي: **معجم البلدان**، دار صادر، بيروت، 1977م، ج4، ص 390. أبو عبد الله البكري: **المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب** وهو جزء من كتاب المسالك والممالك، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ص 49. ابن خلدون: **العبر**، ج6، ص ص 228- 230. رشيد بورويبة: **الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1977م، ص 117. عبد الحليم عويس: **دولة بني حماد صفحة رائعة من تاريخ الجزائر**، دار الصحوة، القاهرة، ط1، 2002م، ص 83. إسماعيل العربي: **دولة بني حماد ملوك القلعة وبجاية**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1980م، ص122.

بعد خراب القيروان، وانتقل إليها أكثر أهل إفريقية[1]. فنمت فيها التجارة وتبحر عمرانها ونافست غيرها من الحواضر المشهورة. أما طورها الثاني الذي يبدأ من عهد الناصر بن علناس (454-481هـ) وإلى غاية سقوطها على يد الموحدين سنة (547هـ) فكان من أزهى عصورها. ويعتبر بناء مدينة الناصرية تيمنا باسم صاحبها كان الانطلاقة الفعلية لحركة التمدن ونفوق العلوم ونماء المعارف، فانعكس ذلك بالإيجاب على الحياة الاجتماعية التي كانت مهددة من قبل القبائل الهلالية التي أثرت وزعزعت نوعا ما الأمن الاستقرار الذي عاشته المنطقة بعد الصلح الذي تم بين حماد والمعز بن باديس. فالزحف الهلالي صبغ بالحروب والمعارك التي دارت بينهم وبين الزيريين وبني حماد حتى أنهم تمكنوا من محاصرة القيروان ومن بعد نهبها،كما حاصروا المهدية ودخلوها عنوة[2]، وتقدموا ناحية المغرب الأوسط وكانوا السبب في جلاء بني حماد إلى بجاية بعدما حاصروا القلعة وقطعوا عنها المياه، وأغلقت الطرق التجارية التي كانت تقوي اقتصادها وتساهم في غناها فاضطربت أحوالها وهجرها الناس وسرعان ما تلاشت أهميتها وفقدت ريادتها لحساب بجاية الجديدة[3].

أصبحت بجاية في عهد الحماديين قاعدة المغرب الأوسط، وعينها، وساعد موقعها البحري، وانفتاحها على الفضاء المتوسطي في نموها بسرعة وأصبحت مدينة زاهرة وعامرة وعاصمة العلوم خاصة في عهد الناصر الذي عمر طويلا. فنظم شؤون الدولة وأخمد الثورات والفتن وعرف عهده الاستقرار والتحضر وذاع صيتها في العالم الإسلامي كمركز إشعاع ثقافي وعلمي وعاشت في كنفه الدولة مجدها وعزها، وكانت على حد وصف العبدري في رحلته: "وهذا البلد بقية قواعد الإسلام ومحل تجلة العلماء والأعلام وله مع حسن المنظر طيب المخبر"[4]. وبعد وفاته خلفه ابنه المنصور(481هـ) الذي سار على خطى والده،

(1)- البكري: **المغرب**، المرجع السابق، ص 49.

(2)- ابن عذارى : **البيان**، ج1، ص 300.

(3)- إسماعيل العربي: **دولة بني حماد**، المرجع السابق، ص 135.

(4)- محمد العبدري البلنسي: **الرحلة المغربية**، تقديم سعد بولافة، منشورات بونة للبحوث والدراسات الجزائر، ط1، 2007م، ص 50.

وأشتهر بإقامة العمارات وتشييد القصور، وبناء المساجد، وعرف عنه الزهد والتقشف وإليه يرجع الفضل في تمدن مملكة بني حماد[1].

تبقى هذه الدولة بما قدمته في الجانب الحضاري والسياسي من الشواهد التاريخية التي رسمت معالم المغرب الأوسط بتركيبته البشرية، وحدوده الجغرافية. كما أنها رسخت قواعد العلاقات الدولية بربطها لعلاقات ثقافية وتجارية حتى مع أوروبا المسيحية، وأعطت مثالا رائعا لثقافة التسامح الديني والحوار بين الديانات والمذاهب، واحترام العقائد فلم يمنع مثلا المسيحيون من مزاولة عبادتهم بحرية، فكانت لهم كنيستهم في القلعة سنة (400هـ)، كما أنها فتحت أبوابها لكل وافد ورافد ثقافي جديد وتيار فكري مبدع، وأعطت صورة مشرقة لمظاهر التحضر والتمدن في العصور الوسطى.

المبحث الرابع: المغرب الأوسط أيام المرابطين (472-539هـ/1079-1145م).

لم ينتهي دور قبيلة صنهاجة الشمال بدعمها السابق للخلافة الفاطمية التي آثرتها على غيرها من القبائل البربرية المنتشرة في ربوع بلاد المغرب[2]، ونالت بفضل ذلك على فرصة إنشاء حكم بربري تابع للخلافة في مصر، وبعدها تحقيق الاستقلال الكامل بظهور الدولة الزيرية في المغرب الأدنى، ولاحقا دولة بني حماد في المغرب الأوسط. فهذه القبيلة العظيمة كان لها امتدادا أيضا في الجنوب وأفخاذها وفروعها كانت منتشرة هناك وعرف منها جدالة ومسوفة ولمطة ومسراته وفزغاوة وغيرها[3].

ومن بين تلك القبائل المذكورة، كانت قبيلة لمتونة التي كانت الرياسة فيها، ومضاربهم ممتدة في تخوم الصحراء من غدامس شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا، ومن جبال درن شمالا حتى منحنى نهر النيجر جنوبا، واعتادت هاته القبائل على حياة الضعن والارتحال

---

(1)- عبد الرحمن الجيلالي: **تاريخ الجزائر العام**، ج1، ص ص 284- 285.

(2)- ابن خلدون: **العبر**، ج6، المصدر السابق، ص 203.

(3)- أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الزهري: **كتاب الجغرافية**، تح: محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، (د- ت)، ص 126. ابن خلدون، نفسه، ص 241.

فكانوا رحالة لا يستقر بهم مكان[1]، وعرفوا بوضعهم اللثام على وجوههم فسموا بالملثمين وديانتهم هي الإسلام[2]. وفي هذه الأثناء ستظهر شخصية يحي بن إبراهيم الدكالي أحد رؤساء قبيلة جدالة الذي سيلعب دورا مهما في الترسيم والإعداد لحركة دينية إصلاحية تحت راية المذهب المالكي بعد نشأة دولة المرابطين التي ستحدث تغييرا جذريا في الهيكل السياسي لبلاد المغرب والأندلس.

كانت البداية مع رحلة هذا الأمير إلى الحج، وعند عودته قصد القيروان، ولزم دروس الشيخ أبا عمران الفاسي، وطلب منه أن يرسل معه شخصا ليعيد إحياء الدين في بلاده بعدما تفشى فيها الجهل والتخلف وسيطرت الخرافة على عقول الناس وابتعدوا عن تعاليم الإسلام الصحيحة[3]. فوجهه إلى أحد تلاميذه في بلاد السوس جنوب المغرب الأقصى وجاج بن زولو اللمطي الذي بدوره انتدب له عبد الله بن ياسين أحد أنجب تلاميذه الذي سيقود مهمة الإصلاح الديني تحت شعار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

أنشأ عبد الله بن ياسين رباط في جزيرة بحوض السنغال[4]، وقصده طلبة العلم، وبدأ في إعدادهم ليكونوا دعائم الدولة الجديدة، وتمكن بذكائه وعلمه من جمع العصبية الصنهاجية في الصحراء تحت قيادة أقوى قبائلها "لمتونة" التي أخضعت بقية القبائل وتبنت دعوته فأعلن الجهاد، وأمر أتباعه بالخروج وكان ذلك سنة (445هـ)[5] ، فكانت الوجهة درعة ثم سجلماسة التي تم إخضاعها سنة (447هـ)، ثم توجه جنوبا وأخضع بلاد السودان ثم غزا بلاد السوس والمصامدة، فاتسعت رقعة دولته وفرق عماله عليها وأثناءها قتل عبد الله بن

---

(1)– مجهول: **الحلل الموشية في الأخبار المراكشية**، تح: سهيل زكار وعبد القادر زمامة، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1399هـ/1979م، ص، 17. الحميري: **الروض المعطار**، المصدر السابق، ص 305.

(2)– أبو العباس أحمد بن خالد الناصري: **الاستقصا**، المرجع السابق، ج2، ص 3. سعدون عباس نصر الله: **دولة المرابطين في المغرب والأندلس**، دار النهضة، بيروت، ط1، 1985، ص 13.

(3)– ابن عذارى، **البيان**، ج4، ص 8. محمد سليمان الهرفي: **دولة المرابطين في عهد علي بن يوسف بن تاشفين**، دراسة سياسية حضارية، دار الندوة الجديدة، مكة المكرمة، 1404هـ/1983م، ص 47.

(4)– الناصري، **الاستقصا**، ج2، المرجع السابق، ص 7.

(5)– حسين مؤنس: **معالم تاريخ المغرب والأندلس**، دار الرشاد، القاهرة، مصر،1980م، ص185.

ياسين في إحدى حروبه سنة (451هـ)، فتولى أمور المرابطين أبو بكر بن عمر اللمتوني الذي أوكل أمور الدولة إلى يوسف بن تاشفين، وعاد هو إلى الصحراء لمواصلة الجهاد فاستشهد في إحدى المعارك سنة (480هـ)[1].

يعتبر يوسف بن تاشفين المؤسس الحقيقي لدولة المرابطين، فبعد اختطاطه لمدينة مراكش سنة(454هـ) قام بتدوين الدواوين ورتب الأجناد وطاعته البلاد[2]، وانطلق بعدها في إخضاع ما تبقى من القبائل وفتح فاس بعدها سنة(467هـ) وبعدها تلمسان (468هـ). وتوسعت رقعة دولته إلى أن بلغت حدود مملكة بني حماد، فأصبح المغرب الأوسط تحت سلطة دولتين. ثم جاز إلى الأندلس بعد أن استنجد به ملوك الطوائف ضد خصومهم النصارى في معركة الزلاقة سنة (479هـ) فكان نصرا مدويا هلل له المسلمون في كل مكان، وأخرج الناس الصدقات وأعتقوا الرقاب وأطال الله في عمر دولة الإسلام بالأندلس.

استمرت دولة المرابطين السنية في خدمة الإسلام، وعرف عنها أنها دولة دينية بالدرجة الأولى كان للفقهاء والعلماء فيها مكانة مميزة، نعم فيها المغرب الإسلامي بنوع من الهدوء والاستقرار، إلى غاية ظهور حركة المهدي بن تومرت الذي تبنى حركة دينية إصلاحية سرعان ما أفضت إلى القضاء على دولة المرابطين بمقتل أخر أمرائهم تاشفين بن علي بن يوسف بوهران سنة (539هـ) وستخلفها في ملكها الذي سيمتد هذه المرة إلى كافة بلاد المغرب الإسلامي والأندلس[3].

المبحث الخامس: المغرب الأوسط في عهد الموحدين(539–633هـ/1145–1235م)

كان لظهور دعوة محمد بن تومرت المتشح بثوب المهدي وقعها الكبير والأليم على دولة المرابطين، انتهت بسقوطها وقيام دولة كبيرة محلها بصبغة بربرية محلية، لم تستمد

---

(1)– يذكر ابن عذارى أنه قتل سنة (468هـ). ابن عذارى، **البيان**، ج4، ص26. الناصري، **الإستقصا**، ص 20.

(2)– ابن عذارى، **نفسه**، ص ص 22– 23.

(3)– ابن خلدون: **العبر**، ج 6، ص 308.

جذورها من المشرق كما كان الأمر سابقا[1]. وقد استطاع هذا الداعية الموهوب من تكوين قاعدة كبيرة من الأتباع والمناصرين بعدما أظهر مهارة وتفوقا في العلوم التي برع فيها وكان لتكوينه العلمي بالمشرق دورا كبيرا في صقل شخصيته منذ رحلته إلى العراق طالبا للعلم لقي فيها جلّة العلماء يومئذ وفحول النظار، وأفاد علماً واسعاً[2]. ودامت رحلته العلمية خمسة عشر سنة عاد منها بعلم غزير، وزاد وفير، وأفكار جديدة مزج فيها عقائد الشيعة بآراء المعتزلة وأقوال الأشاعرة وخرج بها بمنهج جديد، وتصور مغاير لما كان سائدا من أوضاع اعتبرها منافية للدين فاتخذ من شعار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بداية للتغيير.

كانت أوضاع العالم الإسلامي مضطربة سياسيا، فالدولة العباسية كانت تعيش آخر أيامها والضعف مستشري في أوصالها، والخلافة الفاطمية في مصر عينها على بغداد وتتنازعها الفتن الداخلية، فيما ظهر خطر الصليبيين في المشرق، وتقوى النصارى في الأندلس، وبات الوجود الإسلامي فيها مهددا، كل ذلك والمجتمعات الإسلامية غارقة في اللهو والمجون فانتشرت المنكرات وعمً الفساد وهو ما تؤكده مواقفه في كل المدن التي مر بها خلال رحل عودته كالإسكندرية والمهدية وتونس وقسنطينة وبجاية وتلمسان، فكان يريق الخمور ويكسر آلات اللهو والطرب ويغلظ على أهل المجون[3].

استفحلت دعوة ابن تومرت، واستحكمت في الوسط البربري الذين سحرتهم كلماته بما اشتهر به من غزارة علمه وقدرته على الإقناع مع قوة الحجة مخاطبا إياهم باللغة العربية والبربرية. فأقبل عليه الناس أفواجا وعلى رأسهم أفراد قبيلته مصمودة وما جاورها[4]، عندها أعلن إمامته وأنه المهدي المنتظر، وصنف لهم تصانيف في العلم منها كتابه "أعز ما

---

(1)– محمد عبد الله عنان: **دولة الإسلام في الأندلس، العصر الثالث، عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، القسم الأول، عصر المرابطين وبداية الدولة الموحدية**، مكتبة الخانجي، القاهرة مصر، ط 2، 1411هـ/1990م، ص 157.

(2)– ابن خلدون: **العبر**، ج6، ص 226.

(3)– أبي بكر بن علي الصنهاجي البيذق: **أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين**، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1971م، ص ص 12– 13. عبد الله كنون: **النبوغ المغربي في الأدب العربي**، طنجة، المملكة المغربية، ط1، 1380هـ/ 1960م، ص 100.

(4)–ابن خلدون: **العبر**، ج6، ص 358.

يطلب" وعقائد في أصول الدين[1]. وبعد موته اجتمع شيوخ الموحدين لتعيين خليفة له فاستقر أمرهم على تولية عبد المؤمن بن علي الذي كان محل ثقة المهدي وأوصى به قبل موته، وبدأ عهد جديد لبلاد المغرب التي ستضحى بعد مدة إمبراطورية مترامية الأطراف ومهابة الجانب وحاملة شعار الإسلام في المغرب والأندلس[2].

عاش المغرب الأوسط في كنف الدولة الموحدية كجزء من هذه الإمبراطورية، وساهم في بناء صرحها وخدمة خلفائها، فأول من استكتبه عبد المؤمن بن علي هو أبو القاسم عبد الرحمن القالمي من مدينة بجاية، ومن قضاته أبو محمد عبد الله بن جبل من مدينة وهران[3]. وبعدها استجمع أمره على إخضاع ما تبقى من بلاد المغرب فقصد دولة بني حماد سنة (540هـ)، وحاصر عاصمتهم بجاية في عهد يحي بن عبد العزيز الذي أدرك أنه لا قبل له بمواجهة جيوش الموحدين، فسلمهم المدينة وانقضى بذلك عهد أعظم دولة عرفها المغرب الأوسط، كما تمكن من السيطرة على القبائل الهلالية خاصة منها الأثبج ورياح وزغبة المتحالفة مع بقايا الحماديين، وألحق بهم هزيمة نكراء وأدخلهم في طاعته سنة (548هـ)[4] ، ثم توجه إلى المغرب الأدنى وفتح تونس سنة (553هـ) وحاصر بعدها المهدية فاستسلمت بعد حصار طويل فدخل المغرب الأدنى في طاعة الموحدين.

المبحث السادس: المغرب الأوسط في عهد بني زيان (632–962هـ/1235–1555م)

كغيرها من الدول التي قامت في بلاد المغرب، انتهت دولة الموحدين إلى الضعف ثم الانهيار بعد الهزيمة النكراء في معركة حصن العقاب نسبة إلى حصن أموي قائم بالقرب من

---

(1)– عبد الواحد المراكشي: **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، تح: محمد زينهم محمد عزب، دار الفرجاني للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1414هـ/1994م، ص ص 161– 162. ينظر، عبد المجيد النجار: **تجربة الإصلاح في حركة المهدي بن تومرت**، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، هيرندن فيرجينيا، الو.م.أ، ط2، 1415هـ/1995م، ص 126.

(2)– أبي عبد الله محمد بن إبراهيم الزركشي: **تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية**، تح: محمد ماضور، المكتبة العتيقة، تونس، ط2، 2002م، ص 7.

(3)– المراكشي: **المعجب**، المصدر السابق، ص ص 171– 172.

(4)– البيذق، **أخبار المهدي بن تومرت**: المصدر السابق، ص ص 74– 75. الناصري: **الاستقصا** ج2، المرجع السابق، ص 108. ابن خلدون: **العبر**، ج6، ص 316.

المكان الذي جرت فيه سنة (609هـ)[1]. وكان من نتائجها فقدان أغلب أراضي الأندلس وانحصر الموحدون إلى بلاد المغرب، ودخلت البلاد في حالة من الفوضى والاضطراب وعرف البيت الموحدي صراعا محتدما حول تولي الخلافة بين أبناء الأسرة المؤمنية بعد موت الناصر بن المنصور(603- 610هـ) الذي كان وقع الهزيمة مر عليه، فزهد في الحكم وأساء التصرف حينما منح صلاحيات واسعة لولاته مما مهد لهم الطريق للانفصال لاحقا وإنشاء دويلات[2].

ونتيجة لهذه الأوضاع، بادر أبو زكرياء الحفصي إلى الاستقلال بالمغرب الأدنى معلنا نشأة الإمارة الحفصية سنة (625هـ) وتبعه بنو عبد الواد تحت زعامة يغموراسن بن زيان سنة (633هـ) بإعلانه الاستقلال عن الموحدين متخذين من تلمسان عاصمة لمملكتهم[3] ثم لحقهم بنو مرين بالمغرب الأقصى الذين تمكنوا من القضاء على دولة الموحدين وإنشاء دولتهم سنة(668هـ). وبالعودة إلى أصول الزيانيين، فإنهم ينتسبون إلى قبيلة بني عبد الواد نسبة إلى جدهم المترهب بواد، فلقب بعابد الواد[4]. وهم من الطبقة الثانية من بطون قبيلة زناتة المتغلبة على ضاحية المغرب الأوسط منذ القديم، وشعوبهم كثيرة، ويذكرون بأن نسبهم يعود إلى القاسم بن إدريس وأنهم من عقبه[5].

ظل بنو عبد الواد من خيرة أحلاف الموَحدين، وكان رئيسهم جابر بن يوسف هو من تصدى لخطر يحي بن غانية اللمتوني الذي ظل يشكل تهديدا جدًيا على دولة الموحدين في عهد المأمون "فبث الرعب في إفريقية والمغرب الأوسط بغاراته وغزواته المتكررة وعاث في

---

(1)- لمعرفة تفاصيل الهزيمة، ينظر، ابن أبي زرع: **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، دار المنصور للطباعة، الرباط، 1972م، ص ص 158- 160.

(2)- عز الدين عمر أحمد موسى: **دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي**، دار الشروق، بيروت، ط1، 1403هـ/1983م، ص ص 77- 78.

(3)- لسان الدين بن الخطيب: **رقم الحلل في نظم الدول**، المطبعة العمومية، تونس، 1316هـ، ص 72.

(4)- يحي بن خلدون: **بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد**، تحقيق: عبد الحميد حاجيات، المكتبة الوطنية، الجزائر، 1980، ج1، ص 186.

(5)- ابن خلدون: **العبر**، ج7، ص 97.

بسائطها فسادا، فأهلك الزرع والضرع، وحطم النعم وأفسد السابلة"[1]. وكاعتراف من الموحدين بفضلهم تم إقطاعهم تلمسان وسائر بلاد زناتة وأطلق أيديهم على أراضي واسعة في المغرب الأوسط شملت وهران وإلى غاية واد ملوية غربا، فكانت تلك بداية الدولة الزيانية تحت سلطة زعيمها يغمراسن الذي سلمت له جميع القبائل بالطاعة. ولم ينقطع الود بين يغمراسن وخلفاء الموحدين خاصة منهم الرشيد عبد الواحد بن إدريس (630- 640هـ)، والخليفة السعيد أبو الحسن(640- 646هـ) الذي دخل معه يغمراسن في حروب ضد المرينيين الذين كانت قوتهم تزداد يوما بعد يوم وباتوا يهددون جديا دولة الموحدين[2].

عاشت بلاد المغرب في ظل هذه الأوضاع صراعات دامية وتحالفات آنية فرضتها طبيعة المعطيات والظروف القائمة بين هذه الدويلات التي كانت تتنافس فيما بينها، كل واحدة منها تريد فرض سيطرتها على البقية، أما معالم الحدود فكانت مسألة معقدة تبعا لحالة كل دولة، ففي المغرب الأوسط كانت دولة الزيانيين تتمدد وتتقلص حسب قوة وبأس أمرائها. فأيام الحصار المريني لتلمسان لم تكن حدودها تتجاوز أسوار عاصمتها تلمسان سنة (699- 706هـ)، بل إنها انتهت في عهد السلطان المريني أبو الحسن الذي قضى عليها وهجَّر سكانها وضم تلمسان إلى مملكته سنة (737هـ)[3]. ثم عاشت مرحلة النهضة في عصر أبو حمو موسى الثاني الذي أعاد بعثها من جديد سنة (460هـ) واستطاع أن يجعل منها دولة قوية وإرجاع هيبتها لحنكته ودهائه وسط محيط معادي[4].

أما في الجهة الشرقية للمغرب الأوسط، فقامت بها دولة الحفصيين وتعود أصولهم إلى قبيلة هنتاتة أحد أعظم قبائل المصامدة وأكثرها عدة وعددا، كانوا أمما لا يحصيهم إلا

---

(1)- ابن خلدون: **العبر**، ج7، ص 99.

(2)- يحي بن خلدون: **بغية الرواد**، نفسه، ص198. خالد بلعربي: **الدولة الزيانية في عهد يغمراسن بن زيان (633-681هـ/1235-1282م)، دراسة تاريخية وحضارية**، المكتبة الوطنية، ط2005،1م، ص ص 44- 45.

(3)- مبارك بن محمد الميلي: **تاريخ الجزائر في القديم والحديث**، تق وتص: محمد الميلي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985م، ج2، ص 443.

(4)- عبد الحميد حاجيات: **أبي حمو موسى الزياني حياته وآثاره**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982م، ص ص88- 89.

خالقهم[1]. وهم الذين استقوى بهم المهدي محمد بن تومرت وأقام دعوته، وكان خليفته عبد المؤمن لا يقطع أمرا بدون مشورة شيخهم أبو حفص عمر، ونال أبنائها المراتب في الدولة وكانوا من قادتها، وصعد شأن هذه الأسرة وتقوى نفوذها وتعاظم لحين تولية أبي محمد عبد الواحد بن أبي حفص أمر إفريقية في عهد الخليفة الموحدي الناصر بن المنصور السابق ذكره وفق شروط وضعها الأمير الحفصي منها أن لا يتعقب أمره في الولاية ولا يعزل، فوافق الخليفة الموحدي على ذلك مقابل التصدي لأبناء غانية اللمتونيين الطامعين في دولتهم غانية، فكانت تلك بداية التحضير للتفرد بولاية إفريقية والاستقلال بها لاحقا[2].

كانت حدود هذه الدولة تمتد إلى غاية ولاية قسنطينة وبجاية وعنابة، ودخلت في حروب عدة مع دولة الزيانيين[3]، كما لم تسلم دولة يغمراسن من جهتها الغربية التي كانت محل أطماع المرينيين الذين تمكنوا من الاستيلاء على عاصمتها سنة (737هـ) كما أشرنا سابقا[4]. وحاول السلطان المريني أبو الحسن القضاء على الحفصيين، فتوجه بجيشه نحو إفريقية سنة (749هـ) يحذوه الأمل في ضم المغرب الأدنى لملكه بعدما استوى له أمر المغرب الأوسط، إلا أن حملته باءت بالفشل، وتبخر حلمه في إعادة إحياء الخلافة من جديد تحت سلطانه. وفي تلك الأثناء استطاعت الدولة الزيانية الانبعاث من جديد بفضل أبو سعيد وأخاه أبا ثابت الزياني سنة (749هـ) واستمرت الدولة لمدة أربع سنين، ثم ما لبث أن أعاد المرينيون السيطرة عليها سنة (753هـ) إلى غاية قيامها من جديد على يدي السلطان أبو حمو الثاني سنة (760هـ) مجدد الدولة وباعث مجدها وشرفها.

---

(1)– ابن خلدون، **العبر**، ج6، المصدر السابق، ص 360.

(2)– أبو عبد الله محمد بن احمد ابن الشماع: **الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية**، تح: الطاهر بن محمد المعموري، الدار العربية للكتاب، تونس، 1984م، ص، 49. أبو العباس علي بن الخطيب ابن القنفد القسنطيني: **الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية**، تح: محمد الشاذلي النيفر وعبد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر، تونس، 1968م، ص 105.

(3)– ابن خلدون: **العبر**، ج7، المصدر السابق، ص 88.

(4)– ابن مرزوق: **المسند الصحيح الحسن في مآثر مولانا أبي الحسن**، تر: ماريا خيسوس بيغيرا، تقديم: محمود بوعيادة، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981م، ص ص 240– 241.

بقيت دولة بنو زيان في كر وفر مع أعدائها وتتقاذفها الثورات الداخلية والمؤامرات إلى أن تولى ملكها السلطان أبي مالك عبد الواحد بن أبي حمو الثاني سنة (814هـ) الذي استطاع أن يلحق بالمرينيين هزيمة مذلة ويدخل عاصمتهم فاس ونصب عليها واليا، ثم أدار وجهته نحو الشرق واستعاد العديد من المدن إلى حاضرة الدولة، وكان عهده عصر القوة والانتصارات. لكن الحفصيين لم يكونوا ينظرون بعين الرضى لهذه الإنجازات التي تحققت من طرف عبد الواحد، فتحرك الجيش الحفصي تحت إمرة السلطان أبو فارس عبد العزيز (796– 837هـ) واجتاحوا تلمسان وفاس وتوحد المغرب تحت سلطة المرينيين[1].

يمكن القول بأن المغرب الأوسط عاش في ذلك العهد على وقع التناحر والتشاكس بين الدويلات المتنافسة شرقا وغربا وبين أعضاء الأسر المالكة، مما سرع من تآكل بنيانها وضعفها ومن بعد زوالها على يد الأتراك سنة (962م)[2].

---

(1)– الزركشي: **تاريخ الدولتين**، المصدر السابق، ص 126.

(2)– عبد الرحمن الجيلالي، **تاريخ الجزائر العام**، ج2، المرجع السابق، ص 197.

الفصل الأول

مميزات الحياة العلمية بالمغرب الأوسط من الرستميين إلى الزيانيين

1)- تشجيع الحكام للعلم والعلماء.

أ- العلم والعلماء في الدولة الرستمية.

ب- العلم والعلماء في الدولة الفاطمية.

ت- العلم والعلماء في الدولة الحمادية.

ث- العلم والعلماء في الدولة المرابطية.

ج- العلم والعلماء في الدولة الموحدية.

ح- العلم والعلماء في الدولة الزيانية.

2) نظام التعليم.

أ- الكتاتيب ودورها في تحصيل العلم.

ب- الكتاتيب في الدول المستقلة.

3) طبيعة التأليف في العلوم النقلية خلال هذه الفترة.

4) الرحلات العلمية لعلماء المغرب الأوسط إلى الحواضر المغربية والأندلسية والمشرقية.

1) تشجيع الحكام للعلم والعلماء.

إن البحث في موضوع الازدهار الثقافي والعلمي ومعرفة تفاصيله وصيرورته في بلاد المغرب الإسلامي بداية من ظهور الإمارات والدويلات المستقلة وإلى غاية نهاية دولة الزيانيين، سيجعلنا نقف على عدد من الحقائق المثيرة أجلت لنا النبوغ والتفوق العلمي والمعرفي في مختلف العلوم والمدارك وأصنافها، ولكل ما يمت للجوانب الحضارية بصلة. فقد انتشرت الحواضر والمراكز العلمية في كل ربوع بلاد المغرب والأندلس، وكانت في سباق محموم وتنافس شديد يثير الدهشة والإعجاب،شمل كل مجالات العلوم بتخصصاتها وفروعها، مظهرة بصدق مدا تمكن رجالات العلم وأهله في العدوتين على مسايرة ركب النهضة الحضارية في المشرق بمراكزها الرئيسية في الشام والعراق ومصر واليمن وبلاد ما وراء النهرين.

كانت الرعاية والاعتناء الذي أبداه الملوك والخلفاء والأمراء والوزراء وأصحاب المراكز العليا من الشرفاء والأغنياء للحياة الفكرية في دولهم من المسلمات، وسياسات سار عليها هؤلاء الحكام لخدمة دولهم بالعلم والمعرفة، فانعكس ذلك بالإيجاب على الحياة العامة للناس، فبات العلم والتعلم وشد الرِّحال إلى المراكز العلمية والبحث عن المشايخ والعلماء والفقهاء وملازمتهم والأخذ عنهم من الأمور المعتادة والسِّمة الغالبة على مجمل الأهالي والسكان في بلاد المغرب[1].

ومما زاد في هذا الزخم المعرفي والتطور الحضاري الذي عرفته وعاشته بلاد المغرب طيلة هاته الفترة، هو لجوء ومقدم الكثير من رؤوس الحركات السياسية الإسلامية المشرقية المعارضة لنظام الحكم ودعاتها إلى بلاد المغرب، ونجاحهم في إنشاء دويلات وإمارات وهم كانوا في الأصل من العلماء أو الدعاة المتمكنين، حملوا معهم علومهم ومعارفهم التي تلقوها في أكبر المراكز والمدارس في المشرق، التي تعكس انتماءاتهم المذهبية وتوجهاتهم العقدية، المتجانسة أحيانا والمتنافرة في أحيان أخرى، مما ساعد في ظهور نشاط علمي وثقافي متنوع

---

(1)– الحسن السائح: **الحضارة الإسلامية في المغرب**، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء المملكة المغربية، ط2، 1406هـ/1986م، ص 129.

مرتبط بعقيدة الدولة القائمة بحد ذاتها على أسس تلك المذاهب أو المدارس الفقهية، أو المنتمية إليها بتياراتها الفكرية، أو متبناة من قبل العناصر الدعوية الوافدة.

أ- العلم والعلماء في الدولة الرستمية:

انفردت الدولة الرستمية عن غيرها من الدويلات بحب أئمتها للعلم، وعنايتهم بالعلوم فالكتب المشرقية كانت تردهم أحمالا أحمالا من إخوتهم بالمشرق، وكانوا يتدارسون الفقه التفسير والحديث والكلام والأخبار والأشعار والعلوم الرياضية، واشتهروا بالتنجيم والرمل[1].

فبيت الرستميين كان بيت العلوم وشاع ذلك بين الناس والأسر، لا فرق بين ذكر وأنثى حتى أنهم اشتهروا بمقولة: "معاذ الله أن تكون عندنا أمة لا تعلم منزلة يبيت فيها القمر"[2].

ولم يتوانى أئمة الدولة في الاعتناء بالجانب المادي لطلبة العلم بغض النظر عن مستواهم المعيشي أو المادي، إذ كانوا يغدقون على العلماء وطلبة العلم من بيت المال ما يكفيهم لنفقتهم من أجل الرحلة في طلب العلم واقتناء الكتب[3]. أما الدروس الملقاة في المساجد فهي مجانا تدرس فيها علوم الدين واللغة، وبدورها كانت الكتاتيب المنتشرة في كل أرجاء الدولة تساهم في تعليم النشء أولا حروف اللغة العربية ثم حفظ القرآن بالطريقة المعهودة بالتكرار والإعادة وراء الشيخ[4].

وكان من شدة تديّن مؤسسها عبد الرحمن بن رستم وهو من يكون من العلماء الذين تلقوا علومهم في القيروان والبصرة على أيدي أكبر المشايخ والفقهاء، رفضه قبول الدفعة الثانية من الأموال التي وصلته من إخوانه في البصرة، وأرجعها لهم ليوزعوها على فقراء ومحتاجي المسلمين في البصرة وضعفائها لاستغناء الدولة وكفايتها، فكان ذلك من ورعه

---

(1)- الميلي، **تاريخ الجزائر**، ج2، المرجع السابق، ص 77.

(2)- أبي زكرياء يحي بن أبي بكر: **كتاب سير الأئمة وأخبارهم**، تح: إسماعيل العربي، المكتبة الوطنية، الجزائر، 1399هـ/1979م، ص 65.

(3)- عوض الشرقاوي: **التاريخ السياسي والحضاري بجبل نفوسة**، مؤسسة توالات الثقافية، 2011م، ص143.

(4)- حمودة عبد الحميد حسن: **تاريخ المغرب في العصر الإسلامي منذ الفتح حتى نهاية الدولة الفاطمية**، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ط1، 1421هـ/2007م، ص 343.

وزهده في الدنيا علمه بالحلال والحرام[1]، وكانت له حلقة علم في المسجد الكبير بتاهرت يدرس فيها علوم الشريعة لأبناء الدولة[2].

أما ابنه عبد الوهاب (171- 208هـ) الذي خلفه فكان عالما فقيها جليلا، فقد استوفى قراءة أبعين حملا من الكتب المنسوخة التي وردته من المشرق حتى أتى على آخرها فقال: "الحمد الله، ليست منها مسألة ليست عندي إلا مسألتين، لو سئلت عنهما وقستهما إلى نظرائهما من المسائل لصادفت ما ذكره في الكتاب"[3]. فلعلمه الغزير ألّف كتابه "مسائل نفوسة" أو "الأجوبة" وهو إجابات لمسائل وقضايا وردت إليه من إباضيي نفوسة أشكلت عليهم، فأجابهم عليها مسألة مسألة إلى أن أتمها، وهو يعتبر من الكتب المشهورة عندهم وظل متداولا عندهم لعدة قرون[4]. وإليه يعود الفضل في إنشاء المكتبة الشهيرة المعصومة التي كانت تضم ذخائر ونفائس الكتب المؤلفة عن المذهب واجتهادات فقهائهم وفتاواهم[5].

كان أئمة الدولة يجلون العلماء والفقهاء ويقدرون منزلتهم، ويهابون مخالفتهم، وينزلون عند أحكامهم، مثل ما حدث مع القاضي محكم الهواري الذي أجلس أخو الإمام أفلح مع خصمه وأغلظ له في القول فلم يبدي الإمام إي اعتراض على ذلك[6]. كما فتح المجال للفرق والمذاهب لعقد المناظرات وجلسات الجدل الطويلة، التي كان أئمة وعلماء الإباضية طرفا فيها، مثل مناظرة الإمام عبد الوهاب مع المعتزلة[7]، ومثله كان الأمر مع التأليف والتدوين

---

(1)- ابن الصغير: **أخبار الأئمة (القرن الثالث الهجري)**، تح: محمد ناصر، إبراهيم بحاز، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ص ص 34- 35.

(2)- محمد علي دبوز: **تاريخ المغرب الكبير**، مؤسسة توالات الثقافية، الجزائر، 2010م، ص 332.

(3)- أبي زكرياء يحي بن أبي بكر: **كتاب سير الأئمة**، المصدر السابق، ص 65.

(4)- ابن الصغير: **أخبار الأئمة**، المصدر السابق، ص 39.

(5)- تاديوس ليفيسكي: **المؤرخون الإباضيون في إفريقيا الشمالية**، تر: ماهر وريما جرار، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 2000م، ص 40.

(6)- ابن الصغير: **أخبار الأئمة**، نفسه، ص 52.

(7)- عيس الحريري: **الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي**، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت، ط3، 1408هـ/1987م، ص 236.

الذي خاضوا في بحوره وكانت لهم العديد الكتب لا تزال محفوظة عند الإباضيين وبرعوا في الشعر ونظمه وقصائدهم مشهورة في ذلك.

بلغت عاصمة الرستميين تيهرت بفضل أئمتها وعلمائها مكانة عالية في سماء الحضارة ولعبت دورا كبيرا في إثراء الفكر والثقافة الإسلامية، واعتبرت من الحواضر التي تشد إليها الرحلة لطلب العلم، فكانت علامة مميزة في تاريخ المغرب الأوسط الحضاري.

ب- العلم والعلماء في الدولة الفاطمية:

قامت الخلافة الفاطمية على أسس دعوة دينية مذهبية متعصبة للمذهب الشيعي الذي جمع بين الدين والسياسية، بعد المظالم التي تعرض لها البيت الهاشمي من قبل الأمويين ومن بعدهم العباسيين، مما أدى إلى ظهور توجه فكري يعتمد على بحوث عقلية منطقية وآراء فلسفية عميقة تدور حول مسائل الإمامة والتأويل والفقه وغيرها من فروع العقيدة[1].

وكانت الدَّعوة الشيعية في الأساس تقوم على الإمامة المحصورة في أعداد من الأئمة ممن لهم صفة الإمامة الحقَّة وهم المرجع في كل الأحكام الشرعية وقد خصهم الله بالعلم والتأويل من دون غيرهم من البشر، والإيمان بهم ركن من أركان الإيمان والإمامة منصب إلهي جعله الله لمحمد صلى الله عليه وسلم ومن بعده علي بن أبي طالب[2].

وعلى هذا المبدأ كان من الواجب أن يكون الإمام المستودع أو الحجة مطلعا ومتعلما آخذا بنواصي العلوم وفروعها كلها، بحرا في المعارف لا يضاهيه فيها أحد، وحتى الدعاة الموكلين بخدمة المذهب والدًعوة ونشرها، كان يجب أن تتوفر فيهم شروطا أهمها سعة العلم والقدرة على الإقناع. فأبو عبد الله الشيعي داعية الإسماعيلية ببلاد المغرب كان: "ذا علم وعقل ودين وورع وأمانة ونزاهة. وأكثر علمه الباطن ونظر في علم الظاهر نظرا لم يبالغ

---

(1)- عارف تامر: **الإمامة في الإسلام**، دار الأضواء للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1419هـ/ 1998م، ص 63.

(2)- أحمد محمد التركماني: **تعريف بمذهب الشيعة الإمامية**، جمعية عمال المطابع التعاونية، عمان ط1، 1403هـ/1983م، ص ص 10- 16. محمد حسين الذهبي: **التفسير والمفسرون**، مكتبة وهبة، القاهرة، 1976م، ط2، ص 5. ينظر أيضا، أبو حامد الغزالي: **فضائح الباطنية**، تح: عبد الرحمن بدوي، دار الكتب الثقافية، الكويت، (د- ت)، ص 42.

فيه"[1]. أما أول خلفاء الدولة عبيد الله المهدي فكان عالما فقيها خطيبا وكاتبا يشهد له بالبلاغة والبيان، وله دراية بقراءة الطالع، ومتمكنا من علم التنجيم والغيب، عالما بكل فنَ"[2]، وكان يحضر مناظرات الدعاة الشيعة مع علماء السنة حتى أنه ناظر أكبر فقهاء القيروان السعيد بن الحداد في موضوع الإمامة[3].

وعلى هذا المنوال دأب الخلفاء الفاطميون على تهذيب أبنائهم وتعليمهم، فقربوا إليهم صاحب كل علم وفن، وفتحوا أبواب دولتهم للعلماء والفقهاء والأدباء والشعراء، وانتدبوا منهم الأفضل لتولي المناصب السامية في الدولة مثل القاضي النعمان، والوزير يعقوب بن كلس مع تكليفهم بالسهر على تبليغ ونشر مبادئ المذهب في كل بلد مفتوح. ويعتبر الخليفة الرابع المعز لدين الله الفاطمي (341هـ) نموذجا فريدا من نوعه في هذا المضمار فقد نبغ في الكثير من العلوم، وكان عالما أديبا، يتقن العديد من اللغات، إلى جانب اللغة العربية وآدابها، متعمقا في فقه الدين، وأسرار القرآن، والسيرة والتاريخ، أحاط نفسه بجهابذة رجال العلم والدًعوة[4]. عمل رفقة قاضيه النعمان على تأصيل الدَعوة وتنشيط مجالس الذكر والحكمة للأتباع كما كان مُتبعا في بداية الدًعوة التي لم يكن يستثنى منها أحد[5].

وإذا أردنا اختصار الأوضاع الثقافية في هذه الدولة ببلاد المغرب، فإن القاضي النعمان كان المحور الذي دارت حوله كل الإنجازات العلمية من مؤلفات مدونة ورسائل وكراسات حتى أن المعز أثنى عليه بالقول: "من يؤدي جزءا من مائة مما أدى النعمان أضمن له الجنة بجوار ربه"[6]. وعرف الشعر حضوره في قصور الخلفاء، فهم أيضا كانوا من

---

(1)- القاضي النعمان: **الافتتاح**، المصدر السابق، ص 30.

(2)- القيرواني، ابن أبي دينار: المصدر السابق، ص 53.

(3)- بوبة مجاني: **دراسات إسماعيلية**، مطبوعات جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، 2002- 2003م، ص ص 80- 83.

(4)- محمد زغلول سلام: **الأدب في العصر الفاطمي الكتابة والكتاب**، منشأة المعارف، الإسكندرية، (د- ت)، ج1، ص 24.

(5)- القاضي النعمان: **الافتتاح**، المصدر السابق، ص 132.

(6)- القاضي النعمان: **الهَمة في آداب إتَباع الأئمة**، تح: محمد كامل حسين، دار الفكر العربي، مصر، 2002م، ص 8.

رواده واستعمل لمدح الخلفاء وكوسيلة من وسائل الدعاية للدولة ضد أعدائها، واشتهر منهم في هذا العصر ابن هانئ الأندلسي شاعر المعز الذي بالغ في المدح لدرجة الكفر، وعرف منهم أيضا الأمير تميم بن المعز الذي كان أديبا شاعرا. ويمكن القول بأن فتة الفاطميين كانت بحق فترة الآداب والكتابة خاصة في ظل الصراع المذهبي الذي عاشه المغرب.

ت- العلم والعلماء في الدولة الحمادية:

في سنة (398هـ) اختط حماد عاصمته الجديدة القلعة، وعوضت مدينة أشير التي لم تعد محل أمان لحماد، وشحنها بأوليائه وذخائره[1]، ومن حينها أصبحت العاصمة السياسية لبني حماد، وكانت بالفعل قلعة أيضا للعلم والعلماء والإشعاع الفكري في المغرب الأوسط بعد أن استبحرت في العمارة، واتسعت بالتمدن، ورحل إليها من الثغور القاصية والبلد البعيد طلاب العلوم، وأرباب الصنائع، لنفاق أسواق المعارف والحرف والصنائع بها[2].

لم يكن حماد رجل حرب فحسب، بل كان عالما فقيها، أخذ العلم عن مشيخة القيروان ونظر في كتب الجدل، وقبلها كان قد نشأ في قصور الخلافة الفاطمية وتربى مع أبنائهم وتأدب معهم على يد كبار علماء الدولة وفقهائها[3]، وبعد استقلاله بدولته فلم تلهه حروبه ولا طموحاته السياسية على العمل لجعل القلعة منارة للعلم والعلماء، وحاضرة تضاهي غيرها من المدن الكبيرة، فنظرته كانت قوة الدولة بقدر قوة جيشها، وأعداد العلماء فيها وطبيعة الإنتاج

---

(1)- محمد الميلي: **تاريخ الجزائر**، ج2، المرجع السابق، ص 231.

*- أشير مدينة بناها زيري بن مناد الصنهاجي وتعرف بأشير زيري. وهي مدينة أزلية فيها آثار عجيبة سوّرها زيري وبنى حصونها حتى أصبحت منيعة على الأعداء، وموقعها بين جبال شامخة. ينظر: مجهول، **الاستبصار في عجائب الأمصار**، تح: سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون العامة، بغداد، دار النشر المغربية، الدر البيضاء، 1985م، ص 170. الإدريسي: **نزهة المشتاق**، المصدر السابق، ص86.

(2)- ابن خلدون: **العبر**، ج6، المصدر السابق، ص 202. حماه الله ولد السالم: **تاريخ الأمازيغ والهجرة الهلالية**، دار الكتب العلمية، بيروت، 1432هـ، ج1، ص 131.

(3)- الغنيمي عبد الفتاح مقلد: **موسوعة المغرب العربي**، مكتبة مدبولي، لقاهرة، ط1، 1414هـ/ 1994م، ج4، ص 268.

الفكري وهو ما كان يأمله حماد ويسعى إليه فاستكثر من المساجد وانشأ المكتبات وانتشرت الكتاتيب والزوايا في كل الأحياء والأزقة[1].

وبعد انتقال العاصمة إلى بجاية، ازداد الاعتناء بالعلوم بكل أصنافها وماجت المدينة بالعلماء، وازدحم على معاهدها الحكماء والأطباء والشعراء وأهل الفنون الرياضية والهندسية وأمها جلة علماء الأندلس ومن المشرق، فأفادت واستفادت وبلغ من إقبال الناس على العلوم أنه كان يجتمع على المدرس الواحد ما ينيف على المائة طالب، وقد أنشأ الناصر بن علناس (454-481هـ) فيها معهد سيدي التواتي، الذي كان يضم ثلاثة آلاف طالب وتدرَّس فيه كل المواد بما في ذلك العلوم الفلكية، فقصده طلبة العلم من كل أنحاء العالم الإسلامي لشهرته، ومن أوروبا أيضا وكانت تلقى فيه المحاضرات العلمية باللغة العربية[2] التي كانت هي لغة العلوم والمعارف ولسان الأدب والعلم حينها وكان الأوربيون يفتخرون بتعلمها، لحد أنها أصبحت لغة الحياة والمعايشة وليس لغة تعليم بفضل الزحف الهلالي الذي ساهم في تعريب المنطقة وباتت اللغة العربية لغة التخاطب وانحسرت البربرية في أماكن معزولة[3].

كان عصر الحماديين عصر الحضارة والرقي، وضربوا في العلوم والآداب بسهم، وسهر ملوكها على إكرام أهل العلم بالجوائز والصلات، فآثروا العلماء على سائر الطبقات، وكانوا من المقدمين في الدولة. فالناصر بن علناس (454هـ) كان أطولهم باعا في هذا الميدان قصده الأدباء، وأمَّه الشعراء، فكان فيغدق عليهم صلاته ويجزل لهم العطاء، أما الأمير المنصور(481هـ) فكان يكتب ويشعر، أما الأمير يحي (515هـ) فكان فصيح اللسان والقلم مليح العبارة[4]، فارتحل إليهم العلماء كل حدب وصوب وأصبحت قبلة العلم والعلماء

---

(1)– لسان الدين بن الخطيب: **تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط**، القسم الثالث من أعمال الأعلام، تح: أحمد مختار العبادي ومحمد إبراهيم الكتاني، دار الكتاب، الدار البيضاء، المملكة المغربية، 1964م، ص 86.

(2)– يحي بوعزيز: **أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة**،عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009م، ج1، ص15. عبد الرحمن الجيلالي: **تاريخ الجزائر لعام**، ج1، ص 292.

(3)–عبد الحليم عويس: **دولة بني حماد**، ص 248. الميلي: **تاريخ الجزائر**، ص266. الغنيمي **الموسوعة**، ج4، ص 340.

(4)– عبد الحليم عويس: **دولة بني حماد**، المرجع نفسه، ص ص 2498- 250.

فتطورت بها العلوم وازدهرت الحضارة، وظهرت أسماء مشهورة خاضت في كل أصناف العلوم لدرجة أن المرء يعجز عن ذكرهم أو الترجمة لهم لكثرتهم.

يمكن وصف عصر الحماديين بأنه العصر الذهبي للمغرب الأوسط، لما بلغته هاته الدولة من منزلة لا عهد له بها من قبل، بل أنها تفوقت على دولة الرستميين ومن سبقها من الدول لأنها حافظت على الموروث الديني المغاربي بمذهبه السني المالكي، وأولت لعلوم الدين الأولوية، في نفس الوقت الذي فتحت فيه الأبواب أمام العلوم الأخرى التي دفعت بعجلة الحضارة والرقي لتبلغ أقصى مداها في عهد ملوكها الذين خلدهم التاريخ.

ث- العلم والعلماء في الدولة المرابطية:

كان من البديهي في عهد المرابطين أن يكون للفقهاء والعلماء مكانة متميزة في هرم الدولة، فمنشأ هذه الدولة كان على أسس حركة دينية إصلاحية قوامها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، هو ما مكن طلبة عبد الله بن ياسين الجزولي الفقيه الصالح الذي كان من أهل الدين والفضل والتقى والورع والأدب والسياسة[1]. بعدها بمدة تمكن من إنشاء دولة كبيرة اتخذت تسمية المرابطين نسبة إلى الرباط الذين منه انتشرت منه دعوتهم، وتوسعت حركتهم، وبنوا مدينة مراكش سنة (454هـ) التي جعلوها عاصمتهم ومقر حكمهم.

عرف عن الأمراء المرابطين حبهم للعلم، وحرصوا على أن تكون دولتهم هي حاملة لواء المذهب المالكي في مجتمع مبني على نصوص القرآن والتفقه في الدين، والجهاد لإعلاء كلمة الله، فكان جوازهم إلى الأندلس سنة (479هـ) لتلك الغاية، فغلبوا النصارى في موقعة الزلاقة الشهيرة، فاعتبر ذلك العهد بداية التواصل الحضاري بين المغرب والأندلس التي كان يعيش تحت ظلها جيوشا من العلماء والفقهاء والأدباء، وإن كان مؤسسها الروحي ابن ياسين قد زاول دراسته بقرطبة لسنوات عدة[2]. وكان يوسف بن تاشفين الذي آلت إليه أمور الدولة من الذين أولوا للعلم أهمية خاصة، فقد تتلمذ على يد عبد الله بن ياسين، فقرب إليه العلماء والفقهاء وكان لا يقطع أمرا بدون مشاورتهم، مثل ما حدث مع ملوك الطوائف في الأندلس عندما طلب منه الناس إزاحتهم بعدما استشرى فسادهم ووالوا النصارى، فجمع

---

(1)- عبد الله كنون: **النبوغ المغربي في الأدب**، المرجع السابق، ص 57.

(2)- مؤلف مجهول: **الحلل الموشية في ذكر الأخبار**، المصدر السابق، ص 10.

الفقهاء وأستصدر فتوى منهم في هذا الشأن، وكانت ترده رسائل العلماء من المشرق مسدية النصائح والعظات[1].

أما في عهد الأمير علي بن يوسف، فلم يكن يولي منصب القضاء إلا لمن كان أهلا له وله حظ وافر من العلم، فهو نفسه كان: "مقبلا على العلم، مجاهدا فيه واجتمع له من أعيان الكتاب وفرسان البلاغة ما لم يتفق اجتماعه في عصر من الأعصار"[2]، كما حاز الفقهاء مكانة وحظوة عنده ولم يزالوا كذلك،وأمور المسلمين راجعة إليهم، وأحكامهم صغيرها وكبيرها موقوفة عليهم طوال مدته، فعظم أمر الفقهاء، وانصرفت وجوه الناس إليهم فكثرت لذلك أموالهم، واتسعت مكاسبهم، فازدهرت الحياة العلمية ونفقت العلوم والآداب، وكثر النبهاء وخصوصا الكتاب[3]. ويعود الفضل في ذلك إلى ما قام به المرابطون من جهود في إنشاء الكتاتيب التي تعلم الصبيان القرآن الكريم، الذي كان أصلا في التعليم ثم قوانين اللغة العربية وإجادة الخط والهجاء، وحسن الألفاظ في القراءة وتجويد التلاوة[4]. كما كان للمساجد دورها في التعليم فكثرت فيها الحلقات العلمية، والدروس الفقهية، وجلسات الوعظ فحرص طلبة العلم على الأخذ والتنافس للحصول عل مباركة العلماء وإجازاتهم.

وكان من عجيب أمر المرابطين أنهم فتحوا أبواب العلم للعنصر النسوي، فبرزت منهن العديد من النساء، مثل الحرة تاج النساء التي قرأ عليها العديد من الطلبة، وتخرجوا فقهاء منهم الفقيه عمر بن عبد المجيد بن خلف، كما روى قراءة وسماعا عن أم الفتح فاطمة بنت أبي القاسم الشراط، وكانت أم الهناء بنت القاضي محمد عبد الحق بن عطية من الراسخات في العلم ولها مؤلفات[5]، أما بعضهن فقد احترفن ومهرن في نسخ المصاحف وكتب

(1)– محمد عبد الله عنان: **دولة الإسلام في الأندلس**، المرجع السابق، ص 43.

(2)– عبد الواحد المراكشي: **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، تح: محمد سعيد العريان، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، مصر، 1283هـ/1963م، ص 227.

(3)– محمد سليمان الهرفي: **دولة المرابطين**، المرجع السابق، ص 308.

(4)– عصمت عبد المجيد دندش: **الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1408هـ/ 1988م، ص 372.

(5)– المقري التلمساني: **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1968، ج4، ص ص 292– 296.

العبادات، وكن يبعنها فيما بعد إلى الوراقين[1]. ورافق هذه الحركية العلمية انتشار المكتبات العامة والخاصة، وكان أمراء المرابطين لا يدخرون جهدا في جمع الكتب مثل الأمير المنصور بن داود اللمتوني الذي كان راغبا في العلم منافسا في الدواوين العتيقة والأصول النفيسة، جمع منها ما عجز عنه أهل زمانه[2]. عاشت دولة المرابطين تحت كنف أمرائها معتنية بالعلوم، يشهد على ذلك تراثها العلمي الذي خلفته طيلة وجودها.

ج- العلم والعلماء في الدولة الموحدية:

عندما قامت دولة الموحدين، كان الأمر بيد داعيتها محمد بن تومرت الذي تمكن من فرض منطقه الدَّعوي ورأيته الفكرية التي صنع منها عقيدته، وبنى بها تصوره لطبيعة الدولة المراد إقامتها في بلاد المغرب، فرسخ في نفوس أتباعه مبدأ التبعية بحيث لا تبحث آراؤه، ولا ترد أحكامه[3]، وأضفى على نفسه صفة المهدوية وجعلها من ثوابت الإيمان التي يدور في فلكها كل ما يتصل بحياتهم الدينية والدنيوية، وهي مجسدة في شخصه وما يصدر عنه من أقوال وأفعال أما غيرها فهي في حكم الباطل[4]. ولم يكن أحدا يتجرأ على مخالفته أو الاعتراض عليه بصفته عالما متمكنا وقد ألف لهم في ذلك كتبا ومؤلفات[5].

وبعد وفاته كان تلميذه عبد المؤمن بن علي مع مجموعة من الطلبة المختارين من قبل المهدي هم النواة الأولى التي تشبعت بعلوم وأفكار الإمام، وما لبث عبد المؤمن أن بويع عل رأس الدولة، وكان قد بلغ من العلم والأدب شوطا كبيرا، وعرف برسائله الوعظية وتذوقه

---

(1)- عصمت عبد المجيد دندش، المرجع السابق، ص 378.

(2)- أبو عبد الله القضاعي ابن الأبار: **تكملة كتاب الصلة**، تع، ألفرد بل وابن أبي شنب، مكتبة الخانجي، مصر، 1955م، ص 235.

(3)- محمد عبد الله عنان: **دولة الإسلام**، المرجع السابق، ص 203.

(4)- لسان الدين بن الخطيب: **تاريخ المغرب**، المصدر السابق، ص 269.

(5)- عز الدين عمر موسى: **الموحدون في الغرب الإسلامي تنظيماتهم ونظمهم**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990م، ص 15.

للشعر وقرضه له وله في ذلك قصائدا وأشعارا[1]. وكان مجلسه دائما محفوفا بأهل العلم ورواده، وحتى غزواته كان يقدم عليها في جيشه الطلبة الحفاظ، وجعل من التعليم إجباري على كل من بلغ سن التمدرس وجعله مجاني وأنشأ الكتاتيب وبنى المعاهد التي تخرج منها العلماء وحلوا في خدمة الدولة وأجهزتها محل شيوخ الموحدين[2].

وفي عهد حفيده يعقوب المنصور استمر الاعتناء بالعلم والعلماء، وازدادت أعدادهم وكان الخلفاء القدوة الحسنة لهم، فهذا الأخير كان مولعا بعلم التنجيم وبلغ فيه شأنا كبيرا فقد أمر بإقامة برج عال بجامع اشبيلية الأعظم لرفع الأذان ورصد النجوم أيضا، فكانت تلك سابقة في أوروبا التي كانت تعيش الجهل والتخلف[3]. أما الخليفة المنصور فقد اعتنى بالجانب الصحي للدولة، وكان الطب مجال اهتمامه، فقد بنى بمدينة مراكش بيمارستان لمعالجة المرضى وأوكل مهمة الإشراف عليه للطبيب أبو إسحاق إبراهيم الداني البجائي[4]. أما في مجال الفلسفة والمنطق، فكانت الأندلس هي الحاضنة لأشهر العلماء الذين صنعوا فخرها وطارت أسمائهم وأعمالهم في كل أنحاء العالم، وترجمت أعمالهم وكتبهم إلى لغات عدة ومنها اللاتينية وتدارسها الغرب لعدة سنوات.وكان على رأسهم ابن رشد الذي استدعاه عبد المؤمن بن علي إلى العاصمة مراكش سنة (548هـ) ليستعين به على ترتيب المدارس التي أنشأها فيها[5].

---

(1)- عبد الملك بن صاحب الصلاة: **المن بالإمامة**، تح: عبد الهادي التازي، دار الغرب الإسلامي بيروت، ط3، 1987م، ص ص 101- 105. صالح بن قربة: **عبد المؤمن بن علي مؤسس دولة الموحدين**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1991م، ص ص 48- 51.

(2)- عبد الله على علام: **الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي**، دار المعارف، مصر، ط1، 1971م، ص 291. مجهول: **الحلل الموشية**، المصدر السابق، ص 150.

(3)- عبد الله على علام: **الدولة الموحدية**، المرجع السابق، ص 355.

(4)- محمد الطمار: **الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1987م، الجزائر، ص 171.

(5)- محمد عابد الجابري: **ابن رشد سيرة وفكر دراسة ونصوص**، مركز دراسات الوحدة العربية بيروت، ط1، 1998م، ص 40.

وفي عهد الخليفة الموحدي أبي يعقوب، فقد أظهر عناية بالفلسفة، فقرأ كتب أرسطو وأمر بتدريسها، وكان يجالس العلماء ويكرمهم وكان من بينهم أبو بكر بن طفيل صاحب رسالة "حي بن يقظان" وابن رشد وعرف من المغرب الأوسط أبو عبد الله محمد بن سحنون الكومي الندرومي الذي كان جمع ما بين الطب والفلسفة، وأبي حامد الصغير المسيلي الذي جمع العديد من العلوم وتفوق فيها[1]. أما الخليفة المأمون بن يعقوب المنصور، فقد كان عالما كاتبا أديبا فصيحا بليغا، ومعماريا مقتدرا، وضع تصاميم قصر السيد بمالقة بالأندلس سنة (623هـ) وكان أعجوبة في الهندسة المعمارية[2]. وهكذا نرى أن هذه الدولة بخلفائها أعطت دفعا قويا للجوانب الحضارية في بلاد المغرب الإسلامي، جعلت منه مركز إشعاع عالمي.

ح- العلم والعلماء في الدولة الزيانية:

تضافرت جهود سلاطين الدولة الزيانية منذ بداية دولتهم على تشجيع العلم والعلماء وقد امتلأت كتب التاريخ والتراجم بتعداد أسماءهم وذكر مناقبهم، ومؤلفاتهم التي شملت مختلف العلوم والمعارف، ولم يقتصر دورهم على المغرب الأوسط لا تعداه إلى أنحاء العالم الإسلامي، بفعل التبادل العلمي والرحلات العلمية والتنافس العلمي بين ملوك الدول القائمة، فنشطت الحركة العلمية، وعمرت الكتاتيب بالمتعلمين، وكثرت الحلقات العلمية في المساجد التي كان يتناول فيها علوم الفقه والشريعة، وتقام فيها المناظرات الأدبية والحوارات الفقهية تحت راية المذهب المالكي الذي تبنته الدولة كمذهب رسمي لها[3].

فمؤسس الدولة يغمراسن (633-681هـ) تذكره المصادر أنه كان "ديًنا فاضلا محبا في الخير وأهله، وكثيرا ما يجالس الصلحاء... وله في أهل العلم رغبة عالية يبحث عليهم أين ما كانوا، ويستقدمهم إلى بلده ويقابلهم بما هم أهله". وكان يكاتب أبو إسحاق إبراهيم بن

---

(1)- يحي بوعزيز: **الموجز في تاريخ الجزائر**، ديوان المطبوعات الجزائرية، الجزائر، 1995م، ج1، ص163. عبد الرحمن الجيلالي، **تاريخ الجزائر العام**، ج2، المرجع السابق، ص24. الجابري: **ابن رشد**، نفسه، ص ص 45- 46.

(2)- مجهول: **الحلل الموشية**، المصدر السابق، ص ص 163- 164.

(3)- عبد العزيز فيلالي: **تلمسان في العهد الزياني**، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002م، ج1، ص145.

يخلف بن عبد السلام التنسي عالم زمانه وأحد كبار فقهاء بلاد المغرب ويرغبه في سكنى تلمسان وعند مقدمه إلى تلمسان ركب بنفسه لمقابلته في الجامع الأعظم[1]. ولم يكن يجد حرجا في الحضور إلى المسجد الجامع لسماع دروس الفقه والوعظ التي كان يلقيها الفقهاء على طلبة العلم والعامة من الناس، ولاسيما حلقات العالم التنسي لسالف الذكر[2]. واعتنى بأمور الدولة وانصب جهده على تطوير الجيش وعصرنته إقتداء بالموحدين فكانت عناصره تتلقى التعليم والتدريب قبل الالتحاق بالخدمة[3].

ظلت تلمسان مركزا حضاريا وبلد علم وعلماء ومركز سنّة وجماعة، وملوكها من رعاة العلوم فاستقدموا أهل العلم والأدب، وأحاطوا أنفسهم بالفقهاء وكثر فيها أهل التصوّف والصلحاء والعبّاد[4]، وانتشرت فيها المكتبات المليئة بالكتب المخطوطة المؤلفة من قبل علمائها أو المنتقاة أو المنسوخة من المشرق والأندلس، وكانت في متناول العلماء وطلبة العلم، فنشطت معها حركة نقل العلوم، وراجت تجارة الكتب[5]، كما أنشئت المدارس التي اشتهرت بها تلمسان على غرار مدرسة ابنا الإمام في عهد أبو حمو موسى الأول (707-718هـ)، والمدرسة التاشفينية التي بناها عبد الرحمن أبو تاشفين (718- 737هـ) وأفتتحها بحضور العديد من العلماء والفقهاء يتقدمهم أبو موسى عمران المشدالي الزواوي "أعرف أهل عصره بمذهب مالك فأكرم السلطان نزله، وأدام المبرّة به والحفاية بجانبه، وولاّه مهمة التدريس بمدرسته الجديدة" فقد كان لهذا السلطان "بالعلم وأهله احتفال، وكانوا منه بمحل تهمّم واهتبال"[6]، أما السلطان أبو حمو موسى الثاني (760-791هـ) فإنه لم يكتفي بقرض

---

(1)- محمد بن عبد الله التنسي: **تاريخ بني زيان ملوك تلمسان**، تح: محمود آغا بوعياد، موفم للنشر، الجزائر، 2011م، ص 126.

(2)- محمد الطمار: **تلمسان عبر العصور دورها في سياسة وحضارة الجزائر**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007م، ص 98.

(3)- ابن الأحمر: **تاريخ الدولة الزيانية**، تح: هاني سلامة، مكتبة الثقافة الدينية للنشر والتوزيع، مصر، ط1، 1421هـ/2001م، ص 40.

(4)- ابن الأحمر: **تاريخ الدولة الزيانية**، المصدر السابق، ص 47.

(5)- عبد الفتاح مقلّد الغنيمي: **الموسوعة**، المرجع السابق، ج3، ص ص 177- 178.

(6)- محمد بن عبد الله التنسي: **تاريخ بني زيان**، المصدر السابق، ص 141.

الشعر، بل خاض في التأليف والكتابة وله "واسطة السلوك في سياسة الملوك" ضمنه آراءه وتجاربه في الحكم والسياسة، وأهداه لابنه وولي عهده أبي تاشفين[1].

انتظمت الحياة لفكرية والعلمية تحت سلطة سلاطين بني زيان ورعاية كبار العلماء والفقهاء، وأصبحت تلمسان حاضرة إسلامية معروفة بمدارسها ومعاهدها التي كانت تدرس فيها العديد من العلوم وفق منظومة تربوية رائدة تخضع لنظام مدرسي راقي مثلما ساقه لنا ابن مريم في ترجمته للشيخ ابن زاغو المغراوي (ت 845هـ) عن طبيعة المواد والتوقيت إذ كان التفسير والحديث والفقه والأصول شتاء، والعربية والبيان والحساب والفرائض والهندسة صيفا، أما الخميس والجمعة فهو للتصوف[2]. فتلك هي حقيقة الأجواء العلمية والحياة الفكرية والثقافية التي كانت تعيشها عاصمة الزيانيين التي أصبحت عاصمة العلوم والمعارف.

2) نظام التعليم.

أ- الكتاتيب ودورها في تحصيل العلم.

انصبت جهود الفاتحين المسلمين على تأصيل الإسلام في نفوس البربر وتحبيب العلم إلى كافة أطيافهم، كما عمل الصحابة وبعض التابعين ممن دخلوا بلاد المغرب على إفادة هؤلاء بما يحملونه من علوم الفقه واللغة، وسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وسنته من أفعال وأقوال، وكل ما يتصل بتفاصيل حياته ابتغاء الثواب وحسن المآب. فجعلوا من القرآن منهجهم ودربهم الذي بفضله سيصنعون حضارة راقية حملتهم إلى مصاف الأمم الحاملة للواء العلم والتعلم فاقوها بأشواط كبيرة تصدروا الأخبار أحاديث الملوك الأمم بما أضافوه وصنفوه من تواليف وكتب في مختلف العلوم، وأهدوا إلى البشرية جملة من المعارف والفضائل إدراكا منهم بأن قيمة الإنسان فيما يحسنه، وأن شرف المرء علمه، ومرآة عقله أدبه وفي ذلك يقول الشاعر إبراهيم بن حسان:

يُزِينُ الفَتىَ فيٍ الناسْ صِحَة عقلهْ   وَإِن كَانَ مَحْظُـورًا عَلَيْهِ مَكَاسِبُهْ

---

(1)- المقري التلمساني: **أزهار الرياض في أخبار عياض**، تح: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1939م، ج1، ص 219.

(2)- ابن مريم الشريف التلمساني: **البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1986م، ص ص 8- 9.

يُشِينُ الْفَتَى فِي النَاسِ قِلَــةُ عَقلِهِ وَإِنْ كَــرُمَتْ أَعْرَاقُـــهُ وَمَنَــاسِبُهُ
يَعِيشُ الْفَتَى فِي الْناسِ بالعَقْلِ إِنَهُ عَلَى الْعَقْلِ يَجْرِي عِلْمُهُ وَتَجَارِبهُ
إِذَا أَكْمَلَ الْرَحْمَـــن لِلْـمَرْءِ عَقلُهُ فَقَدْ كَمُلَتْ أَخْلاقُـــهُ وَمَآرِبـــهُ[1]

لم يغفل هؤلاء الصلحاء ما تواتر من أحاديث نبوية شريفة تدعو إلى العلم وتعلمه وتعليمه وكانوا أحرص الناس على العمل بما دعا إليه الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم في وجوب طلب العلم، فبهديه عليه أفضل صلاة وسلام سارعوا إلى طلب العلم. وعلى هذا المنهج سارت البدايات الأولى للتعليم في بلاد المغرب الإسلامي بما حمله هؤلاء النفر من أمثال عبد الله بن يزيد المعافري (ت 100هـ) الذي استوطن القيروان واختط بها دارا ومسجدا وكتابا وانتفع به جماعة من الأفارقة وبث فيها علما كثيرا[2]. وعبد الرحمن بن رافع التنوخي (ت 113هـ) الذي كان أول من تولى القضاء بالقيروان بعد بنائها، كان راويا للحديث الشريف عن الصحابة. وإسماعيل بن عبيد الله العور بن أبي المهاجر (ت107هـ) باني مسجد الزيتونة بالقيروان، انتفع به الكثير من الخلق بما رواه من أحاديث نبوية شريفة وحين عدّد الدباغ أسماء كبار الصحابة الذين دخلوا إفريقية ذكر منهم عبد الله بن العباس حبر الأمة وترجمان القرآن الذي كان أعلم الناس وأفقههم في الدين لدعاء الرسول صلى الله عليه وسلم "اللّهم علمه التأويل وفقهه في الدين"[3].

كان نظام الكتاتيب بمثابة المحطة التعليمية الأولى، وهي أنظمة شعبية بالمفهوم العام مفتوحة للجميع يؤمها كل من رغب في التعلم بدون إكراه. وقد عرفت قبل ظهور الإسلام في

---

(1)– الماوردي أبي الحسن: **أدب الدين والدنيا**، شرح وتعليق، محمد كريم رابح، دار إقرأ، بيروت، ط4، 1405هـ/1985م، ص 8.

(2)– عبد الوهاب حسن حسني: **ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية التونسية، تاريخ الفتح العربي في ليبيا**، مج3، جمع وإشراف: محمد العروسي المطوي، مكتبة المنار، 1972م، ص 121.

(3)– حبر الأمة، وفقيه العصر، وإمام التفسير أبو العباس عبد الله، ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم العباس بن عبد المطلب شيبة بن هاشم. صحب النبي صلى الله عليه وسلم نحوا من ثلاثين شهرا، وحدث عنه بجملة صالحة من الأحاديث ناهزت 1660 أثبت صحتها كل من البخاري ومسلم. ينظر: **الذهبي، سير أعلام النبلاء**، ج3، المصدر السابق ، ص 332.

شبه الجزيرة العربية بحيث كانت منتشرة في كثير من القرى والمدائن خاصة مكة والمدينة[1]. ولما حل العرب في بلاد المغرب جلبوا معهم ذلك التقليد وبادروا إلى العناية بأولادهم وعيالهم والأخذ بأسباب التعليم والتثقيف وتوفير الجو الملائم لذلك، فكان العلم يسير سويا مع تقدم الفتح. وسرعان ما امتلأت المدن المفتوحة بالعديد منها، وأصبحت تشكل ظاهرة مألوفة في كل أنحاء بلاد المغرب، ولم يزل شأنها ينمو ويتكاثر ولم يخلو منها درب من الدروب أو حي من الأحياء وربما تعددت الكتاتيب في الحارة الواحدة تعدد المساجد[2]. كما وجدت أشكال أخرى من التعليم للصبيان في قصور الوزراء ودور الأمراء والأغنياء والأعيان لتعليم أبنائهم يشرف عليها أشخاصا يسمون بالمؤدبين وهو الاسم المشتق من الأدب والخُلق[3].

بقي تقليد الكتاتيب مستمرا خلال العصور اللاحقة، ولم تخلو منها أية مدينة أو قرية أو بلد واستمر أدائها التعليمي يسهم في تنوير العقول تحت ظل الدول التي قامت. وكانت محلاتها توجد غالبا ملاصقة للمساجد أو بالقرب منها وهي عبارة عن حجرات معدة لذلك الغرض أو حوانيت أو غرف منازل[4]. تتوفر على وسائل بسيطة للتعليم وتفرش بحصائر أو أفرشة من الصوف أو الدوم أدواتها ألواح من الخشب على شكل صفائح عريضة وأقلامها من القصب تبرى في الرأس ليسهل استعمالها بإغماسها في الحبر، مع قطع من حجر الصلصال لمحو الكتابة بعد الحفظ[5]. وكان المعلم (المربي، الشيخ، الفقيه) وهي كلها أسماء التصقت بمن يشرف عليها، يجلس قبالة الأطفال أو يأمرهم بتشكيل حلقة دائرية لحفظ القرآن أو تعلم فن من الفنون وهي التسمية التي كانت تطلق على أوائل العلوم المفروضة في

---

(1)– حسين محمد محاسنة: **أضواء على تاريخ العلوم**، المرجع السابق، ص 128– 129. ينظر أيضا، عبد الدائم عبد الله: **التربية عبر التاريخ من العصور القديمة حتى أوائل القرن العشرين**، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1984م، ص ص 138– 139.

(2)– محمد بن سحنون: **آداب المعلمين**، المصدر السابق، ص 37.

(3)– حسين محمد محاسنة، المرجع السابق، ص ص، 65 –131.

(4)–التوزري إبراهيم العبيدي: **تاريخ التربية بتونس**، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1967م، ج1، ص103.

(5)– ابن أبي دينار، **المؤنس**، المصدر السابق، ص 157.

تلك الفترة، وكانت على صنفين: إجبارية واختيارية، الغاية منها تثقيف الأذهان وتأهيلهم للتدرج في دراسة العلوم الراقية لبلوغ درجة التمدن[1].

ورغم ما كان يطرأ من تغير في الظروف السياسية في بلاد المغرب الإسلامي، وما ينجر عنها من آثار، إلا أن هذا التنظيم الهيكلي لطرق التعليم بقي يؤدي دوره على أكمل وجه لأنه أعتبر مرحلة ضرورية وإعدادية لأطفال المسلمين، وشاركهم المغاربة بإرسال أبنائهم وبناتهم إلى الكتاتيب لحفظ كتاب الله وسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، وبعضا من العلوم. فقامت هذه المعاهد بلعب دورها على أكمل وجه في تأصيل روح الإسلام في هذه الربوع وغرس الفضائل والآداب والأخلاق الكريمة.

وقد وصف ابن خلدون طرق التعليم المتبعة في بلاد المغرب مشددا على دور تلك الكتاتيب في تهيئة النفوس وإعدادها على الاشتغال بالعلم والخوض في أصنافه، وجعلها من الأساسيات فيقول: "اعلم أن تعليم الولدان للقرآن شعار من شعائر الدين، أخذ به أهل الملة، ودرجوا عليه في أمصارهم لما يسبق فيه إلى القلوب من رسوخ الإيمان، وعقائده من آيات القرآن وبعض متون الحديث وصار القرآن أصل التعليم الذي ينبني عليه ما يحصل من الملكات وسبب ذلك أن تعليم الصغر أشد رسوخا، وهو أصل لما بعده"[2]. لذلك كان الأولياء يدفعون بأبنائهم إلى الكتاب وهم في سن الحداثة التي كانت غالبا ما بين الخامسة والسابعة. بشرط التمييز والإدراك هو المعطى الذي بموجبه يرسل الطفل إلى الكتاب. وفي ذلك يقول ابن عربي: "وللقوم في التعليم سيرة بديعة، هو أن الصغير منهم إذا عقل، بعثوه إلى المكتب"[3].

ب- الكتاتيب في عهد الدول المستقلة.

باستبحار العمران في المدن وازدياد عدد ساكنيها، ازداد معها عدد الكتاب بشكل مضطرد. وأصبح سماع أصوات الصبية المرفوعة بتلاوة الْقرآن وتكراره صورة مألوفة في بلاد المغرب، ولم يستثنى أي مصر من الأمصار منها حتى البوادي والأرياف أصبح لها نصيبها

(1)- محمد بن سحنون: **آداب المتعلمين**، المصدر السابق، ص ص 42- 65.

(2)- ابن خلدون: **المقدمة**، المصدر السابق، ص 740.

(3)- ابن عربي أبو بكر: **كتاب أحكام القرآن**، مطبعة السعادة، القاهرة، (د- ت)، ج2، ص 291.

من الكتاب والمعلمين[1]. الأغالبة عملوا على تنشيط الحياة العلمية في دولتهم تأسيا بعاصمة الخلافة بغداد التي كانوا يتبعونها اسميا، وأرادوا أن يجعلوا من إمارتهم نموذجا لما كانت عليه دولة الخلافة في بغداد، وعرفوا بحبهم للعلم والعلماء وفتحوا أبواب إمارتهم للنخب العربية المتعلمة في حواضر المشرق، والمتبحرة في العلوم والمعارف واستقطبوها إلى إفريقية، ووفروا لهم أسباب المقام الكريم، والرعاية والتشجيع، فتمكنوا في ظرف وجيز من جعل إمارتهم مركز إشعاع فكري يمد الغرب الإسلامي بومضات مشرقة من الحضارة الإسلامية الناشئة في هذا المصر[2].

وكان للعلماء والفقهاء دورا لا يستهان به في هذا المجال، وتطوع الكثير منهم لتعليم الناشئة القرآن والفقه وغيره من العلوم. فذُكر أن محرز بن خلف بن أبي رزين البكري الذي كان من أشهر الوعاظ والصلحاء في القيروان طلب من العالم المبرز في وقته محمد بن أبي زيد المعروف بمالك الأصغر أن يعينه بتأليف كتاب وجيز في مبادئ تعليم الصبيان في الكتاب فكتب له رسالة في الفقه اشتهرت وذاعت[3]. ولا يستبعد على أنها نسخت ووزعت في أرجاء المملكة تعميما للفائدة نظرا لما عرف عن الأغالبة من أنهم أصحاب الفضل في توثيق العلاقات الثقافية بين الشرق والغرب[4]. كما كان لأبي إسحاق إبراهيم بن أحمد بن علي بن مسلم الجبنياني أحد أشهر زهاد ونساك المغرب كتاب في قريته يعلم الصبيان[5]. ومنهم أيضا

---

(1)- المِصْرُ، هو كل كُورَةُ كبيرة تقام فيها الدُورُ والأسواق والمدارس وغيرها. **معجم المعاني**، الجامع.

(2)- إسماعيل محمود: **الأغالبة سياستهم الخارجية (184هـ/296هـ)**، نشر عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ط3، 2000م، ص 7.

(3)- حوالة يوسف أحمد: **الحياة العلمية في إفريقية منذ إتمام الفتح وحتى منتصف القرن الخامس الهجري "90هـ/450هـ"**، رسالة دكتوراه، 1045هـ- 1406هـ/ 1985م- 1986م، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، ج1، ص 235.

(4)- عبد الرحمن حسب الله الحاج أحمد، **بنو الأغلب: إدارتهم ودورهم الحضاري في إفريقيا**، مجلة دراسات إفريقية، العدد العشرون، جانفي1999م/1419هـ، ص 165.

(5)- ينظر ترجمته في: **آداب المعلمين**، المصدر السابق، ص 65 وما بعدها.

أبو محمد عبد الله بن محمد المكفوف النحوي كان له كتاب خاصا به يعلم فيه صبيان المسلمين القرآن، والنحو، وقواعد اللغة العربية، وبعض العلوم[1].

وكان هؤلاء العلماء حريصين على الوقوف بحزم أمام بعض التيارات الدينية المنتشرة بكثرة في تلك الفترة بالقيروان خاصة أفكار المعتزلة والمرجئة وحفظوا الكتاتيب من تسرب وتفشي تلك الأفكار في صفوف الناشئة من الطلبة، ليس في المدن فحسب بل حتى في البوادي والأرياف. وفي ذلك يقول المالكي: "وكان أول قاضي (يعني سحنون) فرق حلق أهل البدع من الجامع وشرد أهل الأهواء منه وكانوا فيه حلقا يتناظرون فيه ويظهرون زيغهم، وعزلهم أن يكونوا أئمة للناس أو معلمين لصبيانهم أو مؤدبيهم، وأمرهم ألا يجتمعوا وأدب جماعة منهم بعد هذا خالفوا أمره، وأخافهم، وتوَّب جماعة منهم فكان يقيم من أظهر التوبة منهم على البوادي، وغيرها فيعلن بتوبته عن بدعته"[2].

أولاً- الكتاتيب في عهد الرستميين:

كانت الجارة الدولة الرستمية التي قامت على أسس مذهبية محضة تنافس الأغالبة في مجال العلم، وعملت منذ تأسيسها على نشره والاعتناء بالعلماء والفقهاء ومشايخ المذهب الإباضي. فشغلت العلوم الدينية حيزا هاما من النشاط التعليمي في أرجاء الدولة، كحفظ القرآن والحديث، وتعليم القراءة والكتابة وغيرها من الفنون العلمية، وكان التركيز على أصول مذهبها وأعلامه من أئمة ودعاة ومشايخ وهو من المقررات الرسمية في الكتاب وفي أغلب المدارس المنشئة لهذا الغرض، وكان التعليم إجباريا خاصة في عاصمة الدولة تيهرت[3].

---

(1)- القيرواني حسن بن الرشيق، **أنموذج الزمان في شعراء القيروان**، جع وتح: محمد العروسي المطوي وبشير البكوش، الدار التونسية للنشر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1406هـ/1986م، ص ص387- 388.

(2)- ينظر ترجمته، **رياض النفوس**، ج1، المصدر السابق، ص 345 وما بعدها. وينظر، محمد بن محمد بن عمر بن قاسم مخلوف، **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، ج1، تخ وتع: عبد المجيد خالي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط3، 1424هـ/2003م، ص 103 وما بعدها.

(3)- مزهودي مسعود: **الإباضية في المغرب الأوسط من سقوط الدولة الرستمية إلى هجرة بني هلال**، رسالة ماجستير، جامعة القاهرة، 1982م، ص 125.

وفيما يخص نظم التعليم، فقد عرف عن الإباضيين طريقتهم في التدريس من خلال نظام الحلقات العلمية الذي ساد في الكثير من المساجد، ويغلب الظن أنها الطريقة نفسها التي كانت سائدة في معقل المذهب بالبصرة، التي طغى عليها الطابع السرّي حيث كانت تعقد الجلسات لأتباع المذهب وطلبة العلم ومناصريه خوفا من عيون الولاة الأمويين ومن بعدهم العباسيين الذين كانوا يكنون لهم العداء[1]. أما في بلاد المغرب، فقد انتشرت مراكز التعليم والكتاتيب في كل من جبل نفوسة وبلاد الجريد وبعض المدن التي كانت تتبع المذهب الإباضي وفي مضارب بعض القبائل البربرية، وبقي جبل نفوسة المنارة العلمية الرئيسية وخزان المذهب من العلماء والمشايخ ومنه كان الأئمة الرستميون يستمدون تعاليم مذهبهم بتوجيهات من علمائهم وشيوخ المذهب[2]. وبعد قيام الدولة ظهرت الكتاتيب في شكلها التقليدي على ما درج عليه التعليم في بلاد المغرب للناشئة، ثم تبعتها لاحقا الزوايا في المدن والأرياف، وكان يختار لها المعلمين الأكفاء ذوي السمعة الطيبة والمتقيدين بالمذهب وأحكامه. وكان أصحاب الدولة وعلماء المذهب وفقهائه في الغالب هم من يتولى التدريس والتعليم وبلغت من درجة ازدهار العلوم فيها أن سميت بعراق المغرب لنفوق العلوم بها ودعيت ببلخ المغرب لطيبة هوائها، وخصوبة تربتها وجودة غلاتها[3].

من خلال هذه الإطلالة الصغيرة عن واقع التعليم عند الرستميين، سنلاحظ أنهم بدؤوا في تطوير أساليب التعليم وحسنوها حسبما أملتها عليهم أحوال السياسة وخصوصية

---

(1)– الدرجيني أبي العباس أحمد بن سعيد: **طبقات المشائخ بالمغرب**، تح: إبراهيم طلاي، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، 1394هـ/1974م، ج1، ص 20. ينظر، مهدي محمد حسن: **الإباضية نشأتها وعقائدها**، الأهلية لنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2011م، ص 58.

(2)– محمد زينهم محمد عزب: **قيام وتطور الدولة الرستمية في المغرب**، دار العالم العربي، القاهرة، مصر، ط1، 1434هـ/2013م، ص 101.

(3)– بلخ من أجمل مدن خراسان معروف عنها كثرة خيراتها وجودة غلاتها، ونقاء هوائها وكان يضرب بها المثل في الحضارة والمدنية والعمران. لمزيد من التوضيح، ينظر، سليمان الباروني: **الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية**، القسم الثاني، (د–ت)، (د–ط)، ص 8 وما بعدها.

مذهبهم[1]. وقد أعتُمد على نظام الكتاتيب كوسيلة تعليمية للصبيان، إلا أن الملاحظ من خلال المصادر الإباضية أن نطاقها أوسع في المدن التابعة للإمارة والقرى والأرياف. أما عاصمة الدولة فإنها عرفت نظام المدارس والحلقات العلمية وتطورت لاحقا لما بات يعرف بنظام العزابة، كما اشتهرت تيهرت بمجالسها العلمية وكثرة المناظرات وجلسات الجدل بين مختلف الفرق والمذاهب التي استوطنت المدينة وعاشت فيها. ووفر الأئمة سبل التحصيل للمجتمع الإباضي وغيره حين أنشئوا مكتبتهم المشهورة "المعصومة" التي قيل أنها كانت تضم أكثر من ثلاثة مائة ألف مجلد وكتاب، ضمت كل أشكال العلوم والمعارف، وسمح للطلبة بارتيادها والاستفادة من ذخائرها أسوة بما كان يحدث في المشرق الإسلامي.

ثانياً- الكتاب في عصر الفاطميين:

ما أن أتم الفاطميون مهمة القضاء على الدول القائمة حتى أعلنوا دولة الإمامة وباشروا على الفور ترتيب أمور الدولة، وكان بانتظارهم عمل كبير وشاق، ويعود سبب ذلك إلى رغبتهم في إظهار أحقيتهم بالإمامة التي لا تتحدد بالإطار الجغرافي المحدود ولا بفكرة الولاء السياسي، وإنما هي اعتقاد وتسليم كلي بأنهم أصحاب الخلافة الشرعيين والأئمة المعصومين والأوصياء المهديين، فهم ينحدرون من سلالة النبي صلى الله عليه وسلم لذلك يتوجب على كل مسلم أن يظهر لهم الطاعة العمياء والإخلاص اللامشروط[2].

يذكر القاضي النعمان طريقة عمل الدُعاة في التدريس والتشهير للمذهب الشيعي بالقول: "وكان فيها بكل مصر جماعة وألفة واجتماع على طلب العلم والحكمة، وبث فيهم ما يقرأ عليهم". و"أطلق بكل موضع داعية وسمى المقدمين والدعاة مشايخ"[3]. فالدُعاة الشيعة كانوا من الكثرة بحيث انتشروا في كل مضرب بلغته سيوف الدولة، فكانوا رسل المذهب

---

(1)- سامية مقري: **التعليم عند الإباضية في بلاد المغرب الإسلامي من سقوط الدولة الرستمية إلى تأسيس نظام العزابة (296- 409هـ/909- 1018م)**، رسالة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ والآثار، جامعة منتوري، قسنطينة، السنة الجامعية، (1426- 1427هـ/ /2005- 2006م)، ص ص 52- 53.

(2)- طقوش محمد سهل، **تاريخ الفاطميين في شمالي إفريقية ومصر وبلاد الشام**، دار النفائس، بيروت، ط2، 1428هـ/2007م، ص 81.

(3)- القاضي النعمان: **افتتاح الدعوة**، المصدر السابق، ص ص 124- 125.

ومنظريه. وبلغ من حسن تدبيرهم أنهم اعتمدوا على المساجد والجوامع الكثيرة المنتشرة في كل أنحاء بلاد المغرب كمراكز ومنطلقا لتعميم التشّيع على العامة من الناس، لما عرف عن المغاربة من إكثارهم بناء المساجد في كل المدن والقرى والمداشر وشدة تعلقهم بها وارتيادها أوقات الصلوات، والسماع بعدها للدروس الملقاة فيها[1].

سار الخلفاء الفاطميون في البداية بهدوء وروية، فالأوضاع التي تلت قيام الدولة تميزت بكثرة الفتن والاضطرابات، ولم يستتب لهم الأمر بشكل كلي إلا في عهد المعز لدين الله الذي وصفت فترة حكمه بأنها العصر الذهبي لهذه الدولة. وتمكن هذا الخليفة المقتدر من تفعيل أجهزة الدولة وجعلها تعمل بإحكام بفتح الباب للدُعاة والأتباع الأوفياء للمذهب الذين كانوا يستقون كل علومهم ومعارفهم وكل ما يخص المذهب من الخليفة نفسه أو قاضيه الموكل بذلك[2]. فالإمام هو مستودع العلوم والمحرز للإدراك الإلهي وأقواله وأفعاله هي أساس الشرع[3]. وعملوا على استدراج الناس إلى مذهبهم باستعمال كل الوسائل المتاحة فتارة بالعنف والترهيب وتارة أخرى بالإقناع والترغيب، ودعوا الناس إلى التمسك بحبل الطاعة وأسباب الولاية وحب آل البيت[4]. وظلت تلك الممارسات قائمة ومثلت الدعائم الأولى لطرق التدريس المتبعة آنذاك للتعريف بالمذهب، ومحاولة ترسيخه بكل الطرق في أذهان الناس ونفوسهم

---

(1)– لم نجد أفضل من كتاب، حسين مؤنس: **المساجد**، المنشور في مجلة عالم المعرفة، العدد 37، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1981م. وهي دراسة وافية عن المساجد، تاريخها وفضلها وجلالها وقدسيتها عند المسلمين. ورأينا أنها تجيب وتوضح الأسباب الحقيقية الكامنة وراء اجتهاد المغاربة رجالهم ونسائهم وتنافسهم على بنائها والإكثار منها، حتى أننا لا نستطيع إحصاء أعدادها لكثرتها في بلاد المغرب الإسلامي. ينظر، أيضا: الدباغ، **المعالم، ورياض النفوس** للمالكي.

(2)– انظر مثلا كتب القاضي النعمان: **تأويل دعائم الإسلام، المجالس والمسايرات**، وغيرها من الكتب التي خدم بها المذهب وأصبحت من بين أهم الركائز للمذهب الإسماعيلي. وقد تولى النعمان منصب قاضي القضاة، وهو أعلى منصب في الدولة الفاطمية بعد الخليفة، وإليه تعود مسألة الفصل في الأحكام الشرعية، وإقرار الحدود، والنظر في شؤون المساجد والقائمين عليها، والتنسيق بين الدعاة.

(3)– الدشراوي فرحات: **الخلافة الفاطمية بالمغرب**، المرجع السابق، ص 420.

(4)– أنظر مثلا وصية المعز لدين الله لقائده جوهر الصقلي وهو في مصر، **اتعاظ الحنفا**، ج1، المصدر السابق، ص 98. الدشراوي، نفسه، ص ص 413–414.

وجعله في صدارة الأولويات، فكانت تقدم الدروس للعامة والخاصة للرَعية والأتباع، وأصبح نشر الدًعوة الإسماعيلية جزءا من سياسة الدولة[1].

لم نجد في المصادر الإسماعيلية ولا السنية أخبارا حول نظم التعليم عند الفاطميين فالفترة القصيرة التي قضتها الدولة في بلاد المغرب قبل انتقالها إلى مصر لم تكن كافية لوضع أطر ظاهرة الملامح لسياسة التعليم من القاعدة، لكن المؤكد أنهم تركوا ما وجدوه من كتاب ودور علم تؤدي دورها على سجيتها وركزوا بدل ذلك جهودهم على تأمين أسس الدولة وبسط نفوذها على أكبر مساحة ممكنة وظل العمل جاريا على قدم وساق لتنظيم المجتمع الجديد وفق التصور الشيعي الإسماعيلي[2].

كان من حسن طالع هذه الدولة أنها ورثت من سابقتيها الأغلبية والرستمية كل مقومات الدولة المتحضرة، وأعتبر عصرهما بشهادة الكثير من المؤرخين والباحثين، عصر التطور والنهضة بامتياز. فتهيأت لها الظروف لأن تختصر الكثير من المسافات وتشرع في تهيئة الأرضية لمشروعها الدًعوي المبني على تغيير الوضع الذي كان قائما من خلال إعداد الدُعاة وتوكيلهم أمور تغيير مناهج التعليم، من خلال التركيز على من مالت نفسه من طلبة العلم إلى المذهب. فتعقد لهم المجالس العلمية الخاصة يتم بعدها تخريجهم بصفة طلبة دعاة يصبحون بعدها عماد الدًعوة والمذهب[3].

بداية استثنيت الكتاتيب من تدخل القائمين على شؤون الدولة كالمراقبة والمرافقة في التعليم والتوجيه، وتركت لشأنها التعليمي الموروث. ذلك لأنهم من العامة ويكفيهم ما يتلقونه من علم الظاهر، أما دروس الباطن فقد اقتصرت على المحبين للمذهب والمقتنعين بمشروعيته. فبات الاهتمام منصبا على الفئة الأكبر سنا وللراشدين من العامة والشباب اليافعين من قاطني المدن وأرباضها لتنويرهم وتوضيح ما أشكل عليهم من أمر المذهب.

---

(1)– حسن إبراهيم حسن، طه أحمد شرف: **المعز لدين الله، إمام الشيعة الإسماعيلية ومؤسس الدولة الفاطمية في مصر**، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، 1367هـ/1947م، ص 233.

(2)– محمد بركات البيلي: **التشيع في بلاد المغرب الإسلامي حتى منتصف القرن الخامس الهجري**، دار النهضة العربية، القاهرة، مصر، 1993م، ص 122.

(3)–عن دور الدعاة وتأثيرهم الكبير على الناس في خدمة المذهب، ينظر المقريزي، **الاتعاظ**، ج1، المصدر السابق، ص 4.

كانت الدروس المكثفة التي كانت تلقى في المساجد هي في المجمل عبارة عن مواعظ ومحاضرات وإرشادات تفرغ لها في بعض الأحيان حتى الأئمة أنفسهم يقيمون الدَعوة، ويلقون الخطب بأبلغ بلاغة وأعظم خشية[1]. ويقف بجانبهم الدّعاة سند المذهب بوصفهم معلمين وناشري الحكمة لأولياء الله من الأتباع. ويمكن القول بأنهم هم من لعب الدور الأكبر في هذه الحركية العلمية الخاصة بالمذهب الشيعي مسترشدين بأحد أقدم كتبهم المؤلفة في هذا المضمار وهو كتاب "العالم والغلام" المنسوب إلى ابن حوشب المكنى بمنصور اليمن أحد أبرز الدعاة الإسماعليين[2].

لقد تضمن هذا الكتاب منهجية التلقين والعلاقة بين الدَّاعي والمريد، ومراتب الدَّعوة وأسس المذهب. ويمكن القول بأن القواعد والأسس التعليمية التي أوجدها الفاطميون يمكن اختصارها في الآية الكريمة: ﴿يا أيها الذين أمنوا أطيعوا الله وأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾[3]. فأولوية نشر المذهب كانت تمر في المقام الأول على غيرها من القضايا ناهيك على أن أنظار الفاطميين كانت تصبوا دائما نحو المشرق وعلى ذلك عملوا طوال سنوات حكمهم وتواجدهم في بلاد المغرب وهو ما أسر به المعز الفاطمي لشيوخ كتامة حين خاطبهم بقوله: "وأعلموا أنكم إذا لزمتم ما آمركم به رجوت أن يقرب الله علينا أمر المشرق كما قرب أمر المغرب"[4].

ثالثا- الكتاتيب في عصر الحماديين:

عندما تحققت أمنية المعز وانتقلت الدولة إلى مصر، خلفوا ورائهم أسرة صنهاجية تدين لهم بالولاء والتبعية، فواصلوا السير على منهاجهم ولم يغيروا شيئا من النظم وظلوا لفترة أوفياء للوصاية في القاهرة إلى غاية تولي المعز بن باديس لمقاليد الحكم. حينها كان البربر قد بلغوا مرحلة النضج، وتاقوا لتولي أمورهم بأنفسهم، فنبذ المعز دعوة الفاطميين واستقل

---

(1)- القاضي النعمان، **افتتاح الدعوة**، المصدر السابق، ص ص 337- 338.

(2)- هو أبو القاسم الحسن بن فرح بن حوشب بن زدان الكوفي النجار أحد كبار دعاة الإسماعيلية كلف بمهمة نشر الدَعوة في اليمن، ونجح في مسعاه. وأسس إمارة شيعية وسيطر على مناطق واسعة فيها. ينظر، المقريزي: **الاتعاظ**، ج1، المصدر السابق، ص 51.

(3)- **سورة النساء**، الآية، 59.

(4)- المقريزي، **الاتعاظ**، ج1، المصدر السابق، ص 96.

ببلاد المغرب وأسس لأسرته ملكا متوارثا وانتهى بذلك حكم العنصر العربي الفعلي لبلاد المغرب[1]. بعدها بقليل حذا حذوه عمه حمادا الذي استطاع هو أيضا أن يسلخ المغرب الأوسط عن دولة الزيريين ويؤسس إمارة لنسله عاصمتها أشير ثم القلعة، نازعت الزيريين مجال سلطانهم ونافستهم في الرقي والحضارة وأصبحت قبلة للعلم والعلماء.

إن محاولة استقراء الواقع التاريخي للأوضاع بصفة عامة في بلاد المغرب خاصة الفترة التاريخية محل الدراسة، تجعلنا ندرك لأول وهلة ذلك الانتقال السريع للبربر من عنصر دعم ومساندة إلى محرك للأحداث، متفاعل مع المتغيرات بمختلف أشكالها. فهذه القابلية للتكيف مع المحيط والاستعداد الدائم للأخذ والعطاء جسدته دولة بني حماد رغم الظروف والصعاب التي واجهتها طيلة وجودها على مسرح الأحداث. فهي دولة شغلتها الحروب وكابد مؤسسها ومن بعده أبنائه المحن والخطوب لإرساء دعائمها وإطالة عمرها. فكانت الحروب المتقطعة مع أبناء العم الزيرين، ثم ظهر الخطر الهلالي بقبائله الشرسة الصعبة المراس التي زحفت وحفت بحدود الدولة وهددت كيانها، ثم كان خطر الفرنجة النورمان وغاراتهم المتكررة على السواحل والمدن وما كانوا يخلفونه ورائهم من دمار وخراب[2].

ضرب الحماديون موعدا مع الحضارة وكان لهم فيها شأن، وظهر ذلك جليا من خلال اهتمامهم ورعايتهم وتشجيعهم للعلماء والمفكرين، فقد كانوا يُؤثرون العلماء على سائر الطبقات ويقدمونهم في الدولة، ويجودون عليهم بالعطاء، وكذا اهتمامهم بالتعليم في جميع أطواره إضافة إلى أنهم أوجدوا لونا من التعليم الجامعي وذلك بعد إنشاء الناصر بن علاء الناس في بجاية معهد سيدي التواتي الذي كان يحتوي على ثلاثة آلاف طالب والذي كان يدرس فيه كل المواد، إضافة إلى أنهم أوجدوا ما يعرف بالاختصاص فكانوا يجتهدون في التخصص في العلوم[3].

---

(1)– عويس عبد الحليم، **دولة بني حماد**، المرجع السابق، ص 39.

(2)– ابن عذارى، **البيان**، ج1، المصدر السابق، ص 301. عن هذه الأحداث وتفاصيلها، ينظر، الهادي روجي إدريس، **الدولة الصنهاجية**، ج1، المرجع السابق.

(3)– عبد الرحمن الجيلالي: **تاريخ الجزائر العام**، ج1، المرجع السابق، ص 384.

لم يكن يتسنى لطلبة العلم الالتحاق بتلك المعاهد ن دون تكوين قاعدي كانت تضمنه العديد من المؤسسات وعلى رأسها الكتاتيب المنتشرة في كل حواضر الدولة وأريافها وأزقة مدنها وحاراتها. ونخص بالذكر منها مدينة أشير والقلعة والمسيلة وطبنة وقسنطينة وبونة وغيرها. واشتهر بعاصمة الحماديين القلعة استعمال "الشريعة" وهي خيمة كبيرة يجتمع فيها الذكور والإناث لحفظ القرآن تحت رعاية معلم، ثم يمرون لمرحلة تعلم الفقه وعلوم الحديث والتفسير والشعر الذي لن يتم إلا بعد الختم الجزئي أو الكلي للقرآن. وهو ما أكده ابن خلدون بقوله: "فأما أهل المغرب فمذهبهم في الولدان الاقتصار على تعليم القرآن لا يخلطون ذلك بسواه في شيء من مجلس تعليمهم لا من حديث ولا من فقه ولا من شعر ولا من كلام العرب حتى يحذق فيه"[1]. بعدها يتوجب على الطالب دراسة الشريعة وأصول المذهب المالكي وكان صحيح البخاري وموطأ الإمام مالك ومدونة سحنون، والمختصرات وكتاب التلقين للبغدادي هي الغالبة[2]. وبعد سن البلوغ يغادر الطلبة الكتاب نحو المعاهد أو يقصدون بيوتات العلماء المنتشرة في الحواضر العلمية كالقلعة وبجاية أو التنقل إلى غيرها من الأقطار للاستزادة من العلم أو التخصص في فن من العلوم[3].

استطاعت دولة الحماديين أن تجعل من التعليم ثقافة عامة في المجتمع، فبادر الناس إلى تعليم أبنائهم وإرسالهم إلى الكتاب والمراكز الخاصة،فانتشرت وشاعت المراكز العلمية والكتاتيب والزوايا وعمرت المساجد بالحلقات العلمية التي كانت تقدم فيها الدروس الفقهية وتعرض المسائل في شتى العلوم والفنون، فيجيب عليها العلماء والفقهاء الذين لم يقتصر دورهم على المساجد فقط، إذ بادر الكثير منهم على تحويل منازلهم وبيوتهم إلى دور للعلم فكانوا يخصصون حجرات خاصة لهذا الغرض مثل الفقيه أبي عبد الله محمد بن صمغان

(1)– ابن خلدون: **العبر**، ج3، المصدر السابق، ص 220.

(2)– الميلي: **تاريخ الجزائر**، ج2، المرجع السابق، ص 266.

(3)– الهادي روجي إدريس: **الدولة الصنهاجية**، ج2، المرجع السابق، ص 388.

القلعي[1] الذي كان يجمع طلبته من المتفوقين في حجرة تعلو سقف منزله لإكمال تعليمهم ليصبحوا بعدها بدورهم معلمين ينشرون العلوم والمعارف في كامل بلاد المغرب وخارجه[2].

يمكننا القول بأن عصر هذه الدولة كان بحق عصر العلم والعلماء وليس أدل من ذلك ما ذكره الغبريني أبو العباس في كتابه المشهور عنوان الدراية الذي ترجم فيه لأكثر من مائة وثلاثين عالما كلهم من ذوي السبق والريادة في مختلف العلوم والمعارف واستطاعوا بتحصيلهم العلمي الذي تلقوه في رحاب هذه الدولة من أن يكونوا روادا ومشائخ يعترف لهم أصحاب العلم والاختصاص بالتفوق والامتياز.

رابعاً- الكتاتيب عند المرابطين:

وليس بعيدا عن هذه الدولة كانت معالم دولة فتية ترتسم في أفق المناطق الجنوبية من المغرب الأقصى حتى مصب نهر السنغال، فهذا المجال الجغرافي سيكون قاعدة التأسيس والانطلاق والتمدد نحو الشمال لدولة جديدة، ستُعرف لاحقا بدولة المرابطين، نسبة إلى رباط أنشأه الفقيه عبد الله بن ياسين أحد تلاميذ وجاج بن زلوا اللمطي وهو من علماء المذهب المالكي في المغرب الأقصى تتلمذ وأجازه وزكاه أبو عمران الفاسي نزيل القيروان وأحد أعلام عصره في الفقه والفتوى[3]. وإذا راعينا الظروف المحيطة بنشأة هذه الدولة والأسس التي قامت عليها، فإننا سنجد أنها دولة دينية بامتياز، فالتعليم والتمكن من الفقه ومحاربة الجهل والرذيلة وإصلاح الأوضاع، كان من أسباب قيامها وظهورها[4].

عرف المرابطون منذ البداية قيمة العلم ورفعوا رايته عاليا، واستطاع عبد الله بن ياسين هذا الفقيه والعالم الكبير المتمكن من جعل رباطه مدرسة دينية تهتم بإعداد جيل جديد

---

(1)- أحمد أبو العباس الغبريني: **عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية (644- 714هـ)**، تح: عادل نويهض، منشورات دار الآفاق، بيروت، ط2، 1979م، ص 66.

(2)- أبو القاسم محمد الحفناوي: **تعريف الخلف برجال السلف**، طبع مطبعة فونتانة الشرقية، الجزائر، 1324هـ/1906م، ج2، ص 74.

(3)- ينظر ترجمته وافية له في، مجموعة من الأساتذة: **أبو عمران الفاسي (ت430هـ) حافظ المذهب المالكي**، نشر، مركز الدراسات والأبحاث وإحياء التراث، المملكة المغربية، ط1، 1431هـ/2010م.

(4)- عصمت عبد اللطيف وندش: **أضواء جديدة على المرابطين**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1991م، ص 83.

من حملة العلم على منهج الكتاب والسنة والرجوع بهم إلى تعاليم الإسلام الصحيحة التي طغت عليها وشوهتها عادات وتقاليد دخيلة لا تمت إلى الإسلام بصلة.

وكغيرها من الدول التي سبقتها بُني التعليم على القواعد نفسها، فالكتاتيب كانت هي المنبع الأول الذي تنساب منه مختلف العلوم والفنون. فلقد أجهد المرابطون أنفسهم على الأخذ بعلوم الفقه والعبادة لإصلاح الخلل الذي أصاب المجتمع القبلي في الصحراء الكبرى بغية تغيير الذهنيات، وخدمة الإسلام بما يتناسب والطبيعة الجغرافية للمنطقة دون الخروج عن النصوص الشرعية والأحكام الفقهية للمذهب المالكي مذهب الدولة[1]. لذلك سنجد أن العلوم النقلية هي التي كان لها النصيب الأوفر من الاعتناء والتفضيل، وعلى هذا المنوال سار أمراء الدولة الذين كانوا هم أنفسهم من حاملي العلم والمعرفة. ويصف المراكشي مثلا عهد يوسف بن تاشفين بقوله: "وانقطع إلى أمير المسلمين يوسف بن تاشفين من الجزيرة من كل علم فحوله حتى أشبهت حضرته حضرة بني العباس في صدر دولتهم، واجتمع له ولابنه من بعده من أعيان الكتاب وفرسان البلاغة ما لم يتفق اجتماعه في عصر من الأعصر"[2].

كما وزاد التأثير الأندلسي في إثراء المشهد العلمي في هذه الدولة واضحا، حيث أخذت بأساليب الأندلسيين في التعليم وهو ما نوه به المقري حين ذكر حرص الأندلسيين على طلب العلم وإنفاق الأموال من أجله بقوله: "فليس لأهل الأندلس مدارس تعينهم على طلب العلم، بل يقرؤون جميع العلوم في المساجد بأجرة. فهم يقرؤون ليعلموا لا ليأخذوا جاريا. فالعالم عندهم بارع لأنه يطلب ذلك العلم بباعث من نفسه يحمله على ترك الشغل الذي يستفيد منه"[3]. فنمت وازدهرت الكتاتيب التي كان يطلق عليها في عهدهم بالمحضرة أو

---

(1)– ابن أبي زرع الفاسي: **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، صور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972م، ص 137. حسن احمد محمود: **قيام دولة المرابطين**، دار الفكر العربي القاهرة، (د– ت)، ص 95. ينظر أيضا، سعدون عباس نصر الله: **دولة المرابطين**، المرجع السابق، ص 42.

(2)– ابن عذارى: **البيان**، ج1، المصدر السابق، ص ص 163– 164. ينظر أيضا، الناصري: **الاستقصا**، ج1، المرجع السابق، ص 21.

(3)– أحمد بن محمد المقري التلمساني: **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، تحقيق:إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1388هـ/1968م، ج1، ص ص 220– 221.

المسيد وكان الباب فيها مفتوحا للجنسين لولوجها وتحصيل المعارف فيها[1]. وليس أدل على ذلك أن محمد ابن تومرت مؤسس دولة الموحدين كان قد بدأ تعليمه الأول في أحد مساجد قريته، هذه الأخيرة كانت تعوض الكتاب وتقوم مقامها في تحفيظ الصبيان القرآن وتلقينهم بعض العلوم، وإعدادهم للأطوار اللاحقة. بحيث لعبت تلك المراكز العلمية دورها كاملا في تثقيف وتعليم مختلف الطبقات المكونة للمجتمع المرابطي.

ولم تغب المرأة عن المشهد العلمي، إذ اشتهرت أسماء لامعة في هذا الباب، وساهمن بقدر وفير في تعليم بنات جنسهن في بيوتاتهن مختلف العلوم خاصة فقه العبادات، وما تحتاجه المرأة لمعرفة دينها وأحكامه. وكانت الأشراف وذوات الجاه منهن يحضرن مجالس العلم والأدب كالأميرة تميمة بنت يوسف بن تاشفين المكناة أم طلحة، والأميرة زينب بنت إبراهيم بن تافلويت، والأميرة ورقاء بنت ينتان، والأميرة حواء بنت تاشفين التي كان لها مجلس أدبي يحضره كبار الأدباء والشعراء،ويجتمع فيه كبار العلماء للمحادثة والمذاكرة[2].

ويمكن القول بأن ميدان العلم ظل يمثل الجانب المشرق في هذه الدولة السنية التي خرجت من رحم دعوة دينية، فأمراءها كانوا يجلون العلماء والفقهاء وحملة العلم ولهم من المكانة والوجاهة والانتصاب للشورى في دولتهم، كلا في بلده وعلى قدره في قومه[3].

خامساً- الكتاتيب في عصر الموحدين:

ولم تطل الأمور كثيرا حتى ظهرت على مسرح الأحداث دولة أخرى قوية، أطاحت بدولة المرابطين، وسارت على نفس دربها فيما يخص التعليم وحافظوا على ما اختاروا منها من العلوم والمعارف، وشجعوا ما كان محظورا منها في العهد السابق، وبنوا الكثير من المدارس وأسسوا المعاهد، وجلبوا العلماء ودوّنوا الكتب، أنشأوا لها الخزائن حتى وصفت

---

(1)- المهدي بن محمد السعيدي: **المدارس العلمية العتيقة بالمغرب وإشعاعها العلمي والأدبي**، منشورات وزارة الأوقاف، الرباط، المملكة المغربية، 2006م، ص 26.

(2)- فاتن كوكة: **التصنيف اللغوي والأدبي في عصري المرابطين والموحدين 484هـ/670هـ**، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، جمهورية سوريا العربية، 2012م، ص 77.

(3)- عبد الله كنون، **النبوغ المغربي في الأدب العربي**، ج1، المرجع السابق، ص 101.

بدولة الفكر والعلم[1]. ولقد تميزت هاته الدولة عن غيرها بنظام تعليمي مزج ما بين اللغة العربية ورديفتها البربرية، وهو ما بادر به صاحب الدّعوة محمد بن تومرت عند رجوعه إلى مضارب قبيلته واشتغاله بالتعليم والوعظ.

لقد كانت الكتاتيب هي عماد المشروع النهضوي والتعليمي عند الموحدين، فعبد المؤمن بن علي كان نفسه من خريجي تلك المراكز التعليمية التي كانت متواجدة ومنتشرة في كل النواحي من بلاد المغرب. فقد تلقى علومه في أحد كتاب قريته تاجرا وفيها أخذ قسطا وافرا من مختلف العلوم بعد حفظه للقرآن الكريم[2]. بعدها راح مسافرا يبتغي المزيد من العلم على عادة أهل الأرياف والقرى المعزولة، وأثناء رحلته نحو المشرق التقى في قرية ملالة ببجاية المهدي محمد بن تومرت العائد من المشرق شعلة متقدة، وبحرا من العلوم حاملا صفة المهدوية، عاقدا العزم على طي صفحة المرابطين ودولتهم، فصحبه وعاد معه إلى المغرب الأقصى[3].

فضل الموحدون نظام المدارس النظامية التي عوضت الكتاب في المدن الكبرى، مثل مراكش وفاس وسبتة وغبرها. فعبد المؤمن بن علي حرص بنفسه على تخريج دفعات من الطلاب المصامدة الذين أطلق عليهم لقب الحفاظ، واعتنى بهم منذ نعومة أظافرهم وأحاطهم بعنايته ووفر لهم سبل تحصيل العلم، وجلب لهم أفضل العلماء والفقهاء وأجرى عليهم النفقات، كلا حسب مرتبته ومستواه ودرجة علمه، فالمواد التي كانت تدرس بعد حفظ القرآن وعلوم اللغة العربية هو كتاب "أعز ما يطلب" وغيرها من كتب الإمام المهدي، تتخللها فترات تدريبية على فنون القتال وركوب الخيل والرمي وتعلم السباحة وغيرها من التدريبات العسكرية، ليكتمل بذلك تكوينهم وتخريجهم كعلماء ورجال دولة لإدارة الولايات.

---

(1)– محمد المنوني: **حضارة الموحدين**، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المملكة المغربية، ط1 1989م، ص 14.

(2)– البيذق: **أخبار المهدي بن تومرت**، المصدر السابق، ص 16.

(3)–ينظر، الذهبي: **السيَر**، المصدر السابق، ج20، ص ص 367– 368. الناصري: **الإستقصا** ج1، المرجع السابق، ص 73.

لقد قطعت دولة الموحدين شوطا كبيرا في مجال العلم والتعليم ولم تفقها أية دولة أخرى في هذا المجال[1]، فهي صاحبة المدارس النظامية التي تخرج منها مئات الآلاف من حملة العلم، ولم يقتصر الأمر على الجانب الديني، بل أنشئت مدارس بحرية لتخريج الملاحين لقيادة السفن، وكان يؤمها الطلبة من مختلف أنحاء بلاد المغرب، كما كان للطب مراكزه الخاصة التي سخر لها أفضل المشتغلين بهذه المهنة، وأوكل لهم تدريس هذه المادة، وبعد الانتهاء من الدراسة يوجه المتخرجين إلى البيرسمانات للعمل. وتنافس الخلفاء والأمراء في إنشاء المدارس وجعلوها على النسق الجاري بالمشرق الإسلامي وزادوا عليها بإضافة المراقد للطلبة الغرباء كما حبسوا لهم قطعا أرضية لدفن من يتوفى من الطلبة[2].

هذه إذن بعض ملامح الحياة العلمية في دولة الموحدين سقنا بعضا من نواحيها ولم نخض فيها بالتفصيل لتشعب الموضوع وتفرعه على الكثير من الجوانب، واقتصرنا على ذكر أهم المحاور التي مكنتنا من معرفة ولو النزر القليل عن المناهج الدراسية وطرق التعليم المتبعة فيها، وما كان يبديه أصحاب الدولة من رعاية وعناية للجانب العلمي الذي بفضله تمكنوا من بناء صرح إمبراطورية كبيرة شملت كل بلاد المغرب والأندلس، وأثرت في المشهد الحضاري ببروز الكثير من العلماء والمبدعين في شتى المجالات. وساعدت النخبة الأندلسية من جهتها في تنويع النشاط العلمي ودعم الحركة العلمية، فظهرت أسماء لامعة استأثرت باهتمام الخلفاء الموحدين الذين كانوا هم أنفسهم فقهاء علماء، وتم انتدابهم كمؤدبين لأبنائهم يلقنونهم العلوم والمعارف، من أمثال أبا العباس أحمد بن عبد الجليل التدميري (ت 555هـ)، وأبا العباس أحمد بن حسن بن سيد الجراوي المالقي (ت560هـ) وأبا محمد عبد الله بن أحمد بن محمد اللخمي الإشبيلي (ت599هـ) وأبا الحسن علي بن محمد بن يوسف الفهري اليابري الضرير (ت617هـ).

---

(1)– صالح بن قربة: **عبد المؤمن بن علي مؤسس دولة الموحدين**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ص47 وما بعدها.

(2)– محمد المنوني، **المرجع السابق**، ص 17 وما بعدها.

سادساً- الكتاتيب عند الزيانيين:

خلفت دولة الزيانيين في المغرب الأوسط دولة الموحدين، ومعها بدأت بوادر نهضة حضارية متجددة تحت راية ملوك من بربر زناتة الذين أولوا للعلم والعلماء أهمية كبيرة وراحوا يغدقون عليهم الأموال ويجزلون لهم الصلات، ويبنون المدارس والمساجد والزوايا كل ذلك في سبيل العلم وتعليم الناشئة. وقد صف الحسن الوزان مدارس تلمسان أثناء حلوله بها بالقول: "كانت حسنة، جيدة البناء مزدانة بالفسيفساء وغيرها من الأعمال الفنية شيِّد بعضها ملوك تلمسان وبعضها ملوك فاس"[1]، وانتشرت العديد منها في تلمسان وبلغ عددها خمسة مدارس[2]، أما مناهج التدريس فإن المرور على الكتاب هو المرحلة الأولى التي تصقل فيها المعارف من حفظ القرآن، وتلقين التلاميذ حروف اللغة العربية وتعليمهم الكتابة على الألواح المخصصة لذلك، ويشرف عليهم معلمون أكفاء أو شيوخ حفاظ[3].

أما المرحلة الثانية، فهي مخصصة لدراسة العلوم النقلية وإتقانها من فقه ولغة ونحو وأدب مع دروس في الحساب وعلم الفلك والتاريخ، ثم يكون التخصص للمتفوقين في العلوم تحت إشراف علماء وفقهاء الدولة الذين كانوا يرافقونهم لغاية تخرجهم، فكان هؤلاء يخلفون خلفا كثيرا ينتحلون العلم كبيرا وصغيرا، بلغ كثير منهم مقام التدريس والعلم والفتيا في النوازل نجابة درس[4]. وعرف عن تلك المدارس أنها حوت على مكتبات زاخرة بأنواع الكتب التي تفي الطالب وتلبي له احتياجاته العلمية في كل أنواع العلوم، واشتهر منها مكتبة الجامع الكبير

---

(1)- حسن الوزان: **وصف إفريقيا**، المصدر السابق، ص 19.

(2)- ابن الأحمر: **تاريخ الدولة الزيانية**، المصدر السابق ، ص 48.

(3)- محمد بن رمضان شاوش: **باقة السوسان في التعريف بحضارة تلمسان عاصمة دولة بني زيان**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1991م، ص ص 40- 47.

(4)- يحي بن خلدون: **بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد**، تح: عبد الحميد حاجيات، المكتبة الوطنية الجزائرية، 1400هـ/1980م، ج1، ص 130.

التي أنشأها أبو حمو موسى الثاني، كما عرفت مكتبة مدرسة أولاد الإمام التي ضمت أمهات الكتب والتواليف للعديد من علماء الأمة وفقهائها[1].

وساهمت المساجد هي أيضا في هذه الحركية العلمية، فلم تكن أماكن للعبادة فقط، فقد كان جلة من العلماء يلقون فيها دروسهم، كما كان يتطوع فيها الكثير من الفقهاء لتعليم أبناء الفقراء المعوزين فقه العبادات وبعض الدروس في اللغة والنحو احتسابا للأجر. وقد بلغ عدد مساجد تلمسان حوالي 60 مسجدا متوزعة على أحيائها وأزقتها، اشتهر منها المسجد الأعظم الذي قام بتأسيسه يوسف بن تاشفين المرابطي سنة (473هـ) وزاد في توسعته السلطان يغمراسن الزياني، وكان يعتبر صرحا علميا رائدا وجامعة إسلامية نظرا للعدد الكبير من العلماء والفقهاء الذين كانوا يتصدون فيه للتدريس والإقراء، ويجلس فيه سلاطين الدولة، ومنه تخرجت قوافل من العلماء والفقهاء. وهذا المسجد هو الذي كان يصنع فخر الدولة الزيانية، وكان الأمر سيان في المساجد الأخرى، كمسجد سيدي الحلوي ومسجد سيدي إبراهيم المصمودي وغيرها[2].

عرفت تلمسان بدورها الريادي في المغرب الإسلامي بفضل سلاطينها الذين خدموا العلم والمعرفة بإخلاص وتفاني، ومنشآتهم لا تزال تروي قصة حاضرة تلمسان للأجيال أما علمائها وفقهائها فهم مضرب الأمثال في التفوق والنبوغ وشهرتهم لا تضاهيها شهرة.

3) طبيعة التأليف في العلوم النقلية خلال هذه الفترة.

أسهم العنصر العربي أو ما كان يطلق عليه بالعرب البلديين[3] في وضع اللبنة الأولى لنشاط علمي سيكون مركزه مدينة القيروان التي تخرج منها الرعيل الأول من العلماء ذوي

---

(1)– محمد بوشقيف: **تطور العلوم بالمغرب الأوسط خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين**، أطروحة دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، السنة الجامعية 2010– 2011، ص 69.

(2)– عبد الرحمن الجيلالي: **تاريخ الجزائر العام**، ج2، ص 252.

(3)– وهم من الجند العربي الذي دخل إفريقية مع مطلع الفتوحات الإسلامية وكان معظمهم من اليمنية واستقروا في نواحي متفرقة من المغرب الإسلامي، ولحقت بهم بعدها جماعات من العنصر العربي لاحقا كمهاجرين ومستوطنين. وعرفوا بتسمية البلديين أي عرب إفريقية وكان يمثلهم عبد الرحمن بن حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع الفهري. ينظر، الرقيق القيرواني: **تاريخ إفريقية والمغرب**، تح: محمد زينهم محمد عزب، دار الفرجاني للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1414هـ/1994م، ص 20.

الانتماء أو المولد الإفريقي، ونذكر منهم، أبي كريب المعافري، وعبد الله بن عبد الحكم البلوي، وأبي خالد عبد الرحمن بن زياد بن أنعم المعافري، وأبي محمد خالد بن عمران التجيبي، وسعيد بن لبيد المعافري، وأبي يحي زكريا بن سلام وغيرهم[1]. وقد امتلأت كتب الطبقات والتراجم بأسمائهم،كطبقات علماء إفريقية لأبي العرب تميم وكتاب رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية لأبي بكر عبد الله بن محمد المالكي، وكتاب معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان لأبي زيد عبد الرحمن الأنصاري الأسيدي الدباغ، وتراجم أغلبية للقاضي أبي الفضل عياض بن موسى اليحصبي مع كتابه الأخر الذي لا يقل عنه شهرة، وهو ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، وتاريخ شعراء الأندلس لعبد الله بن نصر الأزدي المعروف إبن الفرضي، وابن فرحون وكتابه الديباج المذهب، وطبقات المالكية للخشني...الخ. وهي كلها مصنفات اعتبرت مصادر أولية موثوقة في التراجم، تصف لنا واقع الحياة العلمية والثقافية في عهودها الأولى التي تلت الفتح ومنها ستنطلق شرارة التعليم والتدوين والتأليف في هذه المنطقة من العالم الإسلامي وهكذا تبوأت القيروان مكانة هامة في خريطة الغرب الإسلامي لأنها ستكون قاعدة ومصدر الإنتاج العلمي والفكري والأدبي[2].

أ- المشهد الفكري عند الأغالبة.

ويمكننا القول بأن تولي أسرة الأغالبة[3] لشؤون ولاية إفريقية وتأسيسهم لدولتهم الفتية أدخلت إفريقية وجزءا كبيرا من المغرب الأوسط في مرحلة جديدة من الأمن والاستقرار

---

(1)- الرقيق القيرواني، **تاريخ إفريقية والمغرب**، ص 24.

(2)- ينظر، أبي عبد الله محمد بن إدريس الحمودي الحسني المعروف بالشريف الإدريسي: **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، (د- ت)، ج1، ص 284.

(3)- مؤسس دولة الأغالبة هو إبراهيم بن الأغلب بن سالم بن خفاجة التميمي، كان والده من جند مصر دخل إفريقية في قوات محمد بن الأشعث 144هـ- 761م، وسرعان ما أظهر براعة ومقدرة في ترتيب شؤون لإفريقية بعدما داهمتها فتن الخوارج وثورات البربر المتحالفين معهم. ينظر، ابن الأثير عز الدين أبو الحسن علي بن محمد الشيباني (ت 630هـ /1233م): **الكامل في التاريخ**، مر وتح: محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1407هـ/ 1987م، ص ص 66- 67. القيرواني: **تاريخ إفريقية والمغرب**، المصدر السابق، ص 27.

والبناء تحت الوصاية الاسمية للخلافة العباسية في بغداد[1]. ورافقها بطبيعة الحال ازدهارا علميا ونشاطا فكريا قاده أئمة المذهب المالكي من معقلهم في القيروان، وعلى أيديهم تتلمذ ألوف من طلبة العلم الوافدين من مختلف مناطق المغرب الإسلامي والأندلس، وتشير المصادر التاريخية إلى مقدم الكثير من العلماء من المشرق حطوا بها الرحال واشتغلوا فيها بالتدريس والتعليم. وكانت لأسماء لامعة في المذهب أدوارا لا يستهان بها في إرساء أرضية التأليف والكتابة والتي ستصبح علامة مميزة في كافة الغرب الإسلامي، وسيكون الإمام عبد السلام بن سعيد المشهور بسحنون[2]، أحد كبار فقهاء إفريقيا ومن بعده ابنه محمد إلى جانب كل من محمد أبي زيد القيرواني الذي كان يلقب بمالك الصغير[3]، دور في وضع اللبنة الأولى للتدوين الفقهي ومن بعده للعلوم الأخرى لأنهم كانوا من بين أكثر الفقهاء والعلماء الذين أفنوا حياتهم في التعليم والتأليف والوعظ[4].

(1)– محمود إسماعيل، **الأغالبة، 184هـ– 296هـ، سياستهم الخارجية**، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ط3، 2000م، مصر، ص 37.

(2)– هو عبد السلام بن سعيد بم حبيب التنوخي الملقب بسحنون، وسمى سحنون باسم طائر حديد لحدته في المسائل. فقيه المغرب وقاضي القيروان وصاحب المدونة، سمع من سفيان بن عيينه والوليد بن مسلم وعبد الله بن وهب ووكيع بن الجراح. إليه انتهت رئاسة العلم، وعلى يديه تخرج الآلاف من طلبة العلم الذين أصبحوا من حملة العلم وتفرقوا في جميع أنحاء بلاد المغرب يعلمون الناس أمور دينهم. قال عنه أبو علي البصري: سحنون فقيه أهل زمانه، وشيخ عصره، وعالم وقته. وقال عنه محمد بن عبد الله بن عبد الحكم لما تصفح المدونة: "هذا كتاب رجل سبح في العلم تسبيحا". ينظر، إبراهيم بن علي بن محمد، ابن فرحون: **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**، تح: محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث للطبع والنشر، القاهرة، (د– ت)، ج2، ص171.

(3)– هو عبد الله أبو محمد بن عبد الرحمن أبي زيد القيرواني، ولد بالقيروان سنة (310هـ) عُد من أعلام المذهب المالكي. لُقِّب بـ "مالك الأصغر"، كان إمام المالكية في وقته، اشتهر بمصنفه "الرسالة" (ت 386هـ). ينظر، إبن فرحون: **الديباج المذهب**، ج1، ص ص427– 430.

(4)– عبد الواحد المراكشي: **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، تقديم وتحقيق وتعليق: محمد زينهم محمد عزب، دار الفرجاني للنشر والتوزيع، القاهرة، 1994م، ص 288. ينظر، محمد زينهم محمد عزب: **الإمام سحنون**، تقديم: حسين مؤنس، دار الفرجاني، القاهرة– طرابلس– لندن، 1992م، مصر، ص 7.

إن التركيز على فترة الأغالبة تطلبها طبيعة الموضوع، لأنه كان العصر الذهبي للنهضة العلمية والفكرية التي امتد إشعاعها إلى مختلف المناطق في الغرب الإسلامي الأندلس[1] ناهيك عن أوروبا التي ستجد نفسها مرغمة على التعامل مع الوافد الجديد عليها (الحضارة الإسلامية) عن طريق ممرين رئيسيين. الأندلس وصقلية التي فتحها الأغالبة على يد أحد أشهر العلماء في تلك الفترة وهو أسد بن الفرات وفيها كان استشهاده[2]. كما لا ينبغي لنا إغفال الحديث عن انتعاش الحركة الثقافية في عهدهم نتيجة التواجد المكثف للعديد من الفرق والمذاهب والتيارات الفكرية مما خلق جوا من التنافس الحاد بينهما فازداد الاهتمام بتحصيل مختلف العلوم وتلقينها والتصنيف فيها[3]. دون نسيان الدور الكبير الذي لعبه الأمراء الأغالبة في هذا الصدد بحرصهم على تنشيط الحياة الفكرية لأنهم وببساطة كانوا من حملة العلم ورواده. يخشون سلطان الدين ويعرفون للعلماء قدرهم وحرمتهم[4]، وحتى المناصب الهامة في الدولة كانت تسند في كثير من الأحيان إلى أشخاص من ذوي العلم والأدب مثل عبد الله بن الصائغ وزير زيادة الله الثالث الذي كان من مشاهير علماء بيت الحكمة[5]. وقبله مؤسس الدولة إبراهيم الذي كان عالما شاعرا وأديبا مفوها، وصفه ابن عذارى بقوله: "وكان

---

(1)– رابح بونار: **المغرب العربي تاريخه وثقافته**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1968م، الجزائر، ص69.

(2)– هو أبو عبد الله أسد بن الفرات بن سنان (144هـ– 213هـ)، تلميذ مالك بن أنس وعليه أخذ العلم، كما رحل إلى العراق وصاحب الإمام أبي حنيفة وحضر دروسه وتفقه في مذهبه فكان أول من جمع بين مذهبين. قدم القيروان سنة (181هـ) وجعلها مستقره وجلس فيها للتدريس و الإفتاء. من أبرز تلاميذه سحنون بن سعيد ومعمر بن منصور. كانت وفاته سنة (213هـ). بصقلية مجاهدا بها.

(3)– حفيظ كعوان: **أثر فقهاء المالكية الاجتماعي والثقافي بإفريقية من (ق2– 5هـ/8 – 11م)**، مذكرة ماجستير، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة العقيد الحاج لخضر، السنة الجامعية (1429–1430هـ/2008– 2009م)، ص 73.

(4)– فاطمة عبد القادر رضوان: **مدينة القيروان في عهد الأغالبة**، المرجع السابق، ص 180.

(5)– عبد الرحمن حسب الله الحاج أحمد، **بنو الأغلب: إدارتهم ودورهم الحضاري في إفريقيا**، مجلة دراسات إفريقية، تونس، العدد20، 1419هـ/1999م، ص ص 155– 156.

إبراهيم بن الأغلب فقيها، أديبا، شاعرا، خطيبا"[1]. أخذ العلم عن أحد أشهر علماء الديار المصرية الليث بن سعد الذي تنبأ له بمستقبل زاهر فقال في شأنه: "ليكونن لهذا الفتى شأن"[2]. كما أرادوا أن يحاكوا ويتشبهوا بالخلفاء العباسيين في ميدان العلوم والحكمة، فكان لهم بيت الحكمة الذي عد كمؤسسة جامعية أمها طلبة العلم من كل أنحاء العالم الإسلامي رغبة في التحصيل والجلوس عند طائفة كبيرة من العلماء والفقهاء والمشايخ الذين كانوا يجلسون للتدريس في المساجد ومثلها من المراكز العلمية بتكليف من الأمراء الأغالبة.

عدت مدًونة سحنون أو "المالكية" نسبة إلى الإمام المالك أو "المدًونة الكبرى" كما درج على تسميتها، عمدة التدوين الفقهي في بلاد المغرب الإسلامي، وكان صاحبها من فقهاء الطبقة الثانية الذين لعبوا دورا كبيرا في تثبيت المذهب المالكي في إفريقية، والمدًونة عبارة عن مجموعة من الأسئلة والأجوبة على مسائل فقهية وردت عن الإمام مالك، **جمعها** ورتبها وصنفها الإمام سحنون منقولة عن عبد الرحمن بن القاسم العتقي[3]، فنسبت إلى الإمام سحنون وأصبحت أحد أعمدة المذهب المالكي في الغرب الإسلامي. وهي في الحقيقة تصحيحا وتنقيحا للأسدية لصاحبها أسد بن الفرات. ثم تلتها رسالة أبي زيد القيرواني الملقبة "بباكورة السعد وزبدة الذهب" التي قال عنها القاضي عياض بأنها من الكتب المعول عليها

---

(1)– ابن عذارى، **البيان،** ج1، المصدر السابق، ص 92. ينظر أيضا القيرواني، **تاريخ إفريقية،** المصدر السابق، ص127.

(2)– هو اللَّيث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمي، الإمام الحافظ شيخ الإسلام، وعالم الديار المصرية. يكنى بأبي الحارث ولد يوم الخميس لأربع عشرة من شعبان سنة أربعٍ وتسعين للهجرة بقلقشندة، بمصر عرف عنه الصلاح والتقوى وحدة الذكاء. حاز على تقدير الإمام مالك وأثنى عليه جمع من الفقهاء والعلماء مثل الشافعي وأحمد بن حنبل وعلي بن المديني شيخ الإمام البخاري وغيرهم. توفي سنة (175هـ). ينظر ترجمته، محمد بن إسماعيل البخاري، **التاريخ الكبير،** مج 7، ص 246، **تاريخ بغداد** للخطيب البغدادي، مج 14، ص 524، **الطبقات الكبرى لابن سعد،** ج 7، ص 517، **سير أعلام النبلاء للذهبي،** مج8، ص 136. ابن عذارى، **البيان،** ج1، المصدر نفسه، نفس الصفحة.

(3)– من علماء مصر ومفتيها، روى عن الإمام مالك، كان ذا مال ودنيا، توفي سنة (191هـ)، ينظر الذهبي، **السيًر**، ج9، المصدر السابق، ص ص 121– 122.

بالمغرب في التفقه[1]. فهذين المؤلَّفين كانا من أمهات كتب المالكية المتداولة بين طلبة العلم في بلاد المغرب، فأصبحت بذلك مدينة القيروان مركز دينيا إسلاميا يعتد بمشايخه وفتاواهم، وهمزة وصل بين حضارة المشرق الإسلامي والأندلس وغدت صورة مصغرة لعاصمة الخلافة بغداد[2].

أولاً- طبيعة التأليف عند الرستميين.

وإذا كان للأغالبة دورهم في وضع الأرضية الأولى لقاعدة التأليف والتدوين تحت راية المذهب المالكي، فإن حدود هذه الدولة في الزاب[3]، سيكون لها جوار جديد تحت راية دولة ناشئة تختلف عنها في المذهب وهي الدولة الرستمية التي ستتبع المذهب الإباضي جاعلة من عاصمتها تيهرت حاضرة علمية تضاهي في نبوغ علماءها وكثرة مؤلفاتهم مدينة القيروان وغيرها من المدن المرموقة في ميدان العلوم الشأن لأنهم كانوا في ارتباط وثيق مع مدينة البصرة مهد المذهب الإباضي، ومعقل النشاط الدعوي فيه، كما دفعت الكثير من الأسباب والعوامل إباضية المشرق على توجيه أنظارهم إلى المغرب الأوسط بعدما تجسدت أحلامهم وتحققت أمانيهم في رؤية دولة قائمة على أسس مذهبهم الذي طالته يد الخلافة العباسية بالملاحقة والاضطهاد، لدرجة أنهم باتوا يرون في إمامة عبد الرحمن بن رستم فرضا عليهم،

---

(1)- القاضي عياض: **ترتيب المدارك**، المصدر السابق ، ج6، ص ص 215- 222.

(2)- ينظر،أحمد أمين: **ضحى الإسلام**، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2012 م، مصر، ص 448. وفيها يشير إلى مكانة مدرسة القيروان التي كان فقهائها يدلون بآرائهم في قضايا المسلمين. ينظر أيضا، محمود إسماعيل، **الأغالبة**، المرجع السابق، ص 40.

(3)- هي تسمية تشمل سهول الحضنة ومدنها الواقعة على السفوح الجنوبية لجبال الأطلس الصحراوي وقاعدة هذا الإقليم هي مدينة بسكرة التي لها ثلاثة مناطق متميزة، وهي على التوالي: الزاب الضهراوي والزاب الغربي وأخيرا الزاب الشرقي. وقد وافق ابن خلدون الكثير من الرحالة والجغرافيين على هذا التعريف من كون بسكرة هي عاصمة المنطقة عند سرده للأحداث التاريخية التي وقعت في هذا الإقليم. ينظر، ابن خلدون، **العبر**، مج6. وينظر أيضا، الإدريسي، **نزهة المشتاق**، المصدر السابق، ص264 وما بعدها، وفيها تفصيل لأهم المدن المكونة لإقليم الزاب.

وكاتبوه على ذلك حتى أضحت أن عاصمتهم تاهرت حرزا وحصنا لأهل الدعوة من مشارق الأرض ومغاربها وباتت تسمى بالمعسكر المبارك[1].

انفردت الدولة الرستمية في جانبها العلمي عن بقية الكيانات السياسية القائمة بالاعتماد على أصول المذهب الإباضي في تدبير شؤون الدولة والرعية. ولا تفوتنا الإشارة في هذا المقام إلى أن هذا التيار الفكري، يعتبر من بين أقدم المذاهب التي ظهرت على واجهة الحياة المذهبية الإسلامية في بداية القرن الأول الهجري[2]. وقد ظل أئمة الدولة في اتصال دائم ومتواصل مع إخوانهم في المشرق. وأفردت الكثير من المصادر التاريخية لأعيان الإباضية من كتب التراجم والمناقب تفاصيل وافية حول عمق العلاقة التي ظلت قائمة بين إباضيي المشرق والمغرب، بدءا بحملة العلم الخمسة الذين تلقوا تعليمهم في البصرة ومنها كانت عودتهم إلى بلاد المغرب لنشر ما تلقوه من علوم ومبادئ في أصول المذهب لتبصير أهله بفقهه وشرح عقائده وآراءه[3].

اشتهرت الدولة الرستمية بحلقات العلم التي كانت تعقد في المساجد أو الباحات، أو الساحات المعدة لذلك، بتدريس العلوم الدينية كالأصول والفروع والسيَّر والتوحيد والشريعة إلى جانب علوم اللغة والفلك والرياضيات[4]. وكان هذا المناخ العلمي السائد يتم تحت رعاية الأئمة الرستميين أنفسهم المتعاقبين على شؤون الدولة، فهم بدورهم كانوا من العلماء ورؤوس المذهب[5]. كما ساهم نفر غير قليل من فقهاء وعلماء المذهب في المشرق في هذه الحركية

(1)– الدرجيني، أبو العباس أحمد بن سعيد: **طبقات المشايخ**، (د– ت)، (د– ط)، ص 25.

(2)– بكير سعيد أعوشت: **دراسات إسلامية في الأصول الإباضية**، دار التضامن للطباعة، ط3، 1408هـ/ 1988م، القاهرة، مصر، ص 15.

(3)– أبو زكريا يحي بن أبي بكر، **سيَّر الأئمة وأخبارهم**، تح: عبد الرحمن أيوب، الدار التونسية تونس، 1985م، ص 58.

(4)– محمود إسماعيل عبد الرزاق: **الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري**، دار الثقافة، الدار البيضاء، المملكة المغربية، ط2، 1406هـ/1985م، ص 292. ينظر، محمد عيسى الحريري: **الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي**، المرجع السابق، ص 236.

(5)– محمد علي دبوز: **تاريخ المغرب الكبير**، دار إحياء الكتب العربية، 1963م، ج3، ص 372.

العلمية فكانوا في جيئة ورواح، بحيث لم تزل رسلهم تختلف وتطلع الأخبار عن الأحوال[1]، فكانوا خير سند وعون في تثبيت معالم وأسس المذهب في تيهرت وتدريسه وتعليمه للجموع الغفيرة من الأتباع والطلبة الوافدين من كل أنحاء المغرب الإسلامي الذين كانوا يتدافعون إلى مركز الدولة ينهلون من العلوم والمعارف التي وفرها الأئمة في دولتهم فنافست تيهرت قرطبة ودمشق وبغداد كحاضرة علمية ومركز إشعاع حضاري في الغرب الإسلامي، لأنها كانت تعرف نشاطا علميا زاخرا حتى وصفت بأنها عروس الأقطار وفخر تلك الديار، واستحقت بجدارة لقب بلخ المغرب[2].

تجلت معالم التفوق العلمي لهذه الحاضرة العلمية في وجود الكثير من المؤلفات الفقهية الخاصة بالمذهب وعقائده. وكانت هذه الذخائر إذ تم جلب الكثير منها من البصرة بفضل دعم شيوخ إباضية المشرق لهذه الدولة الفتية، والدليل على ذلك تلك الحمولات من الكتب المؤلفة أو المستنسخة التي تدعمت بها مكتبتهم المشهورة "بالمعصومة" ونظيرتها في جبل نفوسة التي عرفت بتسمية "خزانة نفوسة"[3]، وكذا بعض المكتبات الخاصة مثل مكتبة عبد الله بن القاسم بن مسرور المشهور بابن الحجام (273–346هـ/886–957م) اعتبرت المعصومة بحق خزانة كبيرة جمعت فيها الآلاف من المؤلفات والمخطوطات والكتب المتعلقة

---

(1)– ابن الصغير: **أخبار الأئمة الرستميين**، المصدر السابق، ص 35.

(2)– عبد الله الباروني النفوسي: **الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية**، مطبعة الأزهار البارونية، (د– ت)، ص 8.

(3)– يذكر المؤرخون أن مكتبة المعصومة تكونت نواتها الأولى في عهد الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمان، وقد تفردت بجمعها لأمهات الكتب الإباضية ومصنفاتهم مثل: ديوان تيهرت المفقود، إلا أنها تعرضت للنهب والحرق بيد الفاطميين. أما خزانة نفوسة فإنها تأسست بمدينة شروس وكانت تضم هي أيضا الآلاف من الكتب الخاصة بالمذهب ومختلف العلوم. كما أن أقدم كتاب ألف بالأمازيغية في الدين هو كتاب مهدي النفوسي، أحد مشايخ نفوسة، في بداية القرن (3هـ) للرد على نفاث بن نصر الذي طعن في سلوك الإمام أفلح بن عبد الوهاب. كما وردت إشارات لوجود العديد من المؤلفات بالبربرية وإن شابها بعض الخلل في النقل من العربية إلى البربرية ينظر، أبو القاسم ابن إبراهيم البرادي، **الجواهر المنتقاة**، (د– ت)، (د– ط)، ص 11.

بالمذهب وأحكامه، وكل ما دون باللغة العربية أو البربرية خاصة في الفقه والتفسير والتاريخ، وكان الأئمة من المشاركين في التأليف.

فالإمام عبد الرحمن كان قد ألف كتابا في التفسير، وآخر جمع فيه خطبه، وله فتاوى مشهورة في كتب الفقه الإباضي[1]. أما ابنه عبد الوهاب فسار على خطى والده وكان يعد من العلماء المتمكنين في المذهب وأحكامه، وهو ما يبرزه كتابه "مسائل نفوسة الجبل" الذي صنع له شهرة واسعة وسط أتباع المذهب، خاصة في جبل نفوسة المعقل الرئيسي للمذهب في الغرب الإسلامي. وسيبقى هذا الكتاب هو المرجع الأساسي التي يعود إليها الإباضية لاستخلاص أحكامهم وتسيير شؤونهم لعدة قرون لاحقة. ولا يفوتنا التذكير بتلك الرسائل الواردة من مشايخ المذهب في كل من البصرة وعمان[2] التي كانت تحمل في طياتها أجوبة على الكثير من المسائل التي كانت يشكل حلها عند الأئمة في تاهرت، أو أثارت خلافات بين أبناء الطائفة[3].

وتذكر المصادر الإباضية أن الإمام عبد الوهاب مكث سبعة سنوات في جبل نفوسة يلقن فيها القبائل البربرية أمور الدين والصلاة، وشغل فيها نفسه بالتدريس والتأليف نزولا عند رغبة أصحابها نظرا لما كانت تحظى به هذه الجهة من أهمية خاصة عند إباضيي المشرق والمغرب، زيادة على تأثيرها الروحي والسياسي، وهو ما تفسره مدة بقاء الإمام فيها[4]. أما

---

(1)– عصام الدين عبد الرؤوف الفقي: **تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس**، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، مصر، 2000م، ص 157. الحريري: **الدولة الرستمية**، المرجع السابق، ص 237.

(2)– عُمان: ورسميا سلطنة عمان دولة تقع في غرب آسيا وتشكل المرتبة الثالثة من حيث المساحة في شبه الجزيرة العربية، عُرفت عمان قديما بأكثر من اسم، أبرزها مجان ومزون المشتقة من المزن لكثرة الأمطار، وقيل إنها سميت بعُمان نسبة إلى عُمان بن إبراهيم الخليل عليه السلام.

(3)– سعيد بن محمد الهاشمي، **قراءة في سيرة الإمام محمد بن محبوب إلى أهل المغرب**، أعمال ندوة تطور العلوم الفقهية، التدوين الفقهي، الإمام محمد بن محبوب نموذجا، ط4، 1433هـ/2012م، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، سلطنة عمان، ص 98. الباروني، **الأزهار**، المرجع السابق، ص 173.

(4)– ولمزيد من التفاصيل حول العلاقة المتينة التي كانت تربط جبل نفوسة بالدولة الرستمية، ينظر: **الأزهار الرياضية لسليمان الباروني**، المرجع السابق، ص ص 118– 182.

ثالث الأئمة أفلح بن عبد الوهاب[1]. فإنه تمكن من الجمع بين العديد من العلوم واعتبر عهده بأنه أرقى عصور الدولة ثقافة وفكرا. فقبل أن يتولى الإمامة كانت تعقد بين يديه ثلاثة حلق. في علوم الفقه والكلام واللغة العربية. وهو ما يبين سعة علمه وتبحره في الكثير منها، ولا يستبعد أن يكون قد خاض في مجال التأليف والكتابة ولم تصلنا آثاره أو أنها ضاعت في حريق المكتبة، وذكر الباروني أنه خاض في التأليف وله رسائل وأجوبة وحكم ومواعظ[2].

سنكتفي بهذا القدر من الكلام عن طبيعة التأليف في هذه الدولة بالاقتصار على جهود الأئمة السالف ذكرهم وبعض مصنفاتهم التي أشرنا إليها من قبل، لنتعرض بإيجاز لبعض المؤلفات لعلماء ومشايخ إباضيين ساهموا هم بدورهم في مجال الكتابة والتأليف وخلفوا آثارا علمية لا تزال متداولة عند الإباضيين خاصة في جبل نفوسة وسلطنة عمان. ضف إلى ذلك أن التواصل الثقافي والعلمي بين مراكز الإباضيين في العالم الإسلامي ساهم في إنقاذ الكثير من المؤلفات من الضياع لأن مثيلاتها المستنسخة بقيت محفوظة في الخزائن الخاصة في أماكن تواجد الإباضيين ولا يزال أغلبها عبارة عن مخطوطات لم تحقق بعد. كما أن بعض تلك المصنفات المفقودة في المشرق كانت موجودة في المغرب مثل مؤلف محمد بن محبوب في الفقه الذي كانت متداولا في المغرب الإسلامي رغم أن صاحبه ألفه في عمان، وكتاب الربيع بن حبيب المعروف بـ "المسند" وكذا كتاب حفظ أبي صفرة عبد الملك بن صفرة المعروف بكتاب "ضمام"، وكتاب "الدعائم" لأحمد بن النظر، ومدًونة أبو غانم وكتاب "التقييد" لابن بركة إلى غيرها من التصانيف[3].

---

(1)– هو أبو سعيد أفلح بن عبد الوهّاب بن عبد الرحمن بن رستم ثالث أئمة الرستميين، بويع له بالإمامة سنة (190هـ) يوم وفاة أبيه. كان أفلح بن عبد الوهّاب عالما فقيها، وجمع بين الأدب والشعر والنظم. اعتبر عهده أرقى عصور الدولة ثقافة وفكرا، ومن أهم آثاره قصيدة مشهورة في فضل العلم والعلماء ينظر: **موسوعة الشعر الجزائري**، مجموعة أساتذة من جامعة منتوري، دار الهدى، الجزائر 2002م، ج1، ص 645.

(2)– الباروني، **الأزهار**، المرجع نفسه، ص 187.

(3)– البرادي: **الجواهر**، المصدر السابق، ص 218. ينظر أيضا،سعيد بن محمد الهاشمي، المرجع السابق، ص ص،98– 98.

قد عدد البرادي في كتابه المشهور "الجواهر المنتقاة" مجموعة كبيرة من فحول العلماء والفقهاء الذين ذاع صيتهم عند الإباضية، منهم محمود بن بكر الذي كان يناظر الواصلية ويرد عليهم بالحجة والبيان، وصفه قائلا: "أنه كان مدارهم الذي يذب عن بيضتهم ويدافع عن مذهبهم ويرد على الفرق في مقالاتهم، ويؤلف الكتب في الرد على مخالفيهم"[1]. كما برز اسم عبد الله بن اللمطي أيضا في مجال التدوين والكتابة والرد على المخالفين، وهو ما يبين حجم الزخم العلمي وكثرة المناظرات العلمية التي كانت تعج بها مدن وحواضر الدولة الرستمية مما انعكس بالإيجاب على حركة التأليف والكتابة التي عملت للرَّد على المعارضين والمخالفين.

أما الباروني وفي كتابه الأزهار الرياضية، فإنه يطلعنا كيف كان جبل نفوسة يشارك ببعثاته المتلاحقة المكونة من خيرة علماء المذهب للذود عن المذهب ونصرته في وجه المنتقدين وأصحاب النحل الأخرى، وساق لنا حادثة المناظرة الكبيرة التي حدثت بين الإمام أفلح والمعتزلة الذين كانوا متفوقين في علم الكلام والجدل، ويعرف عنهم حسن البيان والبلاغة وأسلوب الإقناع لتحكمهم في اللغة العربية والنحو. فأراد الإمام أن يواجههم بمن هم مثلهم فأتاه المدد "بمائة من المتبحرين في علم التفسير، ومائة من علماء الكلام الواقفين على نزغات الفرق، العارفين بطرق الرد على المخالفين ونقض مقالاتهم ومائة من العلماء المتضلعين في مسائل الحرام والحلال"[2].

ويعتبر كتاب العمروسي لمؤلفه عمروس بن فتح النفوسي الإباضي المعروف عند الإباضية "الدينونة الصافية" من بين أهم المصنفات الفقهية عند الإباضية إذ تضمن دقيق مسائل العبادات وواضح قضايا الأحكام، ورد ذكره في كتاب "الدليل والبرهان" لأحد أشهر أعلام الإباضية وشيوخهم، أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم السدراتي الورجلاني وعُدّ صاحب الدينونة من بين الأئمة العشرة المتفوقين والمشهود لهم بالريادة وعلو المقام عند مشايخ المذهب الذين نقل عنهم مسائل عقدية تعتبر قواعد في علم العقيدة لديهم[3].

---

(1)– البرادي: **الجواهر**، المصدر السابق، ص 179.

(2)– الباروني: **الأزهار الرياضية**، المصدر السابق، ص 118.

(3)–البرادي: **الجواهر المنتقاة**، المصدر السابق، ص 219.

كما لا يفوتنا ذكر يهودا بن قريش التاهرتي الذي قارن نحويا بين اللغات العربية والعبرية والبربرية التي كان يتقنها علاوة على اللغة الفارسية وأثبت بعدها بأن أصلها واحد. وسار على دربه ونهجه العلامة دونش بن تميم الذي ألف في أصول اللغتين العبرية والعربية وكان أيضا من العلماء الذين ارتحلوا إلى الأندلس وحازوا فيها المكانة والرفعة والاعتراف بتفوقهم. وكذا العلامة أحمد بن علي بن أحمد البغائي الذي تتلمذ بالزاب، ثم ارتحل إلى القيروان، وبعدها توجه قاصدا الأندلس التي انتصب فيها مدرسا بمسجد قرطبة الأعظم فضلا عن أسماء أخرى اعترف لها بالتفوق والرياسة في اللغة والنحو، مثل ابن القاسم بن علي بن خويلد البسكري، وعلي بن منصور الطبني وأبي محمد القاسم[1].

أما في التاريخ فقد اشتهر ابن الصغير التيهرتي (ت بعد 300هـ/912م) بكتابه "أخبار الأئمة الرستميين"، تتبع فيه إنجازات بعض الأئمة الحضارية لكونه معاصرا لهم، حسب ما أورده في كتابه بقوله: "وقد لحقت أنا بعض أيامه وإمارته، وحضرت مجلسه" في إشارة إلى الإمام أبي اليقضان[2]. وفي مجال الشعر، كان بكر بن حماد (200هـ- 296هـ) الذي أعتبر من أفضل ما أنجب المغرب الأوسط من الشعراء إضافة إلى تمكنه من الفقه وعلم الحديث. كانت له رحلة إلى المشرق التقى خلالها بالكثير من الشعراء، من أمثال دعبل الخزاعي وعلي بن الجهم وأبي تمام، ثم قصد القيروان بعدها وحجز له مكانا كعالم متمكن وفقيه متبحر في العلوم، وكان يعقد مجالس للتدريس والإقراء.

وختاما يمكننا القول بأن الذي صنع الفارق بين هذه الدولة وغيرها من الدول القائمة آنذاك هو توجهها الديني الذي جعل من العلم ركيزة المجتمع الرستمي، وحافظت على التواصل الثقافي بين المشرق والمغرب،وجسدت صورة الحكم الإسلامي القائم على الشورى واختيار ولي الأمر، ورسمت صورة التسامح الديني بين المذاهب خدمة للإسلام.

ثانياً- طبيعة التأليف عند الفاطميين.

لم تنتهي رحلة العلوم والتدوين والنشاط الثقافي بمجرد سقوط الدولة الرستمية على يدي الفاطميين الحاملين معهم لمبادئ مذهب يختلف جوهريا عن غيره من المذاهب السائدة

(1)- أحمد توفيق المدني: **تاريخ الجزائر**، المطبعة العربية، الجزائر، 1350هـ، ص 80.

(2)- ابن الصغير: **تاريخ الأئمة الرستميين**، المصدر السابق، ص 33.

وسيساهم هو أيضا في تنويع وتنشيط الحياة العلمية في هذه الربوع من المغرب الإسلامي وكأن القدر أراد للمغرب الأوسط أن يسهم ويتذوق من مختلف الروافد المذهبية والتوجهات العقدية القادمة من المشرق لتلقي بظلالها عليه، فيكون له السبق في التجاوب مع مختلف الوقائع والتطورات والتجارب والأنماط السياسية التي طالما أثرت في المشهد السياسي في المشرق، وصنعت أحداثه لتصله شظاياها على شكل دعاة وحملة أفكار وتوجهات جديدة لتنعكس على حركة التأليف والتدوين، وصبغها بطبيعة النظام السياسي القائم فجرت في ربوعه وديان المعارف، وسيول المؤلفات التي دونتها أقلام أعلامه المنتشرين في الحواضر العلمية التي تنافست فيما بينها من دون أن تردعها الفوارق المذهبية أو الحواجز الجغرافية وكان له الحظ الوفير والسبق في اعتلاء الريادة والتفوق على بقية الأقطار باحتضانه لكل تلك النزعات والتيارات الفكرية التي نشأت في المشرق، والتي عندما ضاقت بها السبل وانغلقت في وجهها أبواب النجاح والقيام، لم تجد سوى هذا الملاذ الآمن الذي سيوفر لها أسباب البقاء وينقذها من الاندثار والفناء وكانت الدَّعوة الإسماعيلية إحداها.

بعد تمكن الفاطميين من الأغالبة والقضاء على دولتهم سنة (296هـ). كان المذهب الشيعي الإسماعيلي يحاول قدر الإمكان تثبيت أقدامه وتغيير الأوضاع لصالحه، فاستأثر الجانب الدَّعوي لديهم على الساحة الثقافية في بلاد المغرب، وكان الخلفاء الفاطميون الحريصين على التزود بالعلم وبث الدَّعوة في مقدمة الركب، كونهم كانوا هم أيضا من حملة العلم ورواده، مسندين من قبل أعداد لا تحصى ولا تعد من الدعاة المتمكنين فقهيا وعقائديا، الذين كانوا يحضرون مجالس الخلفاء في قصورهم للتزود ويأخذون بتوصياتهم ومراجعة الأوراق المعروضة عليهم قبل إذاعتها على الأتباع وسماعها من الناس، فالداعية هو لسان الإمام المترجم عن أفكاره[1].

فالخليفة الأول المهدي عبيد الله كان عالما فقيها خطيبا وكاتبا يشهد له بالبلاغة والبيان وله دراية بقراءة الطالع، ومتمكنا من علم التنجيم على حد وصف صاحب كتاب المؤنس ابن أبي دينار: "كان جميلا مهيبا حسيبا، عالما بكل فن، عارفا بالسياسة والتدبير

(1)– محمد زغلول سلام: **الأدب في العصر الفاطمي**، ج1، المرجع السابق، ص 165.

للمملكة"[1]. وعند مقدمه إلى بلاد المغرب، كان من جملة متاعه الذي يحمله أثقال كتب وملاحم كانت لآبائه[2]. وكان الأمر سيان بالنسبة لصاحب الفضل في الدعوة عبد الله الحسين المعروف بأبي عبد الله الشيعي الصنعاني أو المشرقي الذي كان هو أيضا "ذا علم وعقل ودين وورع وأمانة ونزاهة وينحدر من بيت علم وتشيع"[3]. وعند مقدمه إلى بلاد المغرب اشتغل بتعليم صبيان كتامة وبقية البربر أمور الدين فعرف بينهم بـ"المعلم"[4].

كان قيام هذه الدولة يستند أيضا على أشخاص علماء متفقهين في كل صنوف العلوم وتفريعاتها، عارفين بأصول المذاهب الأخرى ومبادئها،وهم الدُعاة المتخرجين من المدارس السرِّية التي أقامها رؤساء المذهب في المشرق، واستطاعوا أن يسيروا بشؤون الدَعوة والمذهب ويصلوا به إلى قمة النجاح في اليمن وبلاد المغرب. لذلك اعتبروا من الدعائم الرئيسية التي عوَّل عليها الخلفاء الفاطميون فكلفوهم بكتابة وتدوين توصياتهم وتعليماتهم التي تصب كلها إجمالا في مصلحة المذهب ودعوة الناس إلى التشيع ونبذ ما سوى ذلك.

قام هذا المذهب على مبدأ العداء لجميع من يخالفه هذا الاعتقاد. فالإمامة عندهم أي (الخلافة) ليست من المصالح العامة التي تفوض إلى نظر الأمة، بل هي ركن الدين وقاعدة الإسلام، ولا يجوز لنبي إغفالها وتفويضها للأمة، بل يجب عليه أن يعين لهم الإمام المعصوم من الكبائر والصغائر[5]. وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه هو من وقع عليه الاختيار من قبل الرسول صلى الله عليه وسلم وجاؤوا بنصوص وأخبار وحجج يدَّعمون بها توجههم، إلا أن هذه الرؤية المتطرفة والمتشددة ستلهم كبار الدُعاة ورؤوسهم على محاولة تثبيت معتقدات المذهب في نفوس المغاربة تارة بالترغيب وتارة أخرى بالترهيب. ومن بين

---

(1)– ابن أبي دينار: **المؤنس**، المصدر السابق، ص 53.

(2)– تقي الدين أحمد بن علي المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، المصدر السابق، ج1، ص 61.

(3)– القاضي النعمان: **افتتاح الدعوة**، المصدر السابق، ص 30. ابن عذارى، **البيان**، ج1، المصدر السابق، ص ص 124– 125.

(4)– المقريزي: **الاتعاظ**، المصدر السابق، ص 51.

(5)– أحمد أبو الفتوح الشهرستاني: **الملل والنحل**، تح: محمد سيد كيلاني، دار الرائد العربي، بيروت، ط2، 1981م، ص 245. أحمد أمين: **فجر الإسلام**، دار الكتاب العربي، بيروت، ط 10، 1969م، ص354. مبارك الميلي: **تاريخ الجزائر**، المرجع السابق، ج2، ص 131.

تلك الوسائل كان جانب التأليف والخطب والرسائل تمثل الأداة الرئيسية التي سيبني عليها المذهب أدبياته مركزا على فكرة أن طاعة الإمام من طاعة الله فهي ركن من أركان الدين وأساس من أسس الإيمان وهو نور من الله[1].

بني التدوين الفقهي في هذه المرحلة الحساسة من بناء الدولة على أسس الإمامة التي تأتي بعد النبوة ويجسدها الإمام. وهي تستدعي بالضرورة التزام الدعاة والأتباع الانضواء تحت لوائها والاستفادة من ينبوعها والاعتراف بقدسيتها وطهارتها باعتبارها مصدر الفقه والتشريع والقيمة على الشريعة والمحافظة على تعاليم القرآن[2]. وعرف من فقهاء هذه الدولة القاضي النعمان الذي أثرى المذهب الإسماعيلي بعدة مصنفات فقهية تخوض في مسألة الإمامة وأصول المذهب ولم يكتفي بهذا الجانب العقدي بل تعداه إلى مصنفات أخرى لا تقل أهمية مثل الأدب والتاريخ عدا إشرافه على مكتبة القصر التي كانت تحت سلطته حتى عد صاحب مدرسة فقهية فكرية إسماعيلية مغربية لتبحره في العلوم[3].

ولم يكن لصاحب افتتاح الدعوة أن يعرض تأليفه على الناس أو نشرها في ربوع الدولة من دون مراجعة الخليفة الفاطمي في كل ما يكتبه بصفته الإمام الوصي المعصوم من الخطأ والوريث الشرعي لعلم النبوة الظاهر منه والباطن، فيصحح ما يوجب تصحيحه ويُعدل ما يراه مناسبا، ويكمل ما يراه ناقصا وبعدها يطرح على العامة لتداوله للانتفاع به والتقيد بما جاء فيه. ورغم قصر المدة التي قضاها الفاطميون في بلاد المغرب قبل رحيلهم إلى مصر، إلا أن الجانب الثقافي حاز على اهتمام الخلفاء ودعاتهم. وكان على رأسهم القاضي النعمان الذي وضع الكثير من المصنفات التي عدت بالمئات، مما طرح بعض الشكوك على صحة نسبتها إليه[4]، إلا أننا سنذكر بعضا منها. ففي الفقه كان له "كتاب

---

(1)– محمد سيد كيلاني: **أثر التشيع في الأدب العربي**، دار العرب للبستاني، القاهرة، ط5، 1995م–1996م، ص ص، 19– 20.

(2)– إسماعيل سامعي: **القاضي النعمان وجهوده في إرساء دعائم الخلافة الفاطمية والتطور الحضاري ببلاد المغرب القرن 4هـ/10م**، مركز الكتاب الأكاديمي، القاهرة، ط1، 1431هـ/2010م، ص 226.

(3)– إسماعيل سامعي، **القاضي النعمان وجهوده**، المرجع نفسه، ص 334.

(4)– أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان (608 – 681هـ): **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1397هـ/ 1977م، مج 5، ص 415 وما بعدها.

الإيضاح ومختصر الإيضاح"، وكتاب "الأخبار في الفقه"، وكتاب "مختصر الآثار فيما روي عن الأئمة الأطهار"، وكتاب "الاختصار"، و"القصيدة المنتخبة" و"دعائم الإسلام في ذكر الحلال والحرام والقضايا والأحكام"، وكتاب "منهاج الفرائض".

أما في العقائد فألف كتاب "الهمة في إتباع آداب الأئمة"، وكتاب "الطهارة" وكتاب "الأرجوزة"، "مفاتيح النعمة"، وكتاب "الدعاء"، "كيفية الصلاة على النبي" وغيرها من المؤلفات التي تنوعت وشملت العلوم الأخرى. ويرى الكثير من المؤرخين والباحثين بأنه على الرغم من أن التجربة الشيعية في بلاد المغرب قد ولدت ما يشبه الصدمة في نفسية المغاربة خاصة على المستوى العقدي، بعدما كانت تعيش فيه هذه الأخيرة نوعا من الاستقرار المذهبي تحت ضلال المذهب السني، إلا أن الازدهار الثقافي بلغ أوجه، نتيجة الصراع الفكري الذي قام بين علماء السنة ودعاة الشيعة، وكانت ساحته المناظرات العلمية والمؤلفات التي نقلت طبيعة الصراع على صفحاتها، وانتشرت الردود وازدهرت الكتابة وتنوعت القصائد الشعرية المادحة والذامة لكل طرف على حساب الطرف الآخر مما ولد إنتاجا ضخما من المصنفات وبفضله توضحت لنا الصورة كاملة لمرحلة هامة من تاريخ بلاد المغرب التي عرفت طفرة في مجال التدوين والتأليف.

ثالثاً- طبيعة التأليف عند الحماديين:

لم يمضي وقت طويل على رحيل الفاطميين من بلاد المغرب حتى كان للمغرب الأوسط موعدا مع دولة بربرية صرفة أسستها أسرة بني حماد المنتمية إلى قبيلة صنهاجة العريقة التي ناصرت خلفاء الدولة الفاطمية، ولعبت دورا كبيرا في الأحداث السياسية الكبرى التي عاشتها الخلافة الفاطمية في بلاد المغرب، بفضل قادتها وزعماء قبائلها وعلى رأسهم بلكين بن زيري وأبنائه من بعده الذين ناصروا الفاطميين وأبلوا البلاء الحسن في توطيد أركان دولتهم والوقوف في وجه أعدائها[1]. كما يعود الفضل إلى هذه الأسرة في التمكين للفاطميين من مواجهة العديد من التحديات التي اعترضتهم، وأسهموا بشكل فعال في تمديد عمر

---

(1)- ينظر، ابن خلدون: **العبر**، ج 6، المصدر السابق، ص 206 وما بعدها. عبد الحليم عويس: **دولة بني حماد**، المرجع السابق، ص 50.

دولتهم وبقائها في المغرب الإسلامي إلى غاية رحيلهم إلى مصر بعدما كادت أن تتهاوي تحت وقع ضربات ثورة صاحب الحمار الخارجي[1].

ويمكن القول بأن هذه الدولة التي رسمت حدود الجزائر الحالية أو المغرب الأوسط كما سمي آنذاك، لكونها ضمت في معظم فترات تاريخها مجمل أراضيه الحالية بمجاليه البري والبحري، ولعبت دورا لا يستهان به في التطور الحضاري لبلاد المغرب الإسلامي وباتت الكثير من مدنها حواضر علمية ومراكز ريادية حضارية مشهورة ونسجت علاقات خارجية مع العديد من الدول، وأمّتها قوافل من العلماء والفقهاء وطلبة العلم من كل أنحاء الدنيا وذاع صيتها كدولة راعية للعلم رغم أصولها البربرية، وأصبح علمائها يناظرون فقهاء العرب في قواعد الأصول وتفاريع الفقه ومبادئ علم الكلام، لأنهم اعتبروا اللغة العربية لسان الأدب والعلم وعنوان الثقافة والانتماء[2].

وإذا حاولنا أن نستشف الحياة الثقافية وطبيعة التأليف في هذه الدولة، فإننا سنلحظ أن الحراك السياسي الذي عاشته المنطقة في تلك الفترة أثر بشكل كبير على الواقع الثقافي فيها. فقد ورثت كل ما صنعته سابقاتها من الدول من مدنية وعلوم وآداب[3]. كما سكنتها عناصر مختلفة الأعراق والأجناس والتوجهات المذهبية. فتجد الشيعة والسنة الإباضيين والمسيحيين واليهود، وكل منهم قدم إسهامه وإبداعه من دون أن يثير ذلك نزعات طائفية أو فتن مذهبية، مما دفع بالكثير من المؤرخين والباحثين إلى اعتبار هذه الدولة هي بحق حاضنة الثقافة العربية الإسلامية ببعديها المشرقي والأندلسي، وأنها استطاعت أن تهضم ذلك كله في جسدها[4]، ناهيك عن موقعها الهام الذي يتوسط المغرب الإسلامي جعلها منطقة عبور للكثير من العلماء والفقهاء المنتقلين من الأندلس والمغرب إلى المشرق والعكس بالنسبة لطالبي العلم العائدين منه والذين حملوا معهم ما تعلموه واستنسخوه من كتب ومؤلفات وتصانيف. فحدث أن فضل الكثير منهم الاستقرار في كنف هذه الدولة وتوزعوا في مدنها وعقدوا فيها

(1)- **GEORGE MARCAIS:** Mélange d'histoire et d'archéologie de L'occident Musulman, Articles et conférences, Tome 1, Article et Conférence, ALGER, 1957, P.20.

(2)– عويس عبد الحليم، **دولة بني حماد**، المرجع السابق، ص 250.

(3)– أحمد توفيق المدني، **هذه هي الجزائر**، المرجع السابق، ص 81.

(4)– توفيق المدني، المرجع السابق، ص 82.

مجالس للعلم، ووقفوا قائمين على نشر وتعليم الناس أمور دينهم ودنياهم[1]. كما لا يفوتنا إبراز دور حكامها الذين اشتهروا بتقديرهم للعلماء ويؤثرونهم على سائر الطبقات مع إجزال العطايا لهم وتأمين سبل نشر العلم والتدريس لأنهم هم أصلا كانوا من طلبة العلم ورواده[2].

فمؤسس الدولة حماد درس الفقه والجدل في القيروان حتى صار عالما متمكنا فيهما وانعكس كل ذلك بالإيجاب على الحياة العلمية في دولته. فنشطت حركة التدوين والتأليف في كل أصناف العلوم وتفريعاتها، ولم يُختص بعلم دون غيره من العلوم والمعارف، لكن سار التأليف غالبا في العلوم النقلية على أساس الانقلاب السياسي الذي حدث بعد نبذ مذهب الشيعة، فعادت الكتابات والتداوين مقتصرة على الاجتهاد في المذهب المالكي وبرزت أسماء لامعة في هذا المجال نذكر منهم على سبيل الحصر، أبو القاسم ابن أبي مالك وأبا الفضل يوسف بن محمد المعروف بابن النحوي (ت 513هـ/1119م)، وأبو عبد الله محمد بن علي بن حماد بن عيسى بن أبي بكر الصنهاجي الذي كان يعد من كبار الأئمة في زمانه[3]، ومحمد بن يوسف السنوسي القلعي وغيرهم. وجاء كتاب الغبريني "عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية"، بمثابة شهادة حية للتطور العلمي

---

(1)–مؤلف مجهول: **كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، وصف مكة والمدينة، ومصر، وبلاد المغرب**، نشر وتعليق: سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق، (د– ت)، ص 173.

(2)– صفية الذيب: **التربية والتعليم في المغرب والأندلس في عصر الموحدين بين القرنين (6 – 7هـ/ 12–13م)**، نشر مؤسسة كنوز الحكمة، الأبيار، الجزائر،2011م، ص 145. كما أشارت بعض المصادر إلى تواجد بعض المذاهب الفقهية في هذه الدولة رغم سيادة المذهب المالكي في كل مدن وحواضر هذه الدولة. فكان مثلا المذهب الظاهري ممثلا بالفقيه ابن عبد الكريم المعروف بابن يبكى القلعي، أما المذهب الشافعي فكان ممثلا بالفقيه علي بن معصوم بن أبي ذر القلعي، والفقيه محمد بن علي بن جعفر المعروف بابن الرمامة.

(3)– محمد بن علي بن حماد بن عيسى بن أبي بكر الصنهاجي، أبو عبد الله، مؤرخ، شاعر،أديب، قاض له مشاركة في علوم اللغة والفقه والحديث. نشأ ببرج حمزة. تعلم في قلعة بني حماد وبجاية ومدينة الجزائر وتلمسان. دخل الأندلس فسمع بها، ولي قضاء الجزيرة الخضراء، ثم قضاء سلا سنة (613هـ). استوطن مراكش وبها= =توفي. له "النبذ المحتاجة في أخبار صنهاجة" و"أخبار ملوك بني عبيد" و"عجالة المودع وعلالة المشيع" في الأدب والشعر و"شرح مقصورة ابن دريد" و"الإعلام بفوائد الأحكام" لعبد الحق الاشبيلي، و"تلخيص تاريخ الطبري" و"شرح الأربعين حديثا" و"ديوان شعر" و"برنامج" ذكر فيه شيوخه ومقروآته من الكتب. ينظر ترجمته في كتاب، **البستان في ذكر العلماء والأولياء بتلمسان**، لابن مريم، ص 498. **موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين**. جزء 2، من حرف الدال إلى حرف الياء، المرجع السابق، ص 234.

والازدهار الثقافي الذي بلغته هذه الدولة بمختلف حواضرها وعلى رأسها بجاية وقبلها القلعة وأشير وطبنة والزاب والمسيلة، حيث أشار فيها صاحب العنوان على لسان الشيخ أبي علي المسيلي قوله: "أدركت ببجاية ما ينيف على تسعين مفتيا ما منهم من يعرفني، وإذا كان المفتون تسعين فكم يكون من المحدثين ومن النحاة والأدباء وغيرهم ممن تقدم عصرهم"[1]. ونفسه صاحب الكتاب يقول بأنه لم يذكر أهل المائة السادسة لشرط الكتاب الذي اقتصر على القرن السابع الهجري حيث كان للعلماء والفقهاء حضورا قويا على جميع الأصعدة لدرجة أنهم فرضوا وجودهم وحضورهم بما أنتجوه من مصنفات في العلوم والأدب وفقه النوازل والتفسير والحديث والتصوف وغيرها من العلوم[2].

لا يمكننا أن ننهي الحديث عن هذه الدولة العظيمة بعظمة حكامها وعلمائها من دون أن نشير إلى تجربتها الفريدة من نوعها في تلك الفترة حين استثمرت في للجانب العلمي وأولته أهمية خاصة، فأنشئت المعاهد المختصة أو الجامعات بالمفهوم المعاصر وبنت المكتبات التي كانت تجمع الآلاف من الكتب المؤلفة من قبل العلماء المغاربة كمؤلفات ابن الأشرس[3]، والكتامي[4]، وبما أن المذهب المالكي كان هو الرسمي في هذه الدولة فإن الكثير من المشايخ والعلماء أدلوا بدلوهم هم أيضا في كثير من مؤلفات علماء المذهب في القيروان، إما بعد مراسلتهم في مسائل قد أشكلت عليهم. فيأتي الرد منهم مكاتبة أو ما استلزم الاجتهاد فيه من نوازل طارئة لم يكن لها ذكر أو أثر فيما سبق، فيأتي جواب هؤلاء العلماء بما يتوافق وأصل المشكلة، ومنهم من عدل فيها أو زاد عليها وضمنها اجتهاداته وأحكامه وأصبح بعضها في كثير الأحيان من المؤلفات المعتمدة في مناهج التدريس. فضلا على

(1)– أبي العباس الغبريني: **عنوان الدراية**، المصدر السابق، ص 32.

(2)– عبد العزيز فيلالي: **تلمسان في العهد الزياني**، دار موفم للنشر والتوزيع، ج2، 2002م، ص 37.

(3)– هو أبو مسعود العباس بن أشرس الأنصاري، قال عنه سحنون: "كان ابن أشرس حسن الضبط للعلم وكان شديد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ينظر، المالكي: **رياض النفوس** ، المصدر السابق، ص252.

(4)– عبد الرحيم بن أحمد الكتامي المعروف بابن العجوز، من أهل سبتة من كبار فقهاء المالكية وإليه كانت الرحلة في جهة المغرب وعليه مدار الفتوى، سمع من جلة علماء المذهب ولازم إبن أبي زيد مدة خمسة أعوام، أخذ عليه الناس كثيرا من العلم وتفقهوا على يديه. ينظر، القاضي عياض : **ترتيب المدارك**، ج2، المصدر السابق، ص 292.

اعتمادهم على كتب جهابذة علماء المالكية كشرح الموطأ ومدونة سحنون وكتاب النوادر والزيادات على ما في المدونة من غيرها من الأمهات، والرسالة الفقهية لابن أبي زيد القيرواني[1]. أو كتلك المحمولة من المشرق ومن الأندلس وحتى من أوروبا المسيحية التي تتناول الكثير من العلوم كالطب والهندسة والفلك والرياضيات والفلسفة وغيرها، سُخرت لطلبة العلم للاستفادة منها. كما سجل العنصر الأجنبي حضوره كأساتذة محاضرين أو مدعوين لمناقشة الأطروحات والبحوث العلمية المنجزة من قبل طلبتها وتبادل المعارف والعلوم مع نظرائهم، فأضحت بذلك مدينة بجاية قبلة ومنارة علمية يقصدها كل مهتم بالعلم وراغب فيه خاصة وأنه كان يحاضر في معاهدها أساتذة مرموقين ومشهود لهم بالريادة والتفوق قادمين من كل أطراف الدنيا.

وأفضل مثال نذكره هو معهد سيدي التواتي الذي كان يدرس فيه ما يناهز الثلاثة آلاف طالب من الجنسين يتلقون فيه مختلف العلوم بما فيها علوم الفلك، كما كانت تعقد فيه التجمعات العلمية، يبرز فيها كل فرد عن اجتهاداته وما توصل إليه من نتائج في مجال اختصاصه، فزخرت العلوم وتنوعت وصار للدولة الحمادية ثقل سياسي وثقافي محسوسا في المنطقة، نافست به عواصم العلوم التقليدية المشهورة. وكانت بحق أنموذجا حيا عن التألق في المنطقة، زادته الطفرة الحضارية التي عاشها كلا من المشرق الإسلامي والأندلس في تلك الفترة المتزامنة مع وجود هذه الدولة زخما،واستفادت منه الدولة الحمادية كثيرا نظرا لموقعها الجغرافي الذي جعلها همزة وصل ونقطة تجمع وانطلاق للعديد من العلماء والمثقفين المتنقلين برا وبحرا إما نحو المشرق أو باتجاه الأندلس فكانت النتيجة أن عرفت هذه الدولة ازدهارا اقتصاديا وثقافيا نتيجة عناية واهتمام حكامها بالعلم والعلماء[2].

لم يطل الحال كثيرا بهذه الدولة التي سرعان ما زالت من خريطة المنطقة، واختفت من مسرح الأحداث، وعرفت نفس مصير سابقاتها. لكنها خلفت إرثا علميا زاخرا مشهودا له

---

(1)– عبد الحليم عويس: **دولة بني حماد**، المرجع السابق، ص 258.

(2)–بن ذيب عيسى وآخرون:**الحواضر والمراكز الثقافية في الجزائر في العصر الوسيط**، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، دار القصبة للنشر، الجزائر،2007م، ص122.

من خلال مؤلفات وكتب وبروز أسماء لامعة لفقهاء وعلماء لا تزال ذكراهم وما تركوه من إنتاج وتصانيف في مختلف العلوم والمعارف ملئت به الكثير من كتب التراجم والمعاجم والموسوعات الفقهية التي لم تكن تخلى صفحاتها من ذكرهم، أو الإشارة إلى تلك الأقلام والعقول التي خدمت العلم والدين، وامتد فضل علمائها وشيوخها إلى المشرق الإسلامي وحتى الغرب المسيحي، وحازوا في حضن ملوكها وأمراءها المكانة الرفيعة والمنزلة العالية ووقفوا على منابر مساجدها، وجلسوا فوق كراسي التدريس متصدرين التعليم والإفتاء محاطين بحلقات طلاب العلم والراغبين فيه.

رابعاً- طبيعة التأليف عند الموحدين.

ما أن حل القرن السادس الهجري حتى وردت إلى المنطقة رياح التغيير بدعوة دينية إصلاحية قادها أحد أبناء المنطقة بعدما جال وصال في حواضر العالم الإسلامي طالبا للعلم مثابرا على تحصيل ما كان يراه غير مكتمل. وراح يبث دعوته الجديدة التي كانت تهدف إلى تنزيل منهج جديد للحياة معتمدا على محورين رئيسيين وهما رفض الواقع الذي كانت تجسده دولة المرابطين السنية والآخر هو تقديم البديل[1]، لما كان يراه اختلافا عن المشرق من مواقف في الجانب العقدي، فكان يرى بأنه ليس من الجائز أن يكون الإسلام في المشرق غيره في المغرب[2].

كان ذلك الشخص هو محمد بن تومرت[3]، الذي وجد في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الأداة والوسيلة المناسبة لمناهضة سلطة المرابطين وبها سيتمكن بعد فترة وجيزة من

---

(1)- عبد المجيد النجار: **تجربة الإصلاح في حركة المهدي بن تومرت، الحركة الموحدية بالمغرب أوائل القرن السادس الهجري**، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، هيرندن، فرجينيا، 1415هـ/1995م، ص 77.

(2)- عبد الله كنون، **النبوغ المغربي في الأدب العربي**،ج1، (د-ط)، 1960م، طنجة، المملكة المغربية، ص 99.

(3)- هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن تومرت البربري المصمودي من قبيلة هرغة. لقب بالفقيه السوسي لتعلمه القران حفظا ورسما وقراءة. شب قارئا محبا للعلم وعند بلوغه السابعة والعشرين شدَّ الرِّحال نحو المشرق للحج وطلب العلم، عاد بعدها أدراجه إلى بلاد المغرب آمرا بالمعروف وناهيا عن المنكر. وعند استفحال دعوته طارده المرابطون الذين استشعروا خطره، ففر إلى عشيرته "بتنملل" واتخذها قاعدة لدعوته، ومنها أعلن بداية نشاطه الديني والحربي ضدهم. ينظر، البيذق أبي بكر الصنهاجي: **كتاب=**

تقويض سلطانهم والقضاء على دولتهم في عهد تلميذه وخليفته عبد المؤمن لتحل محلها دولة ستصبح بعد حين من أعظم الدول الإسلامية وأضخمها رقعة وأعظمها قوة وسلطانا وهي دولة الموحدين التي فرضت هيمنتها على كل ربوع بلاد الغرب الإسلامي التي سوف تحقق له في لحظة حاسمة من تاريخه وحدته السياسية المنشودة وإشراقاته الحضارية من جديد[1].

ذكر ابن خلدون حالة الأوضاع العلمية، والجوانب الثقافية في تلك الفترة الذي بدأت تعرف نوعا من التراجع، وذكر بالتفصيل الحالة المزرية التي وصل إليها حال التعليم في بلاد المغرب وحواضره المشهورة مثل قرطبة وفاس ومراكش والقيروان. حيث فُقد العلم والتعليم وكسدت أسواقه ونفقت. عكس الأندلس التي حافظت على ما تبقى منه رغم ما كانت تعانيه من أوضاع صعبة نتيجة حروب الاسترداد التي كان يشنها المسيحيون على الممالك والدول والإمارات الإسلامية التي أصابها الوهن والضعف[2]. واقتصر التعليم في بلاد المغرب على الحفظ لظنهم أنه المقصود من الملكة العلمية، وانعدم الخوض في العقليات والنقليات ونقص الحذق في العلوم، حتى كاد العلم أن ينقطع عن أهل المغرب واصفا حالة طلاب العلم بقوله: "فتجد طالب العلم منهم، بعد ذهاب الكثير من أعمارهم في ملازمة المجالس العلمية، سكوتا لا ينطقون ولا يفاوضون"[3].

في هذا الجو بدأ المهدي سنة (515هـ) من معقله بجبل هنتاتة يعلم أتباعه أصول الدَّعوة الجديدة التي بدأها بكتابه "المرشدة" وكتاب "الجهاد". وغيرها من المؤلفات باللغة

=**الأنساب في معرفة الأصحاب**، تح: عبد الوهاب بن منصور، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1971م، ص ص 12- 13. ابن خلدون: **العبر**، مج6، ص ص 301- 302.

(1)- محمد عبد الله عنان: **دولة الإسلام في الأندلس، العصر الثالث عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، القسم الأول، عصر المرابطين وبداية الدولة الموحدية**، مطبعة الخانجي القاهرة، مصر، ط2، 1411هـ /1990م، ص ص 156- 157.

(2)- محمد عبد الله عنان: **نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين**، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ط3، 1386هـ/1966م، ص ص 452- 453.

(3)- ينظر، ابن خلدون: **المقدمة**، المصدر السابق، ص ص 470-471.

العربية ولغة قومه خدمة لمشروعه[1]، وتعددت تلك الكتب والرسائل التي وضعها المهدي لأتباعه لتشمل الفقه والعبادات مثل، "رسالة في الصلاة"، "كتاب الطهارة" "كتاب الغلول"، وكتاب آخر في "تحريم الخمر"، ورسالة في أصول الفقه وغيرها من الرسائل في الفقه والحديث[2]. كما نظم طرق التدريس بالتركيز على التوحيد كأساس للعقيدة الموحدية، لتأتي بعدها بقية العلوم كالفقه والحديث والأصول والتوحيد والسياسة والجهاد والدّعوة إلى الإصلاح، بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[3].

بعد وفاته تولى مقاليد الحكم خليفته عبد المؤمن بن علي الذي سيعيد صياغة السياسة العلمية للدولة الناشئة[4]. فهو أصلا كان من طلبة العلم والحريصين عليه، وكانت البداية لما دفع به والده وألحقه بأحد مساجد تلمسان، فشب محبا للعلم والمعرفة وتلقى دروسه من أجِّل العلماء في تلك الفترة من أمثال ابن صاحب الصلاة[5]، وعبد السلام البرنسي إمام عصره في علوم الفقه والحديث والتفسير والكلام[6]. وصفه صاحب المعجب بالقول: "كان عبد المؤمن بن علي مؤثرا لأهل العلم، محبا لهم، محسنا إليهم، يستدعيهم من الكون عنده

---

(1)– عبد الواحد المراكشي: **المعجب**، المصدر السابق، ص ص 161– 162.

(2)– عبد المجيد النجار: **المهدي بن تومرت أبو عبد الله محمد بن عبد الله المغربي السوسي المتوفى سنة 1129/524، حياته وآراؤه وثورته الفكرية والاجتماعية وأثره بالمغرب**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1403هـ/1983م، ص 153.

(3)– ينظر، عبد الواحد المراكشي: **المعجب**، المصدر نفسه،،ص 245. محمد بن تومرت (المهدي)، **أعز ما يطلب**، تح: عبد الغني أبو العزم، مؤسسة الغني للنشر، الرباط ،1997م، ص 5.

(4)– مؤلف مجهول: **الحلل الموشية**، المصدر السابق، ص 142. ابن عذارى: **البيان**، قسم الموحدين، المصدر السابق، ص ص 79– 80.

(5)– أبو محمد عبد الملك بن محمد بن احمد بن إبراهيم الباجي المعروف. بابن صاحب الصلاة (ت 594هـ/1197م). مؤرخ أندلسي من مدينة باجة جنوب البرتغال حاليا، عرف عنه كثرة السفر والتنقل بين= =العدوتين، التقى خلالها بالعديد من العلماء والمثقفين، وهو صاحب المؤلفين الهامين حول تاريخ الدولة الموحدية. الأول "دولة عبد المؤمن ومن أدرك بحياته من بنيه" وكتاب "تاريخ ثورة المريدين بالأندلس"، إلا أن شهرته نالها بفضل مؤلفه المشهور "المن بالإمامة ".

(6)– ينظر، **الحلل الموشية**، المصدر السابق، ص ص 146– 147. صالح بن قربة: **عبد المؤمن بن علي مؤسس دولة الموحدين**، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1991م، ص ص 8– 9.

والجوار بحضرته ويجري عليهم الأرزاق الواسعة ويظهر التنويه بهم لهم"[1]. ويصفه بن خلكان بأنه كان فصيحا مفوها فقيها عالما بالأصول والجدل والحديث، مشاركا في كثير من العلوم الدينية والدنيوية[2].

وهو نفسه خاض في التأليف. استهل حكمه بجمع آثار شيخه إبن تومرت في التوحيد والمهدوية والفقه وأخرجها في كتاب سماه "أعز ما يطلب"، ثم ما لبث أن صنف كتابه "الموطأ" على غرار موطأ الإمام مالك بعد أن قام بتعديله بحذف أسانيده. من تكوينه العلمي هذا سيعمد على دعم وإطلاق حرية التفكير والبحث، وسيعلنها ثورة عامة على كل الأصعدة وسيكون للعلم فيها مكانة خاصة في ظل هذا التحول الذي سيبني صرح دولة قوية استطاعت في ظرف وجيز أن تجمع ميراث علوم الأندلس والمغرب في سلة واحدة[3].

قال الناصري: "لما كانت سنة خمسين وخمسمائة، أمر أمير المؤمنين عبد المؤمن بن علي بإصلاح المساجد وبنائها في جميع ممالكه وبتغيير المنكرات ما كانت. ومع ذلك أمر بتحريق كتب الفروع، ورد الناس إلى قراءة كتب الحديث واستنباط الأحكام منها وكتب بذلك إلى جميع طلبة العلم من بلاد الأندلس والعدوة"[4]. أما أبي يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي المنصور، فقد بلغ من العلم بالكتاب والسنة والفقه مبلغا عظيما، قال عنه تاج الدين بن حمويه السرخسي الخراساني الذي زار المغرب سنة (593هـ): "كانت مجالسه مزينة بحضور العلماء والفضلاء تفتتح بالتلاوة ثم الحديث، ثم يدعو هو وكان يجيد حفظ القرآن، ويحفظ متون الأحاديث ويتقنها ويتكلم في الفقه كلاما بليغا، ويناظر وينسبونه إلى مذهب الظاهر، وكان فصيحا مهيبا ... بزي العلماء وعليه جلالة الملوك صنف في العبادات، وله فتاو"[5]. وصح عنه أنه كان يحفظ أحد الصحيحين، وصنف كتابا جمع فيه متون أحاديث صحاح سماه "الترغيب". كما تعلم الفلسفة وتبحر فيها، وله دراية بالطب وجمع الكثير من

---

(1)- المراكشي، المعجب، المصدر السابق، ص 172.

(2)- عبد الله على علام: **الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي**، دار المعارف/ مصر، ط1، 1971م، ص 300.

(3)- محمد الطمار: **تاريخ الأدب الجزائري**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1969م، ص 68.

(4)- ينظر الناصري: **الاستقصاء**، ج2، المرجع السابق، ص 126.

(5)- ينظر، الذهبي، **سير النبلاء**، ج21، ص. 316.

الكتب[1]. فشهد عصر هذه الدولة العديد من الإنجازات وستصبح مجالس وقصور خلفائها مراكز علمية يؤمها طائفة من العلماء والفقهاء الذين سطروا بأحرف من ذهب أسمائهم بالعديد من المؤلفات التي عكست مدا الازدهار والرقي الذي بلغته هذه الدولة في عهد عبد المؤمن وأبناءه من بعده[2].

وسنحاول الاكتفاء بذكر بعض المؤلفات وطبيعتها في حياة هذه الدولة والتي تناولت كل العلوم تقريبا ولم تقتصر على الفقه ولا على عقيدة مؤسسها بل جعلت من المغرب الإسلامي قلعة علمية يحج إليها من كل بقاع العالم الإسلامي أبرز وأشهر العلماء المرموقين الذين سيكون لهم دور كبير في تأطير المدارس المتعددة والإشراف عليها، جنبا إلى جنب الطلبة المتخرجين من المعاهد والمساجد التي أولاها الخليفة عبد المؤمن عنايته الخاصة إذ بلغ عدد الطلبة الذين كانوا تحت وصايته نحو الثلاثة آلاف طالب تكفل هو بدفع مصاريفهم ومرافقتهم إلى غاية تخرجهم كعلماء للدولة مكلفين بالتدريس ونشر العلم.

تنوعت التصانيف والمؤلفات عند الموحدين، فخاضوا في كل العلوم النقلية منها والعقلية وبرزت أسماء لامعة لا يمكن حصرها ولا عدها. ففي الفقه مثلا ذاع صيت عبد الله بن محمد الفهري ومؤلفه "شرح العالم في أصول الفقه للرازي"، وعلي بن أحمد بن الحسن بن إبراهيم الحرالي التجيبي (ت637هـ) صاحب كتاب "مفتاح الباب المقفل على فهم القرآن المنزل"[3]. أما في علوم التفسير ودراسة الحديث والقراءات الذي تفوق فيها المغاربة على المشارقة لشدة اعتنائهم بها، فبرز اسم أحمد بن عتيق بن الحسن بن زياد بن جرح أبا العباس الذي ترك العديد من المؤلفات، وظهر أحمد بن عبد الصمد الخزرجي القرطبي مؤلف كتاب "نفس الصباح في غريب القرآن وناسخه ومنسوخه".

([1])– المراكشي: **المعجب**، المصدر السابق، ص ص 199– 200. الزركشي: **تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية**، المصدر السابق، ص 15.

([2])– ينظر أحمد بن محمد المقري التلمساني: **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1408هـ/1988م، ج3، ص 101 وما بعدها.

([3])– ابن فضل الله العمري: **مسالك الأبصار في مسالك الأمصار، السفر الثامن "طوائف الفقراء الصوفية"**، تح: بسام محمد بارود، المجمع الثقافي أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، 2000م، ص397.

ولعل أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي هو من سيكون إكليل وتاج العلماء،جمع العديد من العلوم وتفوق فيها حتى عد وحيد عصره في تلك الفترة. كان عالما بالنحو واللغة وكلام العرب إمام وقته في الحديث، عارفا بالتفسير وعلومه، كاتبا وشاعرا مجيدا، خطيبا بليغا مفوها. وعلى الرغم من أنه عاصر الدولة المرابطية، إلا أنه دخل في طاعة دولة الموحدين إلى غاية وفاته بمراكش سنة (544هـ)[1]. كما لا يفوتنا ذكر أعلام المغرب الأوسط في هذه الدولة، مثل محمد بن عبد الحق اليعفري البطيوي (ت625هـ) صاحب العديد من المؤلفات في هذا الباب منها كتابه "فرقان الفرقان وميزان القرآن" و"الجامع المختار بين المنتقى والاستذكار" ويعد هذا الأخير من بين أهم ما خلفه من المصنفات إذ كان في حدود العشرين مجلدا.

أما في علوم التفسير فقد اشتهر أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم الورجلاني الذي ألف تفسيرا للقرآن في سبعين جزءا. أما من اختص في اللغة العربية والنحو، فكان منهم أبو الخطاب عمر بن الحسن بن علي بن دحية الكلبي (ت633 هـ)، إذ كان أحفظ أهل زمانه في اللغة، بصيرا بالحديث، حسن الخط، له حظ وافر من اللغة والنحو ومشاركة في العربية وغيرها إضافة إلى حفظه الموطأ.عرف بكتابه المشهور في النحو "الصارم الهندي في الرد على الكندي". وختاما لا يمكننا تجاهل اسم محمد بن محرز بن محمد الوهراني الملقب بركن الدين، ترجم له الصفدي في الوافي وقال عنه: "أحد ظرفاء العالم وأدبائهم"[2]. اعتبر من الأدباء المتمكنين، ونبغ في المنامات والرسائل المشهورة. عرف عنه الهزل والسخرية قال عنه الصفدي: "ما سلم من شر لسانه أحد ممن عاصره"[3].

كما حازت بقية العلوم هي الأخرى على نصيب وافر من العناية والاهتمام، فحظي علم التاريخ بالكثير من المؤلفات ولعل أشهر مؤرخي هذه الدولة هو أبو بكر الصنهاجي المكنى بالبيدق الذي عاصر دولة المرابطين ورافق قيام الدولة الموحدية، ألف كتابا وصف

---

(1)– رابح بونار: **المغرب العربي تاريخه وثقافته**، دار الهدى، ميلة، الجزائر، ط3، 2000م، ص 338.

(2)– صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي: **الوافي بالوفيات**، تح: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 2000م، ج4، ص 273.

(3)– عادل نويهض: **معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر**، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، ط2، 1400هـ/1980م، ص 350.

فيه مراحل دعوة المهدي، وضمنه بعض أخبار خليفته عبد المؤمن بن علي. كما وبرز إسم المؤرخ والأديب أبو على الأشيري حسن بن عبد الله بن حسن الذي ولد بتلمسان في عهد يوسف بن عبد المؤمن، له كتاب مختصر في التاريخ سماه "نظم الآلي فتوح الأمر العالي"[1]. وفي الفلسفة فقد تربع على عرشها ابن رشد صاحب "الرسالة" و"المستصفى" وعارض بالحجة والدليل الكثير مما جاء به الغزالي الذي كانت كتبه تعرف إلى انتشار رواجا وانتشارا كبيرا في تلك الفترة خاصة كتابه "إحياء علوم الدين"[2]. وكان للمغرب الأوسط حظه هو أيضا في هذا المضمار بعلمائه الذين شاركوا بقوة في نهضة العلوم بهذه الدولة، فظهر اسم أبي حامد الصغير المسيلي الذي شُبه بغزالي المشرق لاجتهاداته المتنوعة في الفلسفة والحكمة والفقه والتوحيد[3]. وبرز أيضا اسم أبو عبد الله محمد بن سحنون الكومي الندرومي الطبيب والفيلسوف،أحد تلامذة ابن رشد رائد الفلسفة بالأندلس[4]. أما ميدان الفلك والنجوم،فمؤسس الدولة المهدي كان من أئمة علم التنجيم المعدودين في عصره، وبعده حفيد عبد المؤمن الخليفة يعقوب المنصور الذي اشتغل بالتنجيم، وهو واضع الأبراج الفلكية لكسوف الشمس وهو من أمر بوضع برج عال بجامع إشبيلية الأعظم لرصد النجوم[5].

وعلى ذكر الأندلس فيمكن القول بأنها كانت معقل العلوم الطبية، وقد اشتهرت فيها أسرة بنو زهر في إشبيلية، بداية بالوزير الطبيب أبو العلاء بن زهر[6]، وولده من بعده عبد الملك بن زهر، ومحمد بن زهر، وعبد الله بن زهر. وقد أسهمت هذه الأسرة العظيمة في

---

(1)– رابح بونار، **المغرب العربي**، المرجع السابق، ص 234.

(2)– محمد عابد الجابري: **ابن رشد سيرة وفكر، دراسة ونصوص**، مركز دراسات الوحدة العربية بيروت، ط1، 1998م، ص 141.

(3)– ينظر، أبي العباس أحمد الخطيب الشهير بابن قنفذ القسنطيني (ت810هـ): **أنس الفقير وعز الحقير الحقير**، إع وتص: محمد الفاسي وأدولف فور، نشر المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط 1965م، ص ص 34– 35.

(4)– محمد الطمار: **الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ص167.

(5)– محمد الطمار ،**المرجع نفسه**، ص 169.

(6)– الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج 19، المصدر السابق، ص 595.

مختلف مجالات العلوم وخاضت فيها ممارسة وتأليفا. فلم تترك مجالا إلا وكانت لهم فيه نصيب ومشاركة، فدونت العديد من المؤلفات أشهرها "التيسير في المداواة والتدبير" و"كتاب الأغذية" وكتاب "الأدوية المفردة" وكتاب "حل شكوك الرازي" وغيرها من التآليف. كما اشتهرت هذه الأسرة بمساهماتها في الجانب الترفيهي وأجواء الطرب والغناء وبرز اسم محمد بن زهر بموشحه المعروف (أيها الساقي) الذي ذاعت شهرته في الآفاق وتردد صداه شرقا وغربا[1].

لقد أردنا فعلا أن نعرّج على مختلف نواحي الحياة الفكرية في هذه الدولة التي قامت على أسس الإصلاح الديني، وإعادة صياغة النبوغ المغاربي بفضاءه الواسع الممتد من برقة إلى غاية المحيط تحت كنفها وعناية خلفائها الذين عملوا صادقين وجاهدين على الدفع بالجانب العلمي إلى أقصى مداه. فتنوعت المؤلفات وكثرت المصنفات وتشعبت فنون المعرفة، وكثر العلماء في كل فن[2]. فازدهرت المعارف وتنوعت، وكانت تلك قفزة حضارية جعلوها سمة من سمات عصرهم أدت في نهاية المطاف إلى "استواء الشخصية العلمية للغرب الإسلامي في صورته التامة"[3]. إلا أن كثرة روافد النشاط الثقافي، وحيوية المجال الفكري وما حصل فيها من ضروب الإبداع والابتكار، وضخامة ما خلفوه من معارف ومؤلفات وآثار، تجعلنا مقصرين في حقها إذا ما اقتصرنا على هذا النزر القليل من الأخبار. لكن موضوع رسالتنا وكما يظهره عنوانها ألزمنا بأن نتطرق باختصار الفترة الزمنية المدروسة والمخصوصة لكل دولة، مهتمين بما جاد به علماء المغرب الأوسط في ميدان العلوم قدر الإمكان. وبما أن فترة الموحدين شملت كل الشمال الإفريقي والأندلس فإننا حاولنا جهدنا

---

(1)- ابن خلدون: **المقدمة**، المصدر السابق، ص 820.

*- الموشح هو فن شعري مستحدث يلتزم بقواعد معينة من حيث التقفية، وهو كلام منظوم على وزن مخصوص وبقواف مختلفة. يقول ابن خلدون: "وأما أهل الأندلس فلما كثر الشعر في قطرهم وتهذبت مناحيه وفنونه... استحدث المتأخرون منهم فنا سموه بالموشح ينظمونه أسماطا أسماطا، وأغصانا أغصانا". ينظر ابن خلدون: **المقدمة**، المصدر السابق، ص 817.

(2)- عز الدين عمر موسى: **الموحدون في الغرب الإسلامي**، المرجع السابق، ص 54.

(3)- عز الدين موسى: المرجع السابق، ص 53.

ذكر بعض جوانب التأليف وأسماء أعلام من المغرب الأوسط رغم صعوبة المهمة واستحالة عدهم وذكر كل العلماء والفقهاء لكثرتهم.

خامساً- صورة عن طبيعة التأليف عند الزيانيين.

وبما أن دوام الحال من المحال، وأزمنة الدول وأعمارها تمر بأطوار وأحوال مثلها مثل أعمار الأشخاص الطبيعية كما يذكر ابن خلدون في مقدمته عند دراسته لعلم العمران وما خرج به من رؤية متميزة حول حياة الدول وتشبيهها بأعمار البشر[1]. فإن مصير دولة الموحدين كان مثل سابقاتها عندما بلغت مرحلة الهرم والضعف بعد انهزامها في معركة حصن العقاب[2]، فانهارت وتهاوى بنيانها وسقطت في النهاية مخلفة ورائها واقعا سياسيا مضطربا، وفراغا سياسيا في كامل الغرب الإسلامي، الذي وجد نفسه أمام صراعات قبلية وحروب هيمنة بين زعامات أسر بربرية كانت ولزمن قريب في خدمة وتحت سلطة الدولة الهالكة. مما سيفضي في الأخير إلى ظهور دويلات مستقلة، كان حظ المغرب الأوسط منها الدولة الزيانية التي سيكون لها شرف خلافة دولة الموحدين في هذه الناحية.

وكان حال هذه الدولة الناشئة والمحصورة بين جاراتيها المرينية والحفصية الطامعتين فيها كحال الواقع بين شقي الرحى لحداثتها وقلة أنصارها[3]. فعاشت طيلة وجودها أوقات عصيبة وفترات عسيرة. هددت كيانها في العديد من المرات، لولا حنكة مؤسسها أبو يحي يغمراسن بن زيان الذي خلف زغوان بن ثابت بن محمد (603- 680 هـ)[4]، ومن بعده

---

(1)- ابن خلدون: **المقدمة**، المصدر السابق، ص 213.

(2)- هو اسم المكان الذي دارت فيه المعركة بين الموحدين والتسمية منسوبة إلى حصن قديم. ينظر بن أبي زرع: **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار المغرب وتاريخ مدينة فاس**، تح :عبد الوهاب ابن منصور، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972م، ص ص 238 – 239.

(3)- بوزياني الدراجي: **نظم الحكم في دولة بني عبد الواد الزيانية**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1993م، ص 26.

(4)- ينظر، أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الزهري: **كتاب الجغرافية**، تح: محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، مصر، ص ص113- 114. الإدريسي: **نزهة المشتاق**، المصدر السابق ص،248. أبي الفدا عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر: **تقويم البلدان**، تص: رينود والبارون ماك كوكين، دار الطباعة السلطانية، باريس، 1830م، ص137. ابن خلدون، **العبر**، مج7، المصدر=

أبناءه الذين تمكنوا من المحافظة على ملكهم، وجعلوها تعمر طويلا صانعين لها مجدا خالدا خاصة في الجانب الفكري الذي أعلى من شأنها، ورفع من همة ملوكها، وجعلهم يكتبون أسماءهم بأحرف من ذهب.

عرف عن مدينة تلمسان بأنها كانت وظلت لقرون قاعدة المغرب الأوسط[1]، وبعدها عاصمة للدولة الزيانية، عندها أصبحت عنوانا لنهضة فكرية وحركة علمية وازت وفاقت في كثير من الأحيان غيرها من المدن المعروفة كالقيروان وتونس وفاس وقرطبة واشبيلية واعترف بها كنقطة إشعاع حضاري لم يخمد وهجها ولم تخبو نارها رغم ما عانته من ضروب الحروب والحصار، واشتداد الفتن والخطوب فعايشتها وقاومتها بصمود وتحدي وسط حشد من الأعداء[2]. فقد عاشت هذه المدينة في عهد سلاطين بني زيان أزهى أيامها وأرقى عصورها بعدما تبحر عمرانها وازدهرت فيها التجارة، ونمت أسواقها وقصدها الناس من كل مكان. وفي ذلك يقول ابن خلدون ذلك لما يذكر ما أنجزه الزيانيون في هذه المدينة بقوله: "فاختطوا بها القصور المونقة والمنازل الجميلة، اغترسوا الرياض والبساتين وأجروا خلالها المياه، فأصبحت أعظم أمصار المغرب ورحل إليها الناس من القاصية ونفقت بها أسواق العلوم والصنائع، فنشأ بها العلماء واشتهر بها الأعلام وضاهت أمصار الدول الإسلامية "[3].

حرص سلاطين بني زيان على تثبيت الأسس العلمية في دولتهم، فسارعوا إلى الاحتفاء بالعلماء ومجالستهم ودعوتهم إلى مجالسهم وتقديمهم على غيرهم من رجالات الدولة، فمؤسس الدولة دشن عهده بدعوة علماء الأمصار ورجالات الفكر للقدوم إلى تلمسان. ولم يكن يقتصر على علماء مملكته لأنه كان يرى في ذلك عزا ومكسبا لمملكته، يباهي به وينافس بقية عواصم الدويلات القائمة. فكان ممن لبى الدعوة أبا بكر محمد بن

=السابق، ص 105. ينظر أيضا، شارل أندري جوليان: **تاريخ إفريقيا الشمالية (تونس، الجزائر، المغرب الأقصى) من الفتح الإسلامي إلى سنة 1830**، تعريب، محمد مزالي والبشير بن سلامة الدار التونسية للنشر والتوزيع، تونس، 1983م، ج2، ص 65.

(1)– ابن خلدون، **العبر**، نفسه، ص 102.

(2)– خالد بلعربي: **الدولة الزيانية في عهد يغمراسن**، دار الألمعية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2001م، ص ص 10- 70- 71.

(3)– يحي ابن خلدون: **بغية الرواد في ذكر ملوك من بني عبد الواد**،ج1، المصدر السابق، ص92.

عبد الله بن داود بن خطاب المرسي الأندلسي (686هـ/1287 م)، الذي أحسن منزلته وقربه إليه وجعله صاحب القلم الأعلى[1]. وأبا إسحاق إبراهيم بن يخلف التنسي (ت680هـ/1281م)[2] الذي نصبه للتدريس بالجامع الأعظم، فكان الطلبة يتزاحمون على مجلسه إلى أن ضاق بهم المكان. بل حتى كبار العلماء كانوا يداومون مجلسه للاستفادة من علمه من أمثال أبو الحسن الصغير عالم فاس[3]، وقد بلغ هذا العالم من المكانة والهيبة في بلاد المغرب الإسلامي ولدا سلاطينها من أن خصه السلطان المريني أبو يعقوب (685هـ-1286م) بوصف خالد بقوله: "ما صافحني أحد قط إلا أحسست بارتعاش يده لهيبة السّلطان، إلا الفقيه أبو إسحاق التّنسي، فعندما يصافحني تدركني منه مهابة فكانت يدي ترتعش من هيبته"[4].

وبما أن المذهب المالكي كان هو المذهب الرسمي للدولة، كانت العناية بالعلوم النقلية في صدارة اهتمام السلاطين الزيانيين لأنها اعتبرت من العلوم الشرعية الواجب تدريسها للطلبة، وتفتح لهم أبواب الوظائف في المدارس والمساجد والدواوين والقضاء. وفي عهد ابنه عثمان بن يغمراسن الشهير بأبي حفص، زاد الاهتمام بكل العلوم، وتعدت إلى النقلية بعدما تم ترسيخ أسس العلوم الشرعية بظهور علماء أجلاء صنفوا في علم الحديث والفقه والقراءات

---

(1)- أحمد محمد الطوخي: **مظاهر الحضارة في الأندلس في عصر بني الأحمر**، تقديم: محمد مختار العبادي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ص 340.

(2)- أبو إسحاق بن يخلف بن عبد السّلام التّنسي، من العلماء الصّالحين الأولياء كبير القدر حيّاً وميّتاً، زاهد ورع، ذو كرامات شهيرة ومكانة عند الملوك عظيمة، ألّف في العلم الكثير، فقيه وأديب انتهت إليه رئاسة التّدريس والفتوى في أقطار المغرب كلها، كانت له رحلة إلى الحج وعاد بعدها إلى تلمسان. ينظر، يحي بن خلدون، **بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد**، مطبعة بيير فونطانا الشرقية، الجزائر، 1903م، ج1، ص47. أبو القاسم محمد الحفناوي، المرجع السابق، ص ص 15- 16.

(3)- ابن خلدون: **المقدمة**، المصدر السابق، ص 695. عبد الحميد حاجيات: **الحياة الفكرية بتلمسان في عهد بني زيان**، مجلّة الأصالة، العدد 26، 1975م، ص 13. بوزيان الدراجي: **نظم الحكم في دولة بني عبد الواد**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1993م، ص 241.

(4)- أبو العباس أحمد ابن عمّار: **نحلة اللّبيب باختيار الرّحلة إلى الحبيب**، مطبعة فونتانة، الجزائر 1902م، ص 166.

والتفسير والأدب والتاريخ، وملأت الكثير من مؤلفاتهم رفوف المكتبات الكثيرة التي تم إنشاءها من قبل ملوك بني زيان. وبرزت مجموعة من الأدباء والشعراء من بينهم الشاعر الصوفي المتميز أبا عبد الله محمد بن خميس (708هـ)، الذي تقلد خطة الكتابة. أما في عهد أبو حمو موسى (708- 718هـ)، فقد جعل من تلمسان قبلة للعلم والعلماء وجلب الفقهين الكبيرين ابنا الإمام أبي زيد وأبي موسى، وكرمها بالإشراف وإدارة أول مدرسة حملت أسميهما بعد ذلك، وعُرفت بمدرسة أولاد الإمام أو المدرسة القديمة التي خرجت أسماء لامعة من أمثال الشريف التلمساني، وابن مرزوق الجد، وأبو عبد الله المقري، وابن عبد النور الندرومي، وسعيد العقباني وغيرهم.

ولا بد من الإشارة إلى نقطة هامة في تاريخ هذه الدولة التي كان يزدان بريق حضارتها بما بلغه سلاطينها من منزلة عالية في مضمار العلوم ونبوغهم في كثير من الفنون مثل أبي حمّو موسى الثّاني الّذي وصفه صاحب نحلة اللّبيب بأنّه كان" طالب للعلم في صغره معتنياً به في كبره مكرّما للعلماء في أيام دولته مجلّاً لهم". وفيه قال ابن الأحمر: "تمسّك بالعلم في سماء المعالي وبرع في نظم القريض وجمع نور الأريض، وجاز في الشّرف بذلك ما أنسى به شرف كلّ مالك"[1]. وخاض أيضا في مجال التأليف وله كتاب "واسطة السلوك في سياسة الملوك"، كما كان شاعرا مفوها، وخطيبا بليغا. يحضر مجالس العلم ويشارك الشعراء نظمهم[2]. أما السلطان أبو زيد الثاني، فإنه أغرم بالكتابة وكان له خط حسن نسخ بيده المصحف الشريف وصحيح البخاري وكتاب الشفا للقاضي عباس.

وحتى التصوف بلغ مرتبة عالية وازدهارا بفعل تبني المجتمع الزياني لصفوة من العلماء الممثلين لهذا التوجه، الذين كانت شهرتهم وزهدهم وتعبدهم مثار تقدير وتنويه منهم، فكان لهم الحظوة والمرتبة العالية وسط الحكام والعامة، فأصبحت عاصمة الزيانيين مركز جذب للعديد من المتصوفة ورموزه، وقصدها جمع كبير من الأسماء اللامعة والمشهورة منهم في

---

(1)- أبو الوليد إسماعيل ابن الأحمر: **النّثير الجمان في شعر من نظم وأياه الزمان**، مؤسّسة الرّسالة بيروت، (ب ت)، ص 98.

(2)- وداد القاضي: **النظرية السياسية للسلطان أبي حمّو الزّياني الثّاني ومكانتها بين النّظريات السّياسية والمعاصرة**، مجلة الأصالة، العدد 27، 1975م، ص 44.

عالم الإسلامي حتى أصبحت حاضرة تلمسان وأحوازها مستقر ومقام العديد منهم وضمت مقابرها رفات الكثير منهم. ومن بين الأسماء المعروفة كان أبو إسحاق إبراهيم بن علي الخياط (ت729هـ) وأبو العيش محمد بن عبد الرحيم الأنصاري الخزرجي (ت654هـ) وأبو القاسم البجائي، عبد الرحمن بن يوسف بن عبد الرحمن الذي ألف كتابا في التصوف سماه "قطب العارفين ومقامات للأبرار والأصفياء والصديقين" (ت577هـ)، وأبو محمد عبد الله بن عبد الواحد المجاصي المعروف بالبكاي (ت741هـ)، وأبو إسحاق الطيار وتطول القائمة لكثرتهم[1].

وفي هذا الجو المفعم بالعلم والثقافة، فإن طبيعة التأليف جاءت متنوعة وشاملة لمختلف العلوم والمعارف، وسنسوق بعضا من أسماء العلماء والفقهاء المتميزين، ومع ذكر بعض المؤلفات المعتمدة في التدريس للتنوير والتعريف.فمن بين أشهر العلماء في هذا الباب، أبو عبد الله محمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق التلمساني (ت681هـ)، وأبو عبد الله محمد بن منصور بن علي بن هدية القرشي (ت736هـ). وابن مرزوق الذي ألف كتابه "إيضاح ألفية ابن مالك" وكتابه في النحو "كان وأخواتها"، وأبو عبد الله الشريف صاحب المصنف "الثاقب في لغة ابن الحاجب". أما في التفسير وعلوم الحديث فقد اشتهر من العلماء التنسي السالف الذكر الذي وضع مؤلفا يشرح فيه كتاب القاضي عبد الوهاب المالكي في الفروع، كما برز اسم أبو عبد الله محمد المغيلي وكتابه "مفتاح النظر" ومحمد بن عبد الكريم المغيلي بمصنفه في الفقه "مصباح الأرواح في أصول الفلاح" وظهر أيضا اسم محمد بن يوسف السنوسي صاحب كتاب "المقدمات"، ومحمد بن أبي العيش الذي برز في الفقه والأصول العربية ألف كتابا كبيرا في الأسماء الحسنى وآخر في تفسير القرآن (ت911 هـ).

أما في التاريخ فقد تصدر أبي زكريا يحي بن خلدون ريادته بكتابه الغني عن التعريف "بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد" الذي تتبع فيه تاريخ الأسرة الزيانية وقيام ملكها إلى غاية عهده، ألفه بأمر من السلطان أبي حمو الثاني، كما ظهر كتاب "نظم الدّر

(1)– ينظر، ابن مريم: **البستان في ذكر العلماء والأولياء بتلمسان**، المصدر السابق. ابن الزيات التادلي: **التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي**، تح: أحمد توفيق، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، ط2،1997م. وغيرها من كتب التراجم عددت رجال التصوف ومناقبه.

والعقبان في بيان شرف بني زيان"، لأبي عبد الله للتنسي الذي اعتبر شهادة تزكية للأسرة الزيانية بشرفها المنتهي إلى آل البيت عليهم السلام، وله أيضا كتاب "راح الأرواح فيما قاله أبو حمو وقيل فيه من الأمداح"[1]، وبرز اسم الفقيه والعالم أبي عبد الله محمد بن مرزوق بكتابه "المسند الصّحيح في مآثر مولانا أبي الحسن" جمع فيه مقتطفات من تاريخ الدولة المرينية والزيانية. ومما يثير الإعجاب في الحركة العلمية والثقافية لهذه الدولة أن العديد من علمائها وفقهائها كانوا يجمعون ما بين العديد من العلوم حتى أنهم كانوا مثار إعجاب وتنويه من علماء المشرق والأندلس، مثل الشريف الحسني التلمساني الذي رحل إلى غرناطة وكان بحق قامة علمية جعلت منه مقصدا ومحَجا لجل علماء الأندلس ينهلون من علمه ومعارفه نفس المكانة حازها ابن مرزوق الخطيب الذي كان خطيبا لجامع غرناطة ومدرسا به وتتلمذ على يديه مجموعة من العلماء يأتي في مقدمتهم لسان الدين بن الخطيب وابن زمرك وغيرهم.

لا يمكننا في هذه العجالة إيفاء الدولة الزيانية حقها في مجال العلم والحضارة وما أنجبته وضمته من علماء وفقهاء وعباد ونساك وصالحين وكيف أنها كانت بحق منارة ومدرسة قائمة بذاتها، وأن علمائها أسهموا بمؤلفاتهم وتصانيفهم التي لا تعد ولا تحصى في إثراء الحضارة الإسلامية بكم هائل من العلوم والمعارف، لا تزال إلى اليوم تشهد بعظمة هذه الدولة وتنوه بكفاءة سلاطينها الذين كانوا لا يتوانون في البذل والعطاء ورصد الأموال الكثيرة لتنشيط الحركة العلمية. وتزخر كتب التاريخ بذكر جهودهم الجبارة لنصرة العلم ورعايتهم للفنون والآداب فتركوا وخلفوا ورائهم آثارا علمية وبصمات فكرية وسمعة طيبة في المغرب والمشرق الإسلاميين[2].

---

(1)- ابن مريم: **البستان**، المصدر السابق، ص 248.

(2)- عبد العزيز فيلالي: **تلمسان في العهد الزياني**، ج2، المرجع السابق، ص 327.

4) الرحلات العلمية لعلماء المغرب الأوسط إلى الحواضر المغربية والأندلسية والمشرقية.

أ- الرحلة العلمية.

تفردت بلاد المغرب عن غيرها من البلاد الإسلامية بالكثير من المزايا والخصائص لعل أهمها وأشهرها هو ظاهرة التنقل الجماعي المنظم إلى المشرق تحت مسميات عدة منها "**ركب الحجيج**" الذي انضوت تحته "**الرَّحلة العلمية**" ثم أطلق عليها "**الرحلات المغاربية**" أو "**الرحلات الحجازية**"[1]، فالحجاز كان هو المقصد الغالب لأهل المغرب المتوجهين إلى بيت الله الحرام لأداء ركن الحج، فغلبت التسمية على تلك الرحلات. علما بأن الكثير من الرَّحالة تعددت اتجاهاتهم ولم تقتصر على مكة أو المدينة، بل كانت لهم وجهات أخرى أقربها كانت الأندلس، التي اشتهرت بحواضرها العلمية، كقرطبة وغرناطة واشبيلية وطليطلة وشاطبة وبلنسية وغيرها. فكان طلبة العلم يختارونها كوجهة مفضلة لمجاورتها بلادهم وتوفرها على ما يبحثون عنه من علوم، ولأنها استطاعت أن تنقل علوم المشرق إليها بفضل الرحلات المبكرة للعديد من العلماء الذين قصدوا بغداد التي ظلت مجمعا علميا متألقا بما كان فيها من أصناف العلوم وما اجتمع فيها من العلماء[2].

لقد ارتحلت الكثير من الأسماء العلمية التي اشتهرت فيما بعد إلى الأندلس لتلقي العلوم ومقابلة العلماء، بداية من دولة الرستميين وإلى غاية الزيانيين. وقد امتلأت كتب التراجم والصلات بذكرهم والترجمة لهم مع ذكر شيوخهم ومصنفاتهم نعجز عن الإشارة إليهم

---

(1)– الحجاز أحد أقاليم شبه الجزيرة العربية القديمة، موقعه معروف غير أنه ليس واضح الحدود. ينظر، الهمداني محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب بن يوسف بن داود: **صفة جزيرة العرب**، مطبعة بريل، ليدن، فيينا، النمسا، 1883م، ص ص 2- 3. ويعرفه ابن منظور بأنه: "الحد أو الفصل أو الحجز". ابن منظور محمد بن مكرم: لسان العرب، دار صادر، بيروت، 1990م، ج4 ، ص 44. الحموي ياقوت: **معجم البلدان**، ج4، ص ص 107- 108. الأصفهاني: **بلاد العرب**، ص ص 14- 15. ابن حوقل: **صورة الأرض**، ص ص 29- 30.

(2)– حسني محمود حسني: **أدب الرحلة عند العرب**، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط2، 1403هـ/1983م، ص 13

لأننا سنكون أما قوائم طويلة وبيبليوغرافيا ضخمة. كما استقطبت الحواضر العلمية في كل من مصر وبيت المقدس ودمشق وغيرها من المدن الحواضر، العديد من المغاربة وكانت أعدادهم أيضا من الكثرة بحيث يصعب حصرهم وعدهم. وفي ذلك يذكر المقري ما نصه: "إن حصر أهل الارتحال لا يمكن بوجه ولا بحال ولا يعلم ذلك على الإحاطة إلا علّام الغيوب الشديد المحال، ولو أطلقنا عنان الأقلام في من عرفناه فقط من هؤلاء الأعلام لطال الكتاب وكثر الكلام"[1]. وتنقل طلبة العلم والعلماء كذلك بين حواضر المغرب الإسلامي، فكنت تيهرت والقلعة وبجاية والمسيلة وورجلان وتلمسان وسجلماسة وفاس وغيرها مراكز علمية استهوت العديد من الشيوخ والعلماء والأدباء، فاتخذوها مستقرا لهم ومنبرا يشع منه نور علومهم المكتسبة في كل التخصصات العلمية من تفسير فقه وحديث ونحو وصرف وطب وفلسفة كما سيأتي تبيانه لاحقا، فأفادوا بعلومهم أجيالا من الطلبة الذين ذاع صيتهم وحملوا مشعل الحضارة من بعدهم.

ونأخذ على ابن خلدون قوله: "بأن أهل المغرب كانت رحلتهم غالبا إلى الحجاز وهو منتهى سفرهم، والمدينة يومئذ دار العلم، ومنها خرج إلى العراق، ولم يكن العراق في طريقهم فاقتصروا على الأخذ عن علماء المدينة"[2]. لأن قوافل العلماء وطلاب العلم التي قصدت بغداد ودمشق والقاهرة وحتى بلاد ما وراء النهرين تجعلنا نتوقف عند هذا الحكم الذي يبقى محلا للنقد أو التوضيح. فالتواصل العلمي والثقافي بين المشرق والمغرب لم يتوقف بتاتا ولم ينعدم بين حواضره. وإذا أردنا أن نسوق مثالا على ذلك فيكفينا مسار مؤسس دولة الموحدين محمد بن تومرت الذي مكث بعاصمة الخلافة مدة طويلة فاقت السبع سنوات على ما ذكرته المصادر التاريخية التي ترجمت له وقبله بكر بن حماد التاهرتي الذي قصد الأندلس ثم توجه بعدها إلى البصرة وبغداد ومكث بها سنوات عدة مشاركا علمائها وفقهائها علومهم وعاد بعدها إلى عالما، والفقيه الأندلسي أبو بكر محمد ابن العربي الذي طاف في كل أنحاء العالم الإسلامي طلبا للعلم[3].

---

(1)– أحمد المقري: **نفح الطيب**، المصدر السابق، ص 5.

(2)– ابن خلدون، **المقدمة**، المصدر السابق، ص 805.

(3)– ابن عذاري المراكشي، **البيان**، المصدر السابق، ج1، ص153– 154. حسني محمود حسني، **أدب الرحلة**، المرجع السابق، ص 13.

عرف عن الرَّحالة المغاربة بأنهم كانوا من الكتاب البارعين. ففي رحلاتهم كانوا يدَّونون كل مراحل الرَّحلة بداية من الحياة اليومية، ووصف الأماكن التي زاروها، كالمدن والقرى ودور العبادة والمساجد والرباطات، ويكتبون ما دار بينهم وبين من التقوا بهم من العلماء والفقهاء والصلحاء والعباد والزهاد والنساك والوجهاء وغيرهم من طبقات المجتمع، سواء كان موضوع اللقاء جلسات علمية أو ضيافة أخوية،فكانت تلك الكتابات موسوعات علمية وجغرافية أغنت المكتبة الإسلامية بمعلومات قيمة وحقيقية عن أوضاع البلاد والعباد التي مروا منها، ولولاهم لبقيت الكثير من المعلومات والحقائق غائبة ومجهولة[1].

وعرف المغاربة أنواعا أخرى من الرَحلات وتنوعت بتنوع أسبابها وحوافزها السياسية والدينية والاقتصادية[2]. كما كان للمتصوفة رحلاتهم الخاصة دائمة بغرض تطويع النفس النفس وقصد شيوخ الطريقة التي يتبعونها بهدف التواصل مع أصحابها وأخذ البركات منهم لنيل الحظوة ولبس الخرقة والحصول الدعوات الصالحات[3]. وهنا يجب أن نوضح معنى السفر عند المتصوفة لأنه اتخذ دلالتين: الأولى السفر الجسماني ببعده الجغرافي، أي التنقل. والثاني السفر الوجداني أي الروحي وهو عالم خاص بهم رتبوه على حسب درجة العبادة والتمكن للشيوخ والأسياد، حتى غدا لبعض الطوائف من المتصوفة مفهوم السفر بمثابة علامة مميزة لها وشرطا أساسيا لتصحيح السلوك[4].

---

(1)– حسني محمود حسني: **أدب الرحلة عند العرب**، المرجع السابق، ص 7.

(2)– ضيف شوقي: **الرحلات**، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط4، (د– ت)، ص 9.

(3)– انظر، الطوسي، أبي نصر السراج: **اللمع في التصوف**، "**ت:378هـ**"، تح: عبد الحليم محمود طه عبد الباقي سرور، 1380هـ/1960م، دار الكتب الحديثة، مصر، مكتبة المثنى، بغداد، العراق، ص 250 وما بعدها. يصف فيها سفريات المتصوفة وأحوالهم وقد عنونها صاحبها "باب في ذكر آدابهم في أسفارهم".

(4)– علمي عبد الرحيم: **أدب الرحلة الصوفية في الغرب الإسلامي**، مجلة دعوة الحق، العدد،350 ذو الحجة، 1420هـ/2000م، وزارة الأوقاف المغربية. ولمزيد من المعلومات والشرح لهذا الفكر. لذلك يرجى العودة إلى كتب التصوف فهي مليئة بالكثير من قصصهم وكراماتهم.

كما وجدت أنواع أخرى من الرحلات، منها التكليفية أو السفارة التي تندرج ضمن إطار البعثات الرسمية للملوك والأمراء[1]. وهي سفارات ناقلة للهدايا والرسائل وتختلف مضامينها حسب الظروف والغايات المرتبطة بها، بين حكام الدويلات القائمة أو مع الخارج. إلا أن الجانب العلمي كان يشغل حيزا هاما منها إذ غالبا ما كانت تلك البعثات تحمل أو تجلب معها كتبا قيمة مهداة من قبل السلاطين والملوك أو الأمراء. وكانت إما كتب أصلية أو منسوخة من الأصل مطرزة بأغلى أنواع الجواهر واللآلئ والأحجار الكريمة التي كان يحرص مهدوها على تجميلها وتزويقها نظرا لما كانوا يكنونه للعلم والعلماء وأدواته من احترام وتقدير ومكانة رفيعة[2].

أسهمت الرحلات العلمية في تقريب المشرق والمغرب، وربطت بين نخبه المثقفة روابط وصلات ظلت قائمة بين الشيوخ والطلبة، والمراسلات بينهم مستمرة، والتوصيات قائمة للتكفل بالطلبة وإجازتهم واستقبال العلماء، ونقلت تجارب وطرق التعليم في أمصار العالم الإسلامي، كما أنها شكلت مصدرا تاريخيا هاما أمدنا بمعلومات قيمة عن واقع الأحوال في البلدان، وجاء ذلك كله ضمن إطار طلب العلم الذي لم يكن ليكتمل إلا بالرحلة إليه[3].

ب- دوافع الرَحلة عند المغاربة.

اندفع المغاربة في حمية وإخلاص قل نظيرهما في تاريخ الأمم والشعوب إلى شدً الرحال نحو الأقطار والأمصار في طلب العلم وتحصيله، ولما كان حاجز الحدود واللغة معدما اندفعوا بقوة لتجسيده. فكانت مختلف المدن والحواضر في مشارق الأرض ومغاربها مقصدهم، كما يمكننا القول أن الدعوات الصريحة التي جاء بها القرآن الكريم في غير من موضع داعيا المسلمين إلى التعلم والجد في طلب العلم والحث عليه لم تكن مرهونة بالحج أو مناسكه. بل تجاوزتها إلى ما هو أسمى وأنفع من مجرد إتمام الأركان وتوديع الأوطان. فأنظر إلى قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا لِّتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا

---

(1)- نوال عبد الرحمن الشوابكة: **أدب الرحلات الأندلسية والمغربية**، تق: صلاح جرار، دار المأمون للنشر والتوزيع، المملكة الأردنية الهاشمية، 2007م، ص 40.

(2)- الناصري: **الإستقصا**، ج1، المرجع السابق، ص 151.

(3)- ينظر، ابن خلدون: **المقدمة**، المصدر السابق، ص 548.

فِجَاجًا﴾[1]. وقوله: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا ﴾[2].

فمن قصص القرآن وأحكامه استنبط المسلمون مبكرا ضرورة السير والتجول في أرض الإسلام طلبا للعلم والتعارف مع الأمم الأخرى، فلم يختص الله سبحانه وتعالى عرب الجزيرة وحدهم بهذا النور والهدى، ولم يجعلهم أوصياء على هذا الدين ليمنعوا أو يعطوا بقدر مشيئتهم. فهو رسالة عالمية يشترك فيها الجميع، وتتكافل فيها الأمة لتبليغها. وهذا رسول الأمة عليه أفضل الصلاة والسلام يقول: "مثل أمتي مثل المطر، لا يُدرى أوله خير أم آخره"[3]. كتذكير منه إلى أمة الإسلام بأجناسها وأعراقها، أولها وآخرها، قاصيا ودانيها هي وحدة متكاملة يكمل بعضها بعضا. فتوجهوا بصدق إلى التمكن من الدين وتعلمه وحين ضاقت بهم أفق التحصيل في البداية لم يستكينوا أو يوهنوا بل شدوا الرِّحال وضربوا المسير في الأرض يرومون العلم والعلماء، ويقصدونهم للالتقاء بهم شخصيا لمجالستهم ومدارستهم، وعدوا ذلك من شروط تحصيل العلم والتمكن منه. وفي ذلك يقول الإمام علي كرم الله وجهه في نهج البلاغة: "ليست الرؤية كالمعاينة مع الإبصار، فقد تكذب العيون أهلها ولا يغش العقل من استنصحه"[4].

بلغ التنافس أشده بين المغاربة على الرحلة في طلب العلم، وعدوه من درجات اكتمال التعلم، وقلما عادوا إلى أوطانهم من دون إجازات تعترف لهم بالكفاءة والتمكن، أو شهادات التقدير والتزكية المختومة من قبل علماء ومشائخ بلدان المشرق[5]، حتى أن الكثير منهم جلس

---

(1)– **سورة نوح**، الآيتان 19– 20.

(2)– **سورة الروم**، الآية 09.

(3)– محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري: **تحفة الأحوذي**، دار الكتب العلمية، بيروت. ينظر، الألباني ناصر الدين، السلسلة الصحيحة، 5 / 355.

(4)– علي بن أبي طالب: **نهج البلاغة**، ج4، ص 68.

(5)– الإجازة هي عبارة عن شهادة إقرار يمنحها الشيوخ وكبار العلماء للطلبة المتفوقين عندما يلمسون منهم اكتمالا في العلم وتفوقا في المعارف. وغالبا ما كان ينالها الطالب بعد ملازمته للشيخ أو المعلم الفقيه لفترة معينة من الزمن تتفاوت في المدة بين عالم وآخر وقد تطول لعدة سنوات، وهي اعتراف على قدرة وكفاءة الطالب من شيخه على القيام بالفتيا أو التدريس وتحرر باسم العالم أو الشيخ الذي منحها.

ينظر، حسين يوسف دويدار: **المجتمع الإسلامي**، دار الحسين الإسلامية، ط1، ص ص 403–404.

على كراسي التدريس في حواضر مصر والشام ومساجدها،بل حازوا الإقرار والرفعة حتى في الحرم المكي وأصبحوا أساتذة وشيوخا تضرب إليهم أكباد الإبل للجلوس عندهم والأخذ منهم والاستفادة من علومهم[1].

(1)– كساس صافية: **الرحلات العلمية من وإلى المغرب العربي ودورها في تنشيط الحركة العلمية والتعليمية بالمغرب العربي**، مجلة الممارسات اللغوية، العدد08، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، ص ص180– 181.

الفصل الثاني: العلوم الدينية بالمغرب الأوسط خلال هذه الفترة.

أ- علوم القرآن.

أولا- أشهر كتب التفسير وعلم القراءات المتداولة بالمغرب الأوسط خلال هذه الفترة.

1- عند الرستميين.

2- عند الفاطميين.

3- القراءات والتفسير عند الحماديين.

4- القراءات والتفسير عند المرابطين والموحدين.

5- القراءات والتفسير عند الزيانيين.

ب- علم الحديث.

مؤلفات علماء المغرب الأوسط في علم الحديث وأشهر الكتب المتداولة

1- عند الرستميين.

2- علم الحديث عند الفاطميين.

3- علم الحديث عند الحماديين.

4- علوم الحديث عند المرابطين والموحدين.

5- علوم الحديث عند الزيانيين.

ت-علم الأصول.

آثار علماء المغرب الأوسط في علم الأصول وأشهر كتبهم.

1- علم الأصول عند الرستميين.

2- علم الأصول عند الفاطميين.

3- علم الأصول عند الحماديين.

4- علم الأصول عند الموحدين والمرابطين.

5- علم الأصول عند الزيانيين.

أ- علوم القرآن:

إن أهم ما يميز الدين الإسلامي عن غيره من الأديان أنه جاء بالقرآن الكريم كإعجاز رباني فريد من نوعه أراد الله به خيرا لهذه الأمة، وتكريما لخاتم الأنبياء والمرسلين محمد صلى الله عليه وسلم.فجاء بسوَرِه وآياته وكلماته جميعها منزلا من عند الله محمولا من قبل جبريل عليه السلام[1]، مبلغا به الرسول الكريم دون زيادة أو نقصان، فهو كلام الله سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ القُدسِ مِنْ رَبِّكَ بِالحقِّ﴾[2]. والقائل أيضا: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ، نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ، عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾[3]. وقوله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾[4]. وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآَنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾[5].

فلقدسيته كان كثير من العلماء الربانيين ومن سار في ركبهم من الفقهاء والمفسرين والمشايخ والصلاح يجهدون أنفسهم ويسلكون طرقا عدة وسبلا شتى في محاولة تفسير آياته، وشرح بيانه وفهم معانيه، ومجاراة بلاغته، لأنهم أدركوا حقيقة أن لكل لفظ له معنى إفرادي، ولكل كلام معنى تركيبي وأنه لم يرد في القرآن مالا معنى له، فكان لكل حرف دور ومقصد ومعنى[6].

فكيف تعامل علماء المغرب الأوسط مع علومه التي تفسر معانيه بغرض توضيحها أو تدور في فلكه أو تستنبط منه؟. وهي كثيرة متعددة مثل التفسير وأسباب النزول، والإعجاز وعلم الناسخ والمنسوخ، وعلم إعراب القرآن، وعلم القراءات، وعلم عَدُ الآي وفواصلها وعلم الرسم العثماني، وعلم الدين من فقه وتوحيد وعلم اللغة العربية من نحو وبلاغة وغيرها من

---

(1)- الجديع عبد الله بن يوسف: **المقدمات الأساسية في علوم القرآن**، مركز البحوث الإسلامية ليدز، بريطانيا، ط1 1422هـ/2001م، توزيع، مؤسسة البيان، لبنان، ص 10.

(2)- **سورة النحل**: الآية 102.

(3)- **سورة الشعراء**: الآيات 192- 194.

(4)- **سورة النجم**: الآية 4.

(5)- **سورة النمل**: الآية 6.

(6)- ينظر، الباقلاني، أبي بكر محمد بن الطيب: **إعجاز القرآن**، تح: أحمد صقر، دار المعارف القاهرة، مصر، 1374هـ/ 1954م، ص ص 42- 43. بن عاشور محمد الفاضل: **التفسير ورجاله**، مجمع البحوث الإسلامية، الأزهر الشريف، مصر، 1390هـ/1970م، ص 9.

العلوم المرتبطة به[1]. فتنّوعت علومه وما ألف فيها. فمنها ما شمّل تاريخ القرآن الكريم تنزله وجمعه ومنها من اختص بقراءاته وتجويده ومنها ما أهتّم بتفسيره[2].

أولا- أشهر كتب التفسير وعلم القراءات المتداولة بالمغرب الأوسط خلال هذه الفترة.

1- عند الرستميين.

عرف عن الرستميين اهتمامهم البالغ بعلوم القرآن، لا شك في ذلك، فأئمة الدولة وكما أسلفنا واتفقت عليه كل المصادر التاريخية كانوا من حملة القرآن ومن الفقهاء المجتهدين ورواد العلوم، فمؤسس الدول عبد الرحمن بن رستم كان عالما متمكنا، وفقيها من فحول العلماء الراسخين[3]، قبل أن يكون إماما، وذكر له تفسير لكتاب الله، لكنه مفقود وأغلب الظن أنه أتلف في حريق مكتبة المعصومة من قبل الشيعة، ولم يعثر له على نسخ في خزائن الإباضية[4].

وقد كان من الذين أرسوا قواعد التعليم الإجباري لأبناء الدولة، أما ابنه عبد الوهاب فكان من أعلم علماء الإباضية في وقته[5]، وهو القائل عن نفسه عندما وردته الكتب المستنسخة من المشرق وعكف على قراءتها كلها: "فوجدت كل ما فيها محفوظا في ذهني عدا مسألتين لو سئلت فيهما لأجبت عنهما قياسا لما في الكتب"[6]. وله كتابا في الفقه سماه "مسائل نفوسة" أو "نوازل نفوسة" وفيه أجوبة لمسائل فقهية متعددة جوابا على رسائل وردته

(1)- أبو سليمان، صابر حسن محمد: **مورد الظمآن في علوم القرآن**، نشر: الدار السلفية، ط1، 1404هـ/ 1984م، بومباي، الهند، ص 6.

(2)- بوداعة نجادي: **الحياة الفكرية في الأندلس على عهد الدولة الموحدية (541هـ- 668هـ/ 1147م - 1269م)**، مذكرة التخرج لنيل شهادة الماجستير، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية قسم التاريخ ، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، 1430- 1431هـ/ 2009 - 2010م، ص 60.

(3)- الباروني: **الأزهار الرياضية**، المرجع السابق، ص 52.

(4)- محمد المختار إسكندر: **المفسرون الجزائريون عبر التاريخ**، ج1، حلب للنشر، ص 147.

(5)- عبد الرحمن الجيلالي، **تاريخ الجزائر**، **ج1**، مرجع سابق، ص 168.

(6)- أبي زكرياء: **سير الأئمة وأخبارهم**، المصدر السابق، ص65. يحي إبراهيم بحاز: **معجم أعلام الإباضية من القرن الأول الهجري إلى العصر الحاضر**، دار المعرفة، الجزائر، (2009م)، ج2، ص60.

من جبل نفوسة وكان هذا الكتاب مشهورا عند الإباضية يتداولونه قرن بعد قرن[1]. أما الإمام أبو اليقظان فقد اشتهر بتبحره في مختلف العلوم وألف العديد من الكتب في الفقه[2]. أما الإمام أفلح أفلح عالما فكان عالما بالحساب والفلك والتنجيم، وله عدة مؤلفات ورسائل وأجوبة جامعة لنصائح ومواعظ وحكم[3].

ومن العلماء النبغاء الذين عرفوا في هذا الباب، محمد بن يانس الدركلي النفوسي المعروف بابن أبي المنيب (عاش ما بين 200– 250هـ) ويعد من أشهر مفسري نفوسة وهو الذي قدم إلى تيهرت لمناظرة المعتزلة ويقول عن نفسه: "... أما أنا فقد أخذت تفسير القرآن كله من الثقات، وعلمته عنهم، إلا حرفا واحدا، أو حرفين، فإن اضطررت أجد مخرجا"[4]. وهود بن محكم الهواري (208–258هـ) الذي استقضاه الإمام أفلح، وله كتاب جليل في التفسير في أربعة أجزاء "تفسير كتاب الله العزيز"، ومنهم عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أبي الشيخ (أواخر ق3هـ) اعتبر من فقهاء الدولة وأحد كبار مشايخها. كان تقيا ورعا عارفا بالفقه وبقية العلوم[5]، وعرف أيضا أبي غانم بشر بن غانم الخراساني بمدونته وهي في مقام مدونة سحنون عند المالكية. وكتاب "ماطوس"، للفقيه ماطوس بن هارون، كما تداول الإباضية كتاب "شرائع الدين" للواب بن سلام التوزري وهو كتاب في التفسير خاض فيه صاحبه في شرح الكثير من السور والآيات، كما إستنسخ عمروس بن فتح المساكني العمروسي، مدونة إبن غانم. و"مسند ابن الربيع" سنأتي على ذكره في الفصل الثالث، ومحمود بن بكر الذي كان يرد على مخافي الإمام أبو اليقظان، وعبد العزيز بن الإوز الذي كانت له رحلة إلى المشرق وكان ذو فقه بارع[6]، وسنكتفي بهذا القدر نظرا لما كان عليه العلم

(1)– ابن الصغير: **أخبار الأئمة**، المصدر السابق، ص 39.

(2)– عمارة عمورة، نبيل دوادة: **الجزائر بوابة التاريخ الجزائر عامة ما قبل التاريخ إلى 1962م**، ج1، دار المعرفة، ص 81.

(3)– عيسى الحريري: **الدولة الرستمية بالمغرب**، المرجع السابق، ص 237.

(4)– أبي زكريا: **سير الأئمة**، المصدر السابق، ص 67.

(5)– ابن الصغير: المصدر السابق، ص ص 77– 101.

(6)– ابن الصغير: **نفسه**، ص 86.

العلم وأصحابه في هذه الدولة خاتمين بأحد أعلام الفقه المالكي فيها وهو الفضل بن سالم الجبائي بكتابه "جامع المسائل الموازنة والمستخرجة "[1].

2- عند الفاطميين.

اختص الشيعة الفاطميون باختلافهم عن جمهور المسلمين في تفسير كتاب الله العزيز ولم تكن لهم كتب جامعة ومستقلة في التفسير، بل كانوا يفسرونه وفق ما تقتضيه عقيدتهم وتوجيهات أئمتهم[2]، فيتناولون الآية أو السورة منفردة ويفسرونها وفق حاجتهم إليها سواء في الدَّعوة أو لإيصال نسبهم إلى آل البيت، أو لشرح كلام الأئمة وهكذا[3]. وقد كان لهم تاريخ عجيب في تفسير القرآن بالباطن وإنكار الظاهر، وتأولوا كل ما جاء في القرآن واشتهر منهم القاضي النعمان الذي كان من أهل العلم والفقه والدين والنبل كما كان من أهل القرآن وعالما بوجوه الفقه وعالما باختلاف الفقهاء[4]، وقد ألف لأهل البيت آلاف الأوراق بأحسن تأليف وأملح سجع"[5].

يعتبر النعمان منظر المذهب الشيعي ورأسه بعد الخليفة، وعلى عاتقه ألقيت مأمورية شرح وتفسير وإجلاء حقيقة المعتقد الإسماعيلي، لذلك كان هو ومجموعة من الدُعاة المتمرسين من يقوم بإقراء الناس في المساجد لسماع الحكمة بعد صلاة العصر، ويعقد معهم الحلقات الدينية لإرشادهم والرَّد على تساؤلاتهم، ومن أهم كتبه التي خاض فيها في التفسير

(1)- رابح بونار: **المغرب العربي تاريخه وثقافته**، المرجع السابق، ص 92.

(2)- جعفر السبحاني: **دور الشيعة في بناء الحضرة الإسلامية**، دار الأضواء، لبنان، ط1، 1414هـ /1993م، ص 38.

(3)- محمد حسين الذهبي: **التفسير والمفسرون**، ج2، مكتبة وهبة، (1396هـ/1976م)، مصر، ص 177.

(4)- حسن إبراهيم حسن وطه أحمد شرف: **المعز لدين الله**، منشورات مكتبة النهضة المصرية، مصر ط2، 1963م، ص 200.

(5)- إبراهيم بن أبي بكر بن خلكان: **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تح: إحسان عباس، دار صادر، لبنان، 1972م ج5، ص 405.

كتابه "مفاتيح النعمة"[1]، وهو عبارة عن مجموعة من الرسائل شرح فيها الكثير من الآيات مثل تفسيره الآية الكريمة: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾[2]. كما عرف له كتابا آخر "أساس التأويل" وهو تفسير سار فيه على منهج الشيعة في تفسير القرآن أي النفاذ إلى ما وراء المعنى الحرفي والشكلي للنص للوصول إلى الحقيقة.تعرض فيه بالشرح والتفصيل لقصص الأنبياء، وفق المنظور الإسماعيلي.

ولم يكن صاحب الدَّعوة الدَاعي الشيعي أبا عبد الله،العالم الفقيه، أقل شأنا من القاضي النعمان، فقد سبقه في الدَّعوة، كما أنه استقى علومه كلها على أيدي كبار علماء الكوفة وبغداد[3]، ولذلك نجد القاضي النعمان يثني عليه بالقول: "كان ذا علم وعقل ودين وورع وأمانة ونزاهة"[4]، ويصفه ابن عذارى بأنه: "كان ذا فهم وفصاحة وجدال ومعرفة"[5]، وقد أظهر مقدرة كبيرة على مواجهة الصعاب، وتجنيد الأتباع، والأولياء والرَد على معارضيه بالقرآن والحجة، وما ردوده على الأمير الأغلبي إلا دليلا على تبحره في العلوم، وإحسانه طرق الجدل والمناظرة[6]. ولم يكن هذا الدَاعي بقاصر على تفسير القرآن، وإنما متطلبات الدَعوة وأسس المذهب أوكلت تلك المهمة إلى الأئمة، أما غيرهم فإنهم يستلهمون من علومهم وعنهم يستمدون أصول المذهب ومبادئه.

لم تركد مياه الاجتهاد العلمي عند الفقهاء السنة في عهد الفاطميين، فقد حافظوا على عقيدتهم السنية، وواصلوا مقاومتهم للمَد الشيعي، وإنتاجهم الفكري. فاشتهر منهم أبو يعلى أحمد بن محمد المروذي (ت336هـ)، وأبو إسحاق بن أبي المنهال ومحمد بن عمران

---

(1)- القاضي النعمان: **شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار**، تح: محمد حسينى الجلالي، منشورات الإعلامي، 2006م، ج1، لبنان، ص 58.

(2)- **سورة التوبة:** الآية 11.

(3)- علي حسني الخربوطلي: **أبو عبد الله الشيعي**، المرجع السابق، ص ص 18- 19.

(4)- القاضي النعمان: **افتتاح الدعوة**، المصدر السابق، ص 26.

(5)- ابن عذارى: **البيان**، ج1، المصدر السابق، ص 124.

(6)- القاضي النعمان: **الافتتاح**، ص ص 42- 43.

النفطي[1]، أما في التفسير فكان أبو الأسود موسى بن عبد الرحمن القطان، وأبو جعفر أحمد بن زياد، وأبو سليمان ربيع القطان[2].

3- القراءات والتفسير عند الحماديين.

عرفت علوم القرآن في الدولة الحمادية ازدهارا ونشاطا غير مسبوق، فمنذ نبذ مذهب التشيع من قبل صاحب الدولة حماد سنة(419هـ) حتى عاد للمالكية صولاتهم وجولاتهم في التأليف والاجتهاد، فبرز في القراءات أبي العباس أحمد بن عبد الله المعافري (581هـ) الذي وصفه صاحب عنوان الدراية "الأستاذ المقرئ، كان حسن التلاوة، صادق القراءة"[3] من مؤلفاته اختصار كتاب "التيسر" لعمر الداني، واشتهر في هذا العلم أبي عبد الله محمد بن عبد العزيز المعروف بابن العفراء، وعرف بقراءته الحسنة وصوته الرخيم، وكان فيه تخشع وورع. وأبو نصر فتح بن عبد الله المرادي (ت620هـ)، عُد من جلة المقرئين بالمغرب، وأبو عبد الله الشاطبي (ت691هـ) من علماء القراءات المتأخرين، وله حظ وافر في بقية العلوم[4]. العلوم[4]. ويبقى اسم أبو القاسم يوسف البكري المولود سنة (403هـ) ببسكرة من أبرز علماء القراءات، قال فيه إمام القراء ابن الجزري: "لا أعلم أحدا في هذه الأمة رحل في القراءات رحلته". ترك آثارا جليلة في القراءات منها كتابه "الكامل في القراءات" و"الوجيز" و"الهادي"[5]. و"الهادي"[5].

أما في التفسير فقد اشتهر منهم أبو الحسن بن أحمد الحرالي التجيبي (ت638هـ) الذي "كان يلقي في التفسير قوانين تتنزل في علم التفسير، ويورد الآي ويناسقها نسقا بديعا ويتكلم فيها بما لم يسبق إليه"، وله كتابا في التفسير سماه "الباب المقفل عن فهم القرآن المنزل"[6]، وأبو العباس أحمد بن محمد الغرناطي، وأبو سعيد عثمان البلنسي (ت654هـ) وأبو وأبو علي الحسن بن علي بن محمد المسيلي (ت580هـ) وهو الذي سمي بأبي حامد

(1)- فرحات الدشراوي: **الخلافة الفاطمية بالمغرب**، المرجع السابق، ص 598.

(2)- يوسف حوالة: **المرجع السابق**، ج1، المرجع السابق، ص 425.

(3)- الغبريني: **عنوان الدراية**، المصدر السابق، ص 133.

(4)- الغبريني: **نفسه**، ص 85- 91.

(5)- عبد الحليم عويس: **المرجع السابق**، ص 261.

(6)- الغبريني: **نفسه**، ص ص 144- 145.

الصغير وله كتاب في علم التذكير سماه كتاب: "التفكير فيما يشتمل عليه السور والآيات من المبادئ والغايات"، وهو كتاب جليل سلك فيه مسلك أبي حامد في كتاب الأحياء[1] ومنهم أبو جعفر بن أمية (عاش في القرن السابع) كانت له جملة من التآليف في الحكمة، واللغة والنحو وكتب أخرى في التفسير[2].

4- **القراءات والتفسير عند المرابطين والموحدين.**

يعتبر عصر الدولتين المرابطية والموَّحدية الفترة الذهبية بالنسبة لتطور العلوم ازدهارها وبلغ من تعظيم المرابطين للعلم أن كانوا يسمون الأمير العظيم منهم بالفقيه للتنويه به والإعلاء من شان قدره[3]. فعاش العلماء والفقهاء في عز وشرف، واستحكم بعضهم في مراكز السلطة، فكان منهم الوزراء والكتاب والمؤدبين، وغالبا ما كان يعود أمراء وخلفاء الدولتين إلى مشورة أهل العلم في تسيير أحوال الدولة وشؤونها. فانزاح ما كان يقيد الفكر والعقل، وتفتقت قرائحهم بالتأليف والتدوين فنفقت العلوم وتنوعت المعارف، وكان للعلوم النقلية فيهما الحظ الأوفر.

وليس من العسير الإدراك بأن علوم القرآن حظيت بالأولوية في هاتين الدولتين، فكانت القراءات والتفسير من بين أشرف العلوم التي ستحظى بعنايتهم، لاتصالها بقراءة القرآن وفهم معانيه واستنباط الأحكام منه، ونسوق هنا ما قاله المراكشي في الترجمة لنفسه عند حديثه عن مدينة مراكش: "فلم أزل بها على لأن قرأت القرآن وجوّدته ورويته عن جماعة كانوا هنالك مبرزين في علم القرآن والنحو"[4].

وبداية نشير إلى الخليفة الموحدي يوسف بن عبد المؤمن الذي كان من أحسن الناس نطقا للقرآن الكريم، وكان يجالس الفقهاء والعلماء ويحضر مناظراتهم لعلمية ويدلي برأيه فيها، كما حفز نخبة الأندلس على المقدم إليه، فكان منهم أحد أعلام القراءات فيها وأحد مفاخرها تخرجت على يديه جحافل من الطلبة القراء، أبو عمرو عثمان بن سعيد القرطبي

---

(1)– عادل نويهض: **المعجم**، المرجع السابق، ص 299.

(2)– الغبريني: **الدراية**، المصدر السابق، ص 216.

(3)– المقري: **النفح**، ج1، المصدر السابق، ص 221.

(4)– عبد الواحد المراكشي: **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، تح: محمد سعيد العريان، نشر لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، 1383هـ/ 1963م، ص 446.

الداني (ت444هـ)، نظم أرجوزة في القراءات لتسهيل تعلم علم القراءات وقواعده للطلبة وله كتاب "جامع البيان في القراءات السبع" وكتاب "التحديد في معرفة التجويد" وآخر "التلخيص لأصول قراءة نافع بن عبد الرحمن" و"أصول القراءات" وغيرها. ومحمد بن قرقاشش من أهل طليطلة، كان من المهرة في القراءات وله تأليف صغير في اختلاف القراء السبع، ومحمد بن معاذ اللخمي الاشبيلي (ت533هـ)، وأحمد بن الحطيئة اللخمي (ت560هـ) كان عالما بالقراءات السبع[1]، أبو عبد الله بن عبد الحق التلمساني (ت625هـ) فقيه مقرئ محدث متكلم من أهل تلمسان، ألف كتاب "المختار في الجمع بين المنتقى والاستذكار في الحديث"، وكتاباً في "الإقناع في كيفية السماع" وغيرها من المؤلفات القيِّمة[2]. ومن بين أهم المؤلفات التي كان يتداول على دراستها الطلبة في هذا العلم على عهد المرابطين والموحدين، كتاب "الإيماء في مذاهب السبعة القراء" لمحمد بن عبد الله اللخمي، وكتاب "الإشارة في قراءة الأئمة السبعة المختارة"، وكتاب "الشمس المنيرة في القراءات السبع الشهيرة" لصاحبه الحسين بن محمد البكري الدباس (ت524هـ).

أما فيما يخص التفسير وعلومه فلا يمكننا إحصاء عدد العلماء والفقهاء الذين نبهوا في هذا العلم، وجمعوا بين الطريقتين.التفسير النقلي المنقول عن السلف، والمتوارث جيلا بعد جيل من ناسخ ومنسوخ وأسباب النزول، وترتيب مكيها ومدنيها، خاصها وعامها، محكمها ومتشابهها، ومقاصد الآيات، وغيرها، وبين التفسير بما يستحكمونه من ضروب التمكن في علوم اللسان واللغة والإعراب والبلاغة،وكلتا الطريقتين برعا فيها علماء العدوتين التي شهدت ميلاد المئات منهم،وضجت خزائن الكتب بمؤلفاتهم العديدة،فنذكر منهم على سبيل الحصر لا العدّ[3]. أبو محمد عبد الحق بن عطية المحاربي الذي ألف كتابه "الوجيز في

---

(1)– جمال أحمد طه: **مدينة فاس في عصري المرابطين والموحدين**، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، مصر، 2001م، مصر، ص 278.

(2)– رشيد بورويبة وآخرون: المرجع السابق، ص343.

(3)– يذكر حسين مؤنس بأن أعداد العلماء والفقهاء وغيرهم في هذه الفترة قد بلغ من الكثرة بحيث أنك لا تستطيع ذكرهم أو الترجمة لهم. ويذكر أن ابن الفرضي قد أحصى في كتابه علماء الأندلس 1766 عالم. وابن بشكوال ذكر في صلته 1440 اسما، أما ابن الأبار فقد أورد في تكملته نحو 2500 اسما. ينظر، حسين مؤنس: **شيوخ العصر في الأندلس**، دار الرشد، ط4، 1418هـ/1997م، ص 117.

التفسير"، وتفسير ابن برجان (ت536هـ)، وتفسير للزمخشري، وكان منهم عبد الجليل بن موسى الأنصاري الأوسي القصري (ت608هـ)، وضع تأليفا في تفسير القرآن بلغ عدد أجزاءه ستين مجلدا،فسر في كل جزء منه حزبا واحدا،ومنهم أبي عبد الله محمد بن يوسف بن عمران المزدغي (ت655هـ) له كتابا في التفسير انتهى فيه إلى سورة الفتح، وأبي عبد الله محمد بن علي بن العابد الأنصاري الفاسي (ت622هـ)، اختصر الكشاف للزمخشري وحذف منه مسائل الاعتزال[1].

وهكذا نجد أن الأسماء تتتابع، والمؤلفات تتوالى وكلها مستأثرة لعلوم لقرآن، وخدمة الفقه والحديث، وهذا ما يعكس صورة التوَّجه الديني لبلاد المغرب التي احتضنت بأبنائها الإسلام، وخدمته بإخلاص وتفاني، فكان إرثهم الذي خلفوه من ورائهم بمثابة ذخائر ثمينة أهلتهم لأن يكونوا من رواد الحضارة الإسلامية في العلوم الدينية.

5- **القراءات والتفسير عند الزيانيين.**

في أيام بني زيان ازدهرت تلمسان وأصبحت أزهر مدن المغرب بعد القيروان وتونس وفاس ومراكش، واتّسعت رقعتها حتى أصبحت تضاهي فاس من حيث السعة ووفرة المباني وكثرة المساجد وتعدّد الأسواق[2]، فهي إذن قد استوفت شروط الحضارة بالعمارة فكان من الطبيعي أن تكون منطقة جدب لمختلف شرائح الناس وطبقاتهم، فان ممن قصدها العلماء وأصحاب الصنائع والفنون، فازدهرت العلوم، وشهدت هذه الفترة ميلاد أكثر الأعمال الفكرية أصالة وأعمقها تنظيرا[3].

ومن بين العلوم التي استهوت علماء الدولة الزيانية كانت القراءات والتفسير، والتي نبغ فيها العديد من العلماء والفقهاء من ذوي الباع الكبير في علوم اللغة النحو، المتبحرين في الفقه والحديث وعلم الكلام وغيرها من العلوم، لكنهم اشتغلوا فيها بحذر شديد وتأني وكما ذكر ابن مريم: "إن تفسير القرآن من أصعب الأمور فالإقدام عليه جرأة" مضيفا: "وقد صح

---

(1)- محمد المنوني: **حضارة الموحدين**، المرجع السابق، ص، 31.

(2)- ابن الأحمر: **تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان**، تح: هاني سلامة، مكتبة الثقافة الدينية للنشر والتوزيع، مصر، ط1، 1421هـ/2001م، ص 47.

(3)- عبد المجيد الصغير: **تقويم ابن خلدون للحالة العلمية في الغرب الإسلامي**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، ط1، 2001م، ص ص 163- 164.

أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن يفسر من القرآن إلا آيات معدودة وكذلك أصحابه والتابعون"[1].

وعلى هذا المنهج سار علماء الدولة، فحرصوا على إتقان علم القراءات بفروعها ومنها فن رسم حروف القرآن في المصحف الشريف[2]، فعرفت أسماء مشهورة منهم ممن جلسوا في التدريس في المدارس المعروفة لتي أنشأها سلاطين الدولة، وآخرون شغلوا المهنة في بيوتهم أو دكاكينهم، ولعلنا بذكر مقدم العلماء وشيخ المشايخ الإمام العلامة الفقيه الفهامة محمد بن إبراهيم الآبلي التلمساني (681-757هـ) نكون قد أوفينا حق هذا العالم الفذ الذي تفنن في المنقول والمعقول، درس جل العلوم ونبغ فيها، وعرف الرحلة وعاد منها بزاد وفير. كان من المعارضين للتأليف والتدوين، إلا أنه أفاد بعلمه الكثير من أهل المغرب، وألحق الأصاغر بالأكابر في تعليمه[3] وكان من جملة طلبته الفقيه أبو عبد الله بن عرفة، وعبد الرحمن ابن خلدون الذي أشاد بخصاله وبفضله عليه وبعلمه، وكان يذكره كثيرا[4]، وعرف أيضا أحمد بن زاغو المغراوي (ت845هـ)، أخذ على جماعة من كبار علماء تلمسان، اشتغل بالتدريس في المدرسة اليعقوبية واستفاد من علمه الكثير من طلبة تلمسان، خاصة في التفسير والفقه والحديث والأصول والعربية والبيان والحساب والفرائض وغيرها. وعلى ذكر المدرسة فإن السلطان أبو حمو موسى الثاني(760- 791هـ) زوج ابنته من العالم أبي عبد الله محمد الشريف الحسني(ت771هـ) الذي استدعاه من فاس للتدريس فيها.

وإلى جانب القراءات ظهرت كوكب من المفسرين الأجلاء لكتاب الله العزيز، نذكر منهم أحمد بن زاغو المغراوي السالف الذكر الذي كان فقيها مفسرا وله من المؤلفات، "تفسير الفاتحة"، "مقدمة في التفسير"، ومنتهى التوضيح في علم الفرائض. وصفه القلصادي تلميذه بأنه: "أعلم الناس في وقته بالتفسير وأفصحهم"[5] وللشريف التلمساني أيضا تفسيرا للقرآن في

---

(1)- ابن مريم : **البستان**، المصدر السابق، ص 219.

(2)- عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق، ج2، ص 147.

(3)- عبد الرحمن بن خلدون: **رحلته**، المصدر السابق، ص 22.

(4)- يحي بوعزيز: **أعلام الفكر**، ج1، المرجع السابق، ص 30.

(5)- أبي الحسن علي القلصادي: **رحلة القلصادي**: تح: محمد أبو الأجفان، الشركة التونسية للتوزيع تونس، 1978م، ص 103. ابن مريم : **البستان**، المصدر السابق، ص 42.

دروسه، إذ كان يفسر كل يوم ربع حزب فأبدع في ذلك[1]، ومنهم سعيد بن محمد العقباني، من البيوتات العلمية المشهورة بتلمسان (811هـ) له كتاب في التفسير "الندر المنير في علوم التفسير"، وتفسير لسورة الفاتحة وتفسير لسورة الأنعام والفتح، وأبو زيد عبد الرحمن بن مخلوف الثعالبي (ت875هـ) له كتاب "الجواهر الحسان في تفسير القرآن" في أربعة أجزاء، وكتاب "الذهب الإبريز في غريب القرآن العزيز" وغيرها من المؤلفات.

سنقتصر على هذه العينات لأن القائمة طويلة ولا يسعنا ذكر من تبقى منهم ومؤلفاتهم.

ب- علم الحديث.

مؤلفات علماء المغرب الأوسط في علم الحديث وأشهر الكتب المتداولة.

من بين العلوم الشرعية التي تربعت على عرش الدراسات المغاربية في عهودها الأولى هو علم الحديث، أو السنة النبوية، وهو من العلوم المستحدثة التي تناول فيها أصحابه كل ما صدر عن النبي صلى الله عليه وسلم من أقوال وأفعال وصفاته، وهو المصدر الثاني في التشريع الإسلامي ويقوم على السند والمتن[2]. وقد ارتبط هذا العلم في بلاد المغرب بالمدرسة المالكية وكتاب "الموطأ" المرجع الأول لكل الدراسات الفقهية فيها، إلا أنه شهد تنوعا في مرجعيته بقيام دويلات مستقلة عن الخلافة، استندت في فقهها على معتقدات مذهبية مختلفة وكان من بينهم الإباضيون الذين تولد فكرهم نتيجة لصراع سياسي مبكر عاشته الدولة الإسلامية حين اختلطت مفاهيم العقيدة بقضايا السياسة خاصة موضوع الخلافة[3].

1- **عند الرستميين.**

شحت المصادر والدراسات التاريخية التي تناولت تاريخ الرستميين من الجانب العلمي في الإشارة أو التوثيق لعلوم الحديث في هذه الدولة والتي اعتمدت في بداياتها على علم

(1)- محمد الحفناوي: **تعريف الخلف برجال السلف**، مطبعة بيير فونتانة الشرقية، الجزائر،1906م، ص115.

(2)- محمد ناصر الدين الألباني: **الحديث حجة بنفسه في العقائد والأحكام**، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، 1325هـ/2005م، ص 14.

(3)- صابر طعيمة: **الإباضية عقيدة ومذهبا**، دار الجيل، لبنان، 1406هـ/1986م، ص 28.

أئمتها في ما يخص الدراسات الفقهية وعلوم الحديث. فأئمتها عدُوا وكما أسلفنا من العلماء المجتهدين، فعبد الرحمن بن رستم كان من حملة العلم الذين تتلمذوا على يدي كبار علماء المذهب في البصرة، وقبلها كانت بداياته العلمية في القيروان مهد ومقر العلوم في الغرب الإسلامي، وبعد توليته شؤون الإمارة،وردت إليه أحمالا من الكتب المستنسخة من البصرة تحمل كتب أصحاب المشرق من علماء وفقهاء، فلا ريب أنها ضمت بين جنباتها كتب الحديث والفقه الخاصة بالمذهب. وهو ما أكدته مقولة الإمام أفلح بن عبد الوهاب حينما حث الرعية على العودة إلى كتب علماء المذهب المشارقة بقوله: "عليكم بدراسة كتب المشارقة، ولا سيما كتاب أبي سفيان"[1]. وهذا دليل على اشتغال الإمام بعلوم الحديث ووقوفه على مؤلفات مشايخ المذهب في المشرق والمغرب، وكان محبوب هذا من علماء الإباضية وكثيرا ما كانت ترده رسائل من مختلف مناطق الدولة الرستمية للاستفسار والتوضيح أو الفتيا، وعرف له مؤلف في هذا الصدد "أبواب مختصرة من السنة" لا يزال مخطوط في بعض الخزائن الخاصة[2]، تناول فيه تعريف مصطلح السنة، وأبوابا في الفقه الإباضي.

كما كان له لقاء مع أحد مشايخ نفوسة أبي حفص عمروس بن فتح النفوسي المغربي في مكة تدارسوا فيه علوم الحديث والفقه وعرض عليه الكثير من المسائل وأخذ رأيه فيها وعاد بها إلى نفوسة[3]، كما أرسل إليهم كتابه المعروف "السيرة" الذي عالج فيه

---

(1)- عمار طالبي: **آراء الخوارج الكلامية، ج2**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1978م، ص284.

*- هو أبو محمد بن محبوب بن الرحيل القرشي المخزومي المكنى أبا سفيان، من أشهر علماء المذهب كان مجتهدا ومفتيا وداعيا. ترجم له الدرجيني في طبقاته بالقول: "... أحد الأخيار الأبحار، وممن سبق إلى تخليد سير السلف الأخيار...". ينظر، الدرجيني: **طبقات المشايخ بالمغرب،** ج2 المصدر السابق، ص ص 278- 279.

(2)- **التدوين الفقهي،** أعمال ندوة تطور العلوم الفقهية، الإمام محمد بن محبوب نموذجا، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، سلطنة عمان، ط4، 1433هـ/ 2012م، ص 89.

(3)- الدرجيني، **نفسه،** ص ص 193- 194.

أكثر من خمسين مسألة في العقيدة والفقه والحدود والتقية والجهاد والغزو وغيرها من أمور العقيدة[1].

كما وجد مسند ابن الربيع أو الجامع الصحيح كما يطلق عليه وهو من أمهات الكتب الفقهية المعتمدة عندهم لضمه العديد من الأحاديث النبوية الخادمة لتوجهات المذهب،كما تواجدت مدونة جابر بن زيد العماني وهي عبارة عن موسوعة في الحديث والفقه.

كما تواجد علماء في هذه الدولة من غير الإباضية، وتدارسوا علوم الحديث والفقه في المجالس العلمية التي كانت تعقد في مساجدها وعرف منهم أبو عبد الرحمن بكر بن سمك الزناتي التاهرتي ولد حوالي (ت296)، وابن الصغير المؤرخ والفقيه الذي كان يناظر علماء المذهب في تيهرت وقد ألف كتابا في ذلك إلا أنه مفقود الأثر حسب ما جاء في كتابه حين يقول: "... فحكيت ما ذكر لي لغير واحد منهم وما اعتللت به عليه فاعتلوا بعلة وغير علة وزادوا ونقصوا، وقد جمعت ما دار من جميع ذلك بيني وبينهم مما اعتلوا به ومما يدخل لهم،أو ما ذكروه"[2]. ومنهم أبي الفضل العباس بن محمد الصواف الغدامسي (ت309هـ)[3] ، والفضل بن سالم البجائي (ت319هـ) وغيرهم.

يبقى مجمل القول بأن الإباضية لم يختلفوا عن غيرهم من المسلمين في اعتمادهم على نفس المصادر التي استقى منها المسلمون فقههم، وهي القرآن والسنة والإجماع والقياس، لكن يبقى ارتكازهم على بعض الأحاديث النبوية التي لم تثبت عند غيرهم نقطة خلاف.

2- علم الحديث عند الفاطميين.

عمل الفاطميون منذ بداية دولتهم على وضع أسس جديدة للفكر الديني المبني على الولاء التام لآل البيت وعترتهم الشريفة، وقد امتلأت كتبهم ومصنفاتهم وأدبياتهم على وضع شرط

---

(1)- كتاب **السيَر والجوابات لعلماء وأئمة عمان**، تح: سيدة إسماعيل كاشف، نشر وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، 1406هـ/1986م، ج2، ص 223.

(2)- ابن الصغير : **المصدر السابق**، ص117.

(3)- المالكي: **رياض النفوس** ،ج2، المصدر السابق، ص440 وما بعدها.

الاعتقاد بالولاية[1] على أنها من أركان الدين، وساقوا في ذلك العديد من الأحاديث النبوية الشريفة التي نصت على أحقية علي بن أبي طالب في تولي الخلافة بدل أبي بكر الصديق وعليه فقد جاءت علوم الحديث عند الشيعة مرتبطة بهذا المعتقد وعندما أسسوا دولتهم في بلاد المغرب الإسلامي، فإن مجالس الوعظ والتذكير، ودروس الفقه والحديث انصبت كلها على هذا التوجه الذي سينظر له الأئمة والدعاة في مختلف مناطق البلاد.

وقد بدأت توجهات هذا العلم منقسمة بين مدرستين، المالكية المتجذرة في عموم بلاد المغرب، وأخرى مستقدمة من قبل علماء الشيعة ودعاتهم. فقد ظل علماء المالكية متشبثين بمرجعيتهم التي لم يرضوا عنها بديلا، فشهد المغرب صراعا عنيفا بين العقيدتين كانت سبيل نشر الدعوة والمذهب[2]. وبانتصاب المعز لدين الله الفاطمي على رأس الدولة، بدأت فيه الغلبة للفكر الشيعي المفروض بقوة السلاح وكثرة الدعاة، وتسخير أموال الدولة في الأمور تعرف استقرارا في الأوضاع السياسية، انعكس بالإيجاب على الجانب العلمي وكان القاضي النعمان بن حيون من رواده.

ففي مجال الحديث كان التسليم بأن أهل البيت قد اجتباهم الله، وهم وحدهم من يعرفون الحديث ناسخه ومنسوخه[3]، وقد عمل القاضي النعمان على ترسيخ هذا المبدأ في كل كتاباته، فكتابه "الإيضاح" جمع فيه عدد هائل من الأحاديث الفقهية المروية عن أهل البيت، وكان من ذكاءه أنه اختار منها ما توافق عليه علماء الأمة ويخدم مصلحة الأئمة. لكن هذا الكتاب فقد. وكان كتابه الثاني "دعائم الإسلام" الذي حوى على مجمل الأحاديث النبوية الشريفة التي فصلت في فقه العبادات والمعاملات للأتباع مع التأكيد دائما على صفة الولاية والعصمة للائمة الأخيار[4]، كما عرف عنه وضعه "الأرجوزة المنتخبة" وهي صياغة شعرية

---

(1)- ينظر، **موسوعة حديث الثقلين:** القسم الثالث، مركز الأبحاث العقائدية، ط1، 1431هـ، النجف، العراق، ج4، ص 100.

(2)- فرهاد دفتري: **الإسماعيليون في العصر الوسيط،** تر: سيف الدين القصير، دار المدى للثقافة والنشر، دمشق، سوريا، ط1، 1999م، ص 125.

(3)- عارف تامر: **المعز لدين الله الفاطمي،** ط1، دار الآفاق الجديدة، لبنان، 1402هـ/1982م، ص 123. ينظر أيضا، ابن خلدون: **المقدمة،** المصدر السابق، ص ص 556- 557.

(4)- للتفصيل أكثر، ينظر، القاضي النعمان: **دعائم الإسلام.**

لطلبة العلم من أتباع المذهب الشيعي اختصر فيها كتابه "مختصر الإيضاح" لتسهيل توطيد الممارسات الشرعية وتثبيتها في نفوسهم، ثم ما لبث أن اتبعها بكتاب آخر "كتاب الاقتصار" يتضمن العقيدة الثابتة لأهل البيت[1].

أما بالنسبة لأهل السنة، فقد بقيت اجتهاداتهم مستمرة ومؤلفاتهم متعددة رغم الحصار المفروض عليهم من قبل القضاة ورجالات الدَعوة، الذين لم يميزوا بين المالكية والأحناف والشافعية ومنعوا إظهار كتب مالك وأبي حنيفة على حد سواء[2]، إلا أن عطائهم العلمي بقي مستمرا، فبرز منهم لقمان بن يوسف الغساني (ت318هـ)، كان محدثا متفوقا له معرفة بالرجال والأسماء[3]، وأبو العرب محمد التميمي (ت333هـ) أحد أشهر محدثي العصر وقد أوتي حظا عظيما من المعرفة بعلم الحديث والبراعة فيه، ومن بين أهم مؤلفاته في ميدان علوم الحديث "مسند حديث مالك" و"عوالي الحديث"[4]. وعرف منهم أيضا ربيع بن عطاء الله القطان (ت333هـ)، كان حافظا للحديث،عالما بمعانيه وبعلله، ورجاله وغريبه.

3- علم الحديث عند الحماديين.

شجع الأمراء الحماديون العلم والعلماء، وأصبحت بجاية ملجأ اللاجئين من أهل العلوم والشعراء والفنانين لحد أنها أصبحت من أهم المراكز الثقافية في العالم الإسلامي[5]. وحفلت بلاطاتهم بالعلماء والأدباء والشعراء بمختلف توجهاتهم العلمية وكان للفقهاء والمشايخ مكانة مميزة، فبفضلهم أصبحت مدينة بجاية قاعدة فكرية وثقافية هامة تواصلت بها مع المشرق والمغرب، فأمها الكثير من العلماء واتخذها بعضهم موطنا فأصبحت من بين أكبر الحواضر العلمية في بلاد المغرب الإسلامي، وعند حديثنا عن بجاية نتوقف عند أهم

(1)- فرهاد دفتري: **المرجع السابق**، ص 130.

(2)- محمد بركات البيلي: **التشيع في بلاد المغرب الإسلامي حتى منتصف القرن الخامس الهجري**، دار النهضة العربية، القاهرة، مصر، 1993م، ص 111.

(3)- ينظر ترجمته، أبي زيد عبد الرحمن الأنصاري الدباغ: **معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان**، تح: عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، المملكة المغربية، 2004م، ج1، هامش 1، ص 197.

(4)- يوسف حوالة، ج1، **المرجع السابق**، ص ص 394- 395.

(5)- إسماعيل العربي: **دولة بني حماد ملوك القلعة وبجاية**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980م، الجزائر، ص 182.

مصدر تاريخي أنار وأضاء لنا واقع العلم والعلماء في هذه الحاضرة وهو كتاب الغبريني الذي ترجم فيه لعدد كبير من العلماء والفقهاء الذين تفننوا في العلوم النقلية وكان العلوم الحديث منها النصيب الأكبر.

وقد بلغ من درجة تفشي العلوم وانتشارها في مختلف المدن الحمادية ما ساقه ياقوت الحموي عند ذكره لريغة وهي قرب القلعة: "قال أبو طاهر بن سكينة سمعت أبا محمد عبد الله بن محمد ابن يوسف الزناتي الضرير بالثغر يقول حضرت هرون بن النصر الريغي بالريغ في قراءة البخاري والموطأ وغيرهما عليه وهو يتكلم على معاني الحديث. وهو أمي لا يقرأ ولا يكتب ورأيته يقرأ كتاب التلقين لعبد الوهاب البغدادي في مذهب مالك من حفظه كما يقرأ الإنسان فاتحة الكتاب. ويحضر عنده دوين مائة طالب لقراءة المدونة وغيرها من كتب المذهب عليه"[1].

وكان من أشهر أعلامها أبو عبد الله محمد بن صمغان القلعي الذي أجاد في علم الحديث قال عنه الغبريني: "كان له علم بالحديث والفقه والوثيقة"، واشتهر أيضا أبو عبد الملك البوني مروان بن علي (ت440هـ) وهو من العلماء الوافدين من الأندلس ونشأ في بونة، كانت له رحلة إلى المشرق، وعاد محملا منها بالعلوم فبرع في الحديث وتفوق في الفقه وأمضى حياته في التدريس[2]. وأبو الخطاب عمر بن علي بن دحية الكلبي (ت544هـ). وصفه الغبريني بأنه كان من كبار المحدثين[3]، ومنهم أبو عبد الله محمد بن أحمد القلعي وأبو بكر محمد بن أحمد الشهير بسيد الناس (ت659هـ) كان أحفظ الناس للحديث حتى قيل بأنه يستطيع استحضار عشر آلاف حديث بأسانيدها ويذكر بأضعافها[4]. وعبد الله بن يحي العبدون (ت519هـ) من أهل القلعة، كان محدثا وفقيها بجامعها.

ومن أهم كتب الحديث التي كان يتم تداولها ويتدارسها الطلبة، الاعتماد على كتاب الموطأ في الحديث دراسة ورواية للإمام مالك، وكان لعودة هيمنة المذهب المالكي على

---

(1)– الميلي: **تاريخ الجزائر**، المرجع السابق، ص 266.

(2)– أحمد بن يحي بن أحمد بن عميرة، الضبي (599هـ/1203م): **بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس**، 1401هـ/1989م، ج2، ص 613.

(3)– الغبريني: **عنوان الدراية**، المصدر السابق، ص 288.

(4)– الغبريني: نفسه، ص 293.

الحياة الدينية في الدولة قد أضفى نوعا من الثبات الفري والعاطفي[1]، فتم تداول "صحيح البخاري" و "التمهيد والاستذكار" لابن عبد البر النمري (ت463هـ) وكتاب "المختار الجامع بين المنتقى والاستذكار" لأبي عبد الله محمد بن عبد الحق بن سليمان التلمساني و"التلقين" لعبد الوهاب البغدادي، وكتاب "الأحكام الصغرى" و"الأحكام الكبرى" لعبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الحسين الأزدي الأندلسي المعروف بابن الخراط (ت581هـ)، و"الواضحة" لابن حبيب، و"العتبية" لمحمد العتبي بن أحمد بن عبد العزيز الأموي (ت245هـ) وغيرها من أمهات كتب المالكية.

ومن خلال هذه الإطلالة السريعة على إحدى حواضر المغرب الأوسط يتبين لنا حجم النهضة الفكرية الكبيرة التي عرفتها العلوم الشرعية في دولة بني حماد، مما جعلها مقصدا لطلاب العلم، ومصنعا لرواده اشتهرت أسمائهم في الآفاق وراح بعضهم ينشر علمه في كثير من الأقطار الإسلامية.

4- علوم الحديث عند المرابطين والموحدين.

بلغ من شدة اهتمام المرابطين بالعلم والعلماء أن جعلوا مع كل وال من ولاتهم فقيها ليكون مستشاره في أحكامه وعين على عدله، فعرفت بدول الفقهاء والعلماء[2]، فمقاليد الحكم كانت بيدهم كونهم حملة الشريعة التي بها قام أساس الحكم في هذه الدولة[3]. فنرى مثلا في بداية الدولة أن أول منصب وزاري سيتولاه الفقيه أبو بكر المرادي، وهو صاحب كتاب "أصول الحكم" فألف له كتاب "السياسة في تدبير الإمارة"[4]. وبعد ضم الأندلس إلى أملاكهم، توسعت نشاطات العلوم وازدهرت وتنوعت مضامينها وكان للعلوم الدينية النصيب الأوفر والحظ الأكبر خاصة منها علوم الحديث والفقه التي نشط الاشتغال بها فكثرت الرحلات

---

(1)– عبد الحليم عويس: **دولة بني حماد**، المرجع السابق، ص 257.

(2)– عبد الرحمن حسين العزاوي: **المغرب العربي في العصر الإسلامي**، دار الخليج، عمان، ط1، 1432هـ/2011م، 2010م، ص 99.

(3)– عبد الله كنون: **النبوغ المغربي**، المرجع السابق، ص 68.

(4)– عيسى بن الذيب: **المغرب والأندلس في عصر المرابطين دراسة اجتماعية واقتصادية 480- 540هـ/1056م- 1145م**، أطروحة دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، السنة الجامعية 1429- 1430هـ/2008- 2009م، ص 107.

لسماعه والأخذ عن رجاله[1] خاصة في عهد علي بن يوسف بن تاشفين (تولى الحكم 500هـ) الذي تمتعت البلاد في عهده بالرفاهية والعدل وقصده الكثير من الفلاسفة والفقهاء والأدباء وعرف عنه مشاورته للمفكرين والفقهاء[2].

وبداية نسوق بعض من عرفوا من العلماء بالمغرب الأوسط، فكان منهم أبو محمد الأشيري عبد الله بن محمد (ت561هـ)، إمام أهل عصره في الفقه والحديث الأدب له كتاب "تهذيب الاشقاق لأبي العباس المبرد"[3]. ومحمد بن أحمد بن إبراهيم بن عيسى بن هشام الذي كان يلقي دروس الفقه والحديث في مسجد القرويين بفاس، ومنهم أبو جعفر أحمد بن أحمد علي ابن غزلون (ت524هـ) اشتغل بالقضاء ونبغ في علم الحديث كانت له رحلة إلى مصر، وتجول في حواضر بلاد المغرب والأندلس، وفضل أخيرا الاستقرار بتلمسان للتدريس فيها وبها توفي[4]. وكان منهم أبو عبد الله محمد بن عبد الحق اليعفري البطيوي التلمساني (ت625هـ) لم يترك مكانا سمع فيه بعالم أو فقيه إلى وشد الرحال إليه، فقصد سبتة وفاس ومراكش، ثم عبر العدوة، جالس علمائها ومفتيها وأخذ عنهم ثم قفل راجعا إلى تلمسان فتولى القضاء فيها واشتغل بالتأليف وله من المؤلفات "المختار الجامع بين المنتقى والاستذكار" و"الإقناع في ترتيب السماع"، "غريب الموطأ" و"التسلّي عن الرزيَّة والتحلّي برضا باري البريَّة" و"فرقان الفرقان وميزان القرآن" وغيرها[5].

---

(1)– عبد الله كنون، **النبوغ المغربي** ، المرجع السابق، ص 72.

(2)– عبد الرحمن حسين العزاوي: **المغرب العربي**، المرجع السابق، ص 104.

(3)– رابح بونار: **المغرب العربي، تاريخه وثقافته**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1968م، ص272.

(4)– ينظر، الذهبي أبي عبد الله بن قايماز (ت748هـ): **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، تح: عبد القادر عطا: دار الكتب العلمية، لبنان، ج11، ص 202. المقري، **النفح**، المصدر السابق، ج3، ص 393.

(5)– العباس بن إبراهيم السملالي: **الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام**، راجعه: عبد الوهاب ابن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، ط2، 1413هـ/1993م، ج4، ص185. عادل نويهض: **معجم أعلام الجزائر**، المرجع سابق، ص 77.

واشتهر من الأندلسيين القاضي أبو بكر ابن العربي (468-543هـ) أحد أشهر علماء الأندلس وآخر أئمتها وحفاظها، تتلمذ على يديه الكثير من طلبة المغرب والأندلس، عادوا بعدها أئمة وعلماء أفذاذ كالقاضي عياض وآخرون، ترك العديد من المؤلفات[1]. أشهرها كتابه "العواصم من القواصم" و"أنوار الفجر في التفسير" و"الناسخ والمنسوخ".

ومنهم القاضي عياض اليحصبي (476-544هـ)[2]، والحافظ أبو عمر يوسف بن عبد البر النمري (ت463هـ) كان إمام الأندلس في رواية الحديث[3]، وله من المؤلفات "التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد" و"الاستيعاب في معرفة الأصحاب" و"جامع بيان العلم وفضله". ومنهم أبو الوليد بن سليمان بن خلف الباجي (ت474هـ)، جمع بين الفقه والحديث وأشهر كتبه "التعديل والتجريح في من روى عنه البخاري في الصحيح"[4]. وأبو علي حسين بن محمد ين فيره الصدفي (ت514هـ)، وقد اشتهر بتبحره في علوم السنة وله عدة كتب في الحديث، وأبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد الجد (ت520هـ)، برع في الفقه المالكي وألف فيه مصنفات أهمها "البيان والتحصيل لما في المستخرجة من التوجيه والتعليل" و"المقدمات لأوائل كتاب المدونة" وغيرها[5].

أما عند الموَحدين فقد سارت العلوم على ما كانت عليه في السابق، بل بلغ من درجة حب الخلفاء للعلم وتعظيمهم للعلماء واعتنائهم بالكتب والمؤلفات أن استحدثوا منصب خطة المحافظة على الكتب، اعتبروها من الخطط الجليلة لا يعيَّن لها إلا من كان من علية أهل العلم وأكابرهم[6]، فازدهرت معها لواحق الكتابة وأدواتها من وراقة ونسخ وحبر وأدوية وغيرها، وهذا إن دل على شيء فإنه يدل كثر التدوين والتأليف الذي طغى على المشهد الثقافي في

---

(1)- ابن بشكوال: **الصلة، ج2**، المصدر السابق، ص 856.

(2)- أبي عبد الله محمد بن إبراهيم الزركشي: **أخبار الدواتين الموحدية والحفصية**، تح: محمد ماضور، المكتبة العتيقة، مصر، 2002م، مصر، ص 9.

(3)- علي بن موسى بن عبد الملك ابن سعيد المغربي (ت685هـ): **المغرب في حلى المغرب**، تح: شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ط2، 1964م، ص 407.

(4)- المقري: **النفح**، **ج2**، المصدر السابق، ص ص 272- 273.

(5)- محمد عبد الله عنان: **دولة الإسلام في الأندلس**، المرجع السابق، ص ص 455- 456.

(6)- محمد المنوني: **حضارة الموحدين**، المرجع السابق، ص 184.

هذه الدولة، بكثرة العلماء والفقهاء والأدباء،فأنشئت العديد من المكتبات التي رتبت فيها تلك الذخائر، وسبلوها للعامة كوقف وكانت أشهرها المكتبة الملكية التي قيل أنها احتوت على أربعة مائة ألف مجلد لمختلف العلوم والمعارف[1].

لم تبقى العلوم الشرعية وعلى رأسها علوم الحديث بمنأى عن هذه الثورة الفكرية العارمة التي شهدتها هذه الدولة، ساعده في ذلك الإرث المرابطي والأندلسي بصفة خاصة، ويقول ابن خلدون عن تحول العلوم من الأندلس في عصر الموحدين: "وأما المغرب فانتقل إليه منذ دولة الموحدين من الأندلس حظ كبير من الحضارة، واستحكمت به عوائدها... فأبقوا فيها وبأمصارها من الحضارة أثرا"[2]. بهذه الشهادة سنوفي ببعض التراجم لعلماء الأندلس في ظل الموحدين، فمنهم أبو عمر أحمد بن هارون بن عات النضْري (542-609هـ) من أهل شاطبه، كان من حفاظ للحديث، ساردا للمتون والأسانيد، لا يخل بحفظ شيء منها.

ومنهم القاضي الفقيه أبو إبراهيم إسحاق بن يعمر المجابري من سكان فاس الذي تولى قضاء سبتة ثم بلنسية، وأبو عبد الله محمد بن إبراهيم الحضرمي، القرطبي (ت609هـ) اشتغل بالقضاء، وله عددا من التآليف منها كتابه "رجال الموطأ"، مات شهيدا في معركة حصن العقاب. ومنهم أبو الوليد محمد بن عبد الله القرطبي (ت551هـ) وغيرهم. أما من المغرب الأوسط، كان رفيق المهدي ابن تومرت عبد الله الونشريسي الفقيه والعالم النحوي[3]. ومحمد بن علي بن مروان بن جبل الهمذاني الوهراني (ت601هـ) من علماء الفقه والحديث تولى قضاء الجماعة بمراكش سنة (584هـ)، فهذه الأسماء كانت ترى في خلفاء الدولة المثل الأعلى، والقدوة الحسنة التي يحتذى بها، فتولية عبد المؤمن بن علي ومبايعته تمت من قبل علماء الدولة وشيوخها[4] وهو صاحب المصنف الشهير في عقائد المهدي وفقهه "أعز ما

---

(1)- المنوني: **المرجع السابق**، ص ص 184- 187.

(2)- ابن خلدون: **المقدمة**، المصدر السابق، ص ص 370- 371.

(3)- الذهبي: **السيَر**، ج19، المصدر السابق، ص 543.

(4)- المراكشي: **المعجب**، المصدر السابق، ص 192.

يطلب" الذي ضمنه أحاديث ابن تومرت وأفكاره العقدية وأسس دعوته[1]، كما قام بتأليف كتابه الموطأ على غرار موطأ الإمام مالك. أما حفيده أبو يعقوب يوسف ابن عبد المؤمن بن علي، فإنه كان عارفاً باللغة والأخبار والفقه[2]، ويحفظ صحيح البخاري، كما كانت له معارف في الطب والفلسفة. أما الخليفة أبو يوسف يعقوب بن أبي يعقوب يوسف، فإنه كان حافظا لكتاب الله شغوفا بعلم الحديث ومجالسه تفتح بتلاوة القرآن ثم وإقراء الحديث، وكان يجيد حفظ القرآن، متكلما في الفقه.

5- **علوم الحديث عند الزيانيين.**

دامت حياة دولة الزيانيين لفترة طويلة ناهزت الثلاثة قرون ونيف (633هـ- 962هـ)، وعهدها كان من أخصب الفترات التي عاشها المغرب الأوسط في ميدان العلوم، فازدهرت تلمسان وأصبحت من أزهر الحواضر، وعمل سلاطينها على الرفع من شأن العلماء، وأقروا المذهب المالكي وأمروا بتدريس كتبه. يقول البكري: "ولم تزل تلمسان دار العلماء والمتحدثين وحملة الرأي على مذهب مالك بن أنس رحمه الله". وعن الجو الثقافي والعلمي السائد، أتى القلصادي بوصف كامل عن الحياة العلمية بها بقوله: "... وأدركت فيها كثيرا من العلماء والصلحاء والعباد والزهاد، وسوق العلم حينئذ نافقة، وتجارة المتعلمين والمعلمين رابحة، والهمم إلى تحصيله مشرفة، وإلى الجِّد والاجتهاد فيه مرتقية، فأخذت فيها بالاشتغال بالعلم على أكثر الأعيان، المشهود لهم بالفصاحة والبيان"[3].

وكغيرها من الدويلات القائمة، عمل سلاطين الدولة على إسناد مناصب الدولة المرتبطة بقضايا الدين أي المراتب الدينية إلى فئة من العلماء والفقهاء المتضلعين في الفقه والشرع وكانوا السند الأكبر لهم، يشاورونهم في أمور الدين والدنيا، ويعودون إليهم في الفتيا ولا يقطعون أمرا بدونهم، وأكرموهم بإنشاء المدارس لنشر العلم وتعليم أبناء الدولة مختلف

(1)- ينظر، المهدي بن تومرت (المهدي): **أعز ما يطلب**، تقديم وتصحيح: عمار طالبي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الرغاية، الجزائر، 1985م، ص3.

(2)- الذهبي: **السيَر**، ج21، ص 99.

(3)- أبي الحسن علي القلصادي الأندلسي (ت891هـ): **رحلة القلصادي**، تح: محمد أبو الأجفان، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1978م، ص 95.

المعارف[1]. ومن ضمن علماء الحديث والفقه الذين ذاع صيتهم واشتهرت أسمائهم نذكر منهم، أبو إسحاق إبراهيم بن يخلف التنسي (ت690هـ) جاب أقطار الغرب والمشرق في طلب العلم، أثنى عليه العبدري في رحلته بالقول: "الشيخ الفقيه أبا إسحاق... وأخاه أبا الحسن... فقيهان مشاركان في العلم مع مروءة تامة ودين متين"[2]، كان من علماء الحديث والفقه، وكثيرا ما ألقى دروسا في الحديث بمدينة فاس، وبقي في تلمسان معلما إلى وفاته. ومنهم محمد بن أحمد ابن مرزوق الحفيد، أخذ على كوكبة من أجلاء الشيوخ بتلمسان كأبي إسحاق إبراهيم المصمودي، ومن تونس العلامة محمد بن عرفة الذي أخذ عنه علوم الفقه والحديث والفرائض وعلم القراءات والنحو والمنطق، ومن فاس أخذ على أشهر علمائها أبي زيد عبد الرحمن الماكودي، وأبي عبد الله بن حياتي، ولا يمكننا عدُ شيوخه ورحلاته الني تعددت وأنهاها في الأندلس أين التقى بثلة كبيرة من العلماء الذين أجازوه عاد بعدها إلى تلمسان للتدريس، وقد أثنى عليه جماعة كبيرة من أصحاب التراجم خاصة ابن مريم في البستان والتمبكتي[3]. كما عرف أبو العباس أحمد بن يحي بن علي الونشريسي، أخذ على كبار فقهاء تلمسان ومحدثيها، ثم رحل إلى فاس فكان عالمها ومدرسها مفتيها، وتخرج على يديه طائفة من الفقهاء والعلماء أبي عماد بن مليح اللمطي وعبد السميع المصمودي وغيرهم. ومنهم إبراهيم بن فائد بن موسى بن هلال الزواوي القسنطيني (ت857هـ) برع في علوم الفقه والتفسير وله مصنف "تسهيل السبيل لمقتطف أزهار روض الخليل" وهو شح لمختصر خليل في ثمانية مجلدات. وأبو زيد الوغليسي تولى الفتيا في بجاية وألف في علوم الحديث العديد من الكتب أهمها " المقدمة الوغليسية".

ومنهم أحمد بن محمد بن زكري التلمساني من فقهاء المالكية، أخذ عن الشيخ إبن زاغو وقاسم العقباني وابن مرزوق وغيرهم، خلف العديد من الكتب أهمها "مسائل القضاء"

---

(1)– محمد بوشقيف: **المؤسسات التعليمية في تلمسان خلال العهد الزياني**، قرطاس الدراسات الحضارية والفكرية، العدد التجريبي، تلمسان، 2008م، ص 110

(2)– محمد العبدري البلنسي (ت720هـ): **الرحلة المغربية**، تف: سعد بوفلاقة، منشورات بونة للبحوث والدراسات، الجزائر، 1428هـ/2007م، ص 31.

(3)– ابن مريم، **البستان:** المصدر السابق، ص 202 وما بعدها. أحمد بابا التمبكتي: **نيل الابتهاج بتطريز الديباج، ج2**، المصدر السابق، ص 171.

و"بغية الطالب في شرح عقيدة ابن الحاجب" وترك العديد من الفتاوى نقلها الونشريسي في المعيار [1].

وعرف من العلماء المتأخرين محمد بن علي بن أبي الشرف التلمساني الذي ألف كتابا كبيرا في ثمانية مجلدات اختصره من كتاب الشفا للقاضي عياض سماه "المنهل الأصفى في شرح ما تمس الحاجة إليه من ألفاظ الشفا". وقد هاجر هذا العالم إلى مكة ولزمها وبها انقطعت أخباره وكان ذلك سنة (930هـ). ومنهم أحمد المقري الذي تصدر للتدريس في الجامع الأزهر وكان يدرس صحيح البخاري، وزار المدينة المنورة سبع مرات، وأملى الحديث النبوي عند قبر الرسول صلى الله عليه وسلم ومن أهم تآليفه بحث في النعال النبوية سماه "فتح المتعال في مدح النعال" وكتاب "أزهار الكمامة في أخبار العمامة ونبذة من ملابس المخصوص بالإسراء والإمامة"، وكتاب في ألأسماء النبوية "الدر الثمين في أسماء الهادي الأمين"[2].

فهذه نبذة مختصرة لأعلام الحديث عند الزيانيين، إذ لا يسعنا المجال هنا لذكرهم كلهم.

ت- علم الأصول.

آثار علماء المغرب الأوسط في علم الأصول وأشهر كتبهم.

يعرّفه ابن خلدون بالقول: "اعرف بأن علم الأصول من أعظم العلوم الشرعية، وأجلها قدرا وأكثرها فائدة وهو النظر في الأدلة الشرعية من حيث تأخذ منها الأحكام والتأليف"[3].

وهي تُستمد أولا من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، وإجماع الصحابة على ما صدر وبدر عن الرسول صلى الله عليه وسلم من أقوال وأفعال مع شهادة الأدلة فصار ذلك ثابتا ثم سرعان ما تطور الأمر إلى القياس. فهي إذن الأركان الأربعة التي سيبنى عليها هذا

---

(1)- أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي**، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط2 1985م، ج1، ص ص 85- 86.

(2)- أبو القاسم سعد الله، **نفسه**، ج2، ص ص 28- 29.

(3)- ابن خلدون، **المقدمة**، المصدر السابق، ص 573.

العلم، وكانت بدايته بتدوين الحديث الشريف في عهد عمر بن عبد العزيز الذي كتب إلى أهل الآفاق: "أنظروا إلى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجمعوه"[1].

ولغة يُعرف علم وأصول الفقه بأنه كلمة مركبة من جزأين أصول وفقه. فالأولى جمع أصل وهي ما يبنى عليه، فيقال مثلا أصل الابن أبوه وخذ على ذلك من الأمثلة كثيرة. أما فقه فهو الفهم العميق الناتج عن التفكر، فيقال فقُه وفقِه[2]، ومنه قوله تعالى في سورة التوبة: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾[3]. فتعريف أصول الفقه باتفاق فقهاء الأمة قاطبة أنه العلمُ الذي يبحث في القرآن والسنة واللغة العربية، لاستخلاص الأصول والقواعد التي يستخرج بها الفقيه الأحكام الشرعية من أدلتها التفصيلية، فهذين الركنين هما أساس هذا العلم أي معرفة الشريعة والتمكن من العربية، يبقى الهدف والغاية منه هو تطبيق الأحكام الشرعية على أفعال الناس وأقوالهم، فالفقه هو مرجع القاضي في قضائه والمفتي في فتواه، وتعريف كل مكلف بما يجب عليه وما يحرم عليه[4]. أما تعريفه اصطلاحا فهو: فهو معرفة الأحكام الشرعية العملية المكتسبة من أدلتها التفصيلية فإذا استخرجت تلك الأحكام قيل لها فقه.

فيما يخص المغرب الإسلامي، فإن المذهب المالكي هو من بنيت عليه أسس الاستنباط والاجتهاد اعتمادا على كتاب الموطأ الذي أعتمد كمصدر تشريعي بعد القرآن من قبل مشايخ القيروان وسيستمر الوضع على هذا المنوال إلى غاية فترة الزيانيين، إلا في بعض الفترات عندما كان المغرب الأوسط تحت حكم الرستميين، أو في فترة الفاطميين لكنهما لم يؤثرا كثيرا على الاجتهاد الفقهي عموما المرتبط بالمذهب المالكي.

---

(1)– أحمد أمين: **ضحى الإسلام**، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، 2012م، ص 463.

(2)– عبد الكريم زيدان: **الوجيز في أصول الفقه**، مؤسسة قرطبة للطباعة والنشر والتوزيع، بغداد، العراق، 1396هـ/ 1976م، ص 8.

(3)– **سورة التوبة**، الآية 122.

(4)– رفيق العجم: موسوعة **مصطلحات أصول الفقه عند المسلمين، ج2**، (غ– ي)، مكتبة لبنان ناشرون، ط1، 1998م، ص 1062.

1- علم الأصول عند الرستميين.

وكما سبق وأن ذكرنا، فإن الاجتهاد الفقهي عند الإباضية لم يكن يختلف عن مثيله لدا أهل السنة والجماعة، وامتاز فقههم بأنه مدرسة اجتهادية مستقلة[1]. فمرجعية الإباضية ظلت مرتبطة أبد الدهر بأصحاب المذهب من العلماء الكبار للمذهب كعبد الله بن إباض الذي منه استمد المذهب تسميته، فقد حدد هذا الأخير منهاج الفرقة بالقول: "إن سلوك المؤمن محكوم بشريعة القرآن. فللحلال والحرام حدود وضعها الله[2].

وتوارث أئمة المذهب في البصرة وعمان وجبل نفوسة هذا التوجه ومنهم جابر بن زيد الأزدي الذي وجد ضالته في عمان بعد أن نفاه الحجاج بن يوسف الثقفي إليها، ففيها ألف كتابه المشهور "الديوان" في عشرة أجزاء جمع في حواشيه أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، وجميع ما علمه من السنة القولية والفعلية، والتفسير وشيء من التاريخ وفتاوى الصحابة أقضيتهم[3]. وصفه الدرجيني بالقول: "كان إمام أهل الطريق وجامع الكلمة. فهو العمدة في الاعتقادات والمبين لطرق الاستدلالات"[4]، ثم كان أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة إمام الدًعوة، منظرها ومنظمها عن طريق إعداد الدعاة العلماء ومنهم كان مؤسس الدولة الرستمية عبد الرحمن بن رستم[5].

فهؤلاء الطلبة هم من سيقع على عاتقهم إثراء أصول الفقه الإباضي بعد تخرجهم كعلماء للمذهب، وهم الذين تتلمذوا على يد كبار مشايخه وفقهائه، ولم يحيدوا قط في العودة إلى تصانيف ومؤلفات أعيان المذهب في كل القضايا والنوازل الطارئة المرتبطة بالعبادات أو فقه المعاملات أو المنازعات وحتى الفتن التي قامت بين الأئمة ومعارضيهم كانت تلقى

---

(1)– سعد رستم: **الفرق والمذاهب الإسلامية منذ البدايات. النشأة. التاريخ. العقيدة. التوزع الجغرافي**، ط3، الأوائل للنشر والتوزيع، سوريا، 2005م، ص 208.

(2)– بيير كوبرلي: **مدخل إلى دراسة الإباضية وعقيدتها**، تر: عمار الجلاصي، مراجعة: محمد ؤمادي، مؤسسة تاوالت الثقافية، الجزائر، 2003م، ص 17.

(3)– أعمال ندوة وتطور العلوم الفقهية، **التدوين الفقهي**، المرجع السابق، ص 78.

(4)– ينظر، أبي زكرياء: **السيًر**، المصدر السابق، ص 26.

(5)– ينظر، أبي زكرياء: **نفسه**، ص 5.

أذنا صاغية من مركز الدعوة في البصرة. فالمراسلات ظلت قائمة بين علماء البصرة وتيهرت وعمان وجربة والجريد وجبل نفوسة وفي أي بقعة يكون فيها تواجد إباضي.

كانت الدولة الرستمية دولة علم، وأئمتها من العلماء المشهود لهم بالتفقه والنبوغ في بقية العلوم، وتعداد العلماء الفقهاء الذين جمعوا بين الكثير من العلوم لا يمكن إحصائهم لكثرتهم وتفرقهم في الأمصار، كما أن تأليفهم واجتهادات علمائهم متناثرة في صفحات كتب التراجم[1]. ومن بين أهم الكتب المعتمدة عند الرستميين كتاب "مسائل نفوسة" للإمام عبد الوهاب تضمن جواباته على الكثير من المسائل لأهل نفوسة في الفقه والأحكام وأصول الدين[2]. وكان للإمام أفلح أيضا جوابات على مسائل فقهية متنوعة غلب عليها الطابع الاجتماعي والاقتصادي. كما عرف من التآليف كتاب في أصول الفقه لعمروس بن فتح النفوسي "الدينونة الصافية" وهي عبارة على نسخ لمدونة أبي غانم الخراساني تناولت كافة المسائل الفقهية القائمة في المذهب الإباضي. كما كانت كتب محبوب بن الرحيل تصل إلى بلاد المغرب من المحتمل أنها أحرقت عند دخول الشيعة إلى تيهرت. فهذا العالم كان واسطة العقد بين علماء أهل المشرق وعلماء أهل المغرب، وهو الذي حفظ تراجم أئمة المذهب وجمع في كتاب واحد غرائب الفقه وعجائب الأخبار[3]. كما كان مسند ابن الربيع متداولا وعرف عند الإباضية "الجامع الصحيح" جمع فيه العديد من الأحاديث النبوية. ونبغ في أصول الفقه من العلماء أبي عبيدة الأعرج، المهدي النفوسي ومحمود بن بكر.

2- **علم الأصول الفاطميين:**

أعطى الشيعة الإسماعيلية للإمامة مركزا ساميا مقدسا،وجعلوا من الإمام مثلهم الأعلى فمنه تنبثق العيون والسواقي وأنهار العلوم والمعارف، وعنه تستقى تعاليم الدين

---

(1)– إبراهيم بحاز: **الدولة الرستمية، دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة لفكرية**، ط2، جمعية التراث، القرارة، الجزائر، (1993م)، ص 321.

(2)– أبو العباس أحمد بن عبد الواحد الشماخي: **كتاب السيَر**، ج2، تح: محمد حسن، دار المدار الإسلامي، بيروت، ط1، 2009م، ص 326.

(3)– أعمال ندوة وتطور العلوم الفقهية، **التدوين الفقهي**، المرجع السابق، ص 79.

فطاعته واجبة وعصيانه أو تكذيبه جرم كبير وإثم عظيم[1]. ومع ظهور الدولة الفاطمية في بلاد المغرب بدأت ملامح المدرسة الفقهية الشيعية تتكشف وتضع أسسها في كل ما يخص الممارسات الدينية، خاصة منها مصادر التشريع التي اعتمدت بشكل أساسي على القرآن والسنة النبوية وسلطة الإمام المعصوم المهدي، مسقطين الاجتهاد والإجماع وبدائلهما كالاستدلال والنظر والاستحسان وغيرها[2].

يعتبر القاضي النعمان أكثر علماء الشيعة الفاطميون الذين كتبوا في كل أصناف العلوم ومن بينها علم أصول الفقه، فكتبه بلغت العشرات ودفاتره ورسائله لا تعد ولا تحصى فهي بالمئات، وقد تفجرت قريحته في عهد الخليفة الفاطمي المعز لدين الله الذي جعله الناطق الرسمي للمذهب من خلال دروسه وكتبه المؤلفة في هذا الباب، ويعتبر كتاب "دعائم الإسلام" المصدر الرسمي للفقه الإسماعيلي، وكان هذا الكتاب يقرأ في مجالس الحكمة المنعقدة أسبوعيا في قصر المعز، وكان للنعمان من قبل محاولة في وضع قواعد الفقه من خلال كتابه "الإيضاح" ضمنه الأحاديث المشهورة بأسانيدها الكاملة لكل مسألة من المسائل الفقهية وقد كتبه في عهد الخليفة المهدي، إلا أن الدعائم أصبح دستور الدولة الذي حوى أصول الفقه الإسماعيلي بكل تفاصيله. ويعتبر كتاب "الاختصار لصحيح الآثار عن الأئمة الأطها" أيضا من الكتب المرجعية للفاطميين في مجال العقيدة وفقه العبادات والمعاملات.

اختلف الشيعة الفاطميون مع غيرهم من أهل المذاهب في أركان الدين بإضافة ركنين وهما الطهارة والولاية وهذه الأخيرة هي أفضلهم[3]، فمن الأئمة استنبطت الأحكام، وشرعت القوانين، وكل اجتهاد أو قول كان تحت رقابة الأئمة، الذين كانوا بدورهم علماء وفقهاء ونخص بالذكر المعز لدين الله الذي كان إذا حضر الليل، يدخل ويحضر خاصته وينظر في الكتب والعلوم ويؤلف الكتب أكثر ليله[4]. وقد امتلأت كتب القاضي النعمان بذكر نبذ من

---

(1)- مصطفى غالب: **تاريخ الدعوة الإسماعيلية**، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، ط2، 1965م، ص 40.

(2)- فرهاد دفتري: **الإسماعيليون في العصر الوسيط**، المرجع السابق، ص 134.

(3)- مصطفى غالب: **تاريخ الدعوة**، المرجع السابق، ص 40.

(4)- محمد حسن العيدروس: **حضارة دول المغرب العربي في عصر الدولة الفاطمية**، دار الكتاب الحديث، مصر، ط1، 2010م، مصر، ص 19.

أخبار هذا الخليفة العالم المتفقه، الذي رسخ المعتقد والفكر والفقه الإسماعيلي ليس في بلاد المغرب فحسب، بل تجاوزه إلى مختلف أقطار العالم الإسلامي، وتجدر الإشارة إلى أن معظم الكتب التي صنفت في عهد الفاطميين ضاعت ولم يتبقى منها إلا القليل.

3- **علم الأصول الحماديين.**

شهد العصر الحمادي ثورة فعلية في مجال العلوم الشرعية التي كانت عماد النشاط الفكري في كل حواضر الدولة بداية من القلعة التي عرفت ميلاد العديد من جهابذة الفقه والتفسير وعلوم الحديث، من أمثال علي بن المعصوم القلعي، وأحمد بن محمد بن أحمد المسيلي وعلي بن أبي بكر القلعي وغيرها من الأسماء. إلى بجاية التي أعطت الانطلاقة الفعلية لنشاط فقهي متميز صنعته أسماء كوكبة من الفقهاء والعلماء الذين رفعوا من شأن الاجتهاد والاستنباط في الأحكام، معتمدين على مذهب مالك وكتبه خاصة الموطأ، فدونوا العديد من الكتب التي راعت فيه أصول المذهب المالكي الذي عرف عودة قوية ليصنع خارطة الدراسات والفتوى في كل ما يخص العبادات والمعاملات والعلاقات.

ومن أهم الفقهاء الذين خاضوا في أصول الفقه، نبدأها بمؤسسها حماد (ت419هـ) الذي تعلم في القيروان وأخذ عن شيوخها العلوم ونظر في كتب الجدل[1]، وعند استقلاله بمملكته فرض نفس مناهج التدريس التي كانت سائدة في القيروان، فكانت العلوم المتداولة في القلعة هي العلوم الدينية بالدرجة الأولى كحفظ القرآن الذي كان من المسلمات ثم الحديث الشريف والفقه والنحو واللغة والأدب[2]. ثم توالت الأسماء البارزة في الحديث والفقه من أمثال محمد بن إبراهيم أبو عبد الله الأصولي قاضي بجاية (ت612هـ) كان عالما بالفقه والأصلين، له رحلة إلى المشرق لقي فيها من أهل العلم، له تقييد على "المستصفى" لأبي حامد الغزالي[3].

---

(1)- لسان الدين ابن الخطيب: **أعمال الأعمال فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام وما يتعلق بذلك من كلام**، تح: سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 2003م، ج2، ص 328.

(2)- عبد العزيز فيلالي: **قلعة بني حماد الحاضرة الاقتصادية والثقافية للمغرب الأوسط القرن 5هـ /11م**، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، عدد7، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2006م، ص 16.

(3)- ينظر ترجمته: الغبريني: **عنوان الدراية**، ص208 وما بعدها. التمبكتي: **نيل الابتهاج**، ص378.

وأبي محمد عبد الله بن محمد الأشيري كان إمام عصره في الفقه والحديث[1]. ومن الذين تبحروا في علوم الحديث وأصوله، الفقيه العلامة الإباضي الغني عن الذكر والتعريف يوسف الورجلاني الذي تفنن في الفقه الإباضي، وعد وحيد زمانه، خاض في العلوم كلها. وفي أصول الفقه ترك مؤلفه الشهير "العدل والإنصاف" وترتيب مسند ابن الربيع السالف الذكر[2]. ومنهم الفقيه أبو عبد الله محمد بن علي المشهور بإبن الرمامة (ت567هـ)، تفقه على يد أبي الفضل النحوي وعن أبي محمد المقري ببجاية وغيرهم كانت له رحلة إلى الأندلس والتقي فيها بكبار الفلاسفة فأخذ عنهم، بعدها تولى القضاء بفاس. ولم يشغله ذلك عن التأليف وله في أصول الفقه "تسهيل المطلب في تحصيل المذهب" و"التبيين في شرح التلقين". وهي كلها كتب اعتنت بفقه المذهب وأحكامه[3].

كما عرف منهم أبو عبد الله محمد بن علي بن حماد بن عيسى بن أبي بكر الصنهاجي من كبار الأئمة، والفقيه أبو عبد الله محمد بن محمد بن أبي بكر المنصور القلعي (ت 670هـ)، ومحمد بن يوسف السنوسي القلعي وغيرهم من العلماء الذين أحيوا العلوم وصنعوا حضارة الحماديين ورفعتهم إلى مصاف الدول التي خدمت الإسلام والحضارة ولمعرفة المزيد عن هؤلاء الفقهاء يمكن العودة لكتاب الغبريني الذي ترجم فيه لعدد كبير منهم، مقتصرا فيه على علماء القرن السابع دون غيره من القرون السابقة، وهذا ما يعطينا فكرة عن ترسخ علوم القرآن في المغرب الأوسط، وإسهامات علماءه في الازدهار الفكري.

4- علم الأصول عند الموحدين والمرابطين.

تعتبر دولة المرابطين دولة الفقه المالكي بامتياز، وحرص أمرائها على تطعيم مختلف أجهزة الدولة بالعلماء والفقهاء ورجالات الأدب، فأسندت إليهم المناصب، وعليهم اعتمدت الدولة في التشريع والقضاء والإفتاء والجهاد، وقد صادف قيامها ظهور فقهاء مالكيون عدُوا من كبار علماء المذهب كأبي عمران الفاسي وعبد الله بن ياسين والقاضي عياض وغيرهم[4].

---

(1)- عبد الرحمن الجيلالي: **تاريخ الجزائر**، ج1، ص 305.

(2) -رشيد بورويبة: **الدولة الحمادية**، المرجع السابق، ص 196.

(3)- عبد الرحمن الجيلالي: **تاريخ الجزائر**، ج1، ص 306.

(4)- مجهول: **الحلل الموشية في الأخبار المراكشية**، تح: سهيل زكار وعبد القادر زمامة، دار الرشاد الحديثة، المغرب، ط1، 1399هـ/1979م، ص ص 19- 20.

فأسهموا بمؤلفاتهم ودروسهم في تخريج جيل من الفقهاء الذين سيتصدرون بدورهم للتدريس والإقراء والتأليف والإفتاء. وبما أن دولة المرابطين اعتمدت المذهب المالكي كمذهب رسمي فإن الاجتهاد الفقهي في علوم الحديث وأصوله سيعتمد عل كتب ومؤلفات علماء المالكية في كل من القيروان والأندلس، وما حمله معهم طلبة العلم من الحجاز(المدينة) معقل المذهب ومركزه الروحي التي قال فيها الصحابي الجليل زيد بن ثابت: "إذا رأيت أهل المدينة على شيء فاعلم أنه السنة"[1].

عُدّت المدونة للإمام سحنون بن السعيد التنوخي (ت240هـ) عماد المذهب في بلاد المغرب وتأتي في المرتبة الثانية بعد الموطأ في قائمة المراجع الفقهية للمالكية "فموضعها في الفقه موضع أم القرآن من الصلاة"[2]، وبعدها تأتي "الواضحة في السنن والفقه" للحافظ عبد الملك بن حبيب السلمي (ت238هـ)، و"العتبية" للإمام العالم محمد بن أحمد العتبي (ت255هـ) و"المبسوط في الفقه" للإمام القاضي أبي إسحاق إسماعيل بن إسحاق (ت282هـ) وكتب المختصرات لابن أبي الحكم الكبير والأوسط والصغير التي جمعت آلاف المسائل الفقهية وآراء الفقهاء فيها وغيرها، فمن هذه المؤلفات أو أمهات الكتب كما اصطلح على تسميتها، سيتأصل وينشأ الاجتهاد في علوم الحديث بتفاريعها ومسائلها في بلاد المغرب والأندلس، أسوة بما كان يفعله صاحب المذهب الإمام مالك الذي كان يعتمد على القواعد الأصولية لاستنباطاته الفقهية التي بني عليها فتاويه.

وقد برز في هذه الدولة جمهرة من المحدثين والفقهاء ومشايخ المذهب الذين كانوا يشار لهم بالبنان والرسوخ في العلم، لأنهم جمعوا من العلوم وحصّلوا من المعارف ما أهلهم لأن يتربعوا على عرش علوم الفقه والحديث، وترجى خدماتهم لتولي كرسي القضاء والفتوى في مختلف أرجاء الدولة بما فيها الأندلس. وقد عرف عن أمراء الدولة اهتمامهم بالعلوم الشرعية، بداية بأمرائها كعلي بن يوسف (500- 537هـ) الذي كانت له عناية وإطلاع بالفقه

---

(1)- عبد الغني الدقر: **الإمام مالك بن أنس إمام دار الهجرة (93هـ- 179هـ)**، دار القلم، دمشق سوريا، ط3، 1419هـ/ 1998م، ص 40.

(2)- أبي الوليد محمد بن رشد: **المقدمات والممهدات**، تح: محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1408هـ/1988م ،ج1، ص 45.

وحظ في الأدب والشعر، حتى غدا عالما مشهورا بصدق روايته، وقد أجازه أبا عبد الله محمد الخولاني في جميع مروياته، وعكف على أخذ العلم من الفقهاء ومشايخ البلد ومنهم الفقيه والمحدث أبي مروان عبد الملك بن ملحان[1]. وهو ما جعله يحترم العلماء ويجلهم، فحتى بيعته حضرها جمع غفير من الفقهاء والعلماء، وقام بتأسيس المدرسة اليوسفية بمراكش وجمع فيها كبار أعلام الدين والفقه واللغة والأدب وغيرها من العلوم[2].

وفي عهده ازدهر الفقه وظهر منه أعلام المحدثين كأبي الوليد محمد بن رشد الجد قاضي الجماعة بقرطبة، برع في علم الفرائض والأحوال وكان من كبار علماء وفقهاء مذهب مالك ومن أشهر كتبه "المقدمات الأوائل" و"المدونة". وعبد الرحمن بن عبد الله المعافري الفقيه الوزير (ت518هـ)، ومنهم القاضي عياض من كبار علماء المذهب ترك آثارا كثيرة من التآليف والمصنفات في العديد من العلوم منها "إكمال المعلم في شرح صحيح مسلم" و"الإلماح في شروح الحديث وشواهده" "الشفا بتعريف حقوق المصطفى" إلا أنه اشتهر بكتابه "ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك" ترجم فيه لأعلام المذهب ونبذ من أخبارهم وسيرهم. قال عنه ابن الأبار: "كان لا يُدرك شأْوُه ولا يُبلغ مداه في العناية بصناعة الحديث، وتقييد الآثار، وخدمة العلم مع حسن التفنن فيه والتصرف الكامل في فهم معانيه"[3]. ومنهم أبو علي الجيان (ت498هـ) الحافظ الحجة ومحدث الأندلس في زمانه، قال عنه تلميذه أبو الحسن بن مغيث: "كان من أكمل من رأيت علما بالحديث ومعرفة بطرقه وحفظا لرجاله، جمع من سعة الرواية ما لم يجمعه أحد أدركناه"[4]. ومنهم القاضي الأجل أبو

---

(1)- سلامة محمد سلمان الهرفي: **دولة المرابطين في عهد علي بن يوسف بن تاشفين دراسة سياسية وحضارية**، دار الندوة الجديدة، بيروت، 1405هـ/1985م، ص 309.

(2)- ابن أبي زرع: **الأنيس المطرب**، المصدر السابق، ص 157. فاتن كوكة: **التصنيف الغوي والأدبي**، المرجع السابق، ص 69.

(3)- ابن الأبار: **المعجم في أصحاب القاضي الصدفي**، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، 1989م، ص ص 295- 296.

(4)- ابن بشكوال: **الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم**، نشر عزت العطار الحسيني، مكتبة الخانجي، ط2، 1994م، القاهرة، ج2، ص 287. ينظر، الذهبي **السير**، ج19، المصدر السابق، ص 148.

علي الحسين بن محمد الصدفي (ت514هـ) إمام المحدثين بالأندلس كتب بيده علما كثيرا وكان حافظا للمصنفات الحديث قائما عليها ذاكرا لمتونها وأساليبها ورواياتها"[1]. فهذه عينة لرجال الحديث وأصوله في دولة المرابطين وقفنا على هذه الأسماء، منهم لعجزنا عن ذكرهم كلهم لكثرتهم وامتلاء كتب التراجم بأسمائهم وتآليفهم.

أما عصر الموحدين فإنه كان امتدادا للنهضة الفكرية والعلمية التي سادت بلاد المغرب والأندلس، فقد ورث الموحدون قاعدة صلبة من العلوم والمعارف والمؤلفات والتصانيف التي أبدع فيها علماء وفقهاء المرابطين وعرفت رواجا كبيرا في عهدهم، ثم جاء دور ابن تومرت بفكره الثوري الإصلاحي الذي أحدث تغييرا جذريا في كل مناحي الحياة الدينية التي كانت سائدة، بدءا بإدخال الكثير من الأفكار والمبادئ التي حاول ترسيخها في نفوس أتباعه وأنصاره بتحديد مضامين جديدة لبديل عقدي سياسي اجتماعي وتنزيله في واقع الحياة[2].

وفيما يخص علوم الشريعة، فإن المهدي ابن تومرت كانت له فكرته الخاصة في مفهوم الشريعة وعلومها منها: "أن الشريعة لا تثبت بالعقل من وجوه، منها أن العقل ليس فيه إلا الإمكان والتجويز وهما شك، والشك ضد اليقين، ومحال أخذ الشيء من ضده"[3]. وأن من ذهبوا إلى الاستنباط والقياس فقد حادوا عن جادة الطريق وذلك كله فاسد، فالأصول مبنية حسب اجتهاده على القرآن والسنة وما أقره الرسول صلى الله عليه سلم وفعله، أما الفروع فهي مبنية على خمسة قواعد: الواجب والمندوب والمحظور والمكروه والمباح. وقد بدا من خلال هذا المنهج المتبع تأثره الكبير بما تلقاه في المشرق من علوم على جلة من الفقهاء الأصوليين المبرزين في الحديث كالغزالي والكياهراسي وأبو بكر الشاشي الرافضين لمنهج التقليد الذي مثلته كتب الفروع المالكية في بلاد المغرب، خاصة عند المرابطين الذين كانوا

(1)– ابن الأبار: **المصدر السابق**، ص 9.

(2)– عبد المجيد لنجار: **تجربة الإصلاح في حركة المهدي بن تومرت**، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، هيرندن، فيرجينيا، الو. م. أ، ط1، 1415هـ/1995م، ص 78.

(3)– محمد عبد الله عنان: **دولة الإسلام في الأندلس**، المرجع السابق، ص 202.

يقربون في مجالسهم من العلماء المشتغلين بهذا العلم[1]. فانقطعت الصلة بين الأصول النصية من القرآن والسنة وحلت محلها اجتهادات الفقهاء والمشايخ الذين زاغوا عن الحق[2] فتحصيل الفقه يتم بخمس طرق وهي: الحديث المرفوع إلى الرسول صلى الله عليه وسلم معرفة السند، معرفة نص الحديث، تمييز الصحيح من السقيم، ومعرفة المعنى الحقيقي والمعنى المجازي[3].

من خلال هذه التعاليم سيكون علم أصول الحديث في بداية الدولة على عهد عبد المؤمن بن علي مبني على تلك الاجتهادات التي نظر لها الإمام المهدي من خلال كتبه التي ألفها ومنها كتابه "موطأ الإمام المهدي" و"مختصر مسلم"، اقتصر فيهم على نصوص الأحاديث وحذف الأسانيد[4]. ولم يكن عبد المؤمن مجرد خليفة للمهدي فحسب بل كان عالما فصيح اللسان، ملما بالجدل، فقيها في علم الأصول، حافظا للحديث النبوي الشريف ومشاركا في عدة علوم أخرى[5]، لكنه استمر على عهد الإمام لضرورات السياسة ومتطلبات الحكم الخاضع لمراقبة شيوخ الدولة وأكابرها من الطبقة الأولى، فأمر بإحراق كتب الفقه التي بها خلافات الفقهاء، ورد الناس إلى كتب الحديث المشهورة.

لكن بعدها بفترة وفي عهد يوسف بن عبد المؤمن تغيرت الأمور وعادت التفتح الديني في أبهى صوره، فهذا الأخير بالغ في تكريم العلماء وحرص على مجالسة الفقهاء، مهتما بجلب العلماء خاصة أهل العلم منهم فاجتمع له منهم ما لم يجتمع لملك قبله[6]. أما الأمير يعقوب بن يوسف (555- 595هـ) فكان عالما بالحديث والفقه واللغة، محبا في العلماء

---

(1)- علي محمد الصلابي: **تاريخ دولتي المرابطين والموحدين في الشمال الإفريقي**، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط3، 1430هـ/2009م، ص 256.

(2)- عبد المجيد لنجار: **تجربة الإصلاح في حركة المهدي بن تومرت**، المرجع السابق، ص 94.

(3)- محمد بن تومرت: **أعز ما يطلب**، المصدر السابق، ص30. تهاني سلامة حسن سلامة: **العلوم الدينية وأعلامها بالأندلس في عصر الموحدين (541- 642هـ/ 1145- 1244م)**، المجلة الليبية العالمية، عدد 20، 2017م، ص 5.

(4)- عبد المجيد لنجار: **المرجع السابق**، ص 98.

(5)- ابن أبي زرع: **الأنيس المطرب**، المصدر السابق، ص 203.

(6)- المراكشي: **المعجب**، المصدر السابق، ص 239.

معظما لهم صادرا عن رأيهم[1]. فإذا كان هذا حال الأمراء في العلوم، فكيف كانت الحياة الدينية في عصرهم خاصة علم الحديث وأصوله؟.

لقد اشتهرت الكثير من الأسماء لعلماء أفذاذ أظهروا تفوقا ملحوظا في هذا الجانب وأبقوا على تقدم المدرسة الفقهية المغربية في سلم التفوق العلمي باجتهاداتهم وتآليفهم التي باتت تنسخ وترسل إلى المشرق والحجاز، وحازوا على تقدير واعتراف المشارقة بعلو كعبهم فيها فعرف منهم ابن الرمامة محمد بن علي بن جعفر القيسي القلعي الذي تولى قضاء فاس وتمت الإشارة إليه سابقا، كان من الفقهاء الأصوليين، عكف على تدريس كتاب "إحياء علوم الدين" لأبي حامد الغزالي الذي أحرقت كتبه في عهد المرابطين وله كتاب "التبيين في شرح التلقين". ومنهم محمد يشكر بن موسى الغفجومي (ت598ه) كان فقيها وله حواشي على المدونة. ومنهم عبد الرحمن بن يوسف الفاسي الشهير بابن زانيف (ت612ه) الذي كانت تشد إليه الرحال للأخذ عنه المدونة، ومنهم ابن القطان الفاسي الذي خلف عددا كبيرا من الكتب في هذا العلم منها "المقالة المعقولة في حكم فتوى الميت والفتوى المنقولة" و"مسائل من أصول الفقه" ومنهم أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الرحمن بن الضحاك المعروف بابن النفزي الفقيه المشاور والمحدث المتكلم من مؤلفاته "تنبيه المتعلمين على المقدمات" و"الفصول وشرح المبهمات منها والأصول"[2].

واشتهر منهم أيضا أبي القاسم الحوفي صاحب كتاب "الفرائض" الذي تهافت عليه العلماء شرحا وتدريسا وكان من مقررات التعليم لطلبة العلم، ودونت عليه الكثير من الشروح والمختصرات وهو من أشهر كتب المالكية في الفرائض. وفي نفس الاختصاص كان منهم أبو الحسين علي بن الحسين اللواتي (ت573ه) كان عالما بالفرائض والعقود فقيها حافظا، ومفتيا ومشاورا[3]. ومنهم أبو الحسن علي بن يحي بن القاسم الصنهاجي (ت585ه) شغل

---

(1)– ابن أبي زرع: **المصدر السابق**، ص 216.

(2)– ابن فرحون: **الديباج المذهب**، ج2، المصدر السابق، ص 90.

(3)– أبو جعفر أحمد بن إبراهيم الثقفي الغرناطي (ت708ه/1308م): **كتاب صلة الصلة**، تح: عبد السلام الهراس وسعيد أعراب، مطبعة فضالة، المغرب، 1993م، ص 156.

القضاء بالجزيرة الخضراء ثم نزعت نفسه للتدريس، فاختص في الفقه له كتاب "المقصد المحمود في تلخيص العقود" وهو في فقه المعاملات وشروط العقود.

ولقد ارتأينا التوقف عند هذه النماذج من العلماء والفقهاء الذين أناروا بمؤلفاتهم وعلمهم تاريخ هذه الدولة بإنتاجهم الفقهي الذي بلغ أعلى مستوياته تحت رعاية خلفائها الذين ما انفكوا يشجعون العلم والعلوم مدة بقائها خاصة علوم القرآن الذي على أساسه بنيت الدولة.

5- **علم الأصول عند الزيانيين.**

إن الدارس لتاريخ تلمسان الزيانية في جانبها الحضاري سيلحظ منذ أول وهلة ذلك الحرص الشديد الذي أبداه سلاطينها في تنمية المعارف وتنشيط الحركة العلمية في كل مجالات وحقول المعرفة العلمية وأصناف العلوم، فقد أثمرت سياسة ملوكها الذين تنافسوا في بناء المدارس وإنشاء المعاهد وجلب أشهر المدرسين من علماء وفقهاء إلى حاضرتهم في ظهور جلة من العلماء والفقهاء الذين أناروا بعلومهم ومؤلفاتهم وتصانيفهم الحياة الثقافية ليس في بلاد المغرب الإسلامي فحسب، بل امتد تأثيرها إلى العالم الإسلامي[1].

كما ساهمت الحركة النشيطة والانتقال الدائم لهؤلاء العلماء في سبيل تحصيل العلم ومقابلة الشيوخ وتبادل المعارف، في إذكاء روح النشاط العلمي وفتح أبواب التنافس بين عواصم الدويلات القائمة وما أن حل القرن التاسع الهجري حتى كانت تلمسان تجني ثمار ما تم غرسه، فزخرت تلمسان بأعداد كبيرة من العلماء والفقهاء الذين صنفوا في مختلف العلوم، وغدت تنافس في ريادتها ومركزها غيرها من الحواضر وبات اسم تلمسان على كل لسان وقول.

غلب على الحياة العلمية الدينية في تلمسان سيطرة التفسير وعلوم الحديث، وكانت علومه من المقررات الرسمية في كل المدارس المعاهد والزوايا والمساجد وفي حلقات العلم أما محور الدروس التي كان ينشطها العلماء والفقهاء في المساجد فعمادها علم الحديث والفقه والتفسير، وكان من عادة السلاطين حضورها خاصة في الاحتفالات والمناسبات

---

(1)- ينظر، التنسي: **نظم الدر والعقيان**. ابن مرزوق: **المسند الصحيح**. وفيهما أخبار حافلة عن المدارس المنشئة من قبل ملوك وسلاطين بني زيان والمرينيين في مدينة تلمسان.

الدينية كالمولد النبوي الشريف والدروس الرمضانية وغيرها، كما كان للفقهاء حضورهم المتميز في بلاطات سلاطين بني زيان، فقد أولوهم عناية خاصة وأغدقوا عليهم الرواتب والهدايا، وعاملوهم بما يليق بمقاماتهم العلية احتراما لعلمهم وتشريفا للدين. وعرف من العلماء الذين كان لهم حضور فيها الخطيب أبو عبد الله بن مرزوق (ت781هـ)، والفقيه علي بن منصور بن هدية القرشي التلمساني (ت791هـ) والقاضي أبو عثمان سعيد العقباني (ت811هـ) وغيرهم[1].

كان عدد العلماء والفقهاء والمتبحرين الذين اشتغلوا وصنفوا في علوم الحديث وأصوله في فترة الزيانيين بالكثرة التي تعجز أي باحث للترجمة لهم أو حتى حصر بعض الأسماء لنبوغهم وسعة معارفهم وتقارب مستواهم، وسنقتصر على بعض الأسماء وما صنفوه في هذا الباب لتعطينا صورة واضحة عن النهضة الحديثية التي عرفتها تلمسان باعتبارها امتداد للعصور السابقة، وجامعة لكل ما تم تداوله في هذا العلم لدرجة أنها أصبحت عاصمة ومركز علوم الحديث رواية ودراية في المغرب الإسلامي.

فقد عرف منهم أبي عبد الله محمد بن محمد المقري (ت758هـ) الذي أفنى حياته في طلب العلم ونشره، واشتغل بالتدريس إلى حين وفاته، أغنى تلمسان بمؤلفات قيمة في الفقه والحديث، وكان له تفنن فيها يشهد على ذلك كتابه " القواعد " الذي جمع فيه الكثير من المسائل الفقهية، مستخرجا منها أكثر من ألف قاعدة فقهية ضمنها كل أصيل من الرأي والمباحثة[2]، ونالت إعجاب وثناء الفقهاء، وله "أحاديث الأحكام" وهو مصنف فقهي شهير ضمنه خمسة مائة حديث مختارة مما يتم تداوله غالبا على ألسنة الفقهاء،رتبه على أبواب الفقه المتعددة. كما وضع لطلبة العلم كتاب "عمل من طب لمن حب" سنة (753هـ) اختصر فيه متون الحديث من دون الإشارة إلى راوي الحديث راعى فيه مستواهم. وألف ابن مرزوق الخطيب (ت781هـ) كتاب "تسيير المرام في شرح عمدة الأحكام" في خمسة أجزاء وهو شرح لكتاب "عمدة الأحكام عن سيد الأنام" لتقي الدين الجمايلي.

(1)– **التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا:** تعليق: محمد بن تاويت الطنجي، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، 2007م، ص 52.

(2)– لسان الدين بن الخطيب: **الإحاطة،** ج2، المصدر السابق، ص 203.

ومنهم محمد بن منصور بن جماعة المغراوي الذي ألف كتاب "شرح غريب الموطأ" وله تعليق عل صحيح البخاري[1]. ومنهم أبو إسحاق إبراهيم التّنسي (ت680هـ) الذّي تربّع على عرش الحديث، استقدمه السلطان الزياني يغمراسن إلى تلمسان لتدريس العلوم الدّينية بعد استيلائه على تنس، من أشهر تأليفه شرح كتاب "تلقين المبتدأ أو تذكرة المنتهي" للقاضي عبد الوهّاب المالكي في الفروع[2]. ومنهم علي بن أبي القاسم المكنى بأبي الحسن والمعروف بابن أبي الجنون الذي كان عالما حافظا وفقيها متميزا متحققا من الأصول له تآليف عديدة منها "المقتضب الأشقى في اختصار المستصفى".

ولم يزل الفقه وعلم الحديث يربو وينمو في هذه الدولة وكأن القدر أراد لها أن تتربع على عرش هذه العلوم وتختص بها، فيزداد علماء الحديث في القرن التاسع الهجري وتبرز معه أسماء جديدة من بيوتات العلماء المعروفة الذين توارثوا العلم وجعلوه مفخرة وشرف الأسرة فكان منهم أحمد بن محمد بن زكري (ت899هـ) الفقيه الأصولي البياني الذي أنعش الكتابة الفقهية بعدة تصانيف أهمها شرحه لعقيدة ابن الحاجب بكتابه المسمى "بغية الطالب" وله شرح الورقات لإمام الحرمين أبي المعالي في أصول الفقه وفتاوى كثيرة منقولة في المعيار للونشريسي[3]. ومنهم ابن مرزوق الحفيد (ت842هـ) الإمام العلامة الحافظ صاحي كتاب "أنوار الدراري في مكررات البخاري" وكتاب "الاعتراف في ذكر ما في لفظ أبي هريرة من الانصراف" وله "المتجر الربيع والمسعى الرجيح والمرحب الفسيح والوجه الصحيح والخلق السميح في شرح الجامع الصحيح"، وله كتاب في علوم الحديث سماه "الحديقة" وشرح لكتاب القاضي عياض الشفا مما جعل التمبكتي يطيل في الثناء عليه وتعديد مناقبه فيصفه في علوم الحديث بالقول: "... إلى الإحاطة بالحديث وفنونه وحفظ مروياته ومعرفة متونه،

---

(1)– بشير ضيف بن أبي بكر بن البشير بن عمر الجزائري: **فهرست معلمة التراث الجزائري بين القديم والحديث**، مراجعة: عثمان بدري، منشورات شالة، الأبيار، الجزائر، 2007م، ص 84.

(2)– عبد العزيز فيلالي: **تلمسان في العهد الزياني دراسة عمرانية اجتماعية ثقافية**، المؤسسة الوطنية لوحدة الرّغاية، الجزائر، 2000م، ج2، ص 448.

(3)– ابن مريم: **البستان**، المصدر السابق، ص ص 38– 40.

ونظم أنواعه ووصف فنونه، فإليه الرحلة في رواياته وعليه المعول في حل مشكلاته وفتح مقفلاته"[1].

وظهرت كتب المختصرات ككتاب أبو زيد عبد الرّحمان بن الإمام الذّي ألّف كتابا في شرح مختصر أبي الحاجب في الفروع، ومحمد بن عبد الكريم المغيلي الذي ألف عدة مصنفات في الفقه منها "مصباح الأرواح في أصول الفلاح" و"مفتاح النظر" وهكذا نجد أن ما خلفه هؤلاء العلماء الأفذاذ في مجال علوم الحديث يجعلنا ننحني أمام هاته القامات العلمية التي صنعت مجد حاضرة تلمسان ورفعت من شأنها بين عواصم العلم.

(1)– التمبكتي: **نيل الإبتهاج**، المصدر السابق، ص ص 501– 502.

الفصل الثالث

العلوم اللسانية بالمغرب الأوسط خلال هذه الفترة

أ- اللغة العربية.

أهم المصنفات اللغوية خلال هذه الفترة.

ب- الأدب.

أ) النثر.

ب) الشعر.

فن الموشحات السائد خلال هذه الفترة.

ت- التاريخ.

الدراسات التاريخية السائدة خلال هذه الفترة.

أ- اللغة العربية.

ترافق مع الفتح الإسلامي لبلاد المغرب، انتشار لغة الفاتحين تدريجيا في أوساط البربر، ولم يكن من السهل تعليمها وتعميمها في كافة المناطق المفتوحة، نظرا لعدم استكمال عمليات الفتح إلى غاية انتهاء القرن الأول الهجري. ثم كانت طبيعة المنطقة الجغرافية الواسعة وبتضاريسها الوعرة، وانتشار العديد من القبائل البربرية في ربوعها ما بين تلال وجبال وصحاري، تفرض على القادة والولاة إتباع سياسة مغايرة لما كان متبعا في المشرق. فكان الاعتناء بإنشاء الكتاتيب والمراكز التعليمية بجوار المساجد كأدوات فعالة للتسريع من تعريب الأجيال الجديدة وتأصيل اللغة العربية وعلومها في نفوسهم تحت ظل سلطة جديدة مؤسسة على الدين واللغة وهي كانت من متطلبات تلك المرحلة[1].

ويمكننا التأكيد بالقول على أن مدينة القيروان عرفت بوادر بداية ونشاط الحركة الفكرية فيها منذ تأسيسها كمدينة إسلامية مستحدثة لحما ودما، فسكانها كانوا في غالبيتهم من العنصر العربي القادم من المشرق[2]، واستوطنوها كنخبة فكرية عربية تضم فقهاء وشعراء قادمة مع الجند العربي المكون في غالبيته من القبائل العربية المستحكم أبنائها في اللغة والبيان، وكما يذكر ابن خلدون في تعريفه لعلوم اللسان العربي بأنها تقوم على أركان أربعة لا بد من توفرها ومعرفتها ضرورية لكل مسلم لفهم مقاصد الشريعة واستنباط الأحكام منها وهي اللغة والنحو والبيان والأدب والمقدم منها هو النحو[3]. فنتيجة هذا القدوم المكثف أصبحت القيروان معقل التعريب الأول الذي سيطال قريبا كل بلاد المغرب من أقصاها إلى أقصاها، ففيها كانت تسود لغة القرآن الفصيحة المرتبطة باللغة العربية، فكان تعلمها وحفظها وفهمها بالنسبة للبربر البوابة الرئيسية لمعرفتها والتعمق في أسرارها واكتشاف سحرها

(1)- عبد العزيز غوردو: **الفتح الإسلامي لبلاد المغرب "جدلية التمدين والسلطة"**، دار ناشري للطبع الإلكتروني، المملكة المغربية، ط2، 1432هـ/2011م، ص 68.

(2)- محمد محمد زيتون: **القيروان ودورها في الحضارة الإسلامية**، المرجع السابق، ص 215. موسى لقبال: **المغرب الإسلامي**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1981م، ص 28 وما بعدها.

(3)- ابن خلدون: **المقدمة**، المصدر السابق، ص 753.

وحلاوتها[1]. واعتبرت تلك العوامل من بين أهم الأسباب الرئيسية التي أدت إلى انتشارها وتوسع مداها، وأمدتها بالقدرة ليتسع سلطانها وتنمو منزلتها وتتفسح آفاقها في مجال الأدب واللغة[2].

وعندما أنشئت الدواوين بات التراسل بين قادة الجيش وبقية المناطق المفتوحة لا يتم إلا بلغة القرآن. ناهيك على أن الكثير من البربر الموالين للمسلمين اختاروا عن طواعية السكن في هذه المدينة الجديدة، معلنين بذلك ولائهم للسلطة الجديدة، ومغتبطين راضين على وضعهم الجديد، راغبين في تحسين إسلامهم ومعرفة دينهم فشكلوا النواة الأولى لما سيصبح لاحقا ثورة علمية رائدة في مجال العلوم النقلية في الغرب الإسلامي وكانت اللغة العربية إحدى حقوله.

أولا– علوم اللغة عند الرستميين.

مع نهاية القرن الثاني الهجري، كان المغرب الإسلامي قد شهد تحولا سياسيا جذريا في هيكله السياسي بقيام الدويلات المستقلة،وكانت الدولة الرستمية إحداها. ورغم كون مؤسسها عبد الرحمن بن رستم كان من أصول فارسية، إلا أنه تلقى تكوينه العلمي والديني في أكبر مراكز التعليم والحواضر العلمية المعروفة في العالم الإسلامي بشقيه الغربي والشرقي. فقد نشأ في القيروان وبها أخذ علومه الأولى، ثم ما لبث أن انتدب من قبل الداعية سلمة بن سعد ليكون رسول المذهب ليكون رسول المذهب الإباضي وحامل لواءه كطالب علم لتلقي مبادئه وأصوله على أيدي كبار مشيخته في البصرة وعلى رأسهم الإمام الثاني للمذهب الإباضي أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة بعدما وقع عليه الاختيار مع مجموعة أخرى أطلق عليهم حملة العلم وكانوا أربعة من المغرب والخامس من اليمن.

وبعد تأسيس الدولة التي سيصبح إمامها وحاكمها، سعى إلى جعلها دولة قوية، وقام ببناء أسسها على قواعد العلم والشرع الإسلامي، فازدهرت العلوم وتوسعت المعارف وكانت اللغة

---

(1)– حسن حسين الحاج: **حضارة العرب في صدر الإسلام**، المؤسسة الجامعية للدراسات والنّشر والتّوزيع، الجزائر، ط1، 1412هـ/1992م، ص 301.

(2)– محمد محمد زيتون، **القيروان**، المرجع السابق، ص 216.

العربية هي لسان الدولة الرسمي إلى جانب البربرية التي كانت متداولة ويكتب بها وتعايشت مع هذا الوافد الجديد، في تناغم وتسامح كون المنطقة كان يغلب عليها العنصر البربري[1].

وهو ما أثبته الباروني المؤرخ الباروني بالنصوص والوثائق بأن اللغة العربية كانت هي الهيمنة على مناحي الحياة في الدولة الرستمية، فرسائل الخطابة والوعظ والحث على التمسك بالدين، ومراسيم التولية وعقود الولايات لعمالهم كلها كانت بلغة القرآن[2] ولم يقتصر الأمر على شؤون الدولة فحسب، بل شارك الأئمة الرستميون في بث العلوم ونشرها "فقد كان البيت الرستميين بيت العلوم وجامعا لفنونها من علم التفسير والحديث، والفرائض والأصول، والفروع وعلم اللسان"[3]. حينها أصبحت العاصمة تيهرت ملتقى أنصار المذهب الإباضي من جميع أنحاء العالم الإسلامي، وعاصمة العلوم التي كان جزء كبيرا منها يحمل من المشرق ككتب منسوخة تشمل مختلف أصناف العلوم وتفرعاتها كالفقه وعلم الكلام والأشعار والأخبار، والسيَّر، والعلوم الرياضية وكانت كلها مدونة باللغة العربية[4].

كان لهذا التأثير المشرقي على مفاصل الدولة الرستمية في مختلف جهزتها الإدارية دور في حث الأهالي على تعلم اللغة العربية وآدابها، فازدهر النثر والشعر وفن الخطابة والترسل وكان الأئمة الرستميون في طليعة العلماء المشاركين في العلوم تدريسا وتأليفا لأنه كان شرطا أساسيا من شروط تولي الإمامة[5]. واشتهر الكثير من العلماء الإباضيين وغيرهم في باب علوم اللغة والنحو، ونبغوا فيها وأبدعوا. فعلى رأس تلك العلوم كان النابغة يهوذا ابن قريش التاهرتي، أول واضع لأسس النحو التنظيري، وله في ذلك كتاب من أنفس ما دون في هذا المضمار وهو موجود بمكتبة أوكسفورد بإنجلترا[6]. وكان الفقيه والقاضي هود بن محكم

---

(1)– إبراهيم بحاز بكير: **الدولة الرستمية (160– 296هـ/777– 909م)، دراسة الأوضاع الاقتصادية والفكرية**، جمعية التراث، القرارة، الجزائر، ط1، 1985م ، الجزائر، ص351. محمد الطمار: **تاريخ الأدب الجزائري**، المرجع السابق، ص ص 28– 29.

(2)– الميلي: **تاريخ الجزائر، ج2**، المرجع السابق، ص 78.

(3)– الدرجيني: المصدر السابق، ج1، ص 56.

(4)– الميلي: **تاريخ الجزائر**، المرجع السابق، ص 77.

(5)– محمد عيسى الحريري: **الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي**، المرجع السابق، ص 237.

(6)– عبد الرحمن الجيلالي: **تاريخ الجزائر**، ج1، المرجع السابق، ص 174.

الهواري الأوراسي (208-258هـ) يفسر القرآن الكريم بالمأثور من الأقوال، متقيدا بالشروط الثمانية المتعارف عليها في قواعد التفسير والمرتبة على الشكل التالي: معرفة المكّي والمدني الناسخ والمنسوخ، التقديم والتأخير، المقطوع والموصول والخّاص والعام، والإضّمار واللّغة العربية[1]. كما اشتهر منهم محمد المكفوف النحوي في اللغة وعلم العروض، والشيخ أبو سهل الفارسي الذي كان ترجمانا للأمير أفلح بن عبد الوهاب وأخيه أبي الحاتم، لتضلعه في اللغة العربية والبربرية والنحو، وقد عرف عنه التأصيل والتمكن من العربية بنحوها وقواعدها، وبلغ مجمل مؤلفاته اثنا عشر كتابا في الوعظ والتذكير والتخويف[2]. وأبو عبيدة الأعرج الشيخ الفقيه العالم المتكلم فريد عصره "في الفقهة والكلام الوثائق والنحو واللغة"[3]. عاش في عصر الإمام أبي اليقظان أجله الإباضية، واعترفوا بفضله، واحترمه الأئمة، وأسلموا له بالورع، وإليه كانوا يعودون للسؤال والاستفسار عن شؤون دينهم ودنياهم[4].

ويضيف ابن الصغير في حديثه على هذا العالم قصته الطريفة معه لما قصده لأخذ العلم فيقول: "... وقد أتيته يوما أسمع منه كتابا " إصلاح الغلط الذي ألفه عبد الله بن مسلم بن قتيبة على أبي عبيدة، فلما افتتحت قراءته وقلت: "لعل ناظرا في كتابنا هذا ينفر من عنوانه ويستفر من ترجمته ويربى بأبي عبيدة عن الزلة". فلم أهمزه ولم أمده، فقال لي يربأ بأبي عبيدة بهمزة الألف وضمه وإنما ذكرت هذا الحرف لأدل على براعته في اللغة"[5]. ويقول ويقول عنه بأن الإباضية: "كلهم مقرون له بالفضل معترفون له بالعلم مسلمون له بالورع، إذا اختلفوا في أمر من الفقه أومن الكلام صدروا عن رأيه. كما اشتهرت أسر إباضية في ميدان العلوم وكان منهم الإخوة إبراهيم بن قطن المهري الإباضي وشقيقه أبي الوليد عبد الملك بن

(1)- محمد مختار إسكندر: **المفسرون الجزائريون عبر التاريخ**، دحلب للنشر،الجزائر،(د- ت) ج1، ص 41.

(2)- عبد الواحد الشماخي: **سيَّر الشماخي**، تح :أحمد بن مسعود السباحي، المكتبة الوطنية الجزائرية، الجزائر، 1992م، ج1، ص 244.

(3)- ابن الصغير: **أخبار الأئمة الرستميين**، المصدر السابق، ص 84.

(4)- سعد زغلول عبد الحميد: **تاريخ المغرب العربي، (تاريخ دولة الأغالبة والرستميين وبني مدرار والأدارسة حتى قيام الفاطميين)**، منشأة المعارف، حلال حزى وشركاه، 1993م، ج2، ص 369.

(5)- ابن الصغير: **أخبار الأئمة الرستميين**، المصدر السابق، ص 84.

قطن. فالأول صنفه الزبيدي صاحب الطبقات في الطبقة الثانية، كان شيخ أهل اللغة العربية والنحوية والرواية ورئيسهم وعميدهم، ورتبه قبل أخيه[1].

ولم يقتصر الأمر على العلماء الإباضية وحدهم، وكما ذكر ابن الصغير، فإن العاصمة تيهرت أمَّها العديد من العلماء والفقهاء من كل الأجناس والأطياف والمذاهب. فكان منهم أبو الطيب محمد بن أبي بردة الشافعي، وعبد الله بن محمد بن حسين التميمي التاهرتي نزيل سبتة والحسن بن علي بن طريف النحوي نزيل سبتة وكان من تلاميذه القاضي عياض، والقاسم بن عبد الرحمن التاهرتي، وأبو الربيع سليمان بن زرقون النفوسي. كما حل به علماء من الأندلس نظرا للعلاقات الوطيدة التي كانت تجمعها بالحكم الأموي فكان منهم، مسعود الأندلسي، وعمران بن مروان الأندلسي وقد تم اختيارهما لشغل منصب الإمامة في الدولة بصفتهما من مجلس الشورى الذي كان أعلى هيئة في الدولة ومنه تخرج التزكية بالإمامة.

لقد عرف العلم مستقره في هذه الدولة التي قدمت مثالا رائعا، وصفحة مشرقة من تاريخ المغرب الأوسط في بداياته العلمية وإسهامه الحضاري في العلوم الإسلامية النقلية والعقلية وأظهرت قدرة علماء بلاد المغرب على التصنيف والتأليف في كل العلوم، ونقدم عذرنا لاكتفائنا بهذه الأسماء نظرا لتواجد الكثير منهم ولا يمكن ذكرهم كلهم، لكن تبقى هذه العينة المذكورة دليل واضح على الرقي والازدهار الحضاري الذي عاشته هذه الدولة مدة بقائها ولا تزال الكثير من مصنفات علمائها وفقهائها محط دراسة وبحث من قبل أتباع المذهب إلى يومنا هذا.

ثانيا- علوم اللغة عند الفاطميين.

تزامن قيام الخلافة الفاطمية في بلاد المغرب الإسلامي مع بداية قيام نهضة فكرية وأدبية طالت المشرق والمغرب على حد سواء. فقد ارتقى فيه الأدب العربي عامة وازدهر الشعر والنثر[2]. ولم يتخلف المغرب الإسلامي عن ركوب موجة الإبداع في جميع العلوم

---

(1)- أبي بكر محمد بن الحسن الزبيدي الأندلسي: **طبقات النحويين واللغويين**، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، ط2، 1392هـ/1973م، ص ص 210- 211.

(2)- محمد زغلول سلام: **الأدب في العصر الفاطمي، الشعر والشعراء**، المرجع السابق، ص 9.

فكنت رسله العلمية من طلبة العلم وقوافل العلماء الذين هاجروا إلى المشرق للأخذ والاقتباس من معارف علماءه تعد بالعشرات، فعادوا محملين بأثقال الكتب والمؤلفات متضلعين في العلوم والمعارف وظهرت منهم أسماء لامعة في اللغة والنحو والبلاغة والتاريخ والجغرافية والفلك وغيرها من العلوم[1].

كانت الفترة التي سبقت قيام دولة الفاطميين، ونعني عهد الأغالبة، هي التي مهدت الطريق أمام نشأة مدرسة النحو المغربية بمعية الأندلس. فقد عمد الأغالبة على خدمة العلوم واللغة العربية وأولوها عناية خاصة، فبيت الحكمة التي أنشأها إبراهيم الثاني برقادة سنة (264هـ) المنطلق الذي سينبعث شعاع التفوق المغاربي، بضًمها وجمعها لأمهات الكتب المجلوبة من كافة أنحاء العالم الإسلامي، باللغة العربية وأخرى مترجمة تنوعت ما بين كتب دينية وأخرى لغوية، وضعت خصيصا لطلبة العلم للاستفادة منها، والعمل عليها تحت إشراف علماء وفقهاء تم جلبهم من قبل أصحاب الدولة. ولا بأس أن نشير إلى بعض الأسماء المعروفة التي تداولت على التدريس في هذا الصرح العلمي، فكان منهم إسحاق بن عمران، الطبيب البغدادي، الذي استقدمه إبراهيم الثاني سنة (264هـ)، والطبيب أبو يعقوب إسحاق بن سليمان الإسرائيلي الذي حل برقادة سنة (292هـ) أيام زيادة الله الثالث وإسماعيل بن يوسف المعروف بالطلاء وهو الرياضيين المشهورين، وسعيد بن حداد من كبار المتكلمين وغيرهم ممن صنعوا مجد الدولة في العلوم.

أما في جانب الأدب واللغة والشعر، فقد تعددت الأسماء وكثرت الألقاب، فزيادة على أمراء الدولة الذين تفوقوا في الكثير من العلوم، كمؤسس الدولة وأبنائه، فكان منهم إبراهيم بن محمد الشيباني أبو البشر الذي تولى رئاسة بيت الحكمة، والكاتب الأديب الشاعر محمد بن لحيون المعروف بالبريدي، وعبد الله هارون بن الكوفي والقائمة طويلة[2].

---

(1)– الشيخ محمد الطنطاوي: **نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة**، مراجعه وتعليق: سعيد محمد اللحام، عالم الكتب، بيروت، 2005م، بيروت، ص 129.

(2)– عبد الرحمن حسب الله الحاج أحمد: **بنو الأغلب، إدارتهم ودورهم الحضاري في إفريقيا**، المرجع السابق، ص ص 164– 166.

ولم يتطلب الأمر سوى برهة من الزمن حتى بدأت ثمار جهود الأمراء الأغالبة في الظهور فبرزت طائفة من علماء اللغة ممن ذاع صيتهم وعلا ذكرهم وكان منهم من عاصر نهاية دولة الأغالبة وبداية الفاطميين، وواصلوا جهودهم في تأصيل علوم اللغة والنحو وأثروا المكتبة العربية بعدة مؤلفات وتصانيف، وكانت أعدادهم في تزايد كما أشار إليه الزبيدي في طبقاته.

وإذا كانت الدولة الفاطمية قد ورثت من الأغالبة، أملاكها وأراضيها ومدنها ونظم التسيير والإدارة فيها، فإنها استفادت أيضا من الجانب العلمي، فبقي أهل العلم على ما كانوا عليه. فمن اللذين عاصروا الدواتين، أبو محمد عبد الله بن محمد المكفوف (ت308هـ) كان من المبرزين في علوم العربية والشعر وأيام العرب وأخبارها[1]، وأبو بكر أحمد بن إبراهيم بن أبي عاصم اللؤلؤي (ت318هـ) النحوي المقتدر، والحافظ المشهور[2]، وأبو علي الحسن ابن علي السنجي المكفوف (ت342هـ)، وأبو القاسم إبراهيم بن عثمان المعروف بابن الوزان (ت346هـ) الذي كان "إمام النحو وكبيرهم في اللغة وعظيمهم في العربية والعروض، وانتهى فيهما ما لعله لم يبلغه أحد من قبله"[3].

وإذا عدنا لأصحاب الدولة وخلفائها، فإضافة إلى عبيد الله المهدي الخليفة الأول الذي كان من العلماء المتمكنين من الخطابة والترسل وعرف عنه التبحر في العلوم، فكبير قضاة الدولة النعمان بن حيون الفقيه العالم، ومنظر المذهب الشيعي كانت له إسهامات في هذا المجال، فقد ألف كتاب "الرسالة ذات البيان" وهو كتاب لغوي رد فيه على العالم الكوفي اللغوي عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت296هـ)[4]. كما برز اسم أبو عبد الله محمد بن جعفر التميمي المشهور بالفزاز القيرواني الذي كان يعد من أبرز النحاة واللغويين الفاطميين بكتابه "الجامع في اللغة" سميً بشيخ القيروان في العربية[5]. وعرف عن المعز لدين الله الفاطمي اهتمامه بالعلوم ومناظراته العلمية مع كبار العلماء في جلسات العلم التي كان يعقدها معهم.

---

(1)– الزبيدي الأندلسي: **طبقات النحويين واللغويين** ، المصدر السابق، ص 236.

(2)– ينظر ترجمته: الزبيدي، المصدر نفسه، ص 243.

(3)– الزبيدي: نفسه، ص ص 245– 246.

(4)– يوسف حوالة: المرجع السابق، ص ص 245– 248.

(5)– المقري: **نفح الطيب**، ج2، المصدر السابق، ص 110.

فقد ناقش مجموعة من النحويين في مسائل نحوية ولغوية[1]. كما طلب من الفزاز القيرواني تأليف كتاب في النحو للرَّد على أحد كبار علماء النحو في المشرق أحمد بن يحي بن ثعلب (ت291هـ) وهو بطلبه هذا أراد أن يفك رباط التبعية العلمية للمغرب عن أختها المشرقية. فالمغاربة والأندلسيون أخذوا علوم اللغة بداية عن المشارقة فأولوا للنحو واللغة أهمية كبيرة لدرجة أنهم طوروها لتكتسب طابعا خاصا بهم[2].

ثالثا– علوم اللغة عند الحماديين.

رغم رحيل الفاطميين إلى مصر، إلا أن المشهد الثقافي ظل على توهجه وإشراقه، ولم تكن الأحداث السياسية التي طبعت إفريقية وما جاورها من النواحي والأمصار لتأثر على تقدم العلوم وتطورها. ففي البداية بقي الزبيريون أوفياء للفاطميين، وحافظوا على الولاء والتبعية، وظلت خطب المساجد من المنابر تصدح بالدعاء والترضية للخلفاء الفاطميين والدعوة لهم، وبقي العلم والعلماء متعهدين الشعلة التي انتقلت إليهم من أسلافهم، وتواصلت معها التقاليد الثقافية الموروثة يطبعها الاجتهاد والتأليف والتصنيف والرحلة العلمية[3].

وشمل التطور والرقي علوم اللغة العربية وفروعها مثلما شمل كافة ضروب الأدب، من نثر وشعر وغيرها. وتميزت هاته الفترة بالدراسات اللغوية والنحوية التي برع فيها الفقهاء الذين زاوجوا ما بين علوم القرآن وتفريعاتها مع علم النحو اللغة[4]، وتصدرت مجالات النشاط العقلي مناط عناية واحترام كل الطبقات واشتغلوا به جميعا، الملوك والوزراء ورجال الدولة والعلماء والطبقتان العليا والسفلى وكانت اللغة العربية هي لغة الثقافة والفكر[5].

وسنحاول تعداد بعض الأسماء اختصارا نظرا للعدد الكبير من العلماء الذين أبدوا اهتماما واعتناء بعلوم الأدب وكانوا في نفس الوقت مشتغلين بعلوم أخرى ومن العلماء الذين اهتموا باللغة والنحو، عبد الكريم النهشلي، وابن أبي سهل الخشني المعروف بابن البقال،

---

(1)– القاضي النعمان: **المجالس والمسايرات**، المصدر السابق، ص ص 199– 200.

(2)– مها خير بك ناصر: **النحو العربي والمنطق الرياضي**، مكتبة السائح واتحاد الكتاب اللبنانيين، بيروت، 2007م، ص 58.

(3)– الهادي روجي إدريس: **الدولة الصنهاجية**، ج2، المرجع السابق، ص 391.

(4)– يوسف حوالة، المرجع السابق، ص 324.

(5)– عبد الحليم عويس: **دولة بني حماد**، المرجع السابق، ص 262.

وأبو القاسم يوسف البسكري (403- 465هـ) من علماء اللغة والأدب[1]، ويحي بن عبد المعطي الزواوي (ت628هـ) صاحب مصنف "الفتية في النحو" و"الفصول والعقود" وكتاب "حوائش على أصول ابن السراج في النحو" وغيرها. وعبد الحق البجائي صاحب كتاب "الواعي في اللغة". وكان منهم الحسن بن علي التيهرتي العلامة اللغوي والإمام النحوي (ت673هـ) وهو الذي تتلمذ على يديه الغبريني أبو العباس صاحب كتاب "عنوان الدراية" أثنى عليه بالقول "انه كان في علم العربية بارعا مقدما محكما لفنونها الثلاثة النحو واللغة والأدب كما كان قويا في علم الصرف"[2]. وذاع صيت أبو يعقوب بن إبراهيم الورجلاني الملقب بالجاحظ لكثرة تآليفه وغيرهم[3]، ولا يفوتنا اسم أبي محمد عبد الحق الأزدي الأشبيلي (ت582هـ) صاحب كتاب "الحاوي" في اللغة الذي جاء في ثمانية عشر مجلدا، أثنى عليه أهل العلم والمؤرخين وصنفوه في مرتبة أشهر المعاجم اللغوية[4] كما كان له مؤلفات أخرى منها "الأحكام الصغرى والكبرى" و"العاقبة في علم للتذكير"[5] وغيرها.

ومجمل القول يبقى الإنتاج الفكري والأدبي في دولة بني حماد احد أروع صفحات التاريخ الحضاري للمغرب الأوسط، فحين نجد كتابا واحدا مثل كتاب الغبريني الذي ترجم فيه لأكثر من مائة عالم، فلنا أن نتصور حجم الإبداع العلمي والثقافي الذي بلغته هذه الدولة خاصة عند انتقال مقر الحكم إلى العاصمة الجديدة بجاية التي ذاع صيتها في كامل أرجاء العالم الإسلامي كحاضرة علمية مستوفاة لكل أسباب الإبداع والرقي والتطور والازدهار.

رابعا- علوم اللغة في عهد المرابطين.

حينما نتحدث عن العلوم وأصنافها في عهد المرابطين، لا يسعنا إلا أن نستشهد بما جاء في كتاب المعجب للمراكشي وهو يصف الأندلس تحت سلطة الأمير يوسف بن تاشفين بالقول: "وحين ملك يوسف أمير المسلمين جزيرة الأندلس وأطاعته بأسرها ولم يتخلف عليه شيء منها، عُدَّ من يومئذ في جملة الملوك، واستحق اسم السلطنة، وتسمى هو وأصحابه

---

(1)- مبارك الميلي: **تاريخ الجزائر**، ج2، المرجع السابق، ص 96.

(2)- الغبريني: **عنوان الدراية**، المصدر السابق، ص 185.

(3)- رشيد بورويبة: **الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها**، المرجع السابق، ص 196.

(4)- يوسف حوالة: **المرجع السابق**، ص 328.

(5)- الغبريني: **نفسه**، ص 43.

بالمرابطين، وصار هو وابنه معدودين في أكابر الملوك، لان جزيرة الأندلس هي حاضرة المغرب الأقصى، وأم قراه، ومعدن الفضائل منه، فعامة الفضلاء من أهل كل شأن منسوبون إليها، ومعدودون منها، فهي مطلع شموس العلوم وأقمارها، ومركز الفضائل وقطب مدارها"[1] فليس لنا من خلال هذه الشهادة إلا التسليم بما بلغته الأندلس بفقهائها وعلمائها ومشايخها وطبقاتها من تفوق وريادة في كل العلوم، رغم وجود الحواضر المغربية المعروفة في بلاد المغرب، كالقيروان وفاس وتلمسان وبجاية والمسيلة وغيرها.

وقد أشاد المؤرخون بما بلغته الدولة في عهد يوسف بن تاشفين بعدما تمكن من توطيد دعائم ملكه، وشروعه في تمتين أسسها،واعتناءه بالجانب العلمي فيها، فكان العلم هو أساس دعوة المرابطين، وعليه قامت دولتهم[2]. وبدخوله الأندلس وجعلها من أملاكه بعد القضاء على ملوك الطوائف[3]، امتزجت الثقافتين المغربية والأندلسية، "وقد فعل الاحتكاك بالأندلسيين الأفاعيل في تقدم الحياة الفكرية بالمغرب ونهضة العلوم والآداب"[4]، على حد تعبير عبد الله كنون. وكانت الأرضية مهيئة حتى في ظل الأجواء السياسية المضطربة التي كانت تسود عهد ملوك الطوائف، بتنازعهم وحروبهم وخمولهم وانغامسهم في اللهو والملذات، إلا أن عصرهم لم يكن كله شرا على ما تذكره المصادر. بل كان أغلب ملوكهم من أكابر الأدباء والشعراء والعلماء، وقصورهم منتديات زاهرة ومجامع للعلوم والفنون والآداب، وحفل عصرهم بجمهرة كبيرة من العلماء والكتاب الممتازين، بعضهم كان من قادة الفكر الأندلسي، والفكر الإسلامي بصفة عامة[5].

---

(1)– المراكشي: **المعجب**، المصدر السابق، ص 144.

(2)– عبد الله كنون: **النبوغ المغربي في الأدب العربي**، المرجع السابق، ص 67.

(3)– ينظر ترجمته: محمد بن عبيد الله ابن خاقان الاشبيلي الأندلسي (ت529هـ): **مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس**، ط1، دار الكتب العلمية، لبنان، ص 78. الذهبي: **سير الأعلام**، ج23، المصدر السابق، ص 331.

(4)– عبد الله كنون: **النبوغ المغربي في الأدب العربي**، المرجع السابق، ص 71.

(5)– محمد عبد الله عنان: **دولة الإسلام في الأندلس، العصر الثاني، دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي**، مكتبة الخانجي، ط4، (1417هـ/1997م)، القاهرة، مصر، ص 423.

ففي مجال علوم اللغة والنحو برزت أسماء لامعة مثل الوزير أبا الحسين بن سراج (439هـ /508هـ)، كان من أعلم الناس بالنحو وأشعار العرب وحكاياتها ولغاتها وأخبارها يجتمع إليه للسماع منه نحو الخمسين من رؤساء الملثمين مع مهرة الكتاب[1]، وأبي عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري الأونبي (ت487هـ) له مصنف "شفاء عليل العربية" وسليمان بن محمد بن عبد الله المالقي المكنى بابن الطراوة (ت528هـ) صاحب كتاب "الترشيح في النحو" ذكر بأنه كان علما من أعلام اللغة والنحو، ضمَّن كتابه هذا مجموعة من آرائه النحوية التي تفرد في بعضها، وأبي بكر محمد بن عبد الله بن العربي المعافري الاشبيلي (ت543هـ) ومصنفه "التلخيص في النحو". يقول عنه ابن فرحون في الديباج: "كان من أهل التفنن في العلوم، والاستبحار فيها، والجمع لها، متقدما في المعارف كلها، متكلما في أنواعها، نافذا في جميعها، حريصا على أدائها ونشرها..."[2]. أما تلميذه ابن بشكوال فيصفه بالقول: "الإمام العالم الحافظ، المستبحر، ختام علماء الأندلس وآخر أئمتها وحفاظها"[3]. ومن الأندلس اشتهر ابن سيده الضرير (ت448هـ) صاحب معجم "المخصص"، والأعلم الشمنتري (ت475هـ) الذي استوعب جميع آراء نحاة البصرة والكوفة، وبغداد. وراح ينهج اتجاها جديدا في كثرة التعليلات والنفوذ إلى الآراء الجديدة وعرف عنه عنايته الفائقة بكتاب سيبويه، وكان يعاصر ثلاثة من أعلام النحو في الأندلس هم على التوالي: البطليوسي (ت521هـ)، وابن البانش (ت528هـ) وابن الطراوة السالف الذكر (ت528هـ)[4].

لقد أظهر المرابطون وأمرائهم الكثير من الاحترام للعلم والعلماء، وعاش هؤلاء يستظلون بمظلة أمرائها الذين أكرموهم وقربوهم في مجالسهم وأجزلوا لهم العطايا والهبات، حتى بات اسم المرابطين يلتصق بالتفقه والتعلم، لكثرة العلماء و نفاق سوق العلوم فيها،

(1)- عبد الله كنون: المرجع السابق، ص 73.

(2)- ابن فرحون: **الديباج المذهب**، ج2، المصدر السابق، ص، ص 252- 253- 254. محمد عبد الله عنان: **دولة الإسلام في الأندلس**، المرجع السابق، ص 455 وما يليها.

(3)- عنان: **دولة الإسلام في الأندلس**، المرجع نفسه، ص 456.

(4)- عقيلة العشبي: **المدرسة النحوية المغاربية من القرن الخامس إلى القرن الثامن الهجري** أطروحة دكتوراه، تخصص لغة وأدب عربي، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، السنة الجامعية 2018- 2019، ص 65.

وليس أدل من ذلك أن أبو محمد الأشيري عبد الله بن محمد (ت561هـ)، كان قد قصد الشام، فنزل حلب فتفوق على جميع علمائها، وعليه استدعاه الوزير أبو المظفر إلى بغداد لإقراء الحديث وتدريس علومه ببغداد، فكان إمام عصره في الفقه والحديث والأدب[1]. كما بلغ من اهتمام الدولة بهذا الجانب أن عملت على بناء الكثير من المدارس لإيواء الطلبة وتدريس العلوم إلى جانب المساجد والزوايا، منها مدرسة بناها يوسف ابن تاشفين بفاس تعرف بمدرسة الصابرين. ومن عجيب الصدف أن تاريخ بنائها توافق مع افتتاح مدرسة الوزير نظام الملك ببغداد التي اختير للتدريس فيها كبار علماء وفقهاء الملة الإسلامية، وكان منهم أبو محمد الأشيري.

خامسا- علوم اللغة عند الموحدين.

تبدو المقاربة بين عهد المرابطين وعصر الموحدين في مجال علوم اللغة والنحو، مجدية وذات منبع وأصل واحد، فكلتا الدولتين نشأتا من دعوة دينية إصلاحية شدً معولها فقيهان متضلعان في الفقه والعلوم. فدولة الموَحدين بثً دعوتها أحد علماء المصامدة محمد بن تومرت المهدي، القادم من المشرق بزاد العلوم والمعارف، بعد أن ساح في العراق سنوات متنقلا بين حواضره، متواصلا مع خيرة علمائها، متتلمذا على أكبر مشايخها، فعاد منها حاملا لمشروع كبير وطموح هدفه إحداث ثورة فكرية واجتماعية، واضعا تصورا جديدا لنظام سياسي ديني سيكون من بين أبرز أهدافه تجسيد أفكاره الإصلاحية التي كان يراها الأصلح والأمثل لبيئته المغاربية وتتلائم مع خاصية انتمائه العرقي بتقاليده وأعرافه، طامحا في نفس الوقت إنشاء خلافة إسلامية عامة، تضم تحت لوائها العالم الإسلامي وتتولى زعامتها الدولة الموحدية[2].

وبعد وفاته، كانت الظروف مهيأة لخليفته عبد المؤمن لإتمام ما بدأه الإمام المهدي ابن تومرت، الذي كانت علوم اللغة والأدب تشغل حيزا كبيرا من اهتماماته، لأنه بتدريسها وتعليمها سيكون من السهل عليه تبليغ أفكاره، ونشر عقيدته لأهل المغرب الطاغي عليهم

---

(1)- عبد الرحمن الجيلالي: **تاريخ الجزائر**، ج2، المرجع السابق، ص 304.

(2)- محمد المنوني، **حضارة الموحدين**، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1989م، ص11.

العنصر واللسان البربري. وقد أوضح ذلك ابن تومرت في مجموعة إملاءاته التي كانت موضوع أسس دعوته، خص منها جانبا مهما لعلوم اللغة بقوله: "ثم نرجع إلى قاعدة اللغة وصحة دلالاتها وهي معظم ما يبنى عليه وجوب الخطاب وترتُبه على المكلفين"[1]. وهكذا تابع خليفته ومن تولى أمور الحكم ما بدأه مؤسس الدولة إذ اقترن اسم عبد المؤمن وحفيده يعقوب المنصور بكثير من المدارس المنشأة في إفريقية والأندلس ملحق بكل واحدة منها خزانة للكتب تضم مجموعة كبيرة من المؤلفات والمصنفات موضوعة تحت تصرف طلبة العلم[2].

نشطت الحركة الأدبية في عصر الموحدين ونفقت أسواقها،بحيث عمت البدو والحضر والعرب والبربر، فأخصبت الأفكار وتفتحت العقول واتت الآداب والفنون أكلها[3]. وبرزت كوكبة من أعلام اللغة والنحو والخطابة والشعر والبيان الذين عجت بهم دولة الموحدين وسنعرض بعض أسمائهم ومصنفاتهم في هذه العجالة. فنجد منهم أبو جعفر أحمد بن عطية القضاعي المراكشي، الكاتب الوزير، كان من أكبر الأدباء الذين لهم التصرف التام في الشعر والنثر إضافة على علو كعبه في النحو، شهد له عبد المؤمن بالرئاسة وبالكفاءة فقال عنه بعد وفاته: "ذهب ابن عطية وذهب معه الأدب"[4]، واللغوي عبد الله بن محمد الصنهاجي الأشيري (ت561هـ) الجامع لفضائل العلوم، فكان له منها حظ وافر وعلم وافر[5]، وبلغ المقصد في علم القرآن، وعلم الحديث، وعلم الأصول والنحو والأدب والتاريخ. ومحمد بن محرز بن محمد الوهراني (ت575هـ) أحد ظرفاء العالم وأدبائهم[6]. ومنهم أيضا أبو الخطاب عمر بن الحسن بن علي بن دحية الكلبي(ت633هـ) جمع ما بين الفقه واللغة

---

(1)- محمد بن تومرت المهدي: **أعز ما يطلب**، تق وتح: عبد الغني أبو العزم، مؤسسة الغني للنشر، الرباط، المغرب، 1997م، ص 90.

(2)- محمد المنوني: **حضارة الموحدين**، ص 17.

(3)- عبد الله كنون: **النبوغ المغربي في الأدب العربي**، المرجع السابق، ص 112.

(4)- كنون، نفسه، ص 167.

(5)- ينظر ترجمته: الغبريني، **الدراية**، المصدر السابق، ص ص 218- 219.

(6)- عادل نويهض: **معجم أعلام الجزائر**، المرجع السابق، ص 350.

والنحو، وكان أحفظ زمانه باللغة[1]، خلف العديد من المؤلفات أهمها "التنوير في مولد السراج المنير" وآخر في النحو "الصارم الهندي في الرَّد على الكندي"[2]. وبرز أيضا محمد بن عبد الله بن عبد العزيز بن عمر حافي رأسه (ت606هـ) من أئمة اللغة العربية والنحو، ذاع صيته واشتهر سمه، وصنف كأحد النحاة الثلاث المحمّدين في عصره مع ابن النحاس في مصر، وابن مالك في دمشق[3]. وأبو العباس أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن مضاء اللخمي القرطبي (513 – 592 هـ)، والأديب النحوي أبو الفضل محمد بن علي بن ظاهر (ت598هـ)، من أعلم الكتاب بصنعته عند الموحدين[4]. فكانت هذه عينة مختصرة عن واقع علوم اللغة والنحو في هذه الدولة التي تجلت فيها العظمة في كل نواحيها.

سادسا– علوم اللغة الزيانيين.

يمكننا القول بأن الدولة الزيانية قد حبَاها الله بالعديد من الأفضال، فمنها أنها جمعت في وعائها علوم ومعارف الأسبقين، ففي زمن ملوكها أصبحت حاضرة من أعظم حواضر العلم والسياسة بالعالم الإسلامي، ونبغ فيها عدد كبير من العلماء والفقهاء الأجلاء الذين استقلوا بملكة العلم والتعليم[5]. فساهموا بجهودهم القيمة ومؤلفاتهم التي تنوعت وتعددت بحسب تفريعات العلوم وفنونها، وصالوا وجالوا في المعارف ودروبها، من نقلية وعقلية وصلوا بها الذروة، وعدوا ركيزة من ركائز الحضارة الإسلامية التي اعترفت بفضلهم ونبوغهم، وانحنى الملوك والسلاطين والأمراء إجلالا لهم، وتقربوا منهم راجين الانتساب لهم، والتشرف بلقائهم.

أظهر علماء تلمسان نبوغا فريدا من نوعه، إذ كنت تجد العالِم منهم قد جمع من كل أصناف العلوم مناحيها ومداخلها، موسوعي الثقافة على تنوع اختصاصاتها، مجتهدا حافظا مشاركا ومؤلفا، فنالوا السبق، وعرفوا بالحِذق، فكانوا أعلم العلماء وتيجان الأدباء واستفادت

---

(1)– المقري: **نفخ الطيب**، ج2، المصدر السابق، ص 99.

(2)– الغبريني: **الدراية**، المصدر السابق، ص 269.

(3)– عادل نويهض: نفسه، ص119. عمار هلال: **العلماء الجزائريون في البلدان العربية الإسلامية فيما بين القرنين 3–14هـ/9 – 20م**، ديوان المطبوعات الجامعة، الجزائر، 1995م، ص 210.

(4)– ليفي بروفنسال : **مجموعة رسائل موحدية**، المرجع السابق، ص، ص 149– 228.

(5)– محمد الطمار: **تاريخ الأدب الجزائري**، المرجع السابق، ص 109.

بعلمهم جموع الدارسين والأقران، ولا تزال مؤلفاتهم ودواوينهم وكتاباتهم تشهد على الازدهار والرقي الحضاري الذي بلغته تلمسان على مدار ثلاثة قرون ونيف بفضل إسهاماتهم، جعلت المغرب الأوسط يتربع على عرش العلوم ببلاد المغرب الإسلامي بوجود مثل هؤلاء الذين أصبحوا حجة في العلوم النقلية والعقلية.

ومن ضمن العلوم التي نبغ فيها الزيانيون كانت اللغة والنحو وهي مفتاح العلوم فتدارسوا أمهات الكتب وحفظوها، وكان: "كتاب أحمد بن الخليل الفراهيدي هو نبراسها ودليلها في بلاد المغرب وتبتعه كتب سيبويه الذي هذب صناعة النحو وأكمل أبوابها"[1]، وعليها نحا علماء النحو في التدوين والتأليف زيادة وتأصيلا. وعرفت هاته الصناعة رواجا كبيرا في سوق العلوم في عصر الزيانيين، وتولوها بالعناية والرعاية، وتصدر لتدريسها عددا معتبرا من العلماء والفقهاء والمتصوفة ممن نبغ فيها، وكان منهم في عهد الزيانيين التي كانت قبلة للعلم والعلماء أعدادا كبيرة، سنقتطف منهم بعض الأسماء التي صنعت مجد تلمسان في القرون المتأخرة، وحافظت على وهج ما تبقى من إشعاع الحضارة في الغرب الإسلامي والأندلس.

فبداية اشتهر منهم محمد بن هدية القرشي أبو عبد الله التلمساني (ت745هـ) كان من أئمة اللسان والأدب[2]، ومحمد بن النجار أبي عبد الله التلمساني (ت749هـ)، وصفه يحي بن خلدون بالقول: "كان ذا شعر نبيل وكتابة رائقة"[3]. ويوسف بن رضوان (ت783هـ) الذي اشتهر في العربية والأدب أيضا، ومنهم أبو عثمان سعيد بن محمد العقباني التجيبي (ت811هـ)، عرفت عائلته اشتغالها بالعلوم والثقافة، وهو أول العقبانيين، وإليه ينتسبون. كانت له رحلة في طلب العلم، منها واحدة إلى تونس أين تتلمذ على يد الفقيه العالم أبو عبد الله محمد بن عبد السّلام التوّنسي، فأخذ عليه النحو واللغة فبرع فيهما وأصبح من شيوخها[4]،

(1)– ابن خلدون: **المقدمة**، المصدر السابق، ص 754.

(2)– يحي بن خلدون: **البغية**، ج1، المصدر السابق، ص 51.

(3)– يحي بن خلدون: **نفسه**، ص 55.

(4)– ابن القاضي: **درة الحجال**، تح: مصطفى عبد القادر عطا، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، 2002م، ص 201.

وصف بأنه كان طويل الفكرة وكثير العبرة، كثير الصمت، قليل الضحك[1]. ومحمد بن أحمد المقري أبو عبد الله التلمساني (ت758هـ) حامل لواء المنظوم والمنثور المتمكن من العربية كتابة وشعرا[2].ومنهم عمران أبو موسى بن موسى بن يوسف المشدالي البجائي الأصل، كان من العلماء المتفوقين في علوم النحو والمنطق والأصول، قال عنه المقري الجد: "كان حافظ تلمسان ومدرسها ومفتيها، وهو الذي أسند إليه أبو تاشفين الأول مهمة الإفتاء والتدريس في المدرسة التاشفينية"[3]. ويحي بن محمد التلمساني (ت809هـ) أثنى عليه المؤرخ السخاوي قائلا: "الفقيه القدوة، المالكي النحوي"[4]. كما اشتهر منهم محمد بن العباس التلمساني (ت871هـ) ومحمد بن عبد الجليل التنسي (ت899هـ) وغيرهم.

وأخيرا بودّنا أن نشير إلى أننا قد حصرنا اختيارنا وأوقفناه على هذه الأسماء من بين تلك الأعداد الهائلة من العلماء الذين لم نذكرهم ليس إنقاصا من شانهم وإنما ذكرهم يحتاج إلى صفحات وصفحات لا يستوفيها المقام هنا.

ب- **الأدب:**

اختصر الإسلام مفهوم الأدب في كلمات موجزة معبرة جمعت كل ما يتطلع ويطمح إليه المرء في إسلامه من حسن خلق وتهذيب للسلوك، ومما نُسب للرسول صلى الله عليه وسلم قوله: "أدبني ربي فأحسن تأديبي". ورغم أن هذا الحديث قد ضعف المحققون إسناده، إلا أنهم أجازوا معناه[5]. وبالعودة إلى أصل الكلمة ومعناها اللغوي. فعرب الجاهلية استعملوا كلمة "أدب" في الدعوة إلى الوليمة والإطعام، فيقال أقام مأدبة أي دعاهم إلى وليمة، وفي ذلك يقول طرفة بن العبد:

---

(1)- أبو عبد الله محمد الأنصاري: **فهرست الرصاع**، تح: محمد العنابي، المكتبة العتيقة، تونس، ط1، 1967م، ص 114.

(2)- ابن الخطيب: **الإحاطة**، ج2، ص 195.

(3)- رابح خدوسي: **موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين**، ج2، المرجع السابق، ص 561.

(4)- السخاوي شمس الدين: **وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام**، تح: بشار عواد وآخرون، مؤسسة الرسالة، لبنان، ط1، 1416هـ/1995م، ج1، ص 391.

(5)- ينظر، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية: **أحاديث القُصاص**، تحقيق: محمد بن لطفي الصباغ، المكتب الإسلامي، لبنان، ط2، 1392هـ/1973م، ص 94.

نَحْنُ فِي المِشْتاة نَدْعُوا الجُفْلَى*** لا ترى الآدِبَ فينا يَنْتَقِرُ[1]

ثم تدرج المفهوم ليشمل العلم والثقافة والتهذيب، والطبع القويم وأصبح الشخص المتولي تعليم أبناء المسلمين والخلفاء والأمراء وأصحاب المراتب يسمى "بالمؤدب"، وكان يحرص على تعليمهم كل ما أنتجه السابقون من ضروب المعرفة من الشعر بعروضه وقافيته ومن جميل النظم والنثر والخطب ببيانها وبديعها وأيام العرب في الجاهلية والحكم والنصائح هي المواد المجتباة والمختارة للتعليم. وبحلول القرن الثالث الهجري أصبحت كلمة الأدب تختص بالشعر والنثر وما يتصل بهما من كلام وبلاغة ويعرفه ابن خلدون بقوله: "... إنما المقصود منه عند أهل اللسان ثمرته، وهي الإجادة في فني المنظوم والمنثور، على أساليب العرب ومناحيهم، فيجمعون لذلك من كلام العرب ما عساه تحصل به الكلمة من شعر عالي الطبقة، وسجع متساوي في الإجادة"[2]. ولن يتسنى للأديب أن يكون كذلك إلا إذا أخذ من العلوم الأخرى بطرف والمقصود الاستحكام والتمكن خاصة علوم اللسان والعلوم الشرعية التي قوامها القرآن والسنة والفقه والتاريخ[3].

بعدها استقل الأدب بمفهومه الخاص وأصبح ملازما للأدباء وتراجمهم والشعراء وقصائدهم ومن سار في ركبهم من فرسان البلاغة والبيان، وممن يحسنون المنادمة والمجالسة بالحكم والأمثال وأصحاب الرسائل والخطابة الذين كانوا في الغالب مصاحبين للملوك والسلاطين والأمراء، متولين دواوين الإنشاء والكتابة في غالبية الدول والإمارات التي قامت في أرجاء العالم الإسلامي.

وكان للغرب الإسلامي حظ وافر في محفل الأدب ومجال النثر بداية بالدولة الأغلبية ذات الأصول العربية والتي عرف عن أمراءها أنهم من أهل البلاغة والبيان. فمؤسسها الأغلب بن سالم بن عقال بن خفاجة التميمي "كان فقيها عالما دينا شاعرا خطيبا ذا رأي...

(1)– ينظر، أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت 276هـ): **أدب الكاتب**، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر، ط4، (د–ت)، ص 136.

(2)– ابن خلدون، **المقدمة**، المصدر السابق، ص 763.

(3)– ابن خلدون، **المصدر نفسه**، ص 763.

وكان كثير الاختلاف إلى الليث بن سعد"[1]، وهو ينتمي إلى قبيلة بني تميم المعروفة بعروبتها الأصيلة وإنجابها لأعداد لا تحصى من الفقهاء والعلماء، كما اشتهر أبناءها بالفصاحة والبيان. فلا غرابة أن تكون الدولة الأغلبية ذات توجه إسلامي عروبي، ثم كانت الدولة الرستمية، ذات الأصول الفارسية إلا أنها صنعت حضارتها بالروح الإسلامية الخالصة، فبداية من مؤسسها الذي كان من العلماء المتمكنين،تتلمذ في القيروان مهد العلوم الشرعية ثم سافر إلى البصرة للمزيد وعاد منها طودا شامخا في الفقه واللغة والأدب، وانشأ أبنائه على سيرته فكانوا كلهم من حملة العلم والمتمكنين من العلوم النقلية والعقلية واشتهر منهم ابنه عبد الوهاب والإمام أفلح أبو سعيد. وبعدها كانت الدولة الفاطمية بدعاتها وأئمتها الذين أبدعوا في الشعر والنثر وكانوا خطباء مفوهين، وقد تلا رحيل الفاطميين ظهور دويلات محلية اعتنت بالجانب اللغوي ممثلا في الدواوين والرسائل والكتابات كانت فيه اللغة العربية هي السيدة، رغم الأصول البربرية لحكامها، فاغتنت الساحة الثقافية في بلاد المغرب بالمصنفات الأدبية، والدواوين الشعرية والنثرية والرسائل الأدبية والمقامات وكتب أدب الرحلات، وسنخصص حديثنا في هذا الجزء من البحث على أحد فروع الأدب الذي استوفى حقه في قصور الملوك والأمراء لحاجتهم إلى ألسنة بليغة لكتابة الرسائل وديباجة الأوامر والمراسيم، ومراسلة غيرهم من حكام وملوك الدول ومخاطبة الناس بلغة يفهمونها وكان هذا مجال الفقهاء والأدباء والشعراء.

1. النثر.

لم يقتصر العطاء الفكري والأدبي للمغرب الأوسط على فترة زمنية محددة، أو مجال معين في فن من فنون العلوم التي باشروها بالتعلم والتمكن ولاحقا بالاجتهاد والبذل، بل تعداه إلى الإسهام في خلق فضاء علمي مغاربي إسلامي متميز في المنطقة مبني على أسس حضارية راقية عمادها القرآن الكريم بلغته القويمة ولسانه العربي المبين. ففتحت اللغة العربية المجال رحبا واسعا وشرعت الأبواب للإبداع والتفوق واسعة أمام أبناءه، وغيرهم من الطبقة

---

(1)– عبد الله بن أيبك الدَّاواداري: **كنز الدرر وجامع الغرر، الجزء السادس، الدرَّة المضية في أخبار الدولة الفاطمية**، تح: صلاح الدين المنجد، قسم الدراسات الإسلامية، القاهرة، مصر، 1380هـ/1961م، ص 24.

المثقفة القادمة مع موجات الفتح المتواصلة التي كانت تضم أفرادا متضلعين في الفقه وكثير من العلوم ونحوها، وكان من ضمنها الأدب وتخريجاته من نحو وشعر ونظم ونثر الذي نال منها النصيب الأوفر، والحظ الأكبر[1].

يعرف النثر بأنه تلك المشاعر الفياضة التي تسجل خلجات النفس العميقة بعفوية بشكل غير منظوم وتخرجها إلى العلن على لسان صاحبها بلغة سليمة مستقيمة المعنى مجيدا استعمالها من دون أن يكون لصاحبها التزام بقواعد القافية أو الوزن مثل الشعر رغم أنهما متلازمان، إلا أن النثر قد سبقه وجودا حيث يذكر ابن رشيق ذلك بقوله:"كان الكلام كله منثورا فاحتاجت العرب إلى الغناء بمكارم أخلاقها وطيب أعرافها، وذكر أيامها الصالحة، وفرسانها الأمجاد وسمحائها الأجواد لتهز أنفسها للكرم، وتدل أبنائها على حسن الشيم، فتوهموا أعاريض جعلوها موازين الكلام. فلما تم لهم وزنه سموه شعرا، لأنهم شعروا به، أي فطنوا[2]. هذا فيما يخص السياق التاريخي. أما تعريفه لغة. فيقال بأنه: نثر الشيء بيده أي رماه متفرقا، ويعرفه الفيروز أبادي بالقول: نَثر الشيء ينثره نَثْرا ونثَارا، رماه متفرقا كنثره فانتثر وتنثر، والنُثارةُ بالضم والنَثَر بالفتح ما تناثر منه، أو الأولى، تخص بما ينتثر من المائدة فيؤكل للثواب[3].

وكان من أصنافه فن الترسل أو الرسائل الديوانية الصادرة عن ديوان الرسائل، وهي عبارة عن فن أدبي نثري جميل يستظهر فيه صاحبه مقدرته على صياغة رسائل لمخاطبة الغير بأسلوب منمق حسن لإيصال المبتغى والمراد إلى غيره، تكون موافقة لموضوع المحور الذي تدور حوله هذه الرسالة، وهو مرتبط بالأمور السياسية للدولة ومصالحها، ومصالح الرعية وقوامها، من مراسيم كأخذ البيعة للخلفاء، أو تولية ولاة العهود، أو تعليمات وتوجيهات

---

(1)– حسين مؤنس: **معالم تاريخ المغرب والأندلس**، دار الرشاد، القاهرة، ط5، 1421هـ– 2000م، ص112.

(2)– ابن رشيق القيرواني: **العمدة في محاسن الشعر وآدابه**، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، القاهرة، ط3، 1960م ،ج1، ص 20.

(3)– الفيروز أبادي: **القاموس المحيط**، تح: أبو الوفاء نصر الدين الهوريني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 2007م، ،مادة نثر.

كمخاطبة الولاة وقادة الجيوش، أو مراسلة ملوك الدول وزعماء القبائل[1]. وكان يضطلع بهذا الدور في الغالب كتاب أدباء متمرسون، يتكلمون باسم الخلفاء أو الأمراء والسلاطين، وكان يجب أن تتوفر فيهم شروطا خاصة لا تكون عند آخرين أوجزها القلقشندي صاحب كتاب "صبح الأعشى في صناعة الإنشا" بالقول: "يجب أن يكون صبيح الوجه، فصيح الألفاظ، طلق اللسان، أصيلاً في قومه، رفيعا في حيِّه، وقورا حليما مؤْثرا للجدِّ على الهزل، كثير الأناة والرفق"[2].

فكيف كان حال النثر في الدويلات المستقلة بالمغرب الأوسط؟ وهل بلغ فن الأدب واللغة والتراسل مقام الإتقان والبلاغة في الكلام، والإبداع في الكتابة والخطابة عند أصحاب الشأن من أولي الأمر.

أولا – الرسائل الديوانية عند الرستميين.

كان لطبيعة الدولة الرستمية القائمة أسسها على مبدأ الإمامة أثره البالغ في تطور وازدهار النثر، وفن الخطابة، فتطورت معها الرسائل الديوانية وتنوعت وفق حاجيات الدولة، من رسائل النصح والوعظ، إلى مراسلة العلماء ورؤوس المذهب في البصرة، إلى زعماء ومشيخة جبل نفوسة، وانتهاء بمراسلة الملوك والأمراء للدول المجاورة. كما لعبت الأحداث السياسية التي عاشتها هذه الدولة من فتن واضطرابات دورها في إثراء هذا النوع من الأدب النثري نظرا لمتطلبات المرحلة، فكان للأئمة الرستميون فصولا رائعة من التعبير والخطابة والكتابة التي كانوا يتولونها بأنفسهم، ويذكر الباروني واصفا الجانب الخطابي في الدولة الرستمية بالقول: "كان لأئمة الرستميين كلهم دواوين خطب للجمع والأعياد، إذ كانوا يخطبون بأنفسهم ولا يعيدون خطبة خطبوا بها قط"[3]، وكانوا يخطون رسائلهم بأيديهم. فالبيت الرستمي كان بيت العلوم جامعا لفنونها من علوم التفسير والحديث وعلم اللسان وعلم النجوم، والأصول والفروع والفرائض[4]. فكانوا بُصراء بصناعة الكتابة، مجتهدين في فنون الخطابة،

---

(1)– أبي العباس أحمد القلقشندي: **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، ج1، دار الكتب المصرية، (1340هـ/ 1923م)، القاهرة، مصر، ص 60.

(2)– القلقشندي: المصدر نفسه، ص ص 139– 140.

(3)– الباروني: **الأزهار الرياضية**، المرجع السابق، ص 286.

(4)– محمود إسماعيل عبد الرزاق: **الخوارج في بلاد المغرب**، المرجع السابق، ص 298.

فأظهروا فصاحة وبلاغة ومقدرة على اختيار الكلمات وانتخاب العبارات وضعها في مكانها المناسب بأساليب بلاغية راقية أظهرت رسوخ أقدامهم في الأدب، فكلامهم على قدر عقولهم، ويأتونه من وجهه ويضعون الأشياء في مواضعها، بأسلوب بسيط، موجزين فيه القول، متجنبين التكلف، بعيدين عن الزخرف حريصين على أن يكون الأسلوب المستعمل ملائما للجهة المرسل إليها مقدرين منزلته ومكانته بين قومه أو عشيرته.

ولتوضيح الصورة اخترنا أنموذجا لرسالة من الإمام أفلح بن عبد الوهاب[1] إلى أحد ولاته البشير بن محمد يذكره فيها بحدود الله في زكاة الأموال، ويحذره فيها من عواقب مخالفة الشريعة في طرق جمعها أو محاولة التصرف فيها من دون العودة إلى الإمام الذي هو الوحيد المؤهل لصرفها على وجهها الصحيح.

بسم الله الرحمن الرحيم وصلي الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

من أفلح بن عبد الوهاب إلى البشير بن محمد سلام عليك وأني أحمد الله الذي لا إله إلا هو وأسأله أن يصلي على سيدنا محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم وعلى آله. أما بعد.

ألبسك الله عافيته فإني أذكرك عظمة الله لا تنساها وفكر في صغير خلقتك وفي عظيم ما خلقه الله وما جعله من النكال والعذاب لابن آدم وما عافى به من فاز برحمته من عظيم خلقه السموات والأرض والجبال والشجر. وأذكرك ما أعده الله لابن آدم من الكرامة التي تكل الألسن عن وصفها فلو لم تكن كرامة تطلب إلا النجاة من جهنم لكان في ذلك ما ينبغي للعبيد أن ينصفوا من أنفسهم ويفارقوا جميع اللذات، إلا أني أقول لك أن الدواء في هذا هو الاستغاثة إلى الله في العصمة. فمن أراد به الإحسان عصمه، وجعله من أوليائه الذين قال لإبليس فيهم إن عبادي ليس لك عليهم سلطان، فاطلب الله وأرغب إليه في العصمة والتوفيق وإن يحول بينك وبين عدوك. وأعلم أنه لا شيء لمن عقل خير ممن وعظه، ومن موعظة يأخذها. فاقبل واجتهد في القبول... إلى أن قال: وأما ما ذكرته من أن أجعل لك

---

(1)– هو أفلح بن عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم، ثالث الأئمة الرستميين، بويع له بالإمامة سنة (190هـ/2401هـ) وهو الوحيد أي كان يسلم عليه بالخلافة. كان عالما فقيها أديبا شاعرا، له نظم ونثر حازما عزما دامت فترة حكمه خمسين سنة، ويعتبر عهده من أرقى عصور الدولة وأيامه أيام رخاء.

سبيلا وأطلق يدك وأن الحاضر يرى ما لا يراه الغائب. فلعمري أنه لكذلك ولكن ليس في هذا إنما هي أسهم جعلها الله وأوقفها وهي وسخ أموال الناس وليس لنا فيها قضاء ولا زيادة ولا نقصان ولا أمر ولا نهي إلا على قدر الاجتهاد، فاتق الله واجتهد جهدك في توفير الحقوق وتوجيهها إلينا على هذا مضى من كان قبلك...[1].

لقد جمع الإمام في هذه العينة من رسالته ضروبا من الإتقان في مناحي اللغة في نحوها وصرفها، مستعملا ما جادت به قريحته من أشكال الوعظ والنصيحة المستقاة كلها من الدين الإسلامي. فجاء أسلوبها إرشادي توجيهي من دون تكلف أو صنعة، مستخدما في بعض الأحيان المحسنات البديعية كالسجع والطباق، والجناس، مسترشدا بما ورد في القرآن الكريم من سور وآيات، ومقتبسا من سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم في أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر، ورعاية مصالح الأمة والسهر على ترسيخ الثوابت والقيم الإسلامية. ولم يحد الإمام عن تلميع رسالته بقواعد التراسل المتعارف عليها آنذاك فاحتوت على عناصر الاتساق المبنية على المقدمة والعرض والخاتمة. فبدأها بالبسملة والصلاة على أفضل البرية، واستهلها بالترغيب والترهيب في من حُمِل الأمانة، وأن فوقه عين مراقبة لا يغيب عنها شيء. ثم كان التحذير من وسوسة النفس وغلبة الشيطان خاتما الرسالة بوجوب السمع والطاعة.

كان الإمام أفلح في كثير من خطبه ورسائله، يستعمل الأسلوب الواضح والسهل، أظهر من خلاله ثقافته الواسعة وتدينه الشديد، وأنه سياسي محنك، وناثرا حاذقا وخطيبا مفوها.

ثانيا- الرسائل الديوانية عند الفاطميين.

يمكننا اعتبار قيام الخلافة الفاطمية في بلاد المغرب بأنه تحول جذري في طرق التسيير الإداري الذي سوف يشهده الغرب الإسلامي تحت سلطة جديدة حملت معها تصورا مخالفا لما كان سائدا من قبل في كل مناحي الحياة، وبالأخص الجانب العقدي المبني على أسس وقواعد مغايرة لما كان مألوفا ومعهودا. فبالنسبة لأصحاب الدعوة الشيعية من أئمة ودعاة فإن النجاح الذي حققوه في بلاد المغرب كان يجب الحفاظ عليه بأي شكل من

(1)- الباروني: **الأزهار الرياضية**، المرجع السابق، ص ص 177- 178.

الأشكال، تمهيدا لاستكمال ما تبقى من مشروعهم الهادف إلى استرجاع حقهم المشروع من أعدائهم الذين اغتصبوا حقوقهم في تولي إمامة المسلمين!. وعلى هذا الأساس بقي تنظيمهم الدَّعوي محكما يعمل تحت مراقبة دقيقة من قبل أصحاب الدَّعوة لأسباب وعوامل لا مجال لذكرها.

فوسط العداء المتزايد لمذهبهم في بلاد المغرب، كان ولا بد من تأهيل وإعداد دعاة وكتاب متمرسين، يعملون في دواوين الإنشاء للترويج لمذهب أهل البيت، وكانت الخطابة والرسائل من بين أهم الوسائل التي اعتمدت عليها الخلافة الفاطمية لنشر الدَّعوة واستقطاب الأتباع، والرد على منتقديهم والمشككين في أصولهم وسلامة مذهبهم. ويمدنا أحد مؤرخي ومنظري المذهب الشيعي في الخلافة الفاطمية القاضي النعمان بكم هائل من المؤلفات والمصنفات والرسائل التي تم تدوينها وكتابتها في عهد الخلفاء الأربعة الذين حكموا الدولة في بلاد المغرب[1]، مفصلا فيها كل الجوانب المتعلقة بالجهاز الإداري للدولة من البداية وإلى غاية الانتقال إلى مصر. فالقاضي النعمان تولى ما يعرف بـ "خطة الخبر" وهو ثاني منصب سامي في الخلافة بعد الإمام[2]، وكان يتبعه ديوان الرسائل الذي كان الدائرة الرسمية التي تشرف على مراسلات الخليفة مع الولايات والأمصار والدول، لا يتولاه إلا من كان محل ثقة، وعلم غزير، وإطلاع واسع. ففيه كان الكاتب ينشئ لكل واقعة مقالا ويفرد لكل حادثة مجالا ويدون كل ذلك في سجلات خاصة، كما أن مراسيم الخليفة وأوامره كانت تثبت فيها كنسخ أصلية للعودة إليها وقت الحاجة[3].

قامت أسس الدولة على عقيدة شيعية مغالية تجعل من الخليفة شخصا مقدسا، فهو ظل الله في أرضه، وسراجه المنير، وُرث علم الأنبياء، وهو فوق الناس في طينته وتصرفاته وهو مشرع ومنفذ ولا يسأل عما يفعل والخير والشر يقاس به. فما عمله هو خير، وما نهى

---

(1)- فرحات الدشراوي: **الخلافة الفاطمية بالمغرب (296- 365هـ/909- 975م)، التاريخ السياسي والمؤسسات**، نقله على العربية، حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط1 1994م، ص 584.

(2)- إسماعيل سامعي: **القاضي النعمان وجهوده في إرساء دعائم الخلافة الفاطمية والتطور الحضاري ببلاد المغرب، القرن4هـ/10م**، مركز الكتاب الأكاديمي، مصر، ط1، 1431هـ/2010م، ص 62.

(3)- القلقشندي: **صبح الأعشى**، ج1، المصدر السابق، ص 90.

عنه فشر[1]. وعليه اصطبغت المراسلات والمكاتبات بالصبغة الدينية تدعو في مجملها إلى الاعتراف بالأئمة كسادة معصومين لا تكتمل العبادة بدون الإيمان بهم. فطاعتهم واجبة، والاستماع والإنصات لهم فريضة، وخلاف ذلك فهو كفر وجحود وإن نطق بالشهادتين[2].

لذلك جاءت نظمهم متأثرة بشكل كبير بعقيدتهم،فكل ما كان يكتب أو يدون من خطب أو مراسيم أو عهود أو اتفاقيات أو تولية مناصب، تبدأ بالبسملة والحمد ثم بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وبعده على الوصي من الأئمة أي الخليفة، مرجعين نسبه إلى آل البيت الأطهار، ملحين على ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم بصفة الجَدُ، لإعلام الناس بأنهم من نسله وهم أولى بتولي منصب الإمامة وأنها من حقهم السياسي لقيادة الأمة، وبها كانت تختم أيضا. وقد أوكلت هذه المهمة للقاضي النعمان الذي تقلد منصب صاحب ديوان الرسائل في فترة من حياته، ولعب دورا لا يستهان به في الدفاع عن المذهب. وكان كما يقول المؤرخ والجغرافي إسماعيل بن علي بن محمود الملك المؤيد صاحب حماة، المعروف بأبي الفداء عن مهمة الكاتب في الديوان: "فالكاتب هو عين الخليفة المبصرة، وأذنه الواعية، ولسانه الناطق"[3]. ولذلك فإن جل ما دوَّنه النعمان كان قمة في الإبداع الأدبي واللغوي بمشاركة الخلفاء الذين كانوا يتدخلون في كثير من الأحيان في استدراك ما فاته، أو التعليق على ما كتبه، ناصحين بالزيادة أو النقصان[4].

وسنفرد في هذا المطلب أنموذجا لكتابات النعمان مع الخليفة المعز لدين الله الفاطمي في جلساتهم الخاصة كما وردت في كتابه "المجالس والمسايرات"، الذي أظهر فيه علو كعبه في الأدب وتوقد قريحته في التأليف بأسلوب راقي فكان بحق كاتبا مبدعا، وفقيها متمكنا.

---

(1)- أحمد أمين: **ضحى الإسلام**، مطبعة لجنة التأليف، القاهرة، مصر، ط2، 1987م، ج3، ص ص 220- 221.

(2)- القاضي النعمان: **المجالس والمسايرات**، المصدر السابق، ص 343. مصطفى غالب، **تاريخ الدعوة الإسماعيلية**، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط2، (د- ت)، ص 28.

(3)- ينظر، الزركلي: **الأعلام**، ج1، المصدر السابق، ص 319.

(4)- القاضي النعمان، **المجالس والمسايرات**: المصدر السابق، ص، ص 9 - 357.

يذكر النعمان في قصة ابن أحد الأولياء الذي كانت تستعملهم الخلافة كحكاما على الكور[1]، فكان أن توفي والده، وعزم الخليفة المعز على إسناد العمل إلى ابنه الحدث فاستقبله في مجلسه ليودعه مقدما له جملة من النصائح، فيقول المعز في ذلك: "سر على بركة الله مصحوبا بعافيته! نحن نرجو أن يجعل الله فيك من البركة ويوفقك من الخير إلى ما تكون به أفضل من أبيك. فأنت من بلادنا وربيُ أيامنا ونشر دولتنا وغذِي نعمتنا، فاشعر نفسك العمل بما أمرناك والانتهاء عما نهيناك، والوقوف على ما حددنا لك، وخذها بذلك ولا تتعده تحسن أحوالك وتزك أعمالك وتستكمل رضانا عنك.اجعل الحق قصدك والعدل سيرتك وأمرنا ونهينا نصب عينك أمامك. إن غضبت فليكن غضبك الله عز وجل ولنا، وإن رضيت فليكن رضاك سبيل ذلك، وذر الرضاء والغضب لنفسك عنك بجانب. فمن تجاوز عليك ما عسى أنه يغضبك وينقصك فإلينا تجاوز ذلك، وتجد عندنا من الانتصار لك ما لا تنتصر به لنفسك. طالعنا بأمورك وما عسى أن تريد العمل به قبل أن تعلمه، فما أتاك منه فأمضه على ما نأمرك به تكن على سبيل نجاة وسلامة وراحة في كل أمرك وتزول الحجة عنك فيما تخشى أن تقوم فيه عليك. فما ندم من شاورنا في أمره وطالعنا به، وما عدم ندما من ترك ذلك من أمثالك واعتمد على هواه ورأي نفسه. سر راشدا وفقك الله".

فمن خلال هذه الكلمات المتقنة، والقوية، المستوحاة من الكتاب والسنة، والتي تنم على إدراك وإلمام بمقاصد الشريعة وتفقه في الدين، ومعرفة لفن الخطابة، فجاءت كلماته هادفة لفصل الحق عن الباطل، والتمسك بأهداب الأئمة والرجوع إليهم في كل صغيرة وكبيرة ولم يخلو كلامه المبطن بالتهديد والوعيد من مغبة مخالفة أمره، مستعملا أسلوب البلاغة من دون تكلف أو صنعة، مركزا على الحقل الديني لحثه على أداء عمله بإتقان وإخلاص.

وكان صاحب الدعوة الشيعية في بلاد المغرب أبي عبد الله "المعلم"[2]، قد اشتهر بكثرة مراسلاته إبان مرحلة نشر الدعوة وبداية التأسيس للدولة، ورسائله تعطينا نظرة على مستوى

---

(1)– الكور أو الكورات، جمع كورة. والكورة هي الصقع أو البقعة الذي تجتمع فيها قرى ومحالُ. كما تطلق على المدينة وكل مكان تجتمع فيه المساكن والقرى.

(2)– ينظر، علي حسنى الخربوطلي: **أبو عبد الله الشيعي مؤسس الدولة الفاطمية**، المطبعة الفنية الحديثة، مصر، 1972م، ص 25.

الفن النثري الذي كان عليه الأدب وفن التراسل حتى قبل قيام الدولة. فهذا نص رسالة أبي عبد الله إلى أبي زاكي يعلمه فيها بوصول المهدي إلى أيكيجان بعد أن أخرجه الداعية من سجنه في سجلماسة: "أما بعد فالحمد الله ناصر دينه ومعز وليه الذي أظهر دينه على سائر الأديان، ووليَّه على من ناصبه من أهل الظلم والعدوان. وكتابي هذا إليك من أيكيجان دار الهجرة ومستقر الإيمان... وارغبوا إليه في تمام ذلك لكم بالنظر إلى مولاكم ورضاه عنكم والسَّلام"[1].

يظهر المستوى الرفيع والأسلوب الراقي في ثنايا هذه الرسالة، فالآمر بكِتباتها المهدي كان العلماء، وكاتبها كان من المشهود لهم بالنبوغ والفضل، فجاءت متينة الأسلوب، واضحة المعاني، محملة بعبارات التمجيد للإمام، مزكية قرابته من أهل البيت، جمعت ما بين القصر والجمال.

ثالثا- الرسائل الديوانية عند الحماديين.

كانت محاولة تتبع موضوع النثر والأدب وملاحقه من شعر وآداب المراسلات والكتابات وما يتبعها من خطب البيعة وتولية العهد وترسيم العمال، وغيرها من المهام الإدارية في دولة بني حماد، أمرا في غاية الصعوبة نظرا لما رافق تاريخها من أحداث وخطوب منذ قيامها الرسمي سنة (408هـ) وإلى غاية سقوطها على أيدي المرابطين.

فمؤسسها حماد خاض معارك كثيرة ضد أبناء عمومته من الزيريين في سبيل تحقيق هدفه وهو إنشاء ملك له ولأبنائه من بعده، وقد ساعدته شخصيته القوية وشجاعته وعلمه على الوقوف في وجه الحملات المتلاحقة التي وجهت له من قبل الزيريين للقضاء عليه إلا أنها فشلت واستطاع بذكائه ودهاءه، أن يغتنم كل الفرص المتاحة، لصالحه، وحتى أسوا الظروف كان يقاومها بصبر وجلد وبعد نظر، إلى أن تدخل القدر لصالحه هذه المرة أيضا بوفاة ابن أخيه باديس سنة (406هـ) الذي أوشك على القضاء عليه بعد حصار طويل ومنهك في قلعته المشهورة[2].

(1)- ينظر نص الرسالة كاملة، النعمان: **افتتاح الدعوة**، المصدر السابق، ص ص 289- 290.

(2)- القلعة: العاصمة الأولى لدولة بني حماد، اختارها مؤسس الدولة لتكون نواة دولته المستقبلية عمل على بنائها وتحصينها، فكانت ذات منعة وحصانة. ويصفها البكري الذي زارها بالقول: "قلعة كبيرة...=

ووُصف حماد بأنه " كان شجاعا جوادا، وقرأ الفقه بالقيروان"[1]، ووافته الظروف ومحاسن الصدف أن تضطرب الأحوال في مملكة أبناء أخيه، وتنتشر الفتن، والثورات، فانتهى له الأمر بعقد صلح مع المعز بن باديس الذي صفح عنه، وأطلق يده على ما يملك وما يفتح من أمصار، فأدرك الغاية وسعِد، وتوفي بقلعته سنة (419هـ) بعدما أنهك حياته كلها في الحروب والغزو[2].

بعد وفاة المؤسس، تعاقب على حكم الدولة العديد من الأمراء، وقد شهدت الدولة في عهدهم تحسنا ملحوظا في كل الجوانب، إذ توسعت وامتدت حدودها، وباتت تضم العديد من المدن والمقاطعات، فشرقا كانت تمتد إلى قسنطينة، ويحدد المراكشي ملك بني حماد فيقول: "كانوا يملكون من قسنطينة المغرب على موضع يعرف بسيوسيرات بينه وبين بجاية قريب من تسع مراحل[3]. أما ابن خلدون فيذكر قائلا: "إن حمادا اقتطع ممالك الغرب لنفسه ما بين جبل أوراس إلى تلمسان وملوية، واختط القلعة بجبل كتامة حيال المسيلة ونزلها، واستولى على مركزهم أشير بجبل تيطري واستحدث ملكا أخر قسيما لملك آل باديس"[4]. لكن تبقى هاته المعالم الحدودية غير ثابتة بحيث كانت حدود الدولة تتمدد وتتقلص حسب الظروف السياسية والأحوال العسكرية. وكان أقصى اتساع لها، حين امتدت من فاس ومشارف وهران

=تمصرت عند خراب القيروان، انتقل إليها أكثر أهل إفريقية، وهي اليوم مقصد التجار، وبها تحل الرجال من العراق والحجاز ومصر والشام، وساير بلاد المغرب". ينظر، البكري: **المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب**، المصدر السابق، ص 53. الإدريسي: **نزهة المشتاق**، المصدر السابق، ص 91. ابن خلدون: **العبر**، ج6، المصدر السابق، ص 227.

(1)– ابن عذارى: **البيان، ج1**، المصدر السابق، ص 247.

(2)– ينظر، النويري شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب: **نهاية الإرب في فنون الأدب**، تح: عبد المجيد ترحيني، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 2004م، ج24، ص 115. قايد مولود: **البربر عبر التاريخ من الكاهنة إلى العهد التركي**، ترجمة: إبراهيم سعدي، منشورات ميموني، الرويبة، الجزائر،2007م، ص 43. عبد الحليم عويس: **دولة بني حماد**، المرجع السابق، ص 58.

(3)– المراكشي: **المعجب**، المصدر السابق، ص 257. ابن خلدون: **العبر**، ج6، ص 228.

(4)– عبد الرحمن الجيلالي: **تاريخ الجزائر العام**، المرجع السابق، ص277، نقلا عن، ابن خلدون.

بالتنس غربا إلى بونة والأوارس شرقا، إلى غاية تونس والقيروان وصفاقس والجريد، ومن جزائر بني مزغنة وبجاية شمالا، إلى الزاب وورقلة وبسكرة جنوبا[1].

لم يكن من السهل على هذه الدولة الحربية التي دخلت في صراعات وحروب متعددة شرقا وغربا من أن تدوم من دون جيش قوي وجهاز إداري متماسك، حتى وإن كان قادتها في البداية قد شغلتهم الحروب على الاهتمام بهذا الجانب. إلا أنه وبداية من عهد الناصر بن علناس بدأت تعرف الدولة هدوءا واستقرارا في أوضاعها، بحيث عهد تسيير أقاليم الدولة إلى إخوته وأبناءه كعادة الزيريين الذين حصروا الملك في العائلة[2]. وبدأ في رسم خطوط العصر الجديد للدولة في طورها الثاني الممتد من (460هـ) وإلى غاية سقوطها سنة (547هـ)[3]. واتخذ أبا بكر بن أبي الفتوح وزيرا له، وأسس مدينة بجاية وسماها بالناصرية تيمنا باسمه، وأنشأ الدواوين، ونظم الجيش، وبث العمال، واحتفى بالعلماء وقصده الأدباء والشعراء من كل مكان وبلغت الدولة في عهده أوج ازدهارها السياسي والعمراني والحضاري[4].

من خلال استقراء الأحداث التاريخية، ومتابعة تفاصيل العلاقات المتشابكة لهذه الدولة بدا واضحا أن ديوان الرسائل قد واكب التطورات السياسية التي عاشتها، وكانت الرسائل الديوانية من بين الوسائل التي تواصلت فيها الدولة مع جيرانها وحلفائها من القبائل العربية ويذكر روجي إدريس في كتابه الدولة الصنهاجية أنه في عهد المنصور (377هـ) كانت هذه الخطة تسمى الكتابة، وصاحبها يمسك الخاتم، أما في عهد يحي بن تميم، كان الكاتب مكلفا بوضع علامة " الحمد الله وحده" على الرسائل الرسمية[5]. ونستشف من هذا الكلام أن أصحاب الدولة كانوا هم من يكتب الرسائل أو يملونها على الكتاب، فالمنصور

(1)– مبارك الميلي: **تاريخ الجزائر**، ج2، المرجع السابق، ص ص 234– 235.

(2)– ابن خلدون: **العبر**، ج6، المصدر السابق، ص 229.

(3)– عبد الحليم عويس: **الدولة الحمادية**، المرجع السابق، ص 111.

(4)– أحمد توفيق المدني: **كتاب الجزائر**، المرجع السابق، ص 25.

(5)– الهادي روجي إدريس: **الدولة الصنهاجية**، المرجع السابق، ج1، ص 134.

"كان قائما على أمره حميد الخلل، ضابط الأمور، يكتب ويشعر"[1]. وكان يحي بن العزيز (515هـ) "فاضلا حليما، فصيح اللسان والقلم، مليح العبارة، بديع الإشارة"[2].

وللتوضيح سنقتصر على نموذجين من الرسائل المتداولة في تلك الفترة، الأولى لأبي عبد الله محمد الكاتب المعروف بابن دفرير (كان حيا سنة547هـ)، ويعد من أشهر الكتاب المتصرفين في الكتابات السلطانية. والثانية لأبي القاسم عبد الرحمن الكاتب المعروف بابن القالمي (كان حيا قبل سنة 561هـ).

أ- الرسالة الأولى: "كتابنا ونحن نحمد الله على ما شاء وسر ورضي بالقسم، وتسليمها للقدر وتعويلا على جزائه الذي يجزي به من شكر، ونصلي على النبي محمد خير البشر وعلى آله وصحبه ما لاح نجم بسحر، وبعد، فإنه لما أراد الله أن يقع ما وقع، لقبح آثار من خان في دولتنا، وضبع استفز أهل موالتنا، الشنآن وأغرى من اصطنعناه وأنعمنا عليه الكفران، فأتوا من حيث لا يحذرون، وارموا من حيث لا ينصرون، فكنا بالاستعانة بهم والتعويل عليهم كمن يستشفي من داء بداء، ويفر من صل خبيث إلى حية صماء، حيث بغتت مكرهم، وأعجل على التلافي أمرهم، ويرد وبال أمرهم إليهم، فعند ذلك اعتزلنا محلة الفتنة، وملنا إلى مظنة الآمنة وبعثنا في أحياء هلال نستنجد منهم أهل النجدة، ونستنفر من كنا نراه للهمم عدة، وأنتم في هذا الأمر أول من يليهم الخاطر وتشي عليه الخناصر".

ب- الرسالة الثانية: "... ولما كنت في مضمار سلفك جاريا، ولنا موالينا، وفي قضاء طاعتنا متباهيا، رأينا أن نثبت مبانيك، ونؤكد أواخيك ونوجب لك ولخلقك، ما أوجبه سلفنا لسلفك، تمييزا لهم عن الأكفاء ومجازاة لهم على محض الصفاء والولاء، فاستدم هذه النعمة العظيم خطرها بالشكر فأنت به جدير ومن يقترف حسنة تزد له فيها حسنا عن اله غفور شكور"[3].

---

(1)- الميلي: **المرجع السابق**، ص 244.

(2)- الميلي: **نفسه**، ص 246.

(3)- العماد الأصفهاني: **خريدة القصر وجريدة العصر**، تح: محمد المرزوقي ومحمد العروسي المطوي، **قسم شعراء المغرب**، الدار التونسية للنشر، تونس، ط3، 1986م، ج1، ص ص 180- 181.

يظهر من خلال الأسلوب المستعمل في هاتين الرسالتين، كيف تعامل كتاب الحماديين مع اللغة العربية، فمضامين الرسالتين جاءتا في قمة التناسب والكمال والبيان والانسجام مما يعطينا صورة واضحة ومعبرة عن قيمتهما الجمالية، وقد امتازتا بالمرونة الفنية وأتاحتا لكتابها المجال واسعا لإظهار مقدرتهما الإنشائية في توظيف متكامل للصور البيانية والمحسنات البديعية من سجع وطباق وجناس بغية توضيح المعاني، للوصول إلى الغرض مع استعمال الصيغ الفعلية وأزمانها، والجمل الفعلية لدلالة على الحركة والتجدد، والجمل الاعتراضية، واستخدام عبارات لتمجيد والتفخيم كل ذلك مع التقيد بشروط التراسل المعلومة كالبسملة والحمدلة والترضية، والصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم، والدعاء والمخاطبة، ثم التسليم بعد المتن والدعاء. فمسار هذه الدولة طيلة قرن ونصف من الزمن يجعلنا نجزم قاطعين بأن المشهد الأدبي فيها كان مزدهرا وراقيا رغم كونهم من العنصر البربري، فبلاطاتهم زخرت بأرباب القرائح المبرزين في كل علم وفن[1].

رابعا- فن الترسل عند المرابطين.

"لم يكن المرابطون أقل برًا بالأدب وأهله منهم بالعلم والعلماء... من هذه الرعاية الكريمة التي أولاها أمراؤهم لعلية الأدباء، من كتاب وشعراء،منذ اليوم الذي توطدت فيه دعائم ملكهم ولقد كانت عنايتهم بأدباء الأندلس على الخصوص فائقة الحد، حتى لم يبق منهم أديب مرموق لم ينط به عمل في بلاط أمير المسلمين بمراكش أو في ديوان أحد أمراء بالأقاليم"[2].

هكذا كان المشهد الثقافي في دولة المرابطين كما وصفه أحد أكبر مؤرخي المغرب الإسلامي عبد الله كنون، وقد نفى عن أمراء المرابطين مجافاة الأدب ومعاداته، وعرقلة التطور الفكري إلا ما كان متوافقا مع الدين، ورأى أن الكتابات التاريخية لم تنصف هذه الدولة الدينية التي بنت مجدها في الأندلس بانتصارها الساحق على في معركة الزلاقة التي أعادت الهيبة للمسلمين وجعلت عمر الدولة الإسلامية يستمر فيها. فحافظت بذلك على قدر كبير من التراث الإسلامي الذي شهد ازدهار منقطع النظير تجلى في تطور الأدب والنثر

---

(1)– عبد الرحمن الجيلالي، **تاريخ الجزائر**، ج1، المرجع السابق، ص 291.

(2)– عبد الله كنون، **النبوغ المغربي في الأدب العربي**، ج1، المرجع السابق، 78.

وغيره من الفنون، مما انعكس بالإيجاب على الدولة المرابطية وهياكلها الإدارية، فقوة الدولة تستمد من صلابة أنظمتها ومسايرتها لمجمل الظروف الطبيعية والطارئة منها. وقد عملت هذه الدولة منذ نشأتها على إعادة إحياء السنة، وانتصبت للدفاع عن حوزة الأندلس، فدفعت الثمن باهظا في ذلك باستشهاد أغلب قادتها في سبيل أداء هذه الرسالة وتحقيق هذا الهدف[1].

وكان لا بد لهذه الدولة القوية برقعتها الجغرافية الواسعة التي حملت لواء الإسلام في الغرب الإسلامي[2] من ديوان رسائل محكم يشرف عليه نخبة من المترسلين من أعيان الكتابة والديباجة، وممن أدركوا مراتب عالية في فنون الأدب والبلاغة، العارفين بأسرار اللغة وأساليب تصريفها لصياغة المخاطبات والمراسيم السلطانية والتوقيعات[3]، لتكون في مستوى التحدي الذي كانت تواجهه حينها، وإظهار قوتها وصلابتها في الداخل والخارج كمراسلة الولاة والرَّد على مراسلات ملوك الطوائف في الأندلس، ومقارعة الخصوم المسيحيين الذين باتوا يهددون التواجد الإسلامي في الأندلس.

فيوسف بن تاشفين كان يحيط نفسه بأعلام الفكر والثقافة، ومجلسه يعج بالفقهاء والأدباء والشعراء، وكان يعتمد عليهم في مكاتباته ومراسلاته، وذكر أنه استدعى إلى قصره أعيان الكتاب من جزيرة الأندلس واستقدم منهم الممتازين، فاجتمع له منهم ما لم يجتمع لملك، وكان مولعا بجمع الكتب من أقطار الأندلس والمغرب، "فانقطع إلى أمير المسلمين من الجزيرة من أهل كل علم فحوله، حتى أشبهت حضرته حضرة بني العباس في صدر دولتهم، واجتمع له ولغبنه من أعيان الكتاب، وفرسان البلاغة ما لم يتفق اجتماعه في عصر

(1)– حسين مؤنس: **سبع وثائق جديدة عن دولة المرابطين وأيامهم في الأندلس**، مكتبة الثقافة الدينية مصر، ط1، 1420هـ/2000م، ص 3.

(2)– أبي الحسن علي بن عبد الله ابن أبي زرع الفاسي: **الأنيس المطرب روض القرطاس في أخبار ملوك المغرب ومدينة فاس**، صور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972م، الرباط، ص 126. حسين مؤنس: **معالم تاريخ المغرب والأندلس**، دار الرشاد، القاهرة، ط4، 1420هـ/1999م، ص 191.

(3)– فاتن كوكة: **التصنيف اللغوي والأدبي في عصري المرابطين والموحدين 484هـ– 670هـ**، المرجع السابق، ص 56.

من الأعصار"[1]. أما إبراهيم بن يوسف بن تاشفين فكان من كتابه الفتح بن خاقان، صاحب كتابي "مطمح الأنفس" و"قلائد العقيان". كما كان العالم الكبير ابن باجة الفيلسوف الكاتب جليس الأمير المرابطي أبي بكر بن تافلويت وكاتبه. أما الأمير المرابطي عبد الله بن مزدلي فكان مجلسه مزدحما بالأدباء والشعراء وكان أشهرهم الكاتب أبو جعفر بن مسعدة[2].

وهذه بعض النماذج لرسائل مرابطية، ستعطينا فكرة واضحة على المستوى الذي بلغه هذا الفن عند المرابطين، وكيف تنافس الكتاب في الإبداع لحجز مكانة لهم في بلاط الأمراء، علما بان غالبية من استكتبهم المرابطون كانوا يشغلون مناصب الكتاب في دول ملوك الطوائف بالأندلس وكان أمراء المرابطين في كثير من الأحيان يستعملون أكثر من كاتب يكون على رأسهم كبير الكتاب وهو رئيس ديوان الرسائل[3].

وهذه رسالة ابن أيمن الكاتب الخاص للمتوكل ابن الأفطس، أمير بطليوس[4]، ليوسف بن تاشفين يطلب منه العون وحماية ديار المسلمين في الأندلس بعدما استفحل خطر ألفونسو ملك قشتالة وعزمه الأكيد على استرجاع ما في يدي المسلمين من إمارات ومقاطعات.

وفيها يقول: "... لما كان نور الهدى– أيدك الله – دليلك، وسبيل الخير سبيلك ووضحت في الصلاح معالمك، ووقفت على الجهاد عزائمك، وصحّ العلم بأنك لدعوة الإسلام أعزّ ناصر، وعلى غزوك الشرك أقدر قادر، وجب أن تستدعى لما أعضل من الداء، وتستغاث لما أحاط بالجزيرة من البلاء، فقد كانت طوائف العدو المطيفة بها –أهلكهم اللّه– عند إفراط تسلّطها واعتدائها، وشدّة كلبها، واستشرائها، تلاطف بالاحتيال وتستنزل

---

(1)– أبي محمد عبد الواحد المراكشي: **المعجب، المصدر السابق**، ص 172.

(2)– فاتن كوكة: المرجع السابق، ص 57.

(3)– إبراهيم حركات: **النظام السياسي والحربي في عهد المرابطين**، المرجع السابق، ص ص93 – 94.

(4)– هو عمر بن أبو بكر محمد بن عبد الله بن الأفطس، آخر ملوك بطليوس تولى الحكم بعد موت أخيه يحي بن المظفر المنصور سنة (464هـ) وتلقب بالمتوكل. عرف عنه ولعه بالأدب والشعر، وكان يعد من العلماء الأدباء والخطباء من ذوي البلاغة وسحر البيان. ينظر، الذهبي: **السير**، ج18، المصدر السابق، ص 596. ابن خلدون: **العبر**، ج4، المصدر السابق، ص 205. ابن الأثير: **الكامل في التاريخ**، ج7، المصدر السابق، ص 632.

بالأموال. ولم يزل دأبها التشطّط والعناد، ودأبنا الإذعان والانقياد، حتى استصفى الطريف والتّلاد، وأتى على الظاهر والباطن النفاد، وأيقنوا الآن بضعف المنن، وقويت أطماعهم في افتتاح المدن، واضطرمت في كل جهة نارهم، ورويت من دماء المسلمين أسنّتهم وشِفارهم، ومن أخطأه القتل منهم فإنما هم بأيديهم أسرى وسبايا، يمتحنونهم بأنواع المحن والبلايا، وقد هموا بما أرادوا من التوثب، وأشرفوا على ما أمّلوه من التغلب، فيا للّه! ويا للمسلمين! أيسطو هكذا بالحق الإفك، ويغلب التوحيد الشّرك، ويظهر على الإيمان الكفر، ولا يكتنف هذه الملة النّصر، ألا ناصر لهذا الدين المهتضم؟! ألا حامى لما استبيح من حمى الحرم؟ وإنا للّه على ما لحق عرش الدين من ثلّ، وعزّه من ذلّ، فإنها الرزينة التي ليس فيها عزاء، والبلية التي ليس مثلها بلاء"[1].

اختصارا جاءت هذه الرسالة، مبنية على قواعد التراسل المعروفة آنذاك والتي بلغت شهرة كبيرة في عصر ملوك الطوائف، حرص فيها صاحبها على تطعيمها بالصور البيانية من سجع وجناس وطباق، مستحضرا العاطفة الدينية التي تخدم مضمون الرسالة، بأسلوب سهل وألفاظ مؤثرة تثير الحمية والعصبية. مستجديا الأمير بروح الإسلام وما تفرضه عليه أواصر الأخوة في الدين من ضرورة تقديم يد العون و نصرة المسلمين الذين باتوا اليوم مستضعفين بين محكي نصراني حاقد وتقاتل بين الملوك والأمراء لدرجة أن وصل بهم الأمر إلى العمالة وتقديم الجزية.

ونقدم في هذا الأنموذج رسالة الأمير يوسف بن تاشفين إلى المعتمد بن عباد يطلب منه أن يعطيه الجزيرة الخضراء ليجعل فيها أثقاله وأجناده.

" بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما.

من أمير المسلمين، وناصر الدين، محيي دعوة أمير المؤمنين إلى الأمير الأكرم المؤيد بنصر الله، أبي قاسم بن عباد، أدام الله كرامته بتقواه، ووفقه لما يرضاه.

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أما بعد:

---

(1)– أبي الحسن علي بن بسام الشنتريني (542هـ): **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، القسم الثاني**، تح: إحسان عباس، دار الثقافة، لبنان، 1417هـ/1997م، ج1، ص 653.

فإنه وصل خطابكم المكرم، فوقفنا على ما تضمنه من استدعائنا لنصرتك، وما ذكرته من كربتك، وما كان حماية جيرانك، فنحن يمين لشمالك، ومبادرون لنصرتك وحمايتك وجب علينا ذلك من الشرع، وكتاب الله تعالى، وأنه لا يمكننا الجواز إلا أن تسلم لنا الجزيرة الخضراء، تكون لنا لكي يكون جوازنا إليك على يدينا متى شئنا، فإن رأيت ذلك فأشهد به على نفسك، وابعث إلينا بعقودها، ونحن في أثر خطابك، إن شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته".

كما أبدع الفقهاء في عهد المرابطين في تلخيص الكلام، لإبداء الرأي والمشورة من دون إطالة أو إسهاب، وبأوجز لفظ وأبلغه.فقد كانت نصيحة الفقيه مالك ابن وهيب الاشبيلي[1] للأمير المرابطي علي بن يوسف، بعدما استشعر خطر ابن تومرت الذي تفوق على علماء الدولة في مناظرة وأفحمهم، ونال منهم فتوجه بالكلام إلى الأمير قائلا: "ثقفه يا أمير المسلمين لأن هذا هو صاحب الدرهم المركن، اجعل عليه كبلا، كي لا تسمع له طبلا"[2]. كما نسوق هنا جواب الكاتب أبو بكر بن القصيرة كاتب المعتمد بن عباد على رسالة الأذفونش التي أرسلها إلى يوسف بن تاشفين عند جوازه الأندلس مع جيش المرابطين لنصرة المسلمين بكتابة على ظهر نفس الرسالة: "الذي يكون ستراه"[3]. فلمثل هؤلاء الأدباء كانت تسند مناصب الكتابة والدواوين، لما عرف عنهم من إتقان وإبراز في ضروب البلاغة.

خامسا- فن الترسل عند الموحدين.

لا شك أن دولة الموحدين التي قامت على أنقاض دولة المرابطين قد استحوذت على تركتها وورثت عنها ذخائرها وأجهزتها الإدارية وكل ما تبقى من ملكها، وكان من ضمنها الجانب الثقافي والعلمي، بمجموعة كبيرة من العلماء والفقهاء وأصحاب الكتابة والرأي الذين فضلوا الدخول في طاعة أصحاب الدولة الجديدة حفاظا على سلامتهم وصونا لكرامتهم مثل

---

(1)- ينظر ترجمته، الصفدي: **الوافي بالوفيات**، ج19، المصدر السابق، ص 432.

(2)- البيدق، أبي بكر بن علي الصنهاجي: **أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين**، دار المنصور للطباعة والنشر، (1971م)، الرباط، ص 27.

(3)- ينظر، المراكشي: **البيان**، ج4، المصدر السابق، ص 48. عبد الله كنون: **النبوغ المغربي**، المرجع السابق، ص 78.

أبو جعفر أحمد بن جعفر بن محمد بن عطية القضاعي المراكشي الذي خدم المرابطين والموحدين.

ولم تمضي فترة طويلة على وفاة صاحب الدعوة محمد بن تومرت حتى كان تلميذه ووصيه وخليفته عبد المؤمن بن علي قد تولى مقاليد الحكم، وبدأ في إرساء قواعد الدولة الجديدة التي أرادها أن تكون عظيمة بعظمة الإسلام في الغرب الإسلامي، موحِدة لجغرافيته آمنة من تقلبات أحوال الزمان، وحصنا منيعا في وجه الخطر المحدق القادم من الشمال. لذلك أرادها أن تكون من بين أكبر الإمبراطوريات الإسلامية التي سيشهدها العالم الإسلامي في شقه الغربي. ولتحقيق ذلك سيكون لديوان الإنشاء مهمة التنسيق بين رأس الهرم في السلطة، وبقية المقاطعات التابعة للدولة، وهو ما يستدعي ويتطلب توجيه الاهتمام والرعاية إلى هذا الهيكل الحساس في ترتيب مفاصل الدولة، لأنه بمثابة الجسر الوحيد الذي يربط الحاكم بالمحكوم، واللسان الأوحد الذي يخاطب به الخليفة رعاياه وقلمه الذي يخط به رسائله إلى بقية العالم.

فالرسائل والمكاتبات الرسمية هي الوسيلة الدعائية الرئيسية للدولة، وعليها يكون مدار السلطان والملك[1]، فالقائمين على شؤونها يجب أن يُختاروا بعناية، ووفق شروط سبق وأن أشرنا إليها كما أوردها القلقشندي في كتابه. وهي بحق صناعة لا يتقنها إلا من حذق وتبحر في علوم الأدب واللغة، وأبدع وأحسن صناعة الكتابة إلى تأليف الكلام وترتيب المعاني من المكاتبات، والولايات، والمسامحات، والإطلاقات، ومناشير الإقطاعات والهدن، والأمانات، والأيمان، وما في معنى ذلك، ككتابة الحكم وغيرها[2]. وتجسدت هاته الرؤيا فعلا في عهد الدولة الموحدية بما أشارت إليه المصادر التاريخية عن وجود كم هائل من الرسائل الديوانية رتبت في مجاميع عدة، بعضها حقق والآخر لا يزال على حاله كمخطوط في الخزائن، ومن أهمها "مجموع رسائل موَحدية من إنشاء كتاب الدولة المؤمنية"، ومجموع رسائل الكاتب أبي المطرف بن عميرة، وأخرى للكاتب أبي القاسم أحمد البلوي "العطاء الجزيل في كشف غطاء

---

(1)– أبو هلال الحسن بن سهل بن مهران العسكري: **كتاب الصناعتين، الكتابة والشعر**، تح: علي البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط1، (د– ت)، ص 136.

(2)– القلقشندي: **صبح الأعشى**، ج1، المصدر السابق، ص 45.

الترسيل" يحوي أكثر من أربعة وعشرين رسالة، ورسائل أخرى ليحي الخدوج لا تزال عبارة عن مخطوط[1].

لقد توفر لخلفاء الموحدين جمع كبير من الكتاب اشتهر منهم في عهد مؤسسها عبد المؤمن بن علي، أبو جعفر أحمد بن عطية، وأبو القاسم القالمي، عياش بن عبد الملك بن عياش القرطبي، وابن محشرة، وأبو عبد اللّه محمد بن عبد العزيز بن عياش التّجيبى المريى وغيرهم[2]، ممن تعددت أسمائهم ومراتبهم ووظائفهم في أجهزة الدولة في كل من المغرب والأندلس، ويذكر عبد الوهاب بن منصور ناشر كتاب " أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين "لمؤرخ الدولة أبي بكر بن علي الصنهاجي المكني بالبيدق أنه كان يتواجد بالدولة المئات بل الآلاف من الخزائن والدواوين المملوءة بالكتب والرسائل وأنها نهبت وبعضها ضاع بعد انكسار شوكتهم عقب هزيمة حصن العقاب[3]. فمن خلال هذه الشهادة ندرك هذا حجم التطور الذي بلغته الآداب في عهد الدولة الموحدية ومن ضمنها فن الترسل الذي بلغ أوجه.

ولهذا الغرض سنستعرض بعضا من الرسائل المتداولة في عصر الموحدين، بداية من صاحب دعوتها الذي كان شهابا وقادا وبحرا متفجرا من العلم، له لسان وفصاحة، وأوحد عصره وأهل زمانه في علم الكلام وعلوم الاعتقاد والجدل[4].

فهذه صيغة في علم التوحيد وضعها لأتباعه، نجد فيها متانة وصلابة في الدين، إذ يقول فيها: "لا إله إلا الذي دلت عليه الموجودات، وشهدت عليه المخلوقات، بأنه جل وعلا،

---

(1)- بغداد غربي: **الكتابة الرسمية عند الموحدين في الغرب الإسلامي 541- 668هـ/1146- 1269م، أنواعها، مراسيمها، وأهميتها التاريخية**، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، العدد 16، جوان، 2016م، ص 45.

(2)- المراكشي: **المعجب** ، المصدر السابق، ص ص 338- 405. ليفي بروفنسال: **مجموع رسائل موحدية من إنشاء كتاب الدولة المؤمنية**، المطبعة الاقتصادية، الرباط، 1941م، ص: و.

(3)- ينظر، **البيدق:** المصدر السابق، ص 6.

(4)- عبد المجيد النجار: **المهدي بن تومرت أبو عبد الله محمد بن عبد الله المغربي السوسي المتوفى سنة1129/524، حياته وآراءه وثورته الفكرية والاجتماعية وأثره بالمغرب**، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط1، 1403هـ- 1983م، ص 132.

وجب عليه الوجود على الإطلاق، من غير تقييد ولا تخصيص، بزمان ولا مكان ولا جهة ولا حد، ولا جنس ولا صورة ولا شكل، ولا مقدار ولا هيئة ولا حال، أول لا يتقيد بالقبلية، آخر لا يتقيد بالبعدية، أحد لا يتقيد بالأينية، صمد لا يتقيد بالكيفية، عزيز لا يتقيد بالمثلية، لا تحده الأذهان ولا تصوره الأوهام، ولا تلحقه الأفكار ،ولا تكفيه العقول، لا يتصف بالتحيز والانتقال، ولا يتصف بالتغير والزوال، ولا يتصف بالجهل والاضطرار، ولا يتصف بالعجز والافتقار، له العظمة والجلال، وله العزة والكمال، وله العلم والاختيار، وله الملك والاقتدار، وله الحياة والبقاء، وله الأسماء الحسنى، واحد في أزليته، ليس معه شيء غيره ولا وجود سواه، لا أرض ولا سماء ولا ماء ولا هواء، ولا خلاء ولا ملاء، ولا نور ولا ظلام، ولا ليل ولا نهار، ولا أنيس ولا حسيس ولا رز ولا هميس، إلا الواحد القهار، انفرد في الأزل بالوحدانية، والملك والألوهية، ليس معه مدبر في الخلق، ولا شريك في الملك، له الحكم والقضاء، وله الحمد والثناء، ولا دافع لما قضى، ولا مانع لما أعطى، يفعل في ملكه ما يريد، ويحكم في خلقه ما يشاء، لا يرجو ثوابا، ولا يخاف عقابا، ليس فوقه آمر قاهر، ولا مانع زاجر، ليس عليه حق،ولا عليه حكم، فكل منة منه فضل، وكل نقمة منه عدل، لا يسأل عما يفعل، وهم يسألون"[1].

لقد جاءت هذه الخطبة حاوية لكل أصناف البيان والبلاغة، لم يبدأها بالبسملة، ربما لأنها جاءت مرتجلة أثناء الدرس، إلا أنها أظهرت الشخصية العلمية لصاحبها وأنه لا يضاهيه أحد ريادته في اللغة العربية التي كان فارسها، كما تظهر سعة علمه، ضمنها الكثير من الاعتقادات والأفكار التي حملها معه من المشرق، أظهر فيها ثقافته الإسلامية الواسعة.أما فيما يخص الرسائل الديوانية وما رافقها من كتابات رسمية وظهائر[2]، فإنها شغلت المشهد السياسي، فتنوعت مضامينها وأغراضها وأهدافها نظرا لما عاشته دولة الموحدين من أحداث تاريخية هامة، وبصفتها أقوى إمبراطورية إسلامية وقتها.

(1)– محمد عبد الله عنان: **دولة الإسلام في الأندلس، العصر الثالث، عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس**، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1411هـ– 1990م، ص 557.

(2)– الظهائر، نوع من أنواع المراسلات الرسمية على شكل قرارات ومراسيم، ملزمة لمتلقيها بالتنفيذ وتسمى أيضا بالصكوك وهي نوع من أنواع النثر الديواني. ينظر، ابن منظور: **لسان العرب**، ج4، ص525.

وفي عجالة فهذه بعض من رسائل الموحدين الصادرة أو الواردة إليهم، ومن ذلك رسالة الكاتب أبو الفضل بن محمد بن علي بن طاهر بن تميم القيسي، المكنى محشرة[1] على لسان الأمير المنصور الموحدي وبدايتها: "من أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين أيَّدهم الله بنصره وأمَّدهم بمعونته". ورسالة من إنشاء الكاتب أبي جعفر بن عطية عن الخليفة عبد المؤمن بن علي: "من أمير المؤمنين – أيَّده الله بنصره، وأمدَّه بمعونته – إلى الطلبة الذين بسبتة وجميع من فيها من الموحدين خاصة وعامة – وفقهم الله وسدَّدهم – سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

أما بعد فالحمد الله مولى الرغائب، ومسني الآمال والمطالب، وقابل توبة النائب، نحمده بما يتعين من حمده الواجب، ونصلي على محمد نبيه العاقب، وعلى آله وصحبه أولي المفاخر السنية والمناقب..."[2]. كما جاءت رسالة عبد المؤمن على الشيخ أبي زكريا يحي بن علي أحد مشايخ الموحدين على نفس المنوال[3]. والملاحظ أن جل الرسائل التزمت في بدايتها بالبسملة والصلاة على الرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم، والترضية على الصحابة، ثم الإمام المعصوم، المهدي المعلوم ثم ذكر المرسِل والمُرسل إليه ويُدعى له بما يليق بمقامه، فالتحية والحمدلة، ثم تأتي البعدية للانتقال إلى الموضوع، وتنتهي غالبا بالدعاء. وكانت تختم الرسائل الديوانية بوضع علامة الخلافة، ففي بعضها كانت توضع في أول الرسالة، وفي أحيان أخرى في أسفلها ثم تطوى وترسل لصاحبها[4].

سادسا– فن الترسل عند الزيانيين.

بعد أن أرسى يغمراسن بن زيان أسس إمارته سنة (633هـ)، عمل جهد نفسه إلى جعلها قوة مهابة وسط خطرين مزاحمين وهما الدولة الحفصية في الشرق، وما تبقى من سلطة الموحدين في مراكش، وكان ذلك قبل استيلاء بنو مرين على العاصمة مراكش[5]. وتم

---

(1)– أحمد بن عبد الله أبو العباس الغبريني: **عنوان الدراية**، المصدر السابق، ص 53.

(2)– ليفي بروفنسال: **مجموعة رسائل**، المرجع السابق، ص 1.

(3)– ليفي بروفنسال: المرجع نفسه، ص 6.

(4)– القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج6، المصدر السابق، ص 353.

(5)– ينظر، يحي بن خلدون: **بغية الرواد**، ج1، المصدر السابق، ص 119. عبد العزيز فيلالي: **تلمسان في العهد الزياني**، ج1، المرجع السابق، ص 16.

له ذلك بعد صعاب شديدة، وتضحيات جسام، "فاشتد ساعده، وتوطد أمره واتخذ أبهة الملك وشعاره من جند وتولية عمال ولم يبق لخليفة مراكش إلا الدعاء على المنابر... فكان يغمراسن أول ملوك هذه الدولة"[1]. ولا بأس أن نقدم شهادة عبد الرحمن بن خلدون واصفا هذه الشخصية الفذة، بالقول: "فيغمراسن بن زيان بن ثابت بن محمد من أشد بني عبد الواد، وأعظمهم في النفوس مهابة وإجلالا، وأعرفهم بمصالح قبيله، وأقواهم كاهلا اشتهر بحصافة الرأي وسداد التدبير وقوة العزيمة،معظما عند الخاصة والعامة، يرجعون إليه في كل الأمور عندما تداهمهم النوازل، والنوائب، والعوادي[2].

وعمل سلاطين بنو زيان ممن خلفه في الحكم على تقوية الدولة، وحرصوا على دوام بقائها أمام جيرانها المتربصين بها والمنتظرين الفرصة السانحة للقضاء عليها والاستحواذ على أملاكها. فظهر منهم رجالا أقوياء صنعوا مجد هذه الدولة التي نافست غيرها، فكانت تماثل بعض الأمصار العظيمة في كل المجالات[3]، وذكرها الرَّحالون والجغرافيون وأطنبوا في وصفها وذكر خيراتها، ونفاق أسواقها، وتواجد كبير للعلماء والفقهاء والصلحاء واستبحار عمرانها، وقصدها الناس من كل حدب وصوب. وفي فترة حكم السلطان أبي موسى الثاني (760هـ)[4] بلغت الدولة أوج ازدهارها، فكان بحق مجدد رسومها، وباني عظمتها، وعن فترته يقول يحي بن خلدون: "فأشرقت شمس الدولة بأفقها بعد تكويرها وضاءت نجوم سمائها بعد الانكدار، وثبت مركز سياستها فاستقام المدار، فكأن العفاء لم يطرق لها ساحا"[5].

وكما أشرنا من قبل حول شخصية يغمراسن الذي إليه ينسب قيام الدولة، فقد اتخذ لنفسه مظاهر الملك فأستوزر من رأى فيهم أهلا لذلك، ونظم الجيش، وأشأ الدواوين وعين

---

(1)– مبارك بن محمد الميلي: **تاريخ الجزائر**، ج2، المرجع السابق، ص 439.

(2)– ابن خلدون، **العبر**: ج7، المصدر السابق، ص 162.

(3)– الميلي: **تاريخ الجزائر**، ج2، المرجع السابق، ص 449.

(4)– مجهول: **زهرة البستان في دولة بني زيان**، تح: بوزياني الدراجي، مؤسسة بوزياني والنشر والتوزيع، الجزائر، ج2، 2013م، ص 12.

(5)– يحي بن خلدون: **بغية الرواد**، ج2، المصدر السابق، ص 36.

الولاة وأحسن السيرة في الرعية، واتخذ الآلة*، ورتب الجند والمسالح، وفرض العطاء، واتخذ الوزراء والكتاب، وبعث في الأعمال، ولبس شارة الملك والسلطان، واقتعد الكرسي ولم يترك من رسوم دولة الموحدين وألقاب ملكهم إلا الدعاء لهم على المنابر[1].

كان عهده بداية لقيام جهاز إداري منظم،يشرف عليه الوزير الذي كان أسمى منصب بعد السلطان وهو المشرف على كل ما يمت بصلة لشؤون الدولة، ويمتلك عدة سلطات بتفويض من السلطان نفسه، ولا يسبقه في هذا المقام إلا وجود ولي العهد،الذي قد ينوب عنه ويقوم مقامه. فإن لم يكن، فيعود الأمر إلى الوزير وإليه كان يسند أمر الرسائل والكتابة. لكن الأمر تغير في عهد أبو حمو موسى الثاني الذي فصل ما بين مهنة الوزير والكتابة وخصها من ذوي الشأن من رجالاتها من أكابر الأدباء والعلماء فهو نفسه كان عالما أديبا[2]. وكان من شروط تولي هذا المنصب، أن يكون صاحبه فصيح اللسان، مجيد الخط، حاضر الذهن، متوقد الذكاء عارفا لأحوال السياسة، متضلعا في العلوم، حافظا للأسرار إلى غيرها من الصفات المرتبطة برجل الدولة[3].

تعددت مهام الكتاب في الدولة الزيانية وفق الظروف والأحوال وشخصية السلاطين فقد كان للدولة الزيانية ديوان الإنشاء والتوقيع[4]، مكلف بتحرير الرسائل السلطانية، يتكفل بها كاتب معين لذلك، ويراجعها بتأني وحذر، يصحح كل قبيح، ويصبغه بالكلام المليح ويمكننا معرفة نوعية والكتاب من خلال مصدر موثوق وهو كتاب أبو حمو موسى "واسطة السلوك في سيرة الملوك" الذي جمع فيه صاحبه العديد من الوصايا والنصائح لابنه مفصلا فيه كل

(*)– الآلة: وهي من شارات الملك، يتكلف بها مجموعة منتدبة لذلك، مهمتها نشر الألوية والرايات، وقرع الطبول، والنفخ في الأبواق والقرون. وهي ترافق كتائب الجيش، في الاستعراضات أو في خروجه للحروب. ينظر، ابن خلدون: **المقدمة**، المصدر السابق، ص 205.

(1)– ابن خلدون: **العبر**، ج7، المصدر السابق، ص 106.

(2)– استوزر أبو حمو موسى الثاني أفرادا من أسرة بني الملاح التي يعود أصلها من قرطبة، برعوا في التسيير الإداري، وكانت لهم دراية واسعة بسوق المال وصرف العملات. ينظر، عبد العزيز فيلالي: **تلمسان في العهد الزياني**، ج1، المرجع السابق، ص 179.

(3)– ينظر ابن خلدون: **المقدمة**، المصدر السابق، ص 223.

(4)– يحي بن خلدون: **بغية الرواد**، ج2، المصدر السابق، ص 38.

ما يتعلق بشؤون الحكم واختيار الرجال، وخصه بكل مراسم الحكم آدابه ولم يترك فيه شيئا لم يشر إليه[1]. وفي موضوع اختيار صاحب القلم يقول: "وأما كتابك فلتتخير منهم لسرك كاتبا من وجوه بلد موفيا لغرضك ومقصدك، فصيح اللسان، مريد الجنان، بليغ البيان، عارفا بالآداب، سالكا طريق الصواب، بارع الخطب، حسن الضبط عالما بالحل والربط، كاتما للأسرار، متحليا بتحلي الوقار، ذا عقل وافر، وفهم حاضر، وذهن ثاقب، وفكر صائب، حلو الشمائل،موسوما بالفضائل، جميل الهبة واللباس والمؤالات للناس، لأن الكاتب عنوان المملكة لتبين الأمور المشتبكة ومن كتابك يستدل على عقلك ويعترف معرفتك وفضلك، فهذا أقل ما يشترط في الكاتب ويكون في حقه وحقك من الواجب، فإنه إذا كان الكاتب بهذه المثابة صلح بأن يكون أهلا للكتابة، وإن خلّ بهذه الشروط كان جديرا بالتأخير والسقوط[2].

وقد اشتهر من أصحاب الكتابة والقلم العديد من الأسماء وسنكتفي بالإشارة إلى البعض منهم، فكان الفقيه أبا بكر محمد بن عبد الله بن داود بن الخطاب الأندلسي (ت686هـ) كان يجمع بين الخط والأدب والشعر، مدحه ابن خلدون وأثنى عليه وذكر بأنه كان مرسلا بليغا، وكاتبا مجيدا وشاعرا محسنا، له مشاركة في أصول الفقه وعلم الكلام، احتفى به يغمراسن وقربه من مجلسه وجعله صاحب القلم الأعلى[3]. والفقيه أبو عبد الله محمد بن المعلم والفقيه أبو محمد بن غالب الذي قتل أثناء ثورة النصارى سنة (652هـ) وكان هؤلاء النفر من كتاب السلطان يغمراسن بن زيان. أما في عهد ابنه عثمان فقد استكتب الفقيه أبو عبد الله محمد بن عمر الحجري الرعيني ابن خميس (ت708هـ)[4]. أما أبو عبد الله بن الرقام الهسكوري فكان كاتب السلطان أبو زيان بن عثمان. وتولى الكتابة في عهد السلطان أبو حمو موسى الأول الفقيه محمد بن الزواق. وفي عهد أبي حمو موسى الثاني، تولى الكتابة والتوقيع الفقيه أبو عبد الله محمد بن علي العصامي، ولا يفوتنا هنا ذكر

---

(1)- ينظر ترجمته، عادل نويهض: **معجم أعلام الجزائر**، المرجع السابق، ص ص 125- 126.

(2)- أبو حمو موسى الزياني: **واسطة السلوك في سياسة الملوك**، تح: محمود بوترعة، دار الشيماء، دار الطباعة، الجزائر،2011م، الجزائر، ص ص 122- 123.

(3)- يحي بن خلدون: **البغية**، ج1، المصدر السابق، ص 129. التنسي: **تاريخ بني زيان**، المصدر السابق، ص 127.

(4)- ينظر، المقري: **النفح**، ج5، المصدر السابق، ص ص 359- 360.

صاحب "بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد" أبو زكرياء يحي بن محمد بن خلدون (ت 780هـ) الذي استكتب وعين على ديوان الإنشاء بعد رحلات طويلة وسط دواليب السياسة[1] وغيرهم كثيرون.

وهذه بعض الرسائل الديوانية المنتخبة من المراسلات والمكاتبات التي طبعت المشهد الزياني، والتي هي أيضا اختلفت وتنوعت حسب الحاجة والغرض، فكان منها ما يتعلق بشؤون الدولة وعلاقاتها مع غيرها من الدول، وأخري للتهنئة والتولية وتسيير الأعمال في الولايات والمقاطعات، وأخرى إخوانية بين علماء والأدباء ورسائل المودة والظهائر. وهذه النماذج أظهرت لنا مدا تطور هذه الصناعة وبلوغها درجة كبيرة من البراعة والإتقان، والتجديد والأصالة.

ولهذا الغرض اقتصرنا على كتاب أبو بكر الأندلسي الغافقي، واجتبينا منه هذه العينات.

بيعة الأمير أبي سعيد بن الأمير أبي يحي يغمراسن للأمير أبي فارس الحفصي، يقول في مستهلها: "الحمد الله الذي رضي لنا الإسلام دينا ملة إبراهيم حنيفا، وسرحنا أبصار الأفكار في مجال الاعتبار، فرأينا ملكه وملكه محيطا بنا مطيفا... وأثبت للخلافة مكانة منية، حين قال: إني جاعل في الأرض خليفة، وكفى بنسبتها منه تعظيما لشأنها وتشريفا".

ورسالة يغمراسن بن زيان إلى السلطان الحفصي أبي إسحاق وجاء فيها: "الحضرة الكريمة حضرة مولانا الأمير الأعلى أبي إسحاق أيد الله جنودها، وضاعف سعودها، وأباد بسيفها القاصل ورأيها الفاصل من شق عصى طاعتها، وتعدى حدودها، مملوك إحسانها المتشرف بالارتسام في عبدانها، وشاكر نعمة الله التي غمرته بمَنّاتها، ومقبل راحتها المستمطر غيث الجود من بنانها، يغمراسن بن زيان لسلام كريم يخصها ورحمة الله وبركاته..."[2].

---

(1)– حاجيات عبد الحميد: **أبو حمو موسى الثاني الزياني حياته وآثاره**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982م، ص 176.

(2)– ابن خطاب أبو بكر الأندلسي (ت 686 هـ): **فصل الخطاب في ترسيل أبي بكر بن خطاب**، در وتح: أحمد عزاوي، الرباط، ط1 ،2008م، ص 136. نقلا عن حسين تواتي: **الوظائف السلطانية في الدولة الزيانية– الكتابة أنموذجا –(633–791هـ/1236/1389م)**، مذكرة ماجستير كلية العلوم

ورسالة السلطان أبي تاشفين الأول إلى ملك أرغون جاكمة الثاني، وجاء فيها: "سلام على من اتبع الهدى ورحمة الله وبركاته، وبعدك حمدا الله العظيم والصلاة على سيدنا ومولانا رسوله المصطفى الكريم والرضى على أصحابه الخلفاء التابعين له، عليه السلام على المنهج القويم والصراط المستقيم، والدعاء لهذا المقام العلي التاشفيني السني بالنصر العزيز، والفتح العميم، فالكاتب إليكم، كتب الله لكم أصحاب الأعمال وأزكاها، وبلغكم التوفيق أنهى الأماني وأقضاها..."[1].

وسارت الرسائل الديوانية في استفتاحاتها ومضامينها وخواتمها على قواعد المراسلة بالبسملة والحمدلة والصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم، ثم ذكر الألقاب بفخامتها مع إضافة ميم الجمع في المخاطبة، والدعاء بالترضية، وتحديد مكان كتابتها، ثم تأتي البعدية، وبعدها المضمون، منتهية بالتسليم والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

2. الشعر.

فن الموشحات السائد خلال هذه الفترة.

يعتبر فن الموشحات صناعة أندلسية خالصة نشأ وترعرع في ربوعها وتغنى به الخلفاء والأمراء في مجالسهم وأسمارهم التي عكست مستوى التطور الحضاري الذي كانت تعيشه الأندلس تحت ظل الحكم الإسلامي[2]. وهو نوع من أنواع الشعر الذي لم يتقيد فيه الشعراء بأوزان وقافية الشعر العربي المعهودة، بل كان عبارة عن مزيج من الشعر والغناء أساسه الانتقال السريع في القصيدة الواحدة ما بين وزن وقافية مع استعراض موسيقي أنيق وتنويع في العروض دون التقيد ببحر واحد أو قافية معلومة، فهو كلام منظوم على وجه مخصوص وغالبا ما كان الموشح متكونا من عدة أقسام يتغنى بها الوشاح تبعا لمستواه ومدى تحكمه في الشعر واللغة العربية، مستعرضا قدرته على التلحين والغناء معا في نفس الوقت.

=الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، السنة الجامعية، 2013- 2014، ص105.

(1)- حسين تواتي: **الوظائف السلطانية في الدولة الزيانية**، المرجع السابق، ص 105.

(2)- يوسف عيد: **التوشيح في الموشحات الأندلسية، باب جديد في أوزان الموشح ونغماته**، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط1، 1993م، ص9.

ويجمع الكثير من المؤرخين على أن هذا الفن كانت بدايته في القرن الثالث الهجري بعدما انتقل من المشرق إلى المغرب وبالتحديد إلى الأندلس عن طريق زرياب[1]، صاحب الفضل في مدَ حلقة الوصل بين المشرق والمغرب وبعث هذا النوع من الموسيقي الجديدة في الغرب الإسلامي، فأبدع فيه وطوّره ليعود بعدها إلى المشرق بعدما بلغ مرحلة النضج والكمال، وكان القاضي ابن سناء الملك[2]، هو من حمله متجددا في تراكيبه ونظمه المستحدثة، مرتديا ثوبا وحلة جديدة بعد التحسينات والإضافات التي أحدثها فيه هذا العبقري الذي أبدع في كل جوانب الحياة الاجتماعية والفنية في الأندلس. بدءا بالموسيقى وأدواتها التي طورها وأدخل عليها تحسينات كإضافة الوتر الخامس إلى آلة العود، إلى اختراعه أداة جديدة للعزف عليه فعوض المضرب الخشبي بمخلب النسر[3]، إلى تجديده لطريقة ارتداء الألبسة الأنيقة وجعلها متناسبة مع كل فصل من فصول السنة، إضافة على اقتحامه عالم الطبخ والمأكولات، فتفنن في وصفات الطبخ والأكل المبتكرة التي لم تكن معروفة. وأحدث بذلك ثورة عارمة وسط المجتمع الأندلسي خاصة في عهد الخليفة الأموي عبد الرحمن

---

(1)– هو أبو الحسن علي بن نافع البوتاني الجزري الملقب بزرياب، ولد في جزيرة بوتان الكردية إحدى المواطن الأصيلة للقومية الكردية تقع في الضفة اليسرى لنهر دجلة في العراق. اختلف في تاريخ مولده إلا أن المستشرق ليفي بروفنسال حدد سنة ولادته في (173هـ/789م). وإسحاق الموصلي أحد أعمدة الغناء والموسيقى في العصر العباسي الأول وأصبح من ألمع تلاميذه.

(2)– هو أبو القاسم هبة الله بن جعفر بن سناء الملك، أديب، وشاعر مُميز، ولد في مصر سنة (550هـ) حفظ القرآن الكريم، ودرس النحو واللغة، وجمع بين علوم الفقه، والدين، كما أنه كان يحسن الحديث باللغة الفارسية، وافر الحظ في الشعر ويجيده، بديع الإنشاء. خلف تراثا كبيرا في الأدب العربي منها ديوان شعري وكتاب في تاريخ الموشحات "دار الطراز في عمل الموشحات" وضع فيه قواعد نظم الموشحات، كما اختصر كتاب الجاحظ "الحيوان" سماه "روح الحيوان". ينظر، ابن سناء الملك : **ديوان ابن سناء الملك**، تح: إبراهيم محمد نصر، حسين محمد نصار، دار الكتاب العربي، مصر، 1388هـ/1969م.

(3)– زيغريد هونكه: **شمس العرب تسطع على الغرب**، نقله عن الألمانية: فاروق بيضون وكمال دسوقي، مراجعة: مارون عيسى الخوري، دار الجيل، دار الآفاق، بيروت، ط8، 1413هـ، ص489.

الأوسط[1]، الذي أعجب به وبغنائه فخصه لنفسه، وأنشأ له مدرسته الخاصة التي انطلقت تعلم الناس أصول الغناء والطرب العربي الأصيل المشرقي المنبع وكيفية استعمال الأدوات الموسيقية بشكل لم يكن مألوفا من قبل[2]. وحسب ابن خلدون فإن زرياب "أورث بالأندلس من صناعة الغناء ما تناقلوه إلى أزمان الطوائف". مضيفا في حديثه عن البدايات الأولى لهذا النوع من الغناء: "وأما أهل الأندلس فلما كثر الشعر في قطرهم وتهذبت مناجيه وفتونه وبلغ التنميق فيه الغاية استحدث المتأخرون منهم فنا سموه الموشح"[3].

من خلال هذه الشهادة لم يكن للغرب الإسلامي معرفة بهذا الفن الموسيقى الجديد الذي يمكن القول بأنه كان منعدما تماما إلى غاية رحيل الفاطميين من بلاد المغرب وبداية ظهور الدول المستقلة.

أولا- الفن والغناء في عهد الفاطميين.

على عكس المذاهب الإسلامية، كان المذهب الشيعي لا يرى مانعا في التمتع بمباهج الحياة وزينتها ما لم يرد نص قرآني صريح يحرم ذلك أو حديث نبوي شريف ينهى عن الإتيان به، أو ما قام برفضه الأئمة ورأوا عدم جوازه[4]. فهم وحدهم المخولين بتبيان وتعريف الناس الحلال من الحرام حتى وإن ظهر للناس عكس ذلك. وأنه لا بد من تواجد إمام في كل عصر قائم بالحق يتساوى في درجته مع الأنبياء إلا أنه لا يوحى إليه[5]. وتجلى ذلك في قول المعز الفاطمي مخاطبا قاضيه النعمان: "وإن كان الشخص الجسماني المقدس غائبا عن أبصارنا، ونقل إلى سعة رحمة الله (في كناية عن الرسول صلى الله عليه وسلم) فإن المادة

---

(1)- عبد الرحمن الثاني (176هـ - 238هـ)، رابع الأمراء الأمويون شهدت الخلافة الأموية في عهده ازدهارا كبيرا لم تشهده من قبل، وعاشت قرطبة أزهى عصورها في ظله. عشق العلوم والفنون والآداب واهتم كثيرا بنواحي العمران والزراعة، وكان له دور بارز في إنشاء أول أسطول حربي كبير في الأندلس.

(2)- زيغريد هونكه: **المرجع السابق**، ص ص 490- 491.

(3)- ابن خلدون: **المقدمة**، المصدر السابق، ص 583.

(4)- لطيفة بنت محمد البسام: **الحياة العلمية في إفريقية في عصر بني زيري**، مكتبة الملك فهد الرياض، 1422هـ/2001م، ص 242.

(5)- أبو حامد الغزالي، **فضائح الباطنية**، تح: عبد الرحمن بدوي، دار الكتب الثقافية، الكويت، (د ت)، ص 38.

الروحانية متصلة غير منقطعة"[1]، في إشارة إلى عدم انقطاع العلم اللدني عنهم الذي اختصوا به عن غيرهم من الناس. فعقيدة الشيعة بنيت في مجملها على ما يصدر عن الأئمة المهديين المعصومين من أقوال وأفعال، فهم يمثلون المصدر والمنبع الأصلي لكل ممارسة دينية سواء عبادة أو نشاط اجتماعي، فالإمام حجة ووصي والإمامة عندهم ليست فرضا فحسب، إنما هي المحور الرئيسي الذي تدور حوله أسس الدولة مذهبا ومجتمعا[2].

بالنسبة للفن والموسيقى لم تسعفنا المصادر التاريخية بالمعلومات الوافية حول هذا الجانب الهام من حياة هذه الدولة التي رفعت راية الخلافة في الغرب الإسلامي، والذي يعتبر المرآة العاكسة لمدا تطورها الحضاري. ولعل قصر مدة بقائهم منذ حلول الداعي أبا عبد الله الشيعي سنة (279هـ) وإلى غاية رحيلهم إلى مصر في عهد المعز لدين الله الفاطمي سنة (362هـ) بالإضافة إلى مجمل الأحداث السياسية التي رافقت قيامها المتسمة بالحروب المتواصلة والثورات الدامية والصدام العنيف الذي حدث مع فقهاء وعلماء المالكية وأتباعهم، ظل هو الموضوع الرئيسي الذي طغى على كتابات واهتمامات المؤرخين والدارسين لتاريخ الفاطميين ببلاد المغرب الإسلامي، فأغفلوا الحديث عنه واهتموا بالشعر بدل ذلك وليس أدل على ذلك من اتخاذ المعز لدين الله الفاطمي ابن هانئ الأندلسي شاعرا خاصا له[3]. أما ابنه أبو علي تميم فكان شاعرا غزليا وموسيقيا بارعا، ويبقى الثابت أن مجال الشعر أخذ حيزا هاما في بلاط الخلفاء الفاطميين الذين قصدهم الشعراء لمدحهم وتبجيل سلطانهم، فأجزلوا لهم المن والعطايا، وأغدقوا عليهم الأموال واشتهر منهم سعدون الورجيني ومحمد البديل. لكن تبقى بعض الإشارات العامة الواردة في ثنايا بعض الكتب تنبأنا ولو بشكل مقتضب عن تواجد نشاط فني في الكثير من المدن، بحيث لم يكن الخلفاء الفاطميون يرون بأسا في الاستماع إلى الموسيقى رغم الأوضاع السياسية المضطربة التي عاشتها دولتهم طيلة

---

(1)– القاضي النعمان: **الهمة في آداب إتباع الأئمة**، تح: محمد كامل حسين، دار الفكر العربي، بيروت، (د– ت)، ص 38.

(2)– محمد نوار صلاح الدين: **نظرية الخلافة والإمامة وتطورها السياسي والديني**، دار المعارف، لبنان، 1966م ، ص 14.

(3)– عارف تامر: **الموسوعة التاريخية للخلفاء الفاطميين، الخليفة الرابع، المعز لدين الله**، دار الجيل، مصر، ط1، 1400هـ /1980م، ص 12.

تواجدها ببلاد المغرب. كما يغلب الظن أنهم كانوا يسمحون لأنفسهم الاسترخاء والجلوس مع الأدباء والشعراء ومن يتبعهم من أصحاب الفنون في مآدبهم ومجالسهم الخاصة ولو لفترات متقطعة لسماع بعض الموسيقى والاستمتاع بالطرب والغناء الذي كانت تؤديه في الغالب جواري متمرسات على ذلك، وهي الجلسات التي كانت تقام في قصورهم التي ابتنوها في كثير من المدن، مثل قصر المنارة بالمهدية قبالة البحر الذي بناه الخليفة عبيد الله المهدي، وقصر الإيوان وقصر الخورنق الذين بناهما الخليفة المعز لدين الله بمدينة المنصورية وغيرها من المدن. وإن غاب عنهم فن الموشحات الذي لم يكن معروفا حينها،أو قليل الانتشار لأنه كان في بداية عهده، إلا أن الموسيقى وفنون التلحين الأخرى كانا من أجًل اهتماماتهم طيلة عهدهم ببلاد المغرب إلى غاية رحيلهم منها[1].

ورغم إغفال أو إحجام العديد من المصادر على الخوض في الجانب الغنائي والطرب في الدولة الفاطمية، لكن بعض الشواهد من التحف والآثار التي وجدت مثلا في إيطاليا وبالضبط في مدينة باليرمو بجزيرة صقلية والتي تعود إلى الفترة الفاطمية، كشفت لنا جانبا غامضا من الحياة الخاصة التي كان يعيشها المجتمع المخملي في أيام الفاطميين ببلاد المغرب. فقد كانت الأغراض المكتشفة عبارة عن قطع متنوعة من الخزف والأواني مرسوما عليها أشكالا وتصاوير لعدد من النساء وكذا لأشخاص يحملون في أيديهم كؤوسا مملوءة، وعلى حسب الشكل كان الحرص باديا على أصحابها على عدم إمالتها من خلال شدها على شكل مستقيم، لكي لا ينسكب ما كان بداخلها.

كما وجدت صورا لموسيقيين وموسيقيات، وصورا أخرى على أرضية بها زخارف نباتية تمثلان راقصتين ترقصان وهما في وضع متماثل وقد تشابك ذراعيهما واضعة كل واحدة منها وشاحا على كتفها. وعثر على صورة أخرى لرجل يحمل فوق رأسه برميلا وأغلب الظن أنه كان معبئا بالخمر، علما بأن مثل تلك البراميل كانت مخصصة للنبيذ، وتستعمل لحفظه في أقبية خاصة عند مسيحي الجزيرة. كل ذلك يعطينا تصورا ودليلا واضحا على تواجد نشاط موسيقي في مجالس كانت تعقد اللهو والطرب عند الطبقة الخاصة من الوزراء

(1)– محمد زغلول سلام: **الأدب في العصر الفاطمي الكتابة والكتاب**، المرجع السابق، ج1، ص 218.

والأثرياء وقادة الجند وإن كان ذلك يتم في الخفاء، أو أن أصحابه هم من الطبقة العلية الذين كانوا يحيون لياليهم وسهرات المجون في قصورهم أو حدائقهم.

ثانيا- الموشح في عهد الزيريين.

وكانت البداية في الدولة الزيرية الصنهاجية التي تأكد جل المصادر أن أول من أدخل إليها الموسيقى الأندلسية، هو أبو الصلت أمية بن عبد العزيز الداني الأندلسي (ت529هـ - 1135م)[1] ، الذي عد فريد زمانه في الشعر والغناء واستعمال آلات الموسيقى والطرب وقد وجد صاحبنا المناخ مهيئا والجو مناسبا في البلاط الصنهاجي بحيث كان الأمير الصنهاجي المعز بن باديس نفسه "عارفا بعدة صنائع من الألحان والتوقيعات"[2]، وكان مجلسه يعج بالشعراء والأدباء من أمثال عبد الوهاب بن الحسين بن جعفر الحاجب الذي كان واحد عصره في الغناء والأدب والشعر وأعلم الناس بفنون ضرب العود واختلاف طرائقه وصناعة اللُحون[3]. والرقيق القيرواني المؤرخ والأديب الذائع الصيت الذي اشتغل في بلاط الصنهاجيين زهاء نصف قرن. كان واسع الثقافة غزير العلم، إضافة إلى كونه شاعرا سهل الكلام لطيف الطبع ولم يكن يتخلف في الحضور لليالي السمر والسهر التي كان يعقدها أمراء الدولة الزيرية. ولم ينقطع التواصل مع المشرق حتى في مجال الفن والطرب حيث كان يرافق الحسن بن جعفر في مجالسه التي يعقدها للغناء موسيقيين من البصرة كبشارة الزامر الذي يعد من مهرة وحذاق الزمارين كما كان يرحب بكل الموسيقيين الوافدين من العراق ويوسع لهم في مجلسه ويجزل لهم العطاء ويكرمهم غاية الإكرام ويقربهم إليه.وفي

---

(1)- هو العلامة أبو الصلت أمية بن عبد العزيز بن أبي الصلت الفيلسوف الطبيب الشاعر المجود ولد سنة(460هـ) بدانية بالأندلس، قال عنه الذهبي بأنه كان رأسا في النجوم والوقت والموسيقى، ماهرا في لعب الشطرنج، رأسا في المنطق. دخل في خدمة ابن باديس الصنهاجي، وأفاد بعلمه البلاط الزيري ونشر علمه بإفريقية، خلف العديد من المؤلفات والمصنفات في مختلف العلوم أهمها كتاب "الحديقة" وآخر في الطب "الأدوية المفردة"، وكتاب آخر في الفلك "العمل بالإسطرلاب". توفي بالمهدية سنة (529هـ). ينظر الذهبي: **سير ألعلام النبلاء**، ج19، ص ص 634 - 635. **المقري**، **النفح**، ج2، ص 308. ابن أبي صبيعة: **عيون الأنباء في طبقات الأطبّاء**، ج3، ص 86.

(2)- ابن أبي دينار: **المؤنس في أخبار إفريقية وتونس**، المصدر السابق، ص82.

(3)- الهادي روجي إدريس: **الدولة الصنهاجية**، المرجع السابق، ج2، ص441.

ذلك يذكر الرقيق القيرواني المؤرخ: "أن الحسين بن جعفر الحاجب كان هذا دأبه مع كل طارئ يطرأ عليه من المشرق ولو ذكرتهم لطال الكتاب"[1]، في إشارة وتأكيد على كثرة الوافدين من أهل هذه الصناعة ووجود قاعدة لفن الغناء الذي كان يعتمد في مجمله على الشعر العربي المضبوط القافية والأوزان.

ثالثا- الفن والغناء في عهد الحماديين.

أما المشهد الثقافي في الدولة الحمادية التي ظهرت على مسرح الأحداث سنة (405هـ) وتنسب لمؤسسها حماد بن بلكين بن زيري الصنهاجي الذي كان يحذوه الطموح والرغبة لإقامة ملك له في المغرب الأوسط، فإنه تمكن من ذلك بعد عدة حروب وصراعات مع ابن أخيه المعز بن باديس وأسس دولته التي أمتد نفوذها ليشمل ما وراء تلمسان غربا وشرقا إلى تونس وجنوبا إلى الزاب[2]. ففي مرحلة النشأة والظهور، وصفت بأنها دولة حربية لدخولها في عدة حروب وصراعات لتثبيت كيانها ورسم حدودها وفرض نفسها وسط محيط معادي من جيرانها.ومع ذلك فقد كان بلقين بن محمد بن حماد رابع أمرائها(447هـ /1055م)، كثيرا ما يأمر في خلواته بآلات الإنس وأدواته ويدعو قيمة جواريه بتهيئة شروط السهر وتوفير لوازم الجلسات الصاخبة،وإعداد الجواري المغنيات للعزف والغناء[3] وملذات لكنها سرعان ما تداركت مكانتها في الركب الحضاري في عهد العزيز بالله المنصور بن الناصر الذي بويع بالملك سنة (481هـ) الذي استطاع أن يجعل منها دولة قوية، وفي عهده بلغت منزلة راقية في العلم والحضارة[4]. يصفه لسان الدين بن الخطيب بالقول بأنه: "كان قائما على أمره،حميد الخلال، ضابطا للأمور، يكتب ويشعر، ويذهب في أموره مذهب أبي جعفر المنصور، من رقع الثياب، والتحفظ على القليل من الأشياء، وله آثار عظيمة وقصور

---

(1)- الهادي روجي إدريس: **المرجع نفسه**، ص 442.

(2)- محمد طمار: **تاريخ الأدب الجزائري**، المرجع السابق، ص113.

(3)- مبارك بن محمد الميلي: **تاريخ الجزائر**، المرجع السابق، ص، 242.

(4)- المنصور بن الناصر بن علناس بن حماد ابن بلكين الصنهاجي، سادس ملوك الدولة الحمادية بالقلعة وبجاية بالمغرب الأوسط. بويع بعد وفاة أبيه الناصر سنة 481هـ- 1088م. كان مقره بقلعة بني حماد، ثم انتقل إلى بجاية سنة (483هـ) واتخذها عاصمة لدولته. ينظر، **معجم أعلام الجزائر**، ج1، المرجع السابق، ص 322. الميلي: **تاريخ الجزائر**، المرجع السابق، ص 239.

شامخة منيفة، وأخبار شهيرة"[1]. وقبله كان أبوه الناصر بن علناس قد اختط مدينة بجاية وابتناها سنة (460هـ) واتخذها عاصمة لملكه، فأمها الناس من كل حدب وصوب وما لبثت أن واستبحر عمرانها وكثر سكانها[2]، وساعد موقعها البحري على التواصل العلمي والثقافي مع أوروبا والأندلس والمشرق، فقصدها العلماء والفقهاء والأدباء والشعراء وأصحاب الصنائع والفنون أضحت بجاية وغيرها من المدن الحمادية فضاء مفتوحا لكل الإبداعات الفكرية والفنية الممزوجة بالثقافات المحلية والخارجية وصنعت مشهدا ثقافيا متميزا جعلت الحياة سهلة محفوفة بمظاهر البذخ والترف ومجالس اللهو والسمر ينشطها شعراء ومغنين من الجنسين وكانت أشهر الآلات المستعملة هي العود والرباب والناي والطبل والدف.

رابعا- الموشحات في العهد المرابطي.

في تلك الأثناء كان يجاور دولة الحماديين غربا دولة المرابطين الصنهاجية، وهي الدولة المنبثقة عن حركة دينية إصلاحية قادها الفقيه عبد الله بن ياسين الذي استقدمه يحي ابن إبراهيم اللمتوني لإعادة إحياء السنة، والعودة إلى نظم الحكم الإسلامي المبني أساسا على مبادئ الشريعة والنص القرآني، بعدما تفشت في قبائلهم مظاهر الشرك والتخلف والابتعاد عن تعاليم الإسلام الصحيحة. فانحصرت جهود أمرائها الأوائل على دفع خطر الممالك القشتالية المتحدة ضد الوجود الإسلامي في الأندلس ممثلا في ملوك الطوائف الذين عجزوا عن درأ الخطر المسيحي، فاستنجدوا بالمرابطين في عهد يوسف ابن تاشفين الذي لبى النداء ودخلها وألحق بالمسيحيين هزيمة نكراء في موقعة الزلاقة واخضع الأندلس لحكم المرابطين[3].

---

(1)- رابح بونار: **المغرب العربي تاريخه وحضارته**، المرجع السابق، ص 213.

(2)- ينظر، ابن خلدون: **العبر**، مج6، المصدر السابق، ص 232. رابح بونار، **نفسه**، ص 211.

(3)- من أشهر المعارك الإسلامية التي واجه فيها المسلمون في الأندلس جحافل النصارى تحت قيادة الملك ألفونسو السادس ملك قشتالة، بدأت في غرة يوم الجمعة بعد صلاة الفجر في الثاني عشر من شهر رجب سنة (497هـ).

تزامن دخول المرابطين الأندلس مع فترة سيادة ملوك الطوائف على المشهد السياسي فيها[1]. وقد عرفوا بعشقهم للغناء والطرب، ومالوا إلى المرح والترف، ومجدوا الشعر والشعراء واحتفوا بأهل الغناء والموسيقى، وأغدقوا عليهم الهبات والعطايا[2]. وفي عهدهم عرفت الأندلس أزهى عصورها في هذا المجال وباتت بلاطاتهم تعج بالجواري والقيان والغلمان وأعداد لا تحصى ولا تعد من أصناف الشعراء، وكانت البداية من قرطبة التي كان قد استقر بها سرير الخلافة الأموية من قبل، ثم حازت إشبيلية الشهرة بعد ذلك لحد وصفها بمدينة الخلاعة والمجون.

فلقد أورد المقري التلمساني نقلا عن حمد بن عبد الله الأنصاري في كتابه "مناهج الفكر" قوله: "وبأهلها يضرب المثل بالخلاعة وانتهاز فرص الزمان ساعة بعد الساعة. فاستأثرت هذه المدينة بمقدم كل باحث عن الشهرة والمتعة واللهو والتسلية وسماع الأغاني من كلا الجنسين، واجتذبت هذه المدينة الصاخبة أصحاب المواهب من كل فن في الغناء والموسيقى وتفشت في قصورها وأحيائها ومنازلها مظاهر الترف والبذخ وامتلاك الجواري الحاذقات في العزف على مختلف أنواع الآلات الموسيقية والمعازف الوترية المعروفة كالكمنجة والرباب والعود والدربوكة والطر[3]، وأخرى هوائية كالمزمار وآلات النفخ النحاسية التي كانت ترافق الموشحات[4].

---

(1)– ملوك الطوائف: هم مجموعة من الحكام والولاة الذين استقلوا بمقاطعاتهم بعد سقوط الخلافة الأموية في الأندلس وأسسوا ممالك ودويلات. ويجمع جل المؤرخين أن بوادر التفكك والانحلال قد بدأت في حدود سنة (422هـ) بإعلان الوزير أبو الحزم بن جهور انتهاء الحكم الأموي في الأندلس فانفرد كل حاكم بإمارته وبلغ تعدادها اثنين وعشرون دويلة وإمارة. أشهرها غرناطة وأشبيلية والمرية وبلنسية وطليطلة وسرقسطة والبرازين والبداجوز ودانية والبليار ومورور. ينظر، ابن خلدون: **العبر** ج4، المصدر السابق، مج4، ص 200 وما بعدها. المراكشي: **البيان**،المصدر السابق، ج3، ص 185 وما يليها.

(2)– ينظر، ابن خلدون: **المقدمة**، المصدر السابق، ص 209. أحمد المقري: **نفح الطيب**، المصدر السابق، ص 159.

(3)– هو آلة إيقاعية عرفت بأكثر من اسم واحد، منها الدف والرق والمزهر، يمتاز بخاصيتين: صغر الحجم، واحتواءه على قطع مستديرة على الجوانب تحدث أصواتا عند تحريكها نتيجة قرع بعضها البعض.

(4)– عبد العزيز عبد الجليل: **الموسيقى الأندلسية المغربية "فنون الأداء"**، سلسلة عالم المعرفة المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد129، 1988م، ص 218.

ورغم ما عرف عن تنزه أمراء الدولة على إقامة الحفلات والولائم وابتعادهم عن مجالس الشبهة والمنكرات، وتكليفهم أصحاب الحسبة بمحاربة كل مظاهر اللهو الماجن والعربدة سار فقهاء وعلماء الدولة على نفس المنوال،إذ ظلوا ملتزمين بآداب الإسلام، مبتعدين عن مجالس الغناء وعن كل سبل المفاسد والانحراف، إلا أنهم كانوا شعراء ويتذوقون مليح الكلام أو ما كان فيه التزام لجانب الحشمة،خاليا من الفحش والتهكم[1]، وراج في عهدهم فن المديح للأمراء والحكام ورجال الدين من فقهاء وعلماء وقضاة وأشتهر منهم محمد بن عبد الله ابن العربي المعافري الاشبيلي ويكنى أبا بكر، ومحمد بن أحمد بن رشد الحفيد، ومحمد بن سعيد بن أحمد المعروف بابن زرقون وابن حمدين.

ويبقى أشهرهم الذي مزج بين العلوم والفن هو أبو الصلت الاشبيلي السابق الذكر الذي كان يجيد العزف على العود وهو الذي لحن الأغاني في إفريقية في عهد الأمير الصنهاجي يحي بن المعز بن باديس[2]. والفيلسوف أبي بكر بن باجة الذي كان عارفا بالأصول الموسيقية وفتن بالموشحات بحبه لها، وعلى يديه تخرج تلاميذ موهوبين كأبي عامر بن الحمار الغرناطي واليهودي إسحاق بن شمعون القرطبي أحد عجائب الزمان في الاقتدار على الألحان[3].

أما ميدان الشعر في بلاد المغرب في عهد المرابطين، وعلى عكس الأندلس، فقد عرف عن أصحاب الدولة حبهم وتقديرهم للعلم والعلماء، ونال الشعراء عندهم منزلة ومكانة مرموقة ودار شعرهم في الغالب على قصائد المديح والثناء ووصف الطبيعة. وعرف عصرهم نبوغ الكثير من الشعراء من أمثال، ابن سارة الشنتريني، وابن الزقاق وابن خفاجة البلنسي،

---

(1)– ابن خلدون: المصدر السابق، ص535. إبراهيم حركات: **المغرب عبر التاريخ**، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، المملكة المغربية، 1420هـ/ 2000م، ج1، ص، 230.

(2)– خالد بن محمد مبارك القاسمي: **تاريخ الحضارة الإسلامية بالأندلس**، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، مصر، ط1، 1429هـ/2008م، ص120.

(3)– عيسى بن الذيب: **المغرب والأندلس في عهد المرابطين دراسة اجتماعية واقتصادية 480هـ-540هـ/1056م- 1145م**، رسالة دكتوراه في التاريخ الوسيط، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، السنة الجامعية، (1429هـ- 1430هـ/2008- 2009م)، ص191.

وعبد الحق بن عطية والأعمى التطيلي[1]، صاحب المديح المشهور للأمير علي بن يوسف بن تاشفين.

خامسا- الموشحات في عهد الموحدين.

بالنسبة لدولة الموحدين فيمكننا القول بأن الجانب الثقافي والفني في عصر الموحدين قد مر بنفس المراحل التي عاشها في ظل سلطة المرابطين. فالأولوية بالنسبة لصاحب الدعوة ابن تومرت كانت القضاء على دولة المجسمين كما كان يحلوا له وصفها، ومن ثم العمل على تثبيت أركان الدولة الجديدة التي كان يحلم بإنشائها مكان دولة المرابطين وإنجاح مشروعه الإصلاحي الديني الذي وضع معالمه في بغداد بمباركة من الإمام الغزالي الذي التقاه وأخذ عنه العلم وأصول المذهب الأشعري على حسب ما تذكره المصادر الموحدية[2]. فحمل زاده التعليمي معه عند رجوعه إلى بلاد المغرب بترتيب جديد وعقيدة مستحدثة جمع فيها العديد من المبادئ والأفكار المختلفة للمذاهب والتيارات الفكرية الإسلامية التي تشبع بها في المشرق إثناء رحلته العلمية التي دامت سنوات عديدة، وكانت رؤيته تتمحور حول الحد من تأثير المذهب المالكي الذي كان يهيمن على المشهد الديني في كافة بلاد المغرب[3].

وبعد استحكام أمره، أخرج لمناصريه فكرة المهدوية التي سرعان ما عرفت انتشارا واسعا وسط الأتباع والقبائل البربرية المنضوية تحت دعوته[4]. فساد الالتزام والتمسك بتعاليم الإسلام وأرجع الناس إلى العمل بالكتاب والسنة،مع التشديد على محاربة كل مظاهر اللهو

---

(1)- هو أبو جعفر، أحمد بن عبد الله بن أبي هريرة القيسي التطيلي نسبة على مدينة تطيلة. أحد أكبر شعراء الأندلس شهرة شعرا وتوشيحا. طبع على شعره التفلسف حتى لقب بمعري الأندلس، وتفوق في فن التوشيح وفاقت موشحاته الثلاثين. أصيب بالعمى في صباه ولم يمنعه ذلك من تبوأ مكانة مرموقة في إشبيلية عاصمة الشعر والفن. كما كان متمكنا من اللغة، والأدب، والتاريخ، والفقه، والأصول، والحديث. ينظر، ابن خاقان: **قلائد العقيان ومجالس الأعيان**، تح: حسين يوسف خربوش مكتبة المنار، ط1، 1989م، ج4، ص 850.

(2)- محي الدين أبي محمد عبد الواحد المراكشي: **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، المصدر السابق، ص ص128- 129.

(3)- عبد الله كنون: **النبوغ المغربي في الأدب العربي**، ج1، المرجع السابق، ص 119 وما يليها.

(4)- ابن القطان المراكشي: **نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان**، دراسة وتقديم وتحقيق: محمود علي مكي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1410هـ/1980م، ص 81. مبارك الميلي، **تاريخ الجزائر**، المرجع السابق، ص 302. المراكشي، **المعجب**، المصدر السابق، ص 134.

والغناء والتبرج فكانت تلك السمة الرئيسية التي طبعت فترة المهدي الذي عرف بالتنسك والعبادة والزهد في المأكل والمشرب. فلم يكن يتوانى في تسليط عقوبات قاسية على كل من ثبتت في حقه تهمة الخلاعة والمجون، أو إتباع الملذات والغواني ومجالس اللهو والطرب.وظل الأمر كذلك إلى غاية وفاته سنة 524هـ. وبعد تولي خليفته عبد المؤمن بن علي شؤون الدولة حافظ على طابعها الديني، وبقي الأمر على حاله. فالدولة كانت في طور التكوين ولم يكن يسمح بمثل تلك الأفعال التي كانت تتعارض ومبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي جعله الإمام محور حياته فكرا وعملا[1]. وبقي من بين أهم الركائز التي قامت عليها دولة الموحدين وجرى العمل به تحت رقابة شيوخها وسلطة فقهائها من الطبقة الأولى (أهل الجماعة) وهي أعلى رتبة في هيكل نظام الدولة التي استحدثها المهدي بن تومرت.

وعُمم هذا التوجه على كامل الأراضي والمناطق الخاضعة لحكمهم في بلاد المغرب الإسلامي، ومن حاد عن هذا المنهج كان مصيره حتما القتل وفي أحسن الأحوال السجن[2]. فركدت الحياة الفنية في بداية عهدهم خوفا من العقاب, لكن الأندلس ظلت تحافظ على بريقها في مجمل جوانب الحياة المعيشية المتعلقة بالجانب الاجتماعي والفني واعتادت على حياة اللهو والطرب، وكان الشعر متوهجا وكثر صناعه وأبتدع الأندلسيون أنواعا أخرى من الموشحات والأزجال بتشجيع من الأمراء والملوك الطوائف المستقلين مجددا بإماراتهم بعد اختلال أوضاع المرابطين وسقوط دولتهم[3]. وقد تسربت بعض أنواع الموشحات والزجل إلى بلاد المغرب رغم التشديد والمراقبة، بمقدم عدد من الوشاحين كأبي بكر بن زهر الحفيد

---

(1)– عبد المجيد النجار: **المهدي بن تومرت، أبو عبد الله محمد بن عبد الله المغربي السوسي المتوفى سنة (524هـ/1129م)، حياته وآراءه وثورته الفكرية والاجتماعية وأثره بالمغرب**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1403هـ/1983م، ص ص 274– 276.

(2)– ابن قطان المراكشي، المصدر السابق، ص،83. ينظر أيضا، الذهبي: **السيَر**، ج 19، المصدر السابق، ص 546.

(3)– صالح بن قربة: المرجع السابق، ص 35.

ووالده اللذين لقيا الترحاب والحفاوة من عبد المؤمن بن علي نفسه وتقلد الحفيد رتبة الوزارة[1]. كما عرف المغرب مقدم أحد أشهر الزجالين وهو سهل بن مالك الغرناطي[2] الذي ساهم في نشر هذا النوع من الغناء والشعر واتخذ صبغة مغاربية صرفة سمي بعروض البلد وهي أعاريض مزدوجة تشبه الموشح وكان أول من استخدمه هو ابن عمير بفاس[3].

يبقى جانب الشعر الذي وجد مجالا خصبا في مجالس الموحدين، فحتى المهدي بن تومرت ثبت عنه قول الشعر[4]، ونسوق في هذا المقام البيتين الشعريين اللذين قالهما عند لقاءه عبد المؤمن:

تَكَاملَتْ فِيكَ أَوْصَافَ خُصِصْتَ بِهَا *** فَكُلُنَا بِكَ مَسْـــرُورُ وَمُغْتَبِطُ

الْسِنُ ضَاحِكَةُ وَالْكَــفُ مَــانِحَــةُ *** وَالْنَفْسُ وَاسِعَةُ وَالْوَجْهُ مُنْبَسِطُ[5]

كما كانت تلقى في حضرته قصائد في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يكن يمانع في ذلك فهو نفسه كان عالما بفنون الأدب والشعر واللغة التي ارتشف من رحيقها في بداية رحلته العلمية من قرطبة ومن بعدها استحكم أصولها في المشرق. أما في عهد خليفته عبد المؤمن فقد بدأت معالم الدولة القوية تظهر للعيان، وبات الأمر الذي يتطلب وجود دعاية لها وهي التي كان يصنعها الشعراء، وقد تولى هذا الجانب مجموعة خاصة منهم

---

(1)– هو محمد بن عبد الملك بن زهر الأبادي أبو بكر عرف بالحفيد ابن زهر. ويتصل نسب بني زهر بإياد بن نزار بن معد بن عدنان. وزهر هو الجد الأعلى الإسلامي للفرع الأندلسي من قبيلة إياد كان من نوابغ الطب والأدب في الأندلس. ولد باشبيلية، وخدم كلا من دولتي المرابطين والموحدين عد أعلم زمانه بصناعة الطب، التي أخذها عن أبيه. خلف العديد من المؤلفات، منها "الترياق الخمسيني في الطب". رسالة في "طب العيون". قرض الشعر وتفوق في الموشحات وأجاد نظمها. ينظر، الذهبي : **سير الأعلام**، ج21، المصدر السابق، ص 326.

(2)– ينظر ترجمته في، **قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان**، المشهور بـ "**عقود الجمان في شعراء هذا الزمان**"، لكمال الدين أبي البركات المبارك بن الشعار الموصلي (ت 654هـ)، ج2، ج3، تح: كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية، ط1، 2005، ذ م، بيروت، ص ص 95 – 96.

(3)– محمد رزوق: **الأندلسيون وهجرتهم إلى المغرب خلال القرنيين (16– 17)**، طبع إفريقيا الشرق، الرباط، المملكة المغربية، ط3، 1988م، ص38.

(4)– صالح بن قربة: **المرجع السابق**، ص51.

(5)– الصلابي: **دولة الموحدين**، المرجع السابق، ص 26.

ومجتباة، لعدم اقتصارهم على نظم الشعر وحده، بل تجاوزوه إلى الكتابة والنثر والمدح والهجاء والرد على المعارضين والأعداء، وهو ما كانت تحتاج إليه هذه الدولة التي ستصبح إمبراطورية إسلامية مترامية الأطراف.

فعبد المؤمن بن علي كان من أوائل الطلبة الذين أخذوا العلم من المهدي نفسه وكان صاحبه في رحلة العودة إلى بلاد المغرب عندما التقاه في بجاية، وبعد اشتداد أمره ندبه مع نفر من الطلبة المتفوقين الذين أظهروا تمكنا في الفقه واللغة وأسلوب الإقناع لنشر الدعوة التومرتية بين القبائل البربرية على شاكلة الدعاة الخوارج والشيعة[1]. وعند توليه شؤون الدولة أراد أن يجعل من دولته مركزا علميا رائدا على غرار المشرق والأندلس القريبة، هذه الأخيرة التي قطعت أشواطا بعيدة في مجال العلوم والمعارف والفنون، فشهرتها تعدت الآفاق، وطلعت في سماء الأدب فيها أسماء مشهورة لا تعد ولا تحصى، وكانت بمثابة بدورا ساطعة، ونجوما لامعة[2]. نافست المشرق، وأبدعت في العلوم النقلية والعقلية وتربعت على عرش الحضارة لقرون عدة، فكانت بحق معينا لا ينضب، فسارع عبد المؤمن إلى فتح أبواب مملكته لأهل العلم والمعارف وقصده العلماء والفقهاء والأدباء والشعراء من كل أنحاء العالم الإسلامي، وامتلأت كتب المصادر لمؤرخي الدولة وغيرهم في تعداد مناقبه، وذكر محاسنه، والإشادة بفضله، وكيف كان يبدي حرصه الشديد على طبع الدولة بطابع العلم بقيامه بأعداد أجيال من الطلبة لتخريجهم كعلماء، وإليه يعزو الفضل في فرض التعليم الإجباري في كامل أرجاء الدولة. ولا غرابة في ذلك فهو نفسه كان عالما فقيها أديبا شاعرا[3].

لقد أولى عبد المؤمن اهتماما خاصا بالشعر والشعراء، وكانوا بمثابة الناطقين الرسميين للدولة، فحين جوازه إلى جبل الفتح في الأندلس سنة (555هـ)، استدعى جمعا من الشعراء الذين تنافسوا في وصف الجيش الموحدي وقائده، ومن جميل الصدف أن تلك القصائد والأشعار حفظت لنا جانبا مهما من الأحداث التاريخية التي عاشتها دولة الموحدين

(1)– صالح بن قربة: **المرجع السابق**، ص48.

(2)– لسان الدين بن الخطيب: **الإحاطة في أخبار غرناطة**، ج2، المصدر السابق، ص 515.

(3)– صالح بن قربة: **المرجع نفسه**، ص 48.

عندما كانت في أوج قوتها، فكانت مصادر موثوقة وهامة نقلت لنا بالتفصيل مجريات الوقائع.

ونظرا لما يلف موضوع الشعر والشعراء وتشعب مسالكه في هذه الدولة التي جمعت أغلبية رواد الأدب والشعر في كل من الأندلس وبلاد المغرب والمشرق وعدم مقدرتنا على ذكر أسمائهم وترتيب دواوينهم وقصائدهم، فإننا سنقتصر على أشهرهم. فمنهم الشاعر ميمون ابن خبازة (ت 637هـ) الذي عرف بقصيدته "البائية" التي نظمها في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم، ومنهم أبو عبد الله محمد بن حبوس (ت 570هـ) شاعر عبد المؤمن الخاص، وأبو العباس أحمد بن عبد السلام الجراوي الكوراني (ت 609هـ) وابن حربون الرصافي البلنسي الذي ألقى قصيدته "الرائية" بمناسبة العبور إلى الأندلس والتي مطلعها:

لَوْ جِئْتَ نَارَ الْهُدَى مِنْ جَانِبِ الْطُورِ *** قَبِسْتَ مَا شِئْتَ مِنْ عِلْمٍ وَنُورِ[1].

وكما يذكر ابن خلدون عن قيام الدول وحتمية زوالها، فإن مسار هذه الإمبراطورية التي قامت على العصبية القبلية، بدعوة دينية تملكت بها الأنفس والأقطار وبها بسطت سلطتها على الممالك والأمصار. فإنها ولما بلغت النطاق الذي هو الغاية، دخلت مرحلة أدركت فيها الهرم والضعف وحتمية النهاية، وصار أمرها إلى الزوال، بسقوط عاصمتها مراكش سنة (668هـ)، ومقتل سلطانها أبا دبوس من قبل يعقوب بن عيد الحق المريني[2]، فتوارث تركتها ثلاثة دويلات بربرية، كان منهم بنو عبد الواد الذين استأثروا بالمغرب الأوسط وفيه أسسوا ملكهم وقوي سلطانهم، واتخذوا من مدينة تلمسان التي كانت تعد قاعدة المغرب الأوسط عاصمة لدولتهم، ومستقرا لملكهم[3].

(1)- هو أبو عمر أحمد بن عبد الله بن حربون الشِّلْبي، عمل كاتبا عند ابن قَسِي، ثم انتقل إلى بلاط الموحدين ليعمل كاتبا عند أبي حفص الموحدي. يعد من الشعراء الذين انقطعوا بشعرهم لخدمة البلاط الموحدي، توفي بعد سنة (564هـ). ينظر، ابن الأبار: **الحلة السيراء**، المصدر السابق، ج2، ص201. ابن صاحب الصلاة: **المن بالإمامة**، تح: عبد الهادي التازي، دار الغرب الإسلامي، بيروت ط3، 1987م، ص ص 253- 254.

(2)- ابن خلدون: **العبر**: ج7، المصدر السابق، ص 241.

(3)- ابن خلدون: ج7، **المصدر نفسه**، ص 102. ابن الأحمر: **تاريخ الدولة الزيانية**، تقديم وتحقيق وتعليق: هاني سلامة، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، ط1، 1421هـ/2001م، ص 9.

سادسا- فن الموشحات في العهد الزياني.

مما لا شك فيه أن مجال الترفيه والفن قد نال نصيبه هو أيضا من العناية والرعاية والاهتمام، في ظل حكم سلاطين بني زيان. وبقدر ما كان سقوط آخر معقل للمسلمين في غرناطة سنة (897هـ) مأساة وفاجعة على العالم الإسلامي ومسلمي الأندلس، فإننا يمكننا القول بأنها عادت بالكثير من المزايا والفوائد على منطقة الغرب الإسلامي نظرا لتوافد أعداد كبيرة من الأندلسيين وأفراد أسرهم وتفرقهم في المدن والقرى حاملين معهم معارفهم وعلومهم ومهاراتهم في الصنائع والفنون، وحازت تلمسان على النصيب الأكبر ونالت الحظ الأوفر من ذلك الإرث العظيم، وبفضلهم ارتقت إلى مصف الحواضر العلمية الكبرى، وأصبحت مستقر ومستودع لأنواع الفنون والشعر والآداب، وتربعت على عرش الريادة وحلت محل غرناطة وقرطبة ونافست فاس والقيروان[1]. وكان من محاسن تلك الهجرات أنها أضفت على عاصمة الزيانيين وبيوتاتهم أجواء أندلسية احتفائية رائعة، حين امتزجت وتزاوجت التقاليد الوافدة مع المحلية بكل تفاصيلها، وزادها بهاء ورونقا تلك النغمات الموسيقية التي كان يحييها رواد الطرب الأندلسي الراقي ومحبيه من موشحات ونظم أبناء البلد حتى سميت بغرناطة إفريقيا حيث لا يزال صدى أنغامها يحاكي ذاك الزمن الجميل إلى يومنا هذا ومنها تفرعت عنها طبوع أخرى كالحوزي والمألوف والفن الشعبي والصنعة.

وسرعان ما ظهرت وانتشرت المدارس الموسيقية في كل أرجاء الدولة ومدنها التي أخذت من عاصمة الموشحات ومهدها الأول "غرناطة" أصول هذا الفن نظرا للعلاقات المتميزة التي كانت تربط الدولة الزيانية بملوك بني الأحمر[2]، استعملت فيه الآلات والأجواق نفسها المطورة في الأندلس، وكان عمادها الموشح وليس أدل على ذلك من تواجد أحد أشهر أعلام الموسيقى التلمسانيين أبي جمعة التلاليسي التلمساني الطبيب الشاعر في غرناطة

---

(1)- ابن خلدون: المصدر السابق، ج7، ص 105. محمد بوشقيف: **العلوم الدينية في بلاد المغرب الأوسط خلال القرن التاسع الهجري، الخامس عشر ميلادي**، مذكرة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2004/2003، ص ص 23-24.

(2)- ظلت غرناطة محل توافد واستقرار العديد من السلاطين الزيانيين وأعلامها الذين ولدوا أو ترعرعوا فيها ومنها تبنوا الكثير من عاداتها وتقاليدها، ونهلوا من علومها ومعارفها وحملوها معهم إلى المغرب الأوسط. ينظر، عادل نويهض: **معجم أعلام الجزائر**، المرجع السابق، ص 225 وما بعدها.

قبيل سقوطها، وتأليفه لكتاب "صنائع تلمسان" واصفا فيه الموسيقى التلمسانية الأندلسية ونوباتها وتفرعاتها التي كانت بتلمسان آنذاك، مبرزا العناية الفائقة التي كان يوليها أهلها لهذا النوع من الطرب وشدة تعلقهم بهذا الفن الأصيل.

كما لا يمكننا إغفال كتاب لسان الدين بن الخطيب أبو عبد الله بن علي بن أحمد بن الخطيب السلماني (ت776هـ) المعروف "الطبائع والطبوع والأصول" خصه للموشح وذكر فيه أهم النوبات المعروفة في تلمسان[1]. وعليها كان يستند عليها أصحاب الموسيقى والأجواق للعزف على الآلات والتنقل بين الطبوع والمقامات، بحيث لم تكن تخلى أعراسهم وحفلاتهم وسهراتهم وإحيائهم للحفلات والأعياد الدينية من أنغام وأشعار شجية، تنوعت ما بين المدح والغزل والرثاء والوصف والحنين هذا الأخير الذي برع فيه أهل الأندلس[2]، وتغنوا به في جلساتهم وغلب عليه الشوق وحرقة الفراق مبرزين آلامهم وأوجاعهم بعد فراقهم الأندلس، اشتهر منهم أبو عبد الله بن خميس التلمساني (650-708هـ)[3] الذي شغل منصب ديوان الإنشاء وأمين سر السلطان أبو سعيد يغموراسن وهو صاحب القصيد المشهور عن تلمسان بعد خروجه منها مضطرا في قوله:

أَلَحَ الزَّمــَانَ بِأَحْـــــدَاثِهِ ** فَأَلْقَيْتَ طَوْعَا إِلَيْهِ الْسِلاَحَا
وَطُوحَ بِي عَن تِلِمْسَانَ مَا ** ظَنَنْتُ فِـرَاقِيِ لَهَا أَنْ يُتَاحَا

(1)- تعرف النوبة على أنها نتاج موسيقي كامل له مقوماته اللحنية والإيقاعية، وهي تقوم على نشيد واستهلال، وعمل، ومجرى، وموشحة، وزجل. ينظر، عبد العزيز عبد الجليل: **الموسيقا الأندلسية المغربية فنون الآداء**، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد 129، 1988م، ص 55.

(2)- التنسي محمد بن عبد الله بن عبد الجليل الحافظ: **نظم الدرر والعقيان في بيان شرف بني زيان**، تحقيق وتعليق: محمود بوعياد، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985م، ص 162. محمد الطمار: **تلمسان عبر العصور، دورها في سياسة وحضارة الجزائر**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007م، ص ص 156- 157.

(3)- ينظر، إميل بديع يعقوب: **المعجم المفصل في اللغويين العرب**، (د- ت)، دار الكتب العلمية، لبنان، ج2، ص 191.

والذي يثير الإعجاب والتقدير في هذه الدولة هو اشتراك الفقهاء والقضاة والعلماء ومنهم المتصوفة في قرض ونظم الشعر، فعرفت لهم إسهامات وأشعار نافسوا بها أصحابه في إلقائها في باحات قصور السلاطين ومجالسهم التي كانت تعج بالأدباء والشعراء.

وعلى ذكر الفقهاء والمتصوفة فإن هؤلاء العلماء والعباد كانت لهم مشاركة فعالة في إثراء وإغناء المشهد الديني واحتفالياته المرتبطة بالمناسبات المقدسة للمسلمين بأشعارهم وأورادهم وأذكار المريدين، فلقد كان لأبي مدين شعيب الاشبيلي[1]، ديوانا من الأشعار الروحية تغنى بها أهل تلمسان في سهراتهم وجلساتهم ولا تزال إلى يومنا هذا تصدح بها حناجر المولعين بهذا النوع من الطرب المأخوذة من قصائده الصوفية المعبرة عن تباريح الحب الإلهي من أحوال وأشواق وأذواق[2]. مثل قوله: "طابت أوقاتي بمحبوب لنا... حبه ذخري"، وغيرها من القصائد التي شكلت موروثا ثقافيا غنيا، تجسدت فيه روح الحضارة الأندلسية التي استقرت في المغرب الأوسط ووجدت في جنباته بيئتها المفقودة في العدوة مظهرة ما بلغته تلمسان وأهلها من ريادة ورقي في مجال الشعر المرتبط بالقيم الأخلاقية والمعاني السامية والطرب النظيف، وتعاقبت في هذه الدولة أسماء وأصوات صنعت لنفسها شهرة واسعة نذكر منها على سبيل الحصر "عفيف الدين التلمساني"[3]، و"ابن الحباك" الفلكي" و"سعيد المنداسي" وغيرهم الكثير.

---

(1)- ينظر، أبي عبد الله محمد بن عبد الكريم التميمي الفاسي (ت 603هـ أو 604هـ): **المستفاد في مناقب العباد بمدينة فاس وما يليها من البلاد**، تح: محمد الشريف، القسم الثاني، مطبعة طوب بريس تطوان، المملكة المغربية، ط1، 2002م، ص ص 41- 42.

(2)- رضوان حمد سعيد عجاج إيزوي: **تجليات الحب الإلهي وفلسفته في الشعر الصوفي**: "**أبو مدين التلمساني أنموذجا** ، دراسة تتناول العلاقة بين الحب الصوفي والحب العذري"، جامعة البلقاء التطبيقية، الأردن، العدد 55، 2013م، ص 244.

(3)- هو سليمان بن علي بن عبد الله بن علي الكومي التلمساني من قبيلة كومية، اشتهر بلقب عفيف الدين، كان من المتصوفة الشعراء المشهورين. ولد سنة (610هـ/690هـ) تنقل في بلاد الروم وسكن دمشق فباشر فيها بعض الأعمال. ينظر، محمد أحمد لوج: **تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي**، دار ابن القيم، دار غبن عفان، القاهرة، مصر، ط1، 1422هـ/ 2002م، ج1، ص 541.

ت- التاريخ.

ارتبط مفهوم التاريخ عند المسلمين بما ورد في القرآن الكريم من قصص وروايات لأحداث ومواضيع تاريخية صنعت حياة الأمم منذ بدء الخليقة إلى بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم فهو سجل مكتوب للماضي بتفاصيله، راصدا السلوك الإنساني بإيجابياته وسلبياته، فهو وكما يذكر ابن خلدون: "... فن يوقفنا على أحوال الماضين من الأمم في أخلاقهم والأنبياء في سيرهم والملوك في دولهم وسياساتهم حتى تتم فائدة الإقتداء في ذلك لمن يروقه في أحوال الدين والدنيا..."[1]. فتضافرت جهود الصحابة رضوان الله عليهم وأعلام الأمة من السلف من المفسرين والإخباريين على التوسع في معرفة مفهومه ومدلوله، لأنه كان السبيل الوحيد للربط بين أحداث الماضي من حياة الرسل والأنبياء عليهم السلام، مع الأمم السابقة، وفهم طبيعة الصراع بين الخير والشر، وما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، كخاتم ومتمم لرسالة للأنبياء والمرسلين، ومخبرا وشارحا لأحوال الماضين بفضل القرآن الكريم.

بعدها بدأت فترة التدوين والكتابة التي اتخذت منهجان، الأول عن طريق الحوليات بسرد للأحداث، والثاني تبنى طريقة التحليل والتدقيق والتحقيق[2]. وقد اشتهر من المؤرخين الأوائل ابن إسحاق (ت151هـ)، وابن هشام (ت213هـ) الذين تعرضوا لسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وبعض من أصحابه، ثم توالت الأسماء من بعدها، مثل كتاب "فتوح الشام" لمحمد بن عمر الواقدي، وكتاب ابن عبد الحكم (ت257هـ) "فتوح مصر والمغرب" ومحمد بن جرير الطبري (ت310هـ) "تاريخ الرسل والملوك" و"تاريخ اليعقوبي" لأبي العباس أحمد بن إسحاق اليعقوبي (ت256هـ) والقائمة تطول.

وعرف الغرب الإسلامي أيضا التدوين التاريخي بداية من النصف الثاني من القرن الثاني الهجري، لكن مصادره وأقلامه كانت مشرقية مثل كتاب فتوح مصر والمغرب لابن

---

(1)- ابن خلدون: **المقدمة**، المصدر السابق، ص 13.

(2)- أحمد شلبي: **موسوعة التاريخ الإسلامي**، ط3، مكتبة النهضة المصرية، مصر، ط3، 1988م، ج1، ص 21.

عبد الحكم[1]، وروايات الإخباريين في عصر الولاة مثل عبيد الله بن الحبحاب (116-123هـ) وعبد الرحمن بن زياد بن أنعم (ت161هـ)[2]، الذي شكلت بعض من رواياته مادة خصبة لابن عذارى المراكشي والبكري، اللذين أخذا عنه[3]. ثم تطورت الكتابات التاريخية في عصر الأغالبة فكان كتاب "فتوح إفريقية" لأبي المهاجر الأنصاري القيرواني الذي كان من شيوخ الإمام سحنون وأقتصر فيه على المغازي، والفقيه المالكي عبد الله بن أبي حسان اليحصبي (ت227هـ)، الذي كان له اهتماما بالتاريخ كراو وعنه أخذ أبي مهاجر[4] وعيسى بن سليمان بن أبي مهاجر صاحب كتاب "فتوح إفريقية"، ثم توالت بعد ذلك كتب التراجم والطبقات[5]، التي احتوت مضامينها بعض الإشارات التاريخية في ترجمتها لأعلام الرعيل الأول من العلماء والفقهاء في مذهب مالك، من خلال ذكر سيَرهم، وأحوالهم، والظروف التي عاشوا فيها، وعلاقاتهم مع الولاة والحكام والأمراء لكنها اعتبرت البدايات الأولى لنشأة للمدرسة التاريخية المغاربية التي ستعرف تطورا ونشاطا حثيثا في التأليف والتدوين بداية من ظهور الدويلات المستقلة، وسنستهلها بدولة الرستميين.

---

(1)- عبد القادر بوباية: **المؤنس في مصادر من تاريخ المغرب والأندلس**، دار كوكبة العلوم للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 1432هـ/2011م، ص 12.

(2)- حساين عبد الكريم: **حركة التأليف التاريخي بالمغرب الأوسط خلال العهد الزياني(633- 962 هـ /1235- 1554م)**، أطروحة دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الجيلالي ليابس، سيدي بلعباس، السنة الجامعية، 2017- 2018، ص 16.

(3)- يوسف حوالة: **الحياة العلمية**، ج1، المرجع السابق، ص 347.

(4)- أبو العرب محمد بن أحمد تميم: **طبقات علماء إفريقية وتونس**، تح:ع لي الشابي ونعيم حسن الباقي، الشركة التونسية للنشر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985م، ص ص 16- 17.

(5)- لمعرفة المزيد حول أهمية كتب التراجم في الكتابات التاريخية عند المسلمين، ينظر، فرانز روزنثال: **علم التاريخ عند المسلمين**، تر: صالح أحمد العلي، مؤسسة الرسالة، لبنان، ط2، 1403هـ /1983م، مؤسسة الرسالة، ص 141 وما يليها.

الدراسات التاريخية السائدة خلال هذه الفترة.

أولا- التدوين التاريخي عند الرستميين.

كانت الدولة الرستمية دولة العلم والمعرفة، تحب العلم وتجله، وتغرم به وتؤثره، وتفتح له المدارس، وتنشره في كل الطبقات بكل الوسائل والأسباب[1]، وقد اشتهرت العديد من المدن في الدولة الرستمية بوجود العديد من مشايخ للمذهب بين أحضانها يعلمون طلبة العلم كل فنون العلوم ومن بينها السيَر والمغازي، فكان منهم في إفريقية ابن الجمعي وهو من علماء المذهب الوافدين من المشرق الذين تخرج على أيديه العديد من الطلبة وأصبحوا من العلماء ومنهم أبو الربيع سليمان بن زرقون النفوسي الذي قال عنه الدرجيني: "كان طلبة أهل الدعوة يؤمونه من كلّ جهة، فيقرأ عليه كلّ طالب ما طلب وما شاء من أي الفنون. من علم القرآن، والحديث، والأصول والفقه، وعلم العربية، والسيرة، حتّى اشتهر ذكره وعلا أمره"[2].

غلب على الكتابات التاريخية عند الإباضية الطابع الإخباري، فجاءت عل صيغة تراجم لسيَّر الأئمة وأعلام المذهب سواء في البصرة أو جبل نفوسة أو في إفريقية كانت تلك هي السِّمة الغالبة عل مجمل مؤلفاتهم، واشتهر منها مثلا، طبقات المشايخ للدرجيني، وسيَّر الشماخي، وسيَّر الأئمة لأبي زكرياء، والأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية لسليمان باشا الباروني، وغيرها من الكتب المؤلفة في عمان والبصرة. كما ساهم الأدب والشعر أيضا في التأريخ للكثير من الأحداث والوقائع التي عاشها أصحاب الدعوة، فعبد الملك بن قطن المهري (ت253)، بالإضافة إلى اشتغاله بعوام اللغة والنحو، كان قد صنف كتابا في تاريخ المغازي "تفسير مغازي الواقدي"، شرح فيه الكلمات الغريبة وما أشكل فيه من أشعار واردة[3]، كما تضمن ديوان أبو سهل الفارسي، الفقيه والأديب الشاعر الكثير من التواريخ لأشهر أهل الدعوة الإباضية، وقد كتبه بالأمازيغية وجاء في اثنا عشر جزءا[4]، لأوضح مثالا على ذلك.

---

(1)- محمد علي دبوز: **تاريخ المغرب الكبير**، مؤسسة توالت الثقافية، الجزائر، 2010م، ص 333.

(2)- الدرجيني: **المصدر السابق**، ج1، ص 120.

(3)- ياقوت الحموي: **معجم الأدباء**، تح: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1993م، ج6، ص ص 28- 59.

(4)- الشماخي: **السيَر**، تح: أحمد بن سعود السيابي، وزارة التراث القومي، 1987م، سلطنة عمان ج1، ص 244.

لكن يبقى اسم المؤرخ ابن الصغير أحد معاصري أواخر أيام الدولة، بكتابه "أخبار الأئمة الرستميين" من بين أشهر الكتب التاريخية التي دونت لفترة هامة من تاريخها، إذ اعتبر من بين أهم المصادر التي يمكن الاعتماد عليه لاستقاء المعلومات الصحيحة والدقيقة عن أحوالها ابتداء من عهد أبي اليقظان بن أفلح وإلى غاية انتهاء ولاية أبي حاتم(294هـ). اعتمد فيه على الرواية الشفوية وما عايشه بنفسه من أحداث، ومن ذلك قوله: "أخبرني غير واحد من الإباضية عن من تقدم من آبائهم ..."[1].

كما أورد فيه الكثير من الأخبار عن الأحداث السياسية، وشهادات حية عن بعض أئمتها كذكر اهتمام الإمام أبي بكر بالتاريخ وحبه له فيقول: "كان يحب الآداب والأشعار وأخبار الماضين"[2]. وتكمن أهمية كتاب ابن صغير التزامه الأمانة والموضوعية والصدق في كتابه فيقول في معرض حديثه عن عبد الرحمن بن رستم: "كانت له قصص حكوها لا أحرفها عن معانيها، ولا أزيد فيها ولا أنقص منها..."[3].

وعرف من التدوينات التاريخية أيضا كتاب "شرائع الدين" للواب ابن سلام ابن عمرو التوزري (ت بعد273هـ) الذي وصف فيه الحياة السياسية التي عاشتها الدولة الإسلامية في بدايتها، ثم يعرج على أخبار الإباضيين من أئمة المذهب، وأئمة الدولة الرستمية[4] وكتاب "السيرة وأخبار الائمة" ليعقوب بن أبي يعقوب، الذي اهتم فيه بحصر التواجد الإباضي في طرابلس الغرب وجزيرة جربة بتونس، وغلب عليه الوصف الجغرافي مع تعرضه لبعض الأسماء من أعلامهم وسيرهم، كما ابن الصغير اسم سليمان مولى محمد بن عبد الله كأحد المصادر التي اعتمد عليها في كتابه[5].

وإجمالا يمكن القول بأن النهج التاريخ وكتابته كان من ركائز العلوم التي اعتنى بها الرستميون، وعملوا على تنشئة طلبة العلم بمختلف أعمارهم ومستوياتهم على التمتع بأخبار السلف وسيَرهم حتى يشبوا على طريقهم وينهجوا منهجهم، فهذه الدولة كانت دولة العلم

---

(1)- ابن الصغير: **أخبار الائمة الرستميين**، المصدر السابق، ص ص 24- 28.

(2)- ابن الصغير: **المصدر نفسه**، ص 31.

(3)- ابن الصغير: **نفسه**، ص 27.

(4)- حساين عبد الكريم: **حركة التأليف**، المرجع السابق، ص 19.

(5)- ابن الصغير: المصدر نفسه، ص ص 90- 91.

والمعرفة. يجب العلم رؤساؤها ورعيتها.وترى في العلم تاجها وروحها وسلطانها، وتراه شرطا أساسيا للإمامة ورئاسة الدولة، فلا تولي على نفسها إلا العلماء، ونختم بما ذكره الشماخي عن مدا تقديس العلم وأهله في هذه الدولة. قال الشماخي: روى أبو محمد عن أبي عمران موسى بن زكرياء احد العلماء السبعة الذين ألفوا ديوان الأشياخ قال: "إن تعلم حرف من العربية كتعلم ثمانين مسألة من الفروع، وتعلم مسألة من الفروع كعبادة ستين سنة، ومن حمل كتابا إلى بلد لم يكن فيه فكأنما تصدق بألف حمل دقيقا على أهل البلد"[1].

ثانيا- التدوين التاريخي عند الفاطميين.

من خلال تتبع بعض المصنفات التاريخية في العصر الفاطمي، بدا جليا أن الفاطميين سعوا قدر جهدهم لتوظيف التاريخ لصالح مشروعهم الدًعوي حتى أصبح له معالم مدرسة إسماعيلية متكاملة الأسس البنيان، حملوها معهم منذ بداية الترويج لأحقية أهل البيت في الخلافة، فساقوا في أدبياتهم ومروياتهم الكثير من الأخبار والأحاديث النبوية التي تثبت هذا الحق،وكان من جملة أدواتهم التاريخ بما يمثله من سلاح يشهرونه في وجه أعدائهم الناقمين عليهم والمشككين في أصولهم[2].

فمن غير الإسماعيلية كان من أعلام هذا الفن في العهد الفاطمي في بلاد المغرب أبو علي الحسن بن عبد الرحمن بن عبيد البصري، صاحب كتاب "الكتاب المعرب عن أخبار إفريقية والمغرب" وهو من المصادر الموثوقة التي نقل عنها الكثير من مؤرخي طبقات العلماء واللغويين والنحاة وأفادوا منه[3]. كما كان الطبيب أبو جعفر أحمد بن إبراهيم أبي خالد القيرواني المعروف بابن الجزار القيرواني (ت369هـ وقيل400هـ) إسهام في مجال التاريخ بكتابه "أخبار الدولة" وهو كتاب مفقود، وكتابه الثاني "التعريف بصحيح التاريخ"، أفرد فيه مفهومه لخاص للتاريخ وطرق كتابته، ويذكر فيه أيضا بعض ما جاء في أخبار المهدي

---

(1)- محمد علي دبوز: **تاريخ المغرب الكبير**، المرجع السابق، ص 354.

(2)- إسماعيل سامعي: **القاضي النعمان وجهوده في إرساء دعائم الخلافة الفاطمية**، المرجع السابق، ص 112.

(3)- يوسف حوالة: **المرجع السابق**، ص 353.

وظهوره بالمغرب[1]، وكتاب "كتاب المكلل في الأدب". وتجدر الإشارة إلى أن هذا العالم الموسوعي كانت له صداقة مع عم الخليفة المعز لدين الله الفاطمي، أبو طالب العبيدي ابن المهدي مؤسس الدولة، وساعدته هذه العلاقة على التعرف على قرب على خبايا الأمور وأحداث الدولة، لكنه بقي بعيدا عن رجال الدولة الفاطمية ولا يقبل عطاياهم ولا هداياهم[2]. وإن كانت أغلب كتبه مفقودة إلا أن العديد من المصادر نقلت عنه، مثل البكري في المغرب، والاستبصار لمجهول، القاضي عياض في طبقاته وغيرهم[3].

أما فيما يخص مدوني التاريخ الشيعة فقد برزت عدة أسماء، وكان على رأسهم القاضي النعمان الذي أغنى المكتبة الفاطمية بعديد المؤلفات التي تدور حول المعتقد الشيعي ومبادئ المذهب، وفقه العبادات، والحديث والتفسير وغيرها من العلوم والفنون التي نبغ فيها فكان من رؤساء العلم في الدولة بشهادة الكثيرين[4]. وفي مجال التاريخ قدم كتابه المعروف "افتتاح الدولة" الذي يعتبر سجل الدعوة الإسماعيلية منذ بداياتها الأولى وإلى غاية إقامة الدولة في بلاد المغرب. وهو يعد وثيقة تاريخية لا يستغنى عنها في تتبع مسار المذهب الإسماعيلي، ودور الدُعاة المحوري في خدمة المشروع الإسماعيلي في كافة أنحاء العالم الإسلامي، بدأه بالتأريخ لبداية الدولة ودور الدُعاة وخاصة رحلة أبو عبد الله الشيعي وكفاحه في بلاد المغرب، وإيضاح الدور الذي لعبته قبيلة كتامة في الدًعوة.

أما كتابه "المجالس والمسايرات" فكان كتابا منقبيا تتبع فيه خطوات المعز لدين الله في ممارسة شؤون الحكم كخليفة، ظهرت فيه الكثير من عبارات التقديس والتبجيل للأئمة كالعصمة والمهدوية، وبأنهم أصحاب الحق الإلهي، الحائزين على العلم اللًدُني وغيرها من

---

(1)- ينظر ترجمته، أبو بكر المالكي: **رياض النفوس في طبقات علماء إفريقيّة والقيروان**، المصدر السابق، ج 2، ص 431.

(2)- ابن جلجل: **طبقات الأطباء والحكماء**، تح: فؤاد سيد، مطبعة المعهد الفرنسي للآثار الشرقية القاهرة، 1955م، ص ص 89- 90. الصفدي: **الوافي بالوفيات**، المصدر السابق، ج 6، ص 132.

(3)- محمد شكيران: **نشأة التدوين التاريخي في المغرب الإسلامي**، **مجلة جامعة البعث**، العراق، المجلد 37، العدد 8، 2015م، ص 21.

(4)- حسن حسني عبد الوهاب: **ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية التونسية**، منشورات مكتبة المنار، تونس، 1972م ، ص 203.

الأوصاف[1]، ولم يخلو من معلومات تاريخية حول علاقات الدولة الخارجية وموقفها من قضايا الساعة التي كانت تعيشها. كما ظهرت مؤلفات السيَر، مثل كتاب "سيرة جوذر" أبو علي المنصور الجوذري العزيزي، الذي كان من كتاب ديوان الإنشاء، وشغل المناصب السامية في الدولة خاصة في عهد المنصور، وقد حمل كتابه الذي جاء على الشكل الوثائقي في طياته مجمل الأحداث في عهد الأئمة، وعلى عدد كبير من التوقيعات (السجلات)، فعد مصدرا تاريخيا هاما[2]. وكتاب إبراهيم النيسابوري "استتار الإمام" وهو من المؤرخين الذين وفدوا إلى بلاد المغرب، وقدمه كهدية للإمام المهدي متحدثا فيه عن الدعوة الإسماعيلية في بلاد المغرب[3].

واشتهر من مؤرخي العصر، أبو عبد الله الحسين بن سعيد الخراط (كان حيا بعد 350هـ) وأبو عبد الله محمد بن يوسف الوراق القروي المعروف بالتاريخي (ت363هـ) صاحب مصنف "المسالك والممالك" وكتب عن مدن مغاربية وأخبارها مثل تيهرت وتنس وسلجماسة وغيرها[4].

وهكذا نجد أن الكتابات التاريخية عرفت أزهى مراحلها في عهد الخلافة الفاطمية بما قدمه مؤرخوها من تواليف قيمة ومتعددة المواضيع، عالجوا فيها تاريخ الخلفاء، وأسهموا في كتابة تاريخ بلاد المغرب من زاوية النظرة الإسماعيلية، وهو من الأمور التي تحسب لهم بغض النظر عن عقيدتهم الفاسدة.

ثالثا- التدوين التاريخي عند الحماديين.

لم يتغير المشهد العلمي عند الحماديين في بداية دولتهم، فظل متلازما مع أبناء عمومتهم الزيريين، فالتبعية ظلت قائمة، وما كان من إنتاج علمي بقي ينسب إلى بلاط الزيريين، الذين استفادوا كثيرا من النهضة الأدبية في عهد الفاطميين، فلم يغادر العلماء

---

(1)-Habib FEKI. **Les religieuses et philosophiques de L'islamisme, Fatimide organisation et doctrine le tawil**; chap: 2, 1978. P 267.

(2)- سعد زغلول عبد الحميد **تاريخ المغرب العربي**، منشاة المعارف، 1979م، مصر، ج3، ص25.

(3)- إحسان إلهي ظهير: **الإسماعيلية تاريخ وعقائد**، إدارة ترجمان السنة، 1985م، لاهور، باكستان، هامش 69، ص 220.

(4)- يوسف حوالة: **المرجع السابق**، ص ص 356- 357.

والفقهاء والأدباء أرض المغرب مع رحيل الفاطميين، بل استمروا في عطائهم الفكري تحت سلطة الصنهاجيين الذين حافظوا على تقاليد احترام العلماء ومجالستهم وتكريمهم بالهدايا والعطايا[1]. وقد برز في ميدان التأليف التاريخي العديد من الأعلام إذ بلغ عددهم اثنان وعشرون مؤرخا، ناهيك عن الفقهاء والأدباء والرواة والشعراء الذين كانوا بصيرين بالكثير من العلوم ومن بينها التاريخ. فخاضوا التجربة بمؤلفات وكتب، فسبقهم في ذلك ابن هانئ الأندلسي الشاعر الذي يقال أنه ألف كتابا في التاريخ لا يزال محفوظا في فاس[2]، وعبد الكريم بن إبراهيم النهشلي (ت405هـ) الأديب واللغوي والشاعر، كان خبيرا بأيام العرب، وابن أبي سهل الخشني (ت406هـ) المشهور باللغة والنحو ومشاركا في غيرهما من العلوم، وأبي محمد القلعي، ومحمد بن ميمون، ويوسف الورجلاني صاحب كتاب "فتوح المغرب"، إضافة إلى قصيدة عنوانها "القصيدة الحجازية" قص فيها رحلته إلى أدغال إفريقيا وجاءت في 350 بيتا[3]، وغيرهم من الأسماء.

وما أن شدً الحماديون أمتعتهم إلى عاصمتهم الجديدة بجاية، حتى نفقت العلوم وازدهرت الحضارة، وبرزت شخصية الدولة الجديدة موَشحة بجواهر المؤلفات وأعداد العلماء، ففي التاريخ برز اسم أبو عبد الله ابن حماد الصنهاجي (ت628هـ) الذي عاش بعيد سقوط الدولة وكان يعد من أئمة العلم في ذلك العصر، جمع ما بين والفقه علوم الحديث، والأدب والتاريخ والشعر، واشتغل بالتدريس في القلعة، ومن أهم مؤلفاته " أخبار الملوك ببني عبيد وسيرتهم[4]، كذلك أبو عبد الله أبي بكر القضاعي الشهير بابن الأبار وصفه الغبريني بالقول: "الشيخ الفقيه المحدث المقرئ، النحوي الأديب المجيد، اللغوي الكاتب البارع التاريخي"[5]، خلف العديد من المؤلفات في أصناف العلوم منها "الحلة السيراء" و"التكملة لكتاب الصلة"، ومن بين ما ذكر فيه اسم أحد المؤرخين وهو حماد بن إبراهيم ابن أبي يوسف المخزومي

---

(1)– لطيفة بنت محمد البسام: **الحياة العلمية**، المرجع السابق، ص 196.

(2)– كارل بروكلمان: **تاريخ الأدب العربي**، نقله إلى العربية، عبد الحميد النجار، دائرة المعارف، ط4، (د– ت)، ج 2 ، ص 102.

(3)– عبد الحليم عويس: **دولة بني حماد**، ص 269. روجي إدريس، **المرجع السابق**، ص 394.

(3)– ينظر ترجمته: الغبريني، **عنوان الدراية**، المصدر السابق، ص 217.

(5)– الغبريني: **نفسه**، ص 309.

الذي ألف كتابا في التاريخ للأمير العزيز بالله المنصور ثامن أمراء الحماديين[1]. أما في التأليف المنقبي فكان منهم أبو عبد الله محمد بن عبد الله المالكي (ت 444هـ) والد صاحب كتاب "رياض النفوس" الذي وضع كتابا في مناقب الشيخ محرز بن خلف، وأبو القاسم عبد الرحمن بن محمد اللبيدي (ت440هـ) الذي ألف هو أيضا كتابا في مناقب شيخه أبي إسحاق الجبنياني.

وقد اقتصرنا على ذكر هاته الأسماء لوجود تقاطع بين المؤرخين الذين تولوا الكتابة للدولة الزيرية، وضرتها الحمادية. فلم تكن هنالك حدودا تحد من تنقل العلماء بين عاصمتي الدولتين كما أن الانتماء العرقي، والتواصل الحضاري بين الدولتين كان يكمل بعضه البعض، فنرى مثلا أن كتاب أبي إسحاق إبراهيم بن القاسم المعروف بالرقيق القيرواني (ت325هـ) "تاريخ إفريقية والمغرب" بات المرجع الأول للكتابات التاريخية اللاحقة في كلتا الدولتين[2]، فكتابه هذا نال شهرة كبيرة لحد قول ابن خلدون: "ابن الرقيق مؤرخ إفريقية والدول التي كانت بالقيروان ولم يأتي بعده إلا مقلد"[3]، فذيل عليه العديد ممن جاءوا لاحقا كابن شرف محمد بن أبي سعيد أبو عبد الله الجذامي (ت460هـ) الذي وضع كتابا في أخبار بلاد المغرب، وأمية عبد العزيز بن أبي الصلت (ت520هـ) بكتابه "الديباجة في أخبار صنهاجة" وغيرهم.

رابعا- التدوين التاريخي عند المرابطين والموحدين.

عندما نتطرق إلى الجوانب العلمية والثقافية لدولتي المرابطين والموحدين، فإننا حتما سنتعرض للأندلس بزخمها الثقافي، فهي خضعت لحكم الدولتين، فأصبح الحديث عن تلك الفترة في لمجال العلمي يدخل ضمن الإنتاج الثقافي للدولتين، زيادة على قرب العدوتين جغرافيا، والتبادل العلمي الذي كان قائما منذ العهود الأولى لفتحها. وليس غرضنا هنا استعراض البدايات الأولى للتدوين التاريخي في الدولتين، أو الترجمة والتعريف بطبقات

(1)- عبد الحليم عويس: **المرجع السابق**، ص 269.

(2)- علاوة عمارة: **الرقيق القيرواني وبلورة الفكر التاريخي ببلاد المغرب**، مجلة التاريخ العربي العدد 25، 2003م، ص 111.

(3)- يوسف حوالة: **نقلا عن ابن خلدون**، المرجع السابق، ص 364.

العلماء والفقهاء والأدباء وغيرهم ممن صنعوا مجد الحضارة الأندلسية والمغاربية، فهم من الكثرة تجعل الأمر في غاية الصعوبة إن لم نقل من المستحيلات لذلك سنمر في عجالة على المشهور منها من الأسماء والمؤلفات لكلتا الدولتين.

عرفت الأندلس سبقا وتقدما في الكتابة التاريخية والأخبار على بلاد المغرب، فاشتهر منهم أسماء لامعة، ألفت في كل مجالات التاريخ، من التأريخ، والإخبار، والمناقب والتراجم وكتب الأنساب والمرويات. فألف محمد بن سعيد الصدفي (ت350هـ) كتابا كبيرا جمع فيه جميع ما أمكنه من أقوال الناس في العدالة والتجريح[1]. كما صنف أحمد بن محمد بن موسى الرازي كتابا في أخبار ملوك الأندلس وخدمتهم وغزواتهم ونكباتهم، وكتاب آخر في صفة قرطبة[2]، كما وضع أحمد بن محمد بن موسى كتابا في أنساب مشاهير الأندلس في خمسة أسفار، ومحمد بن الحارث الخشني ألف كتابا في أخبار القضاة بقرطبة وسائر بلاد الأندلس، وكتابا آخر في أخبار الفقهاء[3]، وكان قاسم بن أصبغ قد وضع كتابا هو أيضا في علم الأنساب في غاية الحسن والإيعاب والإيجاز، و"التاريخ الكبير في أخبار أهل الأندلس" لأبي مروان ابن حيان القرطبي، و"طبقات الأطباء" لسليمان بن جلجل[4].

واشتهر أيضا أبي نصر الفتح بن خاقان (ت529هـ) كان مؤرخا معروفا وناقلا ثقة للأخبار، له كتاب "قلائد العقيان ومحاسن الأعيان" ترجم فيه لجملة من الرؤساء والوزراء والأعيان من القضاة والعلماء والشعراء والأدباء على المقام والكمال[5]. ومنهم أيضا أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني (ت503هـ) وكتابه "الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة". وأبو عبد الله محمد بن خلف بن إسماعيل الصدفي (ت509هـ) المعروف بابن علقمة البلنسي. كان شاعرا وناثرا، دون كتابه المعروف "البيان الواضح في الملم الفادح" سجل فيه ما وقع لبلدته عندما داهمها الروم وما لاقاه أهلها من أهوال ومآسي. ومن كتب الفقه التاريخية كان

---

(1)- إحسان عباس: **تاريخ الأدب في الأندلس عصر الطوائف والمرابطين**، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، ط2، 1997م، هامش 2، ص 325.

(2)-إحسان عباس: **تاريخ الأدب في الأندلس**، المرجع نفسه، ص 327.

(3)- ينظر ترجمته: الذهبي، **السِّير**، ج16، المصدر السابق، ص 166.

(4)- إحسان عباس: **المرجع السابق**، ص 328

(5)- ينظر الكتاب.

كتاب القاضي عياض "ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعيان مذهب مالك"[1]. ترجم فيه لسيَر أعيان المذهب وأحوالهم. ونختم عصر المرابطين بأحد أعلام هذا العصر وهو أبو القاسم خلف بن عبد الملك الأنصاري الخزرجي الأندلسي ابن بشكوال (494–578هـ) وصف بالكثير من الألقاب منها، الإمام، الحجة المؤرخ الحافظ الكبير، الفقيه المتقن، المؤرخ ومحدِّث الأندلس وراويتها وغيرها من الأوصاف بلغ عدد مؤلفاته خمسين مؤلفا تتوعت بمضامينها، أما أشهر كتبه فهو "كتاب الصلة" الذي رتب فيه الأسماء في الأبواب، مقدما الأسبق على الأسبق، والأشهر على المشهور، ثم ألحقه بأسماء من دخل الأندلس من الغرباء. وقد ذيل عليه الكثيرون منهم ابن الأبار.

وعرف عصر الموحدين نهضة أدبية فاقت عهد المرابطين، فقد استفادوا هم أيضا من مخلفات هذه الدولة في الجانب الحضاري بما يناسب عقيدتهم.ففي المجال التاريخي برز أبو مروان حيان بن يخلف بن حسين بن حيان (ت479هـ) الذي اشتهر بكتابه "المقتبس في تاريخ الأندلس"، ويذكر يوسف أشباخ أنه وضع كتابا كبيرا أيضا في تاريخ الأندلس من ستين جزءا وهو مفقود[2]. و"جذوة المقتبس في تاريخ ولاة الأندلس" للحميدي أبو عبد الله بن أبي نصر (ت493هـ) الذي ترجم فيه لمشاهير رجال الأندلس وخاصة العلماء منهم، وعرف أيضا أحمد بن يحي بن أحمد بن عميرة المكنى بالضبي (ت599هـ) ترجم له ابن الأبار في "التكملة"، صاحب كتاب "بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس" ترجم فيه لأهل الفقه والأدب وذوي النباهة والشعر في الأندلس ولكل من دخلها من العلماء أو خرج منها[3]، وابن الأبار القضاعي صاحب كتاب" التكملة لكتاب الصلة" وقد سبق ترجمته.

وتواصلت الكتابات بوتيرة متسارعة، في تنافس محموم بين العدوتين، فألف ابن حماد البرنسي السبتي "المقتبس في أخبار المغرب"، وألف عبد الملك بن الكردبوسي التوزري "الاكتفاء بأخبار الخلفاء"، ووضع محي الدين بن علي التميمي المراكشي (ت625هـ) كتابه

---

(1)– عبد الله كنون: **النبوغ**، المرجع السابق، ص 95.

(2)– يوسف أشباخ: **تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين**، تر: محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط2، 1417هـ/1996م، ج1، ص261.

(3)– الضبي: **بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس**، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1، 1410هـ/1989م، ج1، ص 19.

الغني عن التعريف "المعجب في تلخيص أخبار المغرب"، كما ألف محمد بن عبد الرحمن التجيبي (ت610ه) كتابا في المناقب سماه "مناقب السبطين الحسن والحسين" وألف أبو بكر بن علي الصنهاجي الملقب بالبيدق (ت550ه) كتاب "أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين"، تتبع فيه سيرة المهدي بن تومرت أثناء عودته من المشرق، كما عرف من مؤرخي الدولة ابن صاحب الصلاة (ت549ه) وألف كتابه "المن بالإمامة"، وهكذا تدفق سيل المؤلفات التاريخية التي اقتصرنا على ذكر بعضها لكثرتها وتنوعها.

ولم يتوقف الأمر عند هذه المؤلفات القيِّمة التي زخرت بها خزائن الدولتين، بل كانت هنالك مؤلفات تاريخية أخذ فيها الجانب السياسي حيزا من متنها، ككتاب علي بن الرشيد وكتاب آخر لابن ختم، تحاملا فيه على مؤسس الدولة الموحدية المهدي بن تومرت منتقدين ما جاء به من أفكار وعقائد[1].

بات من الواضح أن عهد هاتين الدولتين، والذي ساهم فيه الأندلسيون والمغاربة، كان من أزهى العصور في التدوين الأدبي التي تجسدت صوره في ذلك الكم الهائل من الكتب والمؤلفات التي تناولت مختلف العلوم والمعارف، وصنعت العصر الذهبي للغرب الإسلامي مظهرة تفوقه الحضاري.

خامسا- التدوين التاريخي عند الزيانيين.

عمل سلاطين الزيانيين على تشجيع العلوم النقلية والعقلية، وجعلوا من عاصمتهم قبلة ومحًجا للعلماء والفقهاء والأدباء، وظهرت فيها الكثير من البيوتات العلمية التي اشتهر أفرادها بخدمة العلم والتبحر في جنباته، فازدهرت تلمسان، ونشطت فيها الرحلات العلمية[2] فعمت الفوائد، واكتملت العلوم في عهدهم، وعمرت خزائن الكتب بالمؤلفات، وتدفقت عليها موجات العلماء وأصحاب الصنائع في العلوم والمعارف، للتدريس في معاهدها، وإلقاء الدروس في مساجدها، وتنشيط حلقات العلم في مجالسها، فاعترف لها بالريادة، وعلى العلوم بالسيادة، ومستودع العلوم وخزانها في بلاد المغرب الذي لا ينضب.

---

(1)- يوسف أشباخ: **تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين**، المرجع السابق، ص 262.

(2)- بوقرط الطيب: **أدب الرحلة بين محوري التموقع والتوقع من منظور النقد الأدبي**، **قراءة في الإشكالات والآفاق**، مجلة تاريخ العلوم، العدد 3، جامعة زيان عاشور، الجلفة، 2017م ، ص 172.

ومن بين العلوم المرجوة، كان فن التاريخ من العلوم المرغوبة ومحط اهتمام كل شرائح المجتمع وطبقاته، فتصدى له أصحاب الشأن من أعلامها على خط العديد من المؤلفات تناولت هي أيضا فروعه من تراجم وطبقات وأخبار وكتب سيَر ومناقب، كما لعب السلاطين دورا لا يستهان به في تشجيع حركة التدوين والتأليف، فهم أنفسهم كانوا من المهتمين بالعلم، والمشتغلين به، ونافسوا جيرانهم في هذا المجال واستخدموا ورقة العلم والعلماء كأداة لإظهار تفوقهم وزعامتهم. وسنحاول أيضا الاختصار قدر الإمكان في هذا الباب نظرا لكثرة رواده، وتعدد مصنفاته.

وعلى ذكر المقولة الشهيرة "الناس على دين ملوكها" فقد اشتهر من المؤلفين السلطان أبو حمو موسى الزياني وكتابه الشهير "واسطة السلوك في سياسة الملوك" الذي ضمنه العديد من الوصايا لولي عهده، ويحثه فيه على إكرام العلماء واحترامهم وحتى وإن جاء هذا الكتاب بصبغة أدبية واضحة، وتفكير فلسفي متقدم، إلا أنه بدا من الواضح أن صاحبه كان على دراية كبيرة بتاريخ الملوك والأمم، ونظم الحكم، ونوعية الرجال، ولم يتأتى له ذلك إلا بالمطالعة والقراءة ونبوغه اللغوي الذي ظهر من خلال أسلوب الكتابة، وما تضمنه من بلاغة وبيان، وليس ذلك متاحا إلا لمن كان له حظ وافر في اللغة والأدب[1].

ومن أشهر المؤرخين شمس الدين بن مرزوق الخطيب (ت781هـ)، نشأ بتلمسان وأخذ على جلة من العلماء كالآبلي، وأبي محمد المجاصي صاحب كتاب "المسند الصحيح الحسن في ذكر وأثر ومحاسن مولانا أبي الحسن المريني"[2]، وأبي زكرياء يحي بن خلدون (ت780هـ) الذي ألف للسلطان أبو حمو الثاني كتابه المعروف "بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد" أرخ فيه لسلاطين الدولة منذ نشأتها إلى عصره، وقام بتقسيمه إلى ثلاثة أقسام واشتمل كل قسم على ثلاثة أبواب، وكتابه هذا ألفه عندما تقلد منصب الكتابة في

(1)– ينظر كتاب، موسى بن يوسف أبو حمو بن زيان العبد الوادي: **واسطة السلوك في سياسة الملوك**، مطبعة الدولة التونسية، تونس، (1279هـ).

(2)– ابن مرزوق التلمساني: **المسند الصحيح الحسن في مآثر مولانا أبي الحسن**، تح: ماريا خيسوس بيغيرا، تقديم محمود بوعياد، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1981م، ص 143.

ديوانه، فكان مطلعا على الوثائق وقريبا من الأحداث، فعد كتابه من المصادر الهامة التي أرخت لتاريخ الزيانيين[1].

كما عرف منهم محمد بن عبد الله التنسي (ت889هـ) له "نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان" وقد ألفه للسلطان الزياني المتوكل (866- 873هـ) ومن خلال عنوانه فإنه ضمنه أنساب شرف الانتماء إلى العثرة النبوية الشريفة[2]، وأبو عبد الله محمد بن عمر بن خميس (ت708هـ)[3] ، خدم بديوان الإنشاء أيام السلطان أبو سعيد عثمان الزياني جمع شعره القاضي أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الحضرمي في كتاب سماه "الدر النفيس في شعر ابن خميس" و"زهرة البستان في دولة بني زيان" لمجهول عاصر السلطان أبو حمو موسى، وسبق يحي بن خلدون في ديوان الإنشاء على عهد السلطان أبو حمو، ولأبي عبد الله محمد بن مرزوق كتاب "المسند الصّحيح في مآثر مولانا أبي الحسن"[4]. جعله للسيرة الذاتية للسّلطان أبي الحسن المريني وتخلّلته بعض الأحداث التّاريخية العامّة لبني زيان وبني مرين. وكتاب "النجم الثاقب فيما لأولياء الله من المناقب" لأبي عبد الله بن صعد التلمساني (ت901هـ)[5]، كما عرف لأبي عبد الله محمد بن منصور بن هدية القرشي التلمساني قاضي الجماعة كتاب "تاريخ تلمسان" إلا أنه مفقود[6].

فهذا غيض من فيض لما كانت عليه دولة الزيانيين، في أحد فنون العلم، ولا يسعنا إلا التنويه والإشادة بهذه الدولة العظيمة التي رفعت رسم المغرب الأوسط عاليا في مجال

---

(1)- عبد الحميد حاجيات: **الحياة الفكرية بتلمسان في عهد بني زيان**، مجلة الأصالة، عدد 26، ص ص 151- 152.

(2)- ينظر ترجمته: **تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، من نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان**، تح: محمود آغا بوعياد، موفم للنشر، الجزائر، 2011 م، ص.

(3)- ينظر ترجمته، ابن الخطيب: **الإحاطة في أخبار غرناطة**، ج2، ص ص 528- 529. يحي ابن خلدون، بغية الرواد،ج1، ص 109.

(4)- إبراهيم حركات: **المغرب عبر التّاريخ**، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، المملكة المغربية، ط2، 1984م، ج2، ص225.

(5)- ينظر، محمد بن عبد الله التنسي: **المرجع السابق**، ص 107.

(6)- ينظر، المقري: **نفح الطيب**، ج5، المصدر السابق، ص ص 234- 235.

العلم والحضارة، وحافظت بنخبتها العلمية على الموروث الثقافي الإسلامي للشرق والغرب ولا يزال اسم تلمسان يملأ الآفاق، مرتبطا بأحد أزهى عصور الحضارة الإسلامية.

الفصل الرابع
نماذج من مشاهير علماء المغرب الأوسط خلال هذه الفترة

أولاً: نماذج لبعض علماء العهد الرستمي.

ثانياً: نماذج لبعض علماء العصر الفاطمي.

ثالثاً: نماذج لبعض علماء العهد الحمادي.

رابعاً: نماذج لبعض علماء العهد المرابطي.

خامساً: نماذج لبعض علماء العهد الموحدي.

سادساً: نماذج لبعض علماء العهد الزياني.

مدخل

يبقى تعريف الحضارة هو مدى ما توصلت إليه الأمم في نواحي نشاطها الفكري والعقلي من عمران وعلوم، ومعارف وفنون[1]. فهي نظام اجتماعي يعين الإنسان على الزيادة من إنتاجه الثقافي بالعناصر الأربعة المشكلة من الموارد الاقتصادية، والنظم السياسية والتقاليد الخلقية، ومتابعة العلوم والفنون[2]. والمغرب الأوسط كان له حظ وافر في هذا المعطى حين استكمل هذه الشروط في رحابه بداية من القرن الثاني الهجري حين شهد حركة علمية نشطة شملت مختلف العلوم والمعارف، ودفعت به لتصدر المشهد الثقافي المغاربي في مملكة الإسلام الممتدة من أقصى شرق الأرض، أرض الهند وبحر فارس إلى السوس الأقصى في المغرب[3] وكانت حواضره ومدنه مع الموعد الذي ضربه أهلها لما انخرطوا في هذا المشروع المعرفي الحضاري الإسلامي بعدما انتهت فترة الاضطراب والقلق التي رافقت مرحلة الفتح لبلاد الغرب الإسلامي. وكما يقول ديورانت: "إذا ما أمن الإنسان من الخوف تحررت في نفسه دوافع التطلع، وعوامل الإيداع والإنشاء، وحينئذ لا تنفك الحوافز الطبيعية تستنهضه للمضي في طريقه إلى فهم الحياة وزدهارها "[4].

لقد استطاع الإسلام في فترة وجيزة من أن يغير الكثير من المفاهيم في هذه الناحية من العالم الإسلامي، ويعطي انطلاقة جديدة في بناء حياة دينية وعلمية في بلاد المغرب لتصبح بعدها صرحا علميا ومنبرا ثقافيا يشع بنوره على العديد من الأقطار بفضل كوكبة من العلماء والفقهاء والقراء والمحدثين والأدباء والشعراء الذين كتبوا أسمائهم بأحرف من ذهب في سجل تاريخ العلوم والمعارف والفنون. ولقد شكل الانصهار العرقي والثقافي السريع بين العنصر العربي والبربري[5]، وما تولد عنه من نتائج طيبة، كتعريب المنطقة وسيادة اللسان

---

(1)- أبو زيد شلبي: **تاريخ الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامي**، المرجع السابق، ص 7.

(2)- ول وايريل ديورانت: **قصة الحضارة (نشأة الحضارة)**، ج1، م1، المرجع السابق، ص3.

(3)- شمس الدين أبي عبد الله محمد المقدسي: **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، ط2، طبعة ليدن، مطبعة بريل، 1902م، ص 62 وما بعدها.

(4)- ول ديورانت: **المرجع نفسه**، نفس الصفحة.

(5)- عبد الكريم غلاب: **قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2005م، ج3، ص 235.

العربي وطغيانه على غيره من اللغات واللهجات السائدة، نقطة تعجب ومحل استفهام العديد من المؤرخين والدارسين لتاريخ المنطقة ولم يستطيعوا فهم سر هذا التوافق العجيب بين المركبين نظرا لما عرف عن البربر من نفور وتشكيك لكل قادم غريب، ووقوفهم بالمرصاد للكثير من القوى التي حلت بالمنطقة بالتصدي والثورات[1].

لكن الإجابة نجدها في روح الإسلام السمحة وتعاليمه الربانية التي اهتمت بالفرد كعنصر فعال مشارك في تحديد مسار حياته ليكون ذو تأثير إيجابي في بيئته ومحيطه والعالم الذي يعيش فيه بالإسهام الإيجابي عن طريق العلم. وهي الفكرة التي حملها معهم الفاتحون الذين كانوا جنودا وعلماء في نفس الوقت، فلم ينظروا بنظرة عرقية للعلم، ولم يستأثروا به لأنفسهم وراموا في سبيل تحصيله كل السبل والطرق، وطلبوه حيث وجدوه كما أنهم كانوا سمحاء في عطائهم فلم يحتكروه ولم يحجبوه عن غيرهم،وحتى مواليهم الذين توسموا فيهم الذكاء والفطنة ومحبة العلم كان لهم نصيبا منه، فأنفقوا عليهم من أموالهم الخاصة وأكرموهم بالعطايا الجوائز حتى أصبحوا من أشهر علماء المسلمين[2].

أوجد المغرب الأوسط لنفسه مكانة عالية في وسط هذا الزخم المعرفي بأبنائه الذين عملوا بحزم وجد على خدمة العلم وتحصيله كشفا وتجميعا وتوصيلا ونشرا[3]، لعلمهم وإدراكهم لشرف العلم وفضيلة الانتساب إليه، وأنه أفضل نعمة قد يمن بها الله سبحانه وتعالى على عبده ليرتقي بها إلى مصف ورثة الأنبياء. لذلك فإنهم لم يتأخروا للحظة في إبراز قدراتهم في كل مجالات ومصاريف العلوم بتفريعاتها وتخصصاتها، وظهرت إلى الوجود أسماء عدة لعلماء متقدمين بداية من ظهور الرستميين وآخرون متأخرين إلى عهد الزيانيين، وسنحاول بحول الله التعرض لتراجم بعض من هؤلاء الأعلام خلال هذه الفترة الزمنية الممتدة لعدة قرون.

---

(1)- محمد على دبوز: **تاريخ المغرب الكبير**، (د.ط)، (د.ت)، ج1، ص 120.

(2)- عبد الله كنون: **ذكريات مشاهير رجال المغرب في العلم والأدب والسياسة، في العلم**، تقديم واعتناء وترتيب تراجمه إلى طبقات: محمد بن عزوز، مركز التراث الثقافي المغرب، دار ابن حزم، المملكة المغربية، 2010م، ج1، ص أ.

(3)- قاسم بشرى حميدان: **دور العلم والمعرفة في بناء الحضارة**، مجلة جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، العدد التاسع (عدد خاص)، 1425هـ/ 2004م، ص 223.

أولاً: نماذج لبعض علماء العهد الرستمي:

عندما نتحدث عن الدولة الرستمية فإننا سنرصد ظاهرة تاريخية انفرد بها المغرب الأوسط عن غيره من الديار الإسلامية وهي استيعابه لمجمل التيارات المذهبية والحركات السياسية التي ظهرت في المشرق الإسلامي بما تحمله معها من توجهات وأفكار، فكان من نتيجة ذلك قيام دويلات تحتكم إلى مذاهب مختلفة، وقناعات دينية متباينة، فكفل ذلك للمغرب أن يكون مركز النشاط الإسلامي الواسع الذي عرفته الدولة الإسلامية على شتى معالمه السياسية والاجتماعية والاقتصادية وأن يحمل لواء الوحدة والتآلف بين مكونات الأمة الإسلامية على اختلاف توجهاتها[1]، فكانت النتيجة تراثا زاخرا من المصنفات والمؤلفات الدينية والفقهية والدواوين والأشعار وغيرها، ويمكن اعتبار قيام الدولة الرستمية من النماذج الحية لطبيعة التعايش السلمي الذي يمكن أن يجمع بين المسلمين باختلاف توجهاتهم المذهبية والفكرية. فقد اعتبرت هذه الدولة بمثابة أنموذجا حيا لما يمكن أن يكون عليه النظام السياسي المبني على أسس وقواعد دينية وعلمية جسدها الأئمة الرستميون وعلماء المذهب الإباضي الذين خلفوا من ورائهم إنتاجا ضخما من الكتب تخص أصول المذهب كما تفوقوا في غيره من العلوم ونسجوا علاقات ثقافية متميزة مع الدول المجاورة في المغرب والأندلس والمشرق الإسلامي وسنخص بالذكر في هذا المقام على أشهرهم وإن كانوا بالكثرة بحيث يصعب ذكرهم وعدهم[2] وسنستهل بأحد أول الشعراء المتفوقين في الشعر والأدب بالمغرب الأوسط وكان خير سفير في العالم الإسلامي لنبوغه المبكر واتصاله بالخلفاء والأمراء في المشرق ومصاحبته لفطاحل رجال الأدب والشعر في العالم الإسلامي وهو أبو عبد الرحمن بكر بن حماد التاهرتي.

1- بكر بن حماد (200هـ/816م- 296هـ/909م): هو أبو عبد الرحمن بكر بن حماد بن سهل بن أبي إسماعيل التاهرتي الزناتي، المولود بعاصمة الرستميين تيهرت وبها نشأ. أخذ العلم والأدب على جلة من مشاهير علمائها ومحدثيها وفقهائها المتواجدين في حاضرة الدولة وعاصمتها، وعند بلغ من العمر السبعة عشر سنة شد الرحيل إلى منارة العلم

---

(1)- محمد عيسى الحريري: **الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي**، المرجع السابق، ص 6.

(2)- عبد الرحمن الجيلالي: **تاريخ الجزائر**، ج1، المرجع السابق، ص174

والمعارف مدينة القيروان، جالس علمائها الكبار وعلى رأسهم صاحب المدونة سحنون بن سعد، وسمع من الشيخ عون بن يوسف الخزاعي أحدة أعمدة المذهب المالكي في بلاد المغرب الإسلامي، وتتلمذ على يدي علماء المدينة الذين أخذوا العلم عن عبد الله بن وهب الذي سمي "بديوان العلم"[1]، وحضر حلقاتهم واستفاد من علومهم، بعدها حذته الرغبة في الارتحال والسفر فكانت وجهته عاصمة الخلافة بغداد لطلب المزيد وأخذ العلوم من ينابيعها الأصلية ومقابلة علمائها، فدخلها سنة (217هـ/832 م) مع حداثة سنه بالنسبة لوافد من بلاد المغرب البعيدة. وفيها تلقى مختلف أصناف العلوم وفروعها على يدي كبار العلماء والفقهاء الكوفيين والبصريين من علوم اللغة والتفسير والحديث والقراءات والفقه والنحو والأدب وغيرها، كمحمد بن زياد ابن الأعرابي الكوفي أحد تلامذة الأصمعي، وأبي الحسن البصري، وتقارب مع جمع كبير من أدباء وأعلام الشعراء لتلك الفترة من أمثال أبي تمام صاحب ديوان الحماسة، كما ربطته علاقة وطيدة بالشاعر دعبل الخزاعي (ت220هـ) ولازمه، ثم جرت بينهم ضغينة وجفاء.

ودعبل هو صاحب القصيدة المشهورة التي مدح فيها الرسول صلى الله عليه وسلم وآل بيته الأطهار ذاكرا فضائلهم ومطلعها:

مَدَارِسُ آياتِ خَلَتْ مِنْ تِلَاوَةِ *** وَمنْزِلُ وَحْيِ مُقْفَرَ الْعُرْصَاتِ
لآلِ رَسُولِ الله بالْخَيْفِ مِنْ مُنَى *** وَبِالْبَيْتِ وَالْتَعْرِيفِ وَالْجَمْرَاتِ
دِيَارْ لِعَبْدِ الله بِالْخَيْفِ مِنْ مِنَى *** وَللسَّيِدِ الْدَاعِيُ إِلىَ الْصَلَوَاتِ[2]

---

(1)- ينظر، أبي بكر محمد المالكي: **رياض النفوس**،ج1، المرجع السابق، ص 385. الذهبي: **السيَر**، ج9، المصدر السابق، ص 224. المقدسي: **أحسن التقاسيم**، المصدر السابق، ص 237.

(2)- هو دعبل بن علي بن رزين بن عثمان بن عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي الشاعر كنيته أبو جعفر، ودعبل: لقبٌ لُقب به ومعناه "الناقة الشديدة". وقبيلته من القبائل العربية الكبيرة التي وقفت إلى جانب علي رضي الله عنه في صراعه مع معاوية بن أبي سفيان. اتصل بالخليفة هارون الرشيد ولازمه وكان من شعراءه المفضلين، ونسج علاقات قوية مع الوزراء والأمراء والقواد والقضاة، خاض في الأدب وله كتاب "طبقات الشعراء" ومات مقتولا بعد أن عمر طويلا وعاصر خمسة من خلفاء الدولة العباسية.

ورغم القطيعة، فقد رثاه بكر بن حماد بعد وفاته سنة(220هـ) بأبيات شعرية يقول فيها:

الْمَوْتُ غَادَرَ دُعْبُلاَ بِزُّوِيلَةْ *** فِي أَرْضِ بَرْقَةْ أَحْمَدْ بْنٌ خَصِيبْ[1]

كما جالس كبار رجالات الأدب والشعر من أمثال علي بن الجهم الشاعر صاحب اللسان الفصيح وأحد كبار المتكلمين في مجلس الخليفة المأمون ومتولي ديوان المظالم لمدينة حلوان في عهد الخليفة المعتصم بالله المثمن، وقد توفي هذا الشاعر مقتولا سنة(249هـ). كما ربطته صحبة بمسلم بن الوليد صريع الغواني[2]، وأبو الفضل العباس بن الفرج الرياشي أحد كبار النحاة ولغوي أصيل متمكنا من الشعر وراويا عالما بأيام العرب وأحداثها[3]، وأبي حاتم السجستاني[4]، وعلي بن الجهم الخرساني وغيرهم.

إن مجرد طرح هذه الأسماء ينبئنا بأن بكر بن حماد لم يكن شخصا عاديا أو مجرد طالب علم محدود المستوى كغيره من الوافدين على بغداد،فبالإضافة إلى أنه كان فقيها عالما

---

(1)– ينظر، كامل محمد محمد عويضة: **دعبل بن علي الخزاعي الصورة الفنية في شعره**، دار الكتب العلمية، لبنان، ص128. الحموي، **معجم البلدان**، ج3، ص 160.

(2)– هو مسلم بن الوليد الأنصاري صريع الغواني ولد بالكوفة سنة (140هـ)، أحد أعلام الشعراء في العصر العباسي، فارسي الأصل، عربي الولاء، إذ كان جده مولى آل سعد بن زرارة الخزرجي، وهو الشاعر المفلق، والمستخرج للطيف المعاني بحلو الألفاظ والذي أكثر من البديع، وتبعه الشعراء فيه. لقبه الخليفة الرشيد بلقب (صريع الغوانى) بسبب بيت شعر قاله أعجب الخليفة في جمعه للشراب والغزل واللهو، القائل فيه:

أَدِيرَا عَلَيَّ الْكَأْسَ لاَ تَشْرُبَا قَبْـــلِي *** وَلَا تَطْلُبَا مِنْ عِنْدَ قَاتِلَتِي ذُحْلِي

وَمَا الْعَيْشُ إِلاَ أَنْ تَرُوحَ مَعَ الْصِبَا *** وَتَغْدُوُ صَرِيعَ الْكَأْسِ وَالأَعْيُنِ الْنَجْلِ

(3)– هو عباس بن الفرج أبو الفضل، الرياشي البصري النحوي، مولى محمد بن سليمان بن علي العباسي الأمير. قيل كان أبوه عبدا لرجل من جذام اسمه رياش. ولد بعد الثمانين ومائة. لقب بشيخ الأدب، والعلامة الحافظ كان بحرا من بحور العلم، مات مقتولا في ثورة الزنج. ينظر ترجمته، ابن خلكان: **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**،ج3، المصدر السابق، ص27. الذهبي: **السير**، ج 13، ص 373.

(4)– هو سهل بن محمد أبو حاتم السجستاني (ت 255هـ). من بين أبرز علماء اللغة والشعر، حسن العلم بالعروض وإخراج المعمي، ومحققا مدققا. ينظر، المبرد أبي العباس محمد بن يزيد (ت 285هـ): **الكامل في اللغة والأدب**، تح: عبد الحميد الهنداوي، 1419هـ/1998م، دار الكتب العلمية، لبنان، ج1، ص 9.

وإماما حافظا كما يذكره ابن عذاري بقوله: "كان عالما بالحديث وتمييز الرجال، وشاعرا مفلقا"[1] فإنه كان أيضا من أبرع الشعراء وأحذقهم، حجز لنفسه مكانة رفيعة وسط أسماء كبيرة في عاصمة الخلافة. وتذكر المصادر بأنه كانت له مساجلات ومطارحات أدبية أظهرت ثبوت قدمه في الآداب وصناعتي الشعر والنثر[2]، وما تمكنه من ولوج قصور الخلفاء العباسيين ومدحه لهم وحصوله على الجوائز والصلات إلا دليل على علو كعبه في الشعر حتى لقب بالشاعر لكثرة قصائده وحسن شعره[3]. وقد امتلأت كتب التاريخ والأدب بالعديد من الأبيات والقطع الرائعة في جميع أغراض الشعر المنسوبة إليه. ولعل موقفه من الخارجي عمران بن حطان الذيَ مدح ابن ملجم قاتل أمير المؤمنين عليا رضي الله عنه بقصيدة يشنع فيها هذا التهجم على أحد أفضل الصحابة وصهر الرسول صلى الله عليه وسلم فيقول في مطلعها:

قُلْ لِابن مَلْجَمٍ، وَالأَقْدَارُ غَالِبَــةٌ *** هَدَّمْتَ، وَيْلَكَ، للإِسْلَامِ أَرْكَانَا

قَتَلْتَ أَفْضَلَ مَنْ يَمْشِي عَلَى قَدَمٍ *** وَأَوَلَ الْنَـــاسِ إسْلاَمَا وَإِيمَانَا

وَأَعْلَمَّ الْنَــاسِ بِالـــقُرْآنِ ثُمَ بِمَا *** سَنَّ الْرَسُولُ لِنَاشِرِ عَاوِ تِبْيَانَا[4]

وبعدها شده الحنين للعودة إلى بلاد المغرب بعدما أطال المكوث في العراق، فعزم على الرحيل وأنشد في ذلك أبياتا شعرية جميلة يتأسى فيها على مغادرته بغداد بعد أن وردها وهو في ريعان شبابه فيقول في ذلك:

وَمُؤْنِسَةٍ لِــي بِالِـعرَاقِ تَــــرَكْتُهَا *** وَغُصْنُ شَبَابِي فِي الْغُصونِ نَضِيرُ

فَقَالَت كَـــمَا قَالَ الْنَوَاسي قَبْلَـهَا *** عَزِيزٌ عَـــلَيْنَا أَنْ نَـــرَاكَ تَسِيـرُ

فَقُلْتُ جَفَانِي يُـوسُف بْن مُحَمدِ *** فَطَـــــال عَلَيّ اللَّيْلُ وَهُوَ قَصِيرُ

أَبَا حَاتِمْ مَا كَانَ مَا كَانَ بُغْضُهُ *** وَلَكِنْ أَتَـتْ بَعْدَ الْأُمُـــورِ أُمُورُ

فَأَكْرَهَنِي قَـــوْمُ خَشِيْتُ عِقَابُهُمْ *** فَدَارَيْتُهُمْ ، وَالْدَائـــرَاتُ تَـــدُورُ

---

(1)- ابن عذارى المراكشي: **البيان**، ج1، المصدر السابق، ص ص 226-227.

(2)- محمد الطمار : **تاريخ الأدب الجزائري**، المرجع السابق، ص 32.

(3)- عبد الرحمن الجيلالي: **تاريخ الجزائر** ،ج1، المرجع السابق، ص 179. الميلي، ص 81.

(4)- محمد بن رمضان شاوش: **الدر الوقاد من شعر بكر بن حماد التاهرتي**، طبع المطبعة العلوية، مستغانم، الجزائر، ط1، 1385هـ/ 1966م، ص 62.

وَأَكْـــــرَمُ عَفْوٍ يُؤْثِرُ الْنَاسَ أَمْرَهُ *** إِذَا مَا عَفَا الإِنْـــــسَانُ وَهُوَ قَدِيرُ[1]

وفي بلاد المغرب كان اللقاء مجددا مع مدينة القيروان التي تصدر فيها للإقراء والتدريس بعدما دخلها أول مرة كطالب للعلم، وكان صيته قد ذاع في كامل الغرب الإسلامي والأندلس مما جعل مجلسه يكتظ بطلبة العلم الذين توافدوا على مجلسه من كل حدب وصوب وكان ممن تلقوا العلم على يديه قاسم بن أصبغ البياني[2]، وأبو عبد الله محمد بن صالح القحطاني المعافري الأندلسي المالكي الذي أصبح فقيها حافظا ومؤرخا جمع تاريخ الأندلس[3].

لم يكن شاعرنا مكتفيا بالشعر والتدريس والإقراء، بل كان مراقبا ومتابعا لأحوال الدولة الرستمية، وما كان يجري فيها من تطورات بين أفراد البيت الحاكم. فلربما أثرت فيه طبيعة الأجواء السياسية التي كانت تعيشها بغداد خلال فترة مكوثه فيها، وتفاعله معها خاصة بعد دخوله قصور الخلفاء ومعايشته لأصحاب الأدب والقلم الذين كانت تتنازعهم انتماءاتهم القومية وميولاتهم المذهبية وإدراكه مدى التأثير الذي كانوا يمارسونه في سرايا الحكم لنصرة قناعاتهم والدفاع عن مذاهبهم ومحاولاتهم كسب تأييد الخلفاء والوزراء وأصحاب القرار في الدولة خدمة لأهداف جماعاتهم، ومشاريعهم. فقد أشارت بعض الكتابات التاريخية على تواصل الشاعر مع مسقط رأسه تاهرت التي ربما كان يتردد عليها بين الفينة والأخرى، ومما يؤكد ذلك مشاركته في الفتنة التي وقعت سنة (282هـ) بين أبو حاتم بن أبي اليقظان سادس

---

(1)– محمد الطمار: **تاريخ الأدب**، المرجع السابق، ص 34.

(2)– هو القاسم بن أصبغ بن محمد بن يوسف بن عطاء الأندلسي جده الأعلى مولى الوليد بن عبد الملك، الأموي البياني، وبيانة محلة في قرطبة. كان إماما من أئمة العلم حافظا للحديث مكثرا مصنفا بارعا في الفقه وعلم اللغة خلف العديد من المصنفات، أهمها مسند حديثه، وغريب حديث مالك مما ليس في الموطأ، ومسند حديث مالك وكتاب أحكام القرآن وكتاب الناسخ والمنسوخ وفضائل قريش وغير ذلك. توفي سنة (340هـ) عن 92 سنة. ينظر ترجمته، المقري: **نفح الطيب**، ج2، المصدر السابق، ص ص47– 48. الصفدي: **الوافي بالوفيات**، ج7، المصدر السابق، ص 198.

(3)– المقري: **نفح الطيب**، ج2، المصدر نفسه، ص 142.

أئمة الرستميين وعمه يعقوب بن أفلح، أجبر فيها أبو حاتم على مغادرة عاصمة ملكه لبرهة من الزمن(ست سنوات) قبل أن ينجح في العودة إليها[1].

كانت الشهرة التي تلف بشخصه، ومكانته العلمية التي شهد له بها علماء المشرق والمغرب سببا في دعوته من قبل السيد أحمد الأكبر بن القاسم بن إدريس المعروف بالكرتي الذي وصله بصلة جزيلة وأكرمه ببغلة سنية ودعاه إلى قصره، فمدحه بكر بالعديد من القصائد الجميلة ويقول في إحداها:

إنَ السَمَاحَـــةَ وَالْمُرُوءَةُ وَالْنَدَى *** جُمِـــعُوا لِأَحْمَـدْ بْــــنُ الْقَاسِمِ
وَإِذَا تَفَاخَرَتْ الْقَبَـــائِلُ وَانْتَمَتْ *** فَأَفْخَرُ بِفَضْلِ مُــــحَمَدِ وَبِفَاطِمِ
وَبِجَعْفَرِ الْطَيَارِ فِي دُرْجِ الْعُلاَ *** وَعَلى الَعَضْبِ الْــحُسَامِ الصَارِمِ
لَأني لَـــــمُشْتَاقٌ إِلَيكِ وَإِنَمَا *** يَسْمُوا الْعُقَابِ إِذَا سُـمِى بِقَوَادِمِ

كما تواصل مع عيسى بن إدريس صاحب جراوة[2]، وأتحفه بقصائد جميلة أظهرت بلاغته وعلو كعبه في فن المديح[3]. ونال عامل الأغالبة على إقليم الزاب أحمد بن سوادة التميمي[4] هو كذلك من شعره ومديحه أبياتا مليحة كقوله:

وَقَائِلَةٍ زَارَ الْمُــلُوكَ فَلَـــمْ يَفِدْ *** فَيَا لَيْتَهُ زَارَ ابــن سُفْيَانَ أَحْمَدَا
فَتَى يَسْخُطَ الْمَالَ الْذَيِ هُوَ رَبُهُ *** وَيَرْضَي الْعَوَالِيَ وَالْحُسَامَ الْمٌهَنَدَا[5]

لم يكتفي بكر بن حماد بالمديح بل كانت له قصائد كثيرة تنوعت ما بين غزل ورثاء وهجاء واعتذار ووعظ وزهد. وفي هذا الأخير نافس أبا العتاهية في المشرق وقد روى له

(1)– محمد بن رمضان شاوش: **الدر الوقاد**، المرجع السابق، ص 50. الباروني: **الأزهار الرياضية** المرجع السابق، ص 128.

(2)– ينظر ترجمته، صالح حسن الفضالة: **الجوهر العفيف في معرفة النسب النبوي الشريف**، دار الكتب العلمية، بيروت،1971م، ص941. علي بن إبراهيم فودة: **المشجر المبسط في أنساب الحسن والحسين**، جمعية الأوقاف، عمان، الأردن،1435هـ/2014م، ج1، ص 169.

(3)– ينظر نص القصيدة، محمد بن رمضان شاوش، **الدر الوقاد**، المرجع السابق، ص 74.

(4)– الكندي: **كتاب الولاة والقضاة**، المصدر السابق، ص93.

(5)– محمد بن رمضان شاوش، **الدر الوقاد**، المرجع السابق، ص 71.

التنسي التلمساني أشعارا كثيرا، خاصة مرثياته بعد مقتل ولده عبد الرحمن على أيدي لصوص عند عودته من المشرق وفيه يقول:

بَكَيْتُ عَلَى الْأَحِبَةِ إِذْ تَوَلَّوْا *** وَلَوْ أَنِي هَلَكْتُ بَكَـوْا عَلَيَا

فَيَا نَسْلِي بَقَاؤُكَ كَانَ زَخراً *** وَفَقْدُكَ قَدْ كَوَى الأَكْبَادَ كَيَّا

كَفَا حُزْناَ بِأَنَّنِي مِنْكَ خُلْو *** وَلَكَ مَيتَ وَبَقِـــيت حَيًّا

وهي الحادثة التي أثرت فيه كثيرا وبعدها كانت وفاته بقلعة ابن جمة شمال مدينة تيهرت في شوال سنة (296هـ) ولسخرية القدر فهي نفس السنة التي سقطت فيها الدولة الرستمية على أيدي الشيعة الفاطميين.

سنتعرض في هذه الترجمة للجانب الديني للدولة وقد اخترنا أحد أشهر علماء المذهب الإباضي في بلاد المغرب الإسلامي وأحد أقطاب علم التفسير الذين لا تزال مؤلفاتهم واجتهاداتهم تشكل مرجعية رئيسية لأتباع المذهب في كل أنحاء العالم الإسلامي وعليه يعتمدون ويتناولونه بينهم[1].

2- هود بن محكم الهواري الأوراسي:(208-258هـ/823-871م):

هو أحد كبار شيوخ المذهب الإباضي وعمود من أعمدته في التفسير، صنفه مؤرخو الإباضية وممّن ترجموا له في كتب السير الدرجيني والشماخي وأبي زكريا بأنه من كبار علماء الدولة الرستمية من الطبقة السادسة، عاصر العديد من أئمتها بدءا بأفلج بن عبد الوهاب ثالث الأئمة وإلى غاية سقوطها على أيدي الفاطميين. وهود هو صاحب المصنف المشهور في التفسير "تفسير كتاب الله العزيز" الذي يعتبر من بين أهم المراجع الفقهية الإباضية وجزء من عقيدتهم لأنه جمع فيه من خلال تفسيره للقرآن الكريم الكثير من أقوال الصحابة والتابعين وآراء واجتهادات علماء المذهب في المشرق والمغرب منذ ظهورهم كحركة فكرية مستقلة عن غيرها من فرق الخوارج أصحاب الأفكار المتطرفة والمغالين في كثير من مسائل الاعتقاد[2]. وتكمن الأهمية في اختيار هذه الشخصية العلمية، هي منزلة هذا العالم

---

(1)- صالح باجية: **الإباضية بالجريد في العصور الاسلامية الأولى**، الجامعة التونسية، الزيتونة للشريعة وأصول الدين، دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع، تونس، ط1، 1396هـ/1976م، ص 55.

(2)- ينظر، أبي زكريا يحي بن أبي بكر(ت471هـ): **كتاب سير الأئمة وأخبارهم**، تح وتع: إسماعيل العربي، المكتبة الوطنية، الجزائر، 1399هـ/ 1979م، ص 3.

الفذ عند الإباضية ولأنه أول مفسر للقرآن الكريم في المغرب الأوسط. ومؤلفه هذا يعد من بين أقدم ما دون في بلاد المغرب في مجال التفسير، وكان نقطة البداية لمرحلة الخوض والتأليف في علم التفسير بعد تفسير عالم الدولة وإمامها عبد الرحمن بن رستم مؤسس أحد حملة العلم الخمسة[1]. وقد ظل كتاب التفسير هذا حبيس أدراج الخزائن الخاصة للإباضية المنتشرين في وادي ميزاب وجزيرة جربة بتونس[2]، ولم يتم تحقيقه إلا في المدة الأخيرة من قبل الأستاذ بالحاج بن سعيد شريفي الذي عمل عليه مدة عشرين سنة لإخراجه بحلة جديدة ومصححة على أمهات الكتب وطبع في أربعة مجلدات[3].

ترجمة المفسر (هود بن محكم)

اسمه ونسبه: هو هود بن محكم بن هود الهواري من قبيلة هوارة الأمازيغية[4]، عاش في النصف الثاني من القرن الثلث الهجري الهجري، ولم يحدد تاريخ ولادته بشكل صحيح، إلا أنه عاصر الإمام أفلح بن عبد الوهاب. أما تاريخ وفاته فيبقى في حكم التخمين ويكون

---

(1)– ينظر، أبي زكريا: **سير الأئمة**، المصدر السابق، ص35. عادل نويهض: **معجم أعلام الجزائر**، المرجع السابق، ص ص 338 – 337. ذكره كأوّل فقيه ومفسّر جزائري من الإباضية. نشأ وتعّلم بتيهرت، وهو من أقدم مفسّري كتاب الله في المغرب الأوسط.

(2)– زغيشي سعاد: **منهج هود بن محكم الهواري في التفسير**، رسالة دكتوراه، كلية العلوم الإسلامية جامعة الحاج لخضر، باتنة، السنة الجامعية 1427–1428هـ/2006–2007م، ص 25.

(3)– هود بن محكم الهواري، تفسير كتاب الله العزيز، تح وتع: بلحاج بن سعيد شريفي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1990م، ج1، ص5. وقد ذكر بأن تفسير هود جاء في أربعة مجلدات: فالأول يبدأ من أول المصحف من سورة الفاتحة وينتهي بآخر سورة الأنعام. أما المجلد الثاني فيبدأ من أول سورة الأعراف وينتهي بآخر سورة الكهف. والمجلد الثالث: يبدأ من أول سورة مريم وينتهي بآخر سورة الصافات وأما المجلد الرابع والأخير فهو يبدأ من أول سورة ص إلى آخر سورة الناس.

(4)– قبيلة هوارة بطن من بطون البرانس، يرجع بعض النسابة أصولهم إلى عرب اليمن من قضاعة من ولد المسوًر بن السكاسك بن أشريس بن كندة وجدهم هو هوًار بن أوريغ بن جنون بن المثنى بن المسور. أما أصل التسمية فيذكر النسابة البربر أن جدهم عندما قدم بلاد المغرب قال: "لقد تهورنا" وهو ما نفاه ابن خلدون وتحفظ عليه وقال بأنه من الأخبار المدسوسة. وتنتشر مواطنهم من طرابلس الغرب إلى جبال الأوراس وإلى غاية المغرب الأقصى، وهم من القبائل البربرية التي تبنت المذهب الخارجي الإباضي. ينظر ابن خلدون: **العبر**،ج6، المصدر السابق، ص182 وما بعدها. محمد سليمان الطيب: **موسوعة القبائل العربية بحوث ميدانية وتاريخية**، دار الفكر العربي، بيروت، ط1، 1414هـ/ 1993م، ص778.

تقديرا بنهاية الدولة أي في سنة(296هـ) وهناك من يرجعها إلى سنة (280هـ) أو ما بين التاريخين.

نشأ في كنف أسرة ذاع صيتها في علو الكعب في العلوم، فوالده كان عالم جليل اشتغل بالقضاء في عهد الإمام أفلح بن عبد الوهاب في عاصمة الدولة تيهرت، وعرف عنه وقوفه إلى جانب الحق شديدا فيه إلى درجة أنَّ الإمام خاطب الشراة الذين أبوا إلاَّ محكم الهواري قاضيا بقوله: "ويحكم دعوتم إلى رجل كما وصفتم في ورعه ودينه، ولكن هو رجل نشأ في بادية ولا يعرف لذي القدر قدره، ولا لذي الشرف شرفه، ولكن تحبُّون أن يجري فيكم الحقوق على وجهها، بلا نقص لأغراضكم، ولا امتهان لأنفسكم"[1].

وسط هذا الجو نشأ هود بن محكم الهوّاري وتربّى في حجر والده، وقد عُرف عن والده العلم والورع والتقوى والصلابة في الدين[2]، فليس من المستبعد أن يكون الابن قد بدأ مشواره التعليمي بداية من عند والده، ومجموعة من المشايخ المنتشرين في تلك الربوع. ثم خطى بعدها أولى خطواته في مجال تحصيل العلوم من المناهج التعليمية الموضوعة من قبل الرستميين في عاصمتهم الجليلة التي حجزت لها مكانة كبيرة في سوق العلوم والمعارف وعادت تضاهي وتنافس الكثير من الحواضر المشهورة في تلك الفترة، علما بأنها استأثرت بمذهب مخالف لما كان سائدا في غيرها من الدويلات[3]. لذلك فمن باب الاحتمال أن يكون والده قد فضل إرساله إلى تيهرت لاستكمال وصقل معارفه فيها، بخطوات متعارف عليها في تلك الفترة وهي تبدأ غالبا بحفظ للقرآن وتعلم اللغة العربية والنحو والتصريف والاشتقاق وعلوم البلاغة للتحكم في أصول الفقه وفق المذهب الإباضي، ثم حضور حلقات العلم المنتشرة في كل حواضر ونواحي وبوادي الدولة الرستمية، وبعدها التدرج في بقية العلوم الأخرى كلما تقدم عمر الطالب.

---

(1)- ابن الصغير: **المصدر السابق**، ص 49.

(2)- محمد الميلي: **تاريخ الجزائر**، ج2، المرجع السابق، ص ص 68- 69. ابن الصغير، **نفسه**، نفس الصفحة.

(3)- ابن الذيب عيسى: **الحواضر والمراكز الثقافية في الجزائر خلال العصر الوسيط**، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث، الجزائر، 2007م، ص33.

كما أنه ليس من المستبعد أن يكون الفتى قد حط الرحال بمدينة القيروان، مهد العلوم للأخذ على كبار علماء المذهب الذين سجلوا حضورهم في المدينة وفقا لما أورده أحد مؤرخي الإباضية وهو لواب بن سلام بن عمر اللواتي الإباضي في كتابه "بدء الإسلام وشرائع الدين" والذي ترجم فيه لعدد معتبر من علماء المذهب المستقرين في القيروان على عهد حكم أسرة الأغالبة وأفرد لهم فصلا خاصا[1].

فالتشجيع على طلب العلم وتعلمه وتحصيله، كان من أولويات سياسة الدولة نزولا عند رغبة أئمتها الذين كانوا حريصين أشد الحرص على ذلك. كما أن مجالات التعليم وأماكن التدريس كانت مفتوحة ومتاحة لجميع أبناء الدولة من دون إقصاء أو نظر إلى جنسهم أو معتقدهم، موزعة على المساجد والزوايا وبيوتات العلماء. فمجالس الدروس والمناظرات كانت تعج بها المدن البوادي والأرياف[2]، وهو ما تأكد في بروز هذه الشخصية الفذة التي نشأت في منطقة بعيدة عن مركز الدولة منطقة الأوراس معقل قبيلة هوارة البربرية الشهيرة[3]، وتركت أثرا بارزا في أحد أعقد العلوم وأشدها مراسا على العلماء والفقهاء ألا وهو علوم التفسير الذي لا يلج بحره إلا من كان متمكنا ومتوفرا فيه شروطا معينة وهي كثيرة تبقى أهمها: تجرده عن الهوى والعمل بجهد وتفاني للتحري عن الحقائق المجردة بأدق تفاصيلها ومجمل ترجيحاتها، ومتمكنا من اللغة والنحو لإدراك مقاصد القرآن، وكذا علوم البلاغة من بيان ومعاني وبديع، عالما بالسيرة والحديث وغيرها من العلوم المساعدة لأنه سيتحمل وزر أي تفسير أو تأويل يفضي إلى الانحراف والتضليل.

---

(1)– هود بن محكم الهواري: المرجع السابق، ص 15.

(2)– سامي محمود محمد أحمد: **منهج الشيخ هود بن محكم الهواري في تفسيره (كتاب الله العزيز) دراسة ونقد،** رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية غزة، عمادة الدراسات العليا، كلية أصول الدين، قسم التفسير وعلوم القرآن، 1423هـ/2002م، ص 44.

(3)– عن تعريف جبال الأوراس وأهم القبائل المنتشرة فيها، ينظر، لأبي عبيد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي (ت 487هـ): **المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب،** تق وتع: حماة الله ولد السالم، دار الكتب العلمية، لبنان، ص 38. محمد بن عبد المنعم الحميري: **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تح: إحسان عباس، مطبعة هيدلبرغ، ط1، 1975م، ص 65.

لم تتعرض المصادر الإباضية بشكل مفصل لحياة هذه الشخصية المرموقة، واقتصرت أخباره على ما جاء في كتاب الشماخي في ذكره لعلماء الإباضية قوله: "ومنهم هود بن محكم الهواري... هو عالم متفّنن غائص، وهو صاحب التفسير المعروف وهو كتاب جليل في تفسير كلام الله لم يتعرض فيه للنحو والإعراب، بل على طريقة المتقدمين"[1].

فضل هذا العالم المقام والاستقرار في موطنه بجبال الأوراس لينشر علومه ومعارفه لأبناء منطقته باللسان العربي الفصيح، مستعينا في بعض الأوقات بالبربرية شرحا وتفصيلا لمن لا يتقن لغة القرآن من عشيرته وسكان المناطق النائية. فأصبح بيته مقصد الطلبة من كل جهات الناحية قريبة كانت أو بعيدة لحضور مجالسه العلمية التي كان يعقدها، كما كانت منزلته بين قومه مرموقة،وقيمته عالية كعالم جليل جال في حلبة المتقين وجمع له الله بين الدنيا والدين، فكانوا يقصدونه للاستفسار عن شؤون دينهم وأمور دنياهم وحتى للفصل والاحتكام إليه ليقضي بينهم في منازعاتهم إدراكا منهم لعلمه الغزير وتعففه من مباهج الدنيا وحطامها[2].

وقد وهب حياته كلها ورصدها لفعل الخير ومساعدة الناس، وله العديد من المواقف والأحكام جعلته يحظى باحترام الأئمة والفقهاء والعلماء والرعية على حد سواء، زادت من رفعته بين القبائل المجاورة،كما كانت سيرته العطرة واحترام الناس له رغم بعد المسافة مضرب الأمثال في تواضعه وزهده وتقواه[3]. وتنافس أتباع المذهب لاقتناء نسخ من مؤلفه الذي أشرنا إليه سابقا لحد الاقتتال للحصول عليها، كما جاء في كتاب أبي زكريا الذي أورد قصة الشريكين في التجارة الذين اختصما وتشاجرا بسبب الكتاب، وبلغ الخبر قبيلتيهما فوقفت كل قبيلة إلى جانب فردها وقرعت طبول الحرب لولا تدخل أحد علماء المذهب وعقلائه بحكمته ورجاحة عقله ونزع فتيل الحرب بتقسيم الكتاب إلى نصفين وأعطى لكل واحد منهما النصف فزال الشر واصطلحوا[4]. وأهمية هذا التفسير أنه لم يعتمد فيه صاحبه

---

(1)- الشماخي: **السيًر**،المصدر السابق، ص 381.

(2)- هود بن محكم الهواري: **المرجع السابق**، ص 16.

(3)- ينظر، أبو زكريا يحي بن أبي بكر: **سير الأئمة وأخبارهم**، المصدر السابق، ص 360.

(4)- أبو زكرياء: **المصدر نفسه**، ص 359.

على طريقة النقل عن السابقين فقط، بل كان كثيرا ما يدلي بدلوه في بعض المسائل فيشرح ويكمل ما يبدو له ناقصا أو يستوجب الإيضاح والشرح، واهتم باستخراج معاني الآيات وأحكامها[1].

وإن كان اهتمام الإباضيين بالعلوم الدينية قد لقي دعم ومباركة الأئمة الرستميين، فإنهم لم يغفلوا بقية العلوم التي رأوا فيها ركائز ودعائم لاستكمال حلقة التلقي الكامل لمختلف العلوم المرافقة للجانب الديني، وكان علم التاريخ أحداها. فهو يكتسي أهمية بالغة في مسار الدول والحضارات، وكان الأئمة الرستميون على وعي ودراية بضرورة ربط النشء بأخبار أسلاف المذهب، والتضحيات الجسام التي قدموها في سبيل إنجاح مشروعهم السياسي. ولم يتأتى ذلك إلا بالعودة إلى دراسة مسيرة شيوخ المذهب مشرقا ومغرب، فكان الاهتمام بتدريس التاريخ الذي تدور أخباره حول بداية الدعوة وحياة الرسول صلى الله عليه وسلم وسيرة أصحابه وغزواته، وأخبار الخلفاء الراشدين من بعده، ووقائع الفتوحات الإسلامية والتطورات السياسية التي عرفتها الدولة الإسلامية إلى غاية ظهور الحركات المذهبية وإنشاء الدولة الرستمية بالمغرب الأوسط.

وعلى هذا الأساس سنتعرض إلى أحد مؤرخي الدولة الرستمية وأشهرهم، صاحب مؤلف أخبار الأئمة الرستميين، أو تاريخ ابن الصغير الذي رسَّم البدايات الأولى للكتابات التاريخية في بلاد المغرب الإسلامي، كمؤرخ لا ينتمي لمذهب الدولة إلا أنه دوَّن تاريخها وأحداثها منذ ولاية عبد الرحمن بن رستم رواية ونقلا لما قيل له عن قرب حتى الولاية الثانية لأبي حاتم يوسف بن محمد أبي اليقظان بن أفلح، متوقفا عند السنوات القليلة التي سبقت سقوط الدولة[2].

---

(1)– إبراهيم بحاز: **الدولة الرستمية، (160– 296هـ/777– 909م)، دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية**، نشر جمعية التراث، القرارة، الجزائر، ط 2، 1414هـ/1993م، ص 301.

(2)– وداد القاضي: **ابن الصغير مؤرخ الدولة الرستمية**، مجلة الأصالة، العدد45، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر،1387هـ/1977م، ص 40.

التعريف بابن الصغير:

هو محمد أبو عبد الله بن الضرير بن الصغير المالكي السني التاهرتي نزيل عاصمة الرستميين والمنسوب عليها[1]. يعتبر هذا المؤرخ من الأفراد الذين حملوا معهم علمهم يجوبون به الأقطار، والمؤمنين بما تحمله لهم الأقدار في حياتهم. فقد رمته رياح المعرفة وطلب العلم إلى إحدى حواضر بلاد المغرب الأوسط، مدينة تيهرت عاصمة المذهب الإباضي في بلاد المغرب والتي كانت شهرتها تملأ الآفاق، وأخبار أئمتها المتقيدين بالشرع والمتمسكين بشروط الخلافة والقائمين على شؤون الرعية بالعدل والإنصاف تسر الآذان، علما بان هذه الدولة قد قامت على مبدأ التقيد بالكتاب والسنة وأثر السلف[2]، فازدهرت فيها الأحوال الاقتصادية وساد الرخاء أرجاءها، قصدها الناس من المشرق والمغرب وهو ما يشير إليه ابن الصغير واصفا أوضاع الدولة في عهد عبد الرحمن بن رستم بقوله: "والسيرة واحدة وقضاته مختارة وبيوت أمواله ممتلئة، وأصحاب شرطته والطائفون به قائمون بما يجب"[3].

وكان من عجيب أخبار هذه المدينة أنها كانت متسامحة مع الوافدين إليها من مختلف أرجاء العالم الإسلامي، وتستقبلهم بحفاوة وبصدر رحب بغض النظر عن ديانتهم أو معتقدهم حيث كان لليهود والنصارى حضورا وتواجدا في عاصمة الدولة وكانوا يمارسون مهن متعددة كالطب والتجارة[4]، ولا لتوجهاتهم الفكرية أو انتماءاتهم المذهبية، والحالة هنا لصاحب الترجمة الذي يغلب الظن أنه كان سنيا مالكيا[5]، إلا أنه كانت له جلسات مع علماء أهل المذهب، وسماع من بعض شيوخها. "فليس أحد ينزل بهم من الغرباء إلا استوطن معهم

---

(1)– ينظر ترجمته، **موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين:** رابح خدوسي ومجموعة من الأساتذة، تقديم: محمد الأمين بلغيث، منشورات الحضارة، الجزائر، 2004م، ج1، ص 65.

(2)– محمد الميلي: **تاريخ الجزائر**، ج2، المرجع السابق، ص 68.

(3)– ابن الصغير: **المصدر السابق**، ص 35.

(4)– يذكر بحاز انه كانت للنصارى كنيسة واحدة على الأقل يمارسون فيها عبادتهم. ينظر، إبراهيم بحاز: **الدولة الرستمية**، المرجع السابق، ص ص 176- 373. كما وردت كلمة كنيسة في كتاب ابن الصغير، ص67.

(5)– محمود إسماعيل عبد الرزاق: **الخوارج في بلاد المغرب**، المرجع السابق، ص 9.

وابتنى بين أظهرهم"[1]. وهو الأمر على أغلب الظن الذي دفع بابن الصغير إلى المقدم إليها للتعرف على أحوالها عن قرب لأنه كان من المهتمين بالتأريخ ونقل الأخبار إضافة إلى سماعه عن درجة تفقه وعلم أئمة الدولة الذين كانوا كلهم من أهل العلم والأدب.

يعتبر ابن الصغير من المؤرخين الغير إباضيين الذين كتبوا على الدولة الرستمية، وهو بكتاب واحد استطاع أن يُجمل أخبارها ويتتبع أحوالها، لأنه كان شاهد عيان وقتها حتى أنه حاز على صفة مؤرخ الدولة الرستمية[2]، كونه عاصر أيامها بداية من تولي الإمام أبي اليقظان ابن أفلح (261هـ/281هـ) لشؤون الدولة كما ورد في قوله: "وقد لحقت أنا بعض أيامه وإمارته وحضرت مجالسه"[3]، إلى أواخر أيامها في عهد الإمام أبي حاتم المقتول سنة (294هـ)، علما بأن الإباضية لا يعترفون بإمامة يعقوب بن أفلح وإمامة اليقظان بن أبي اليقظان[4].

لم تعر المصادر سواء الإباضية أو السنية ولا حتى المؤرخين المتقدمين مثل أمثال ابن عبد الحكم (ت 257هـ) أو البلاذري (ت 279هـ) ولا غيرها من كتب التراجم والطبقات اهتماما لهذه الشخصية المعتبرة التي بفضلها تم معرفة تاريخ هذه الدولة العظيمة التي قامت في ربوع هذا الوطن، ولم تحظى حياته ولا مسيرته باهتمام الدارسين والباحثين إلا من قبل القلة القليلة منهم، وهو ما دفع بمحقق الكتاب إبراهيم بحاز لشن هجوما عنيفا في بداية الكتاب على أغلبية المؤرخين وعلى رأسهم ابن خلدون الذين بحسبه أهملوا تاريخ الدولة الرستمية بسبب مذهبها الذي اعتبروه من معتقدات الخوارج، وطال الإهمال والتهميش حتى لمن أرخوا لها ومن بينهم ابن الصغير الذي أعتبره هو الآخر ضحية هذا التحامل والتشويه والتغييب المتعمد لدولة خدمت الإسلام والمسلمين في هذا الجزء من العالم الإسلامي من عدة جوانب، كالتأليف ونشر الإسلام جنوب الصحراء وخدمة العلم والإسهام في البناء الحضاري والعمراني.

---

(1)- ابن الصغير: **المصدر السابق**، ص 31

(2)- وداد القاضي: **المرجع السابق**، ص 42.

(3)- بن الصغير: **المصدر السابق**، ص32.

(4)- وداد القاضي: **المصدر نفسه**، ص 54

ومحاولة منّا لتقديم ولو لعرض مختصر لأحد كبار مؤرخي الدولة الرستمية، سنقتطف بعض المعلومات الواردة في كتابه والتي من خلالها سنرسم صورة متقاربة لحياة الرجل الذي حل في سن الشباب إلى مدينة تيهرت طلبا للعلم، وتتضح الصورة بعدها عن الجهة التي قدم منها، فأغلب الظن أنها كانت من شرق المغرب الأوسط، لجهله كل شيء عن غربه، بدليل كلامه عن عبد الوهاب بن عبد الرحمن ثاني الأئمة بأنه اتسع ملكه وامتد إلى غاية مدينة يقال لها تلمسان[1]. وعن نفسه، فإن حلوله بمدينة تيهرت إنما كان بغرض العلم، فكان يحضر حلقة أحد كبار علماء المذهب وهو أبو عبيدة الأعرج ، الذي كان الإباضيون في مختلف أنحاء الدولة يقرون له بالفضل ومعترفون له بالعلم ومسلمون له بالورع[2]. وكان عالما بالفقه والكلام والوثائق والنحو واللغة، ما جعله محج الطلبة والباحثين عن الفتوى وما أشكل عليهم من أمور دينهم[3]. ولشهرته فإن ابن الصغير رام مجلسه للاستفادة من علومه وهو ما ذهب عليه بقوله: "وقد أتيت يوما أسمع منه كتاب إصلاح الغلط الذي ألفه عبد الله بن مسلم بن قتيبة على أبي عبيدة*"[4].

أما عن مصدر رزقه وهو الغريب عن المكان، البعيد عن الأوطان، فإنه كان يمارس التجارة في دكان صغير في حي الرهادنة، يبيع ويشترى فيه من دون أن يذكر نوع التجارة

---

(1)– ابن الصغير: **المصدر السابق**، ص 39.

(2)– ابن الصغير: **نفسه**، ص 81.

(3)– ابن الصغير: **نفسه**، ص 84.

(*)– هو أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري الكوفي البغدادي، وقيل: المروزي الكاتب، صاحب التصانيف. نزل بغداد، وصنف وجمع، وبعد صيته، تتلمذ على جلة من كبار علماء اللغة والفقه والحديث أشهرهم ابن راهويه شيخ الإمام البخاري والنسائي والترميذي. قرأ التوراة والإنجيل وعلوم الهند واليونان. وهو الذي قال فيه ابن تيمية: "... وكان أهل المغرب يعظمونه، ويقولون: من استجاز الوقيعة فيه، يتهم بالزندقة ويقولون: كل بيت ليس فيه شيء من تصنيفه لا خير فيه". ينظر، ابن قتيبة عبد الله بن مسلم الدينوري (ت 276هـ): **إصلاح غلط أبي عبيد في غريب الحديث**، تح: عبد الله الجبوري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1403هـ/1983م، ص 5 وما بعدها. الذهبي: **السيَر**، ج 13، المصدر السابق، ص 297.

(4)– ابن الصغير، **نفسه**، ص 82.

الممارسة، لكن يبقى الازدهار الاقتصادي والذي عرفته الدولة يكون قد فتح له أبواب العيش والاسترزاق من مصادر مختلفة على حسب السلع المتواجدة أو التي تحملها القوافل المتعددة التي كانت تحل بالمدينة، لكن يبقى الراجح أن الآمر يتعلق بالمنتجات الفلاحية ومقايضتها مع تلك القادمة من جنوب الصحراء، أو بيعها بالتجزئة في الحي الذي كان متواجدا فيه.ويكون مؤرخنا يعيش الكفاف أو أن تجارته كانت تدر عليه ما يكفيه للعيش، لدرجة أنه كان يترك دكانه ليقصد منزل الشيخ ، ويتردد علية ثلاثة مرات متتالية مما يبين حرصه على التعلم ومجالدته لنفسه بالصبر والتحمل. وبعد اكتمال تحصيله ومخالطته للعديد من رجالات العلم وذوي الشأن في الدولة، شرع في تدوين كتابه الذي جاء مفصِلا لكل أحداث الدولة من افتراق وفتن عن طريق الرواية الشفوية كفتنة ابن عرفة، أو الصراع الذي دار بين الإمامين أبي الحاتم وعمه يعقوب، وفتنة ابن فندين وفتنة الخلف بن السمح.

أشاد معظم من درس كتاب ابن الصغير، باحترافية صاحبه وتمكنه من نقل الأحداث والوقائع بموضوعية إلى حد بعيد، فهو لم يكن راوية للتاريخ، وإنما كان مؤرخا حقا[1]. فما جاء به كان مطابقا للحقيقة ولم تكن هنالك اختلافات مع المصادر الإباضية على قلتها لما جاء به من أخبار، مثل كتاب سير الأئمة لأبي زكري أو سير الشماخي أو طبقات الدرجيني أو جواهر البرادي.

أما فيما يخص منهجه في التدوين التاريخي، فقد قام بنقل الأحداث والوقائع بأمانة من دون زيادة أو نقصان، وكان متحريا الصدق، ذامّا لمن يحرفها، ويصفه بعديم الأخلاق وفاقد المروءة حتى وإن خالفوه في الرأي أو المذهب أو المعتقد وهو في ذلك يقول: "... وإن كنا للقوم مبغضين ولسيرهم كارهين ولمذاهبهم مستقلين، فنحن وإن ذكرنا سيرهم وما اتصل بنا، وعدلهم فيما ولوه فلسنا ممن تعجبه طلاوة أفعالهم، ولا حسن سيرهم"[2]. فهو ينأى بنفسه عن المجاملة والتزلف،وكان يناظر الإباضية من دون خوف أو رهبة ويدحض آرائهم واجتهاداتهم الخاطئة في بعض المسائل كما أورده في بعض صفحات كتابه[3].

---

(1)– وداد القاضي: **المرجع السابق**، ص 49.

(2)– ابن الصغير: **المصدر السابق**، ص ص 27–28.

(3)– ابن الصغير: **نفسه**، ص 102 وما بعدها.

ويبقى ابن الصغير من خير ما أنجب المغرب الأوسط من مؤرخي التاريخ المتقدمين سبق ابن خلدون بقرون في تصوره للمنهج التاريخي وعلم التاريخ الذي أخضعه لأسس ومبادئ التدقيق والتحقيق وتمكن من إجمال تاريخ دولة في كتابه الذي لا يمكن لأي مؤرخ أو باحث في تاريخ الرستميين الاستغناء عنه أو تجاوزه.

ثانياً: نماذج لبعض علماء العصر الفاطمي.

استطاع الشيعة الإسماعيلية من أن يؤسسوا في بلاد الغرب الإسلامي أول كيان سياسي لهم تحت مسمى الخلافة الفاطمية، ورافق قيامها الكثير من الأحداث والفتن والحروب التي خاضتها لتثبيت أركانها والحفاظ على كيانها، واستطاعت بفضل حزم وعزم خلفائها أن تبسط سلطانها على أغلب بلاد المغرب الإسلامي. ورغم قصر مدة تواجدهم في بلاد المغرب إلا أن عصرهم شهد ازدهارا حضاريا منقطع النظير، وخاضوا في مجمل العلوم واشتهرت منهم أسماء ثقيلة ولامعة في مجالات العلوم الدينية والعقلية.

كان للاختلاف المذهبي أثره في إثراء الساحة الثقافية المغاربية، وقد برزت على الساحة كثيرا من الوجوه التي خاضت في أمور الدين والدنيا، وكان أبرزهم أبو حنيفة النعمان بن محمد التميمي القاضي والفقيه الإسماعيلي، أحد ركائز الدولة والدعوة في الخلافة الفاطمية وأعتبر المشرع الأول فيها وقاضيها الذي استمر في منصبه إلى غاية وفاته، وهو الذي خلف وترك آثارا لا تمحى في الحياة السياسية والدينية بمؤلفاته وكتاباته المتميزة التي ناهزت الستين مصنفا، بعضها يتضمن عدة أجزاء لدرجة أنه عدً صاحب المدرسة الفقهية النعمانية الإسماعيلية ذات الطابع المغاربي[1]. ولا تزال اجتهاداته وتعاليمه يعمل بها إلى غاية اليوم عند الطائفة الإسماعيلية المنتشرة في كثير من بقاع العالم خاصة البهرة في الهند واليمن[2]. وقد مدحه أحد أشهر خلفاء الفاطميين المعز لدين الله الذي لم يكن ليقطع أمرا من

---

(1)– إسماعيل سامعي، **القاضي النعمان وجهوده في إرساء دعائم الخلافة الفاطمية والتطور الحضاري ببلاد المغرب (القرن 4هـ/10م)**، ط1، 1431هـ/2010م، مركز الكتاب الأكاديمي، ص73.

(2)– البهرة من فرق الإسماعيلية الطيبية نسبة إلى الطيبب بن الإمام الأمر الفاطمي، ومعناها بالهندية "التجار". وقد انقسم البهرة بدورهم إلى فريقين: البهرة الداودية نسبة إلى الداعي قطب شاه داود (ت1021هـ/1612م) والبهرة السليمانية أتباع الدعي سليمان بن حسين (ت 997هـ/1588م). المرجع نفسه، ص ص 482– 483.

دون حضوره أو حتى مشورته في الكثير من الأحيان وقد قال فيه مقولته الشهيرة: "من يؤدي جزء من مائة مما أداه النعمان أضمن له الجنة بجوار ربه"[1] نظرا لما قدمه من خدمات جليلة للمذهب الإسماعيلي ووفائه للخلفاء الفاطميين الذين كانوا يكنون له الاحترام والمحبة.

1- أبو حنيفة النعمان بن محمد منصور بن حيون(ت 363هـ/974م).

هو النعمان ابن أبي عبد الله بن محمد بن منصور بن أحمد بن حيون التميمي المغربي القيرواني[2]. من أبرز ما أنجبته بلاد المغرب في مجال الفقه والعلوم خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين (3 و4هـ/9 و10 م). نبغ في مجالات علمية عديدة كعلوم الدين وتفوق فيها كان غزير العلم واسع المعرفة، مكثرا من التأليف، مبرزا في علم الحديث ومتبحرا في الفقه فضلا عن النحو والأدب والحساب وعلم التاريخ. وفي ذلك يقول عنه أحد مؤرخي عصره الحسن بن إبراهيم اللّيثي: "كان النعمان في غاية الفضل، من أهل القرآن والعِلم بمعانيه، عالماً بوجوه الفقه وعلم اختلاف الفقهاء، واللغة والشعر، والمعرفة بأيّام الناس، مع عقل وإنصاف، وألف لأهل البيت من الكتب آلاف الأوراق بأحسن تأليف...".

اختلفت المصادر في تحديد تاريخ ميلاده، وجعلوها بالتقريب سنة (292هـ)[3] ، إلا أنه على الأرجح كان مولده ما بين سنتي (283هـ/290هـ) بمدينة القيروان. كان مالكيّ المذهب ثم تحول إلى مذهب الإمامية وبعدها تبنى العقيدة الإسماعيلية، وقد عاصر السنوات الأخيرة لعبيد الله المهدي[4]، ومن بعده ابنه القائم ثم المنصور والمعز لدين الله الفاطمي الذي أصبح

---

(1)- القاضي النعمان: **الهمة في آداب إتباع الأئمة**، تح: محمد كامل حسين، دار الفكر العربي 2002م، ص 10.

(2)- ينظر ترجمته، أبو عمر محمد بن يوسف الكندي المصري: **الولاة والقضاة**، تهذيب وتصحيح: رفن كست، طبع مطبعة الآباء اليسوعيين (1908م)، بيروت، ص586.

(3)- القاضي النعمان بن محمد(ت 363هـ): **المجالس والمسايرات**، تح: الحبيب الفقي، إبراهيم شبوح، محمد اليعلاوي، دار المنتظر، بيروت، ط1، ص 7.

(4)- هو عبيد الله بن محمّد بن الحسين بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن عليّ بن الحسين بن علي بن أبي طالب (259 - 322هـ/873 - 934م). ولد بمدينة سلمية من بلاد حمص بالشام ومنها خرج إلى بلاد المغرب متخفيا. تسلم الحكم من داعيته أبا عبد الله الذي قضى على دولة الأغالبة ودخل عاصمتهم رقادة سنة (297هـ). ابن عذارى، **البيان**،ج1، المصدر السابق، ص153.

جليسه وأوكل له منصب قاضي البلاد الأول على كل المغرب الإسلامي الواقع تحت سلطته (قاضي القضاة)[1]. باعتبار أن هذا المنصب هو أحد أهم القنوات لتبليغ الدعوة الإسماعيلية ومن بين أعلى المراتب الدينية والسياسية والإدارية في الدولة إلى غاية رحيلهم إلى مصر، وظل فيه إلى غاية وفاته، واستمر الأمر مع أبناءه الذين تداولوه حتى اشتهرت به أسرة بن حيون[2].

بالقدر الذي تهمنا حياة هذه الشخصية في هذه الفترة، إلا أن تركيزنا سينصب حول ما قدمه من خدمة لنصرة الدعوة الإسماعيلية عبر دفاعه المستميت عن معتقدات أئمتها، وتفانيه في الرد على خصومهم، بسلاح القلم والكتابة.فمؤلفاته تنضوي على إجابات وردود حول سلامة المعتقد والمذهب، مترجمة لحياة الخلفاء في مجالسهم الخاصة[3]، مفصلة للأحداث التاريخية التي عاشتها هذه الدولة في بلاد المغرب، شارحة طبيعة الصراعات التي ظهرت والتصادم العنيف مع أقطاب المالكية من فقهاء وعلماء. كما ضمنها نظرته لثورات الخوارج، فجاءت كتبه عبارة عن موسوعات تاريخية أعطتنا صورة واضحة وحية لمختلف جوانب الحياة في بلاد المغرب العلمية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية.

وتبقى الجوانب التاريخية في مؤلفاته وخاصة كتابه "افتتاح الدعوة" من بين أهم المصادر التاريخية المعتمدة لدراسة تاريخ وجغرافية المغرب الأوسط من كل نواحيه، لا سيما وأن بداية الدعوة وأنصارها كانوا من قبائل كتامة، تلك القبيلة الشهيرة التي كانت بطونها وأفخاذها تملأ تقريبا كل شرق المغرب الأوسط[4]، وهي التي ساهمت بقدر كبير في إقامة

---

(1)- إسماعيل سامعي: **القاضي النعمان**، المرجع السابق، ص 70.

(2)- الكندي: **الولاة والقضاة**، المصدر السابق، ص ص 494- 495.

(3)- ينظر كتاب القاضي النعمان: **المجالس والمسايرات**.

(4)- تمتد أراضي كتامة على منطقة شاسعة من المغرب الأوسط. فهي تجاور يبلد زواوة في اتجاه الغرب التي تحالفت معها عند بداية الدَّعوة الشيعية. كما تمتد بطونها وعشائرها في بلاد القبائل الصغرى بين كل من سطيف وجيجل والقل، وبين سلسلة جبال البابور وقسنطينة. ومن أهم مدن هذه الناحية سطيف ونقاوس وتيجيست والمليلة وجيجل وسكيكدة والقل وقسنطينة. ينظر، موسى لقبال: **دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية منذ تأسيسها إلى منتصف القرن الخامس الهجري(11) ميلادي**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979م، ص 45 وما يليها.

الدولة وإنجاح مشروع الشيعة في الغرب الإسلامي. كما تقلد رجالاتها المناصب السامية في الدولة وكانوا قادة للجيوش[1]، وقد انتقل غالبية أفرادها إلى مصر مع رحيل الفاطميين.

فكل باحث أو مهتم بتاريخ الشيعة الإسماعيلية من بداياتها الأولى أو مراحل تنظيم الدًعوة في الكوفة وبغداد واليمن والشام، أو دارس لأحوال بلاد الغرب الإسلامي والمغرب الأوسط وبالأخص في القرن الثاني الهجري وما بعده، لا يمكنه الاستغناء عن كتابات القاضي النعمان في شقها التاريخي، لأنه سيجد ضالته في مؤلفاته التي ألفت لكل واقعة في زمانها وقيًدت ما جرى من قضايا في أوانها، وامتلأت فصولها بالكثير من الحكم والأمثال، وحشدت بنوادر الأخبار. أما في جانبها الديني فهو قد أثري المكتبة المغاربية بمصنفات هامة تخص الردود على المشككين في عقيدة المذهب، ويعتبر كتابه الشهير "اختلاف أصول المذاهب"، قمة في البيان والبلاغة والتبحر في اللغة والرسوخ في الفقه والتفسير وعلوم الحديث، لأنه كان ردا على كبار علماء الأمة من أمثال أبي حنيفة ومالك والشافعي وابن سريج[2].

لا يمكن لأي كان أن يحيط بحياة هذا العالم الفقيه في بضعة أسطر، لأنه جمع في أعماله ومصنفاته التي تجاوزت الستين مؤلف غير تلك التي ضاعت أو فقدت، الواقع بأسلوب أدبي رفيع، ممتهنا الموضوعية والأمانة. فهو يكتفي بعرض الوقائع ويدافع عن قناعاته بدون تشدد، فاتحا المجال للآخرين لنقده أو معارضته أو إبداء آرائهم بدون تعصب. فشخصيته كانت منفتحة ولم نجد أثرا لغلو أو تطرف أو إقصاء للغير من خلال إطلاعنا على بعض كتبه. فثراء هذه الشخصية المغاربية العلمية يظهر من خلال إنتاجه وإسهاماته في بلورة فكر وتصور مخالف لآراء ومواقف أهل السنة من الشيعة ومذهبهم لمذهب آمن به وتبناه ليصبح فقيه المذهب وعالمه بدون منازع[3].

---

(1)– عبد الرحمن الجيلالي: **تاريخ الجزائر العام،ج1**، المرجع السابق، ص 241.

(2)– هو الإمام شيخ الإسلام فقيه العراقيين أبو العباس أحمد بن عمر بن سريج البغدادي، القاضي الشافعي، صاحب المصنفات. ينظر، الذهبي: **سير الأعلام، ج14**، المصدر السابق، ص 24.

(3)– فرحات الدشراوي: **الخلافة الفاطمية بالمغرب (296– 365هـ/909– 975م)، التاريخ السياسي والمؤسسات، دار الغرب الإسلامي، بيروت**، ط1، 1994م، ص 584.

أبو جعفر نصر الداودي (ت402هـ/1011م):

لقد انتقينا من قائمة علماء وأعلام المغرب الأوسط المالكيين الذين صنعوا لأنفسهم شهرة واسعة في مجالي العلوم الشرعية، وباتوا مرجعا فقهيا يستنير العلماء وطلبة العلم بعلمهم وعنهم تأخذ الأحكام والفتاوى في بلاد المغرب. واحد ممن كان لهم السبق والجرأة على ولوج علوم الحديث وشروحها اعتمادا على الموطأ والصحيحين، ولكنه لم يكتفي بهذا القدر من التبحر فيها، بل ألزم نفسه بالخوض في دراسة وشرح أفضل ما دون من كتب الأصول الستة أو أمهات الكتب، يتصدرها كتاب "صحيح البخاري" مفخرة المسلمين وأجل ما دون في هذا الباب. واشتهر صاحب الترجمة بكونه محدثا فقيها، ومصنفا أصوليا وأول شارح للكتاب المشهور "صحيح البخاري" لمؤلفه الإمام محمد بن إسماعيل البخاري في بلاد الغرب الإسلامي[1] بعد شرح الإمام الخطابي (ت 388هـ)[2]. وسبق شرح أبي الحسن علي بن خلف بن عبد الملك، الشهير بابن بطال القرطبي المالكي (ت449هـ)[3].

فهذا الكتاب المسمى أيضا بـ"الجامع الصحيح"، اعتنى به العلماء في مشارق الأرض ومغاربها، وأنزلوه منزلة رفيعة، وامتلأت بدراسته المساجد ودور الحديث والزوايا للإملاء منه

---

(1)– هو محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبة الجعفي أبو عبد الله البخاري الاوزبكي من مدينة بخارى في إقليم خراسان. أهم علماء الحديث عند أهل السنة والجماعة. صاحب كتاب الجامع الصحيح الذي يعرف بأنه أصح الكتب عند أهل السنة بعد كتاب الله، مكث في تأليفه 16 سنة، جمع فيه أبواب العلم كلها. ولد سنة (194هـ)، وروى الخطيب البغدادي عن الفربري أنه قال: سمع الصحيح معي نحوٌ من سبعين ألفًا لم يبقَ منهم أحد غيري. توفي سنة (256هـ) ينظر، محمد أبو زهرة: **الحديث والمحدثون**، طبع الرئاسة العامة لإدارة البحوث، القاهرة، مصر، ط2، 1404هـ/ 1984م، ص 354.

(2)– هو حمد بن محمد بن إبراهيم بن خطاب الخطابي البستي، يكنى بأبي سليمان. ولد بمدينة بُست حوالي (310هـ). من أهم مصنفاته،" معالم السنن" ، " أعلام الحديث"، " غريب الحديث ". ينظر، الذهبي: **السير**: المصدر السابق، ج17، ص23.

(3)– هو أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن البطال البكري القرطبي ثم البلنسي المالكي ويكنى أيضا بابن اللجام. نشأ في قرطبة. تتلمذ على يديه جلة من العلماء، مثل ابن الفرضي، المهلب بن أبي صفرة، وأبي القاسم الوهراني وغيرهم. له من المؤلفات "الاعتصام في الحديث"، "الزهد والرقائق". توفي سنة(474هـ). ينظر، **القاضي عياض: ترتيب المدارك وتقريب المسالك**، ج8، المصدر السابق، ص160.

والاستفادة من متونه وشرحا لنصوصه، فابتدره علماء الأمة بالتأليف والشرح إلى الاستخراج عليه، إلى المعلقين عليه ومختصريه، إلى المترجمين لأعلام الأمة من الفقهاء والعلماء الذين تناولوه بالشرح والتفسير، ولم يكن يعترف بقيمة أي عالم أو فقيه أو محدث إذا لم يكن له حظ ونصيب من المعرفة أو الحفظ أو الدراسة لهذا الكتاب.

لكن من المؤسف أننا لاحظنا تغييبا وتجاهلا فاضحا لاسم هذا العالم الجليل، ولم نجد له أثرا في كتب المصادر والتراجم التي تناولت بالدراسة والبحث كتاب صحيح البخاري أو تلك التي اهتمت بشرحه، أو ذكر من قبل المُبكرين الذين شرحوه وفسروه بما تقتضيه أحكام العلم وشروطه. فجلها غيبت اسم الداودي من فهارسها وراحت تعدد آخرين ممن سبقوه أو عاشوا في زمانه من أمثال، الحافظ أبو أحمد عبد الله بن عدي (ت365هـ) صاحب كتاب "من روى عنه البخاري"، وكتاب "الهداية والإرشاد" لأبي نصر أحمد بن محمد الكلاباذي (ت 398هـ)، أو لمن أتوا من بعده كمحمد بن الطاهر المقدسي (ت507هـ).

أ- مولد ونشأته:

هو الإمام أبي جعفر أحمد بن نصر الداودي، المسيلي، الأسدي، الأموي، الطرابلسي التلمساني، كنيته أبو جعفر، إلا أن خير الدين الزركلي يكنيه بأبي حفص[1]. اختلف في مكان ولادته بين مدينتي المسيلة أو بسكرة، لكن القاضي عياض يذكر بأنها المسيلة[2]. أما عن نسبته للطرابلسي (طرابلس الغرب) وهي نتيجة مكوثه بها ناشرا للعلم لبضع سنين، ولم تذكر كتب الراجم سبب ذهابه إلى هذه المدينة التي أملى فيها كتابه "في شرح الموطأ". بعدها انتقل إلى مدينة تلمسان التي استقر فيها كفقيه فاضل، وعالما متفننا، ومؤلفا مجيدا له حظ من اللسان والحديث إلى لأن وافته المنية سنة (402هـ)[3]. ولم يعرف عن الداودي أنه حمل عن أحد من المشايخ الكبار إلا على القلة منهم كأبي بكر بن عبد الله بن أبي زيد، وأبو سليمان ربيع القطان، وأبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله الزبيري، وإبراهيم بن خلف الأندلسي.

---

(1)- خير الدين الزركلي: **الأعلام**، دار العلم للملايين، بيروت، ط15، 2002م، ج1، ص 264.

(2)- ينظر، ابن فرحون المالكي: **الديباج المذهب في أعيان علماء المذهب**، تحقيق: محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث، القاهرة، ج1، ص 166. القاضي عياض: **المدارك**، ج7، المصدر السابق، ص 102.

(3)- القاضي عياض: **نفسه**، ج7، المصدر السابق، ص 103.

فاتفق أغلب من ترجم له بأنه كان عصاميا كون نفسه بنفسه لقلة شيوخه، ورغم ذلك فإنه تبحر في كثير من العلوم. فابن فرحون صاحب الديباج أكد ذلك في ترجمته بالقول: "وكان درسه وحده، لم يتفقه في أكثر علمه على إمام مشهور، وإنما وصل بإدراكه"[1]. وهذا ما زاد من مكانته وعلو شأنه بين علماء عصره، وعدوه منقبة له.

كانت لهذا العالم مواقف مشرفة من الشيعة الفاطميين، ونلحظ ذلك في رسالته لعلماء وفقهاء القيروان آخذا عليهم مهادنتهم للشيعة ومنكرا عليهم مقامهم بينهم رغم ما كان يقترفه دعاتها وأصحاب الأمر فيها من سب للصحابة، وتحريف للعقيدة وإدعاء خلفائهم العصمة والمهدوية وغيرها من الأعمال والأفعال. وهو بذلك قد عبر عن موقفه صراحة من هذه النحلة وأظهر عداءه لها، وأنه رجل المواقف لا يخاف في الله لومة لائم، ما ألب عليه شيوخ القيروان وأجابوه بالقول "اسكت لا شيخ لك.. يشيرون أنه لو كان له من يفقهه حقيقة الفقه لعلم أن بقائهم مع من هناك من عامة المسلمين، تثبيت لهم على الإسلام، وبقية صالحة للإيمان، وأنه لو خرج العلماء من إفريقية لما بقي فيها من العامة آلاف آلاف، فرجحوا خير الشرّين"[2].

أما عن مؤلفاته، فإنه خلف تراثا علميا متنوعا كتبا متنوعة في الحديث والفقه والأصول والعقيدة، تشهد له بسعة الاطلاع، والشهرة في العلم، وكثر ثناء العلماء والفقهاء عليه لسعة علمه، ورسوخ قدمه في مختلف العلوم، فقد وصفه القاضي عياض بأنه من أئمة المالكية بالمغرب، وقال عنه الذهبي بأنه كان ذا حظ من الفصاحة والجدل، ووصفه ابن صعد التلمساني بأنه: "علامة العلماء ومن أكابر الأولياء، مشهور بإجابة الدعاء"[3]. ترك الداودي العديد من المؤلفات، التي تداولها علماء العصر وطلبتها بالقراءة والنسخ، وعمرت بها المكتبات العامة والخاصة، أهمها "الإيضاح في الرد على القدرية"، وكتاب الأصول،

---

(1)- ابن فرحون: **الديباج**، ج1، المصدر السابق، ص 166.

(2)- القاضي عياض: **المدارك**، ج7، المصدر السابق، ص 103.

(3)- محمد بن أبي الفضل بن سعيد بن صعد التلمساني(ت 910هـ): **النجم الثاقب فيما لأولياء الله من المناقب**، مؤسسة الملك بن عبد العزيز، الدار البيضاء، المملكة المغربية، (د- ت)، ص 169.

وكتاب "البيان"، وكتاب "الأموال"، الذي أسهب فيه بالبحث والاجتهاد لما ينبغي أن يكون عليه النظام المالي في للدولة الإسلامية من حيث الموارد والمصارف.

ثالثاً: نماذج لبعض علماء العهد الحمادي:

1- أبو محمد عبد الله الأشيري (ت561هـ):

هو الإمام مجد الدين أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الله ابن علي الأشيري نسبة إلى مدينة أشير[1]، الإمام المحدث والفقيه الأديب لم تسعفنا المصادر ولا كتب التراجم حول تاريخ مولده وبالتالي يجهل سنه حين أدركته الوفاة. أخذ العلم على عدد كبير من المشايخ المغاربة وأقرانهم من الأندلس، مثل ابن الدباغ أبو الوليد يوسف بن عبد العزيز الأندي (ت546هـ)[2] ، وأحمد بن علي أبو جعفر بن غزلون (ت 520هـ)[3] ومحمد بن عبد الله بن محمد أبو بكر ابن عربي الأشبيلي (ت 543هـ)[4] ، وغيرهم من علماء عصره.

---

(1)- من أهم مدن المغرب الأوسط، كانت عاصمة إمارة بني زيري، بناها زيري بن مناد الصنهاجي على عهد الخليفة الفاطمي المنصور، ومعناها بالبربرية المخلب.وصفها العديد من الرحالين بأنها مدينة حصينة، مشهورة بكثرة المياه، ذات أسواق وبساتين وأراضي تصلح للفلاحة. يصفها ابن خلدون بالقول: "... كانت من أعظم مدن المغرب...". ينظر، ابن خلدون، **العبر**، مج6، ص 313. البكري، **المغرب**، ص 60. ابن الأثير، **الكامل**، مج8، ص 47. ابن حوقل: **صورة الأرض**، ص 88. ابن خلكان: **الوفيات**، مج2، ص 342.

(2)- ابن الدباغ، الإمام الحافظ المتقن الأوحد، أبو الوليد، يوسف بن عبد العزيز بن يوسف بن عمر بن فيره اللخمي الأندي المالكي، نزيل مرسية. أخذ عن أبي علي الصدفي ولازمه، وسمع "الموطأ" من أحمد بن محمد الخولاني، وأخذ أيضا عن أبي محمد بن عتاب، وطائفة. ينظر، الذهبي: **السير**، ج20، ص 220.

(3)- أحمد بن علي بن غزلون أبو جعفر الأموي، الأندلسي. عالم فقيه متمكن، من أصحاب أبي الوليد الباجي، من أهل الحفظ والمعرفة والذكاء، توفي سنة (532هـ) وقيل (520هـ) بالعدوة. الذهبي: **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، ج11، ص 202. أبو بكر بن محمد بن خير بن عمر بن خليفة الأموي (ت 575هـ): **فهرسة ابن خير الإشبيلي**، وضع حواشيه، محمد فؤاد منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1،1419هـ / 1998م، ص 258.

(4)- هو أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي المعافري الأشبيلي، (468- 543هـ). القاضي الفقيه، والرحَّالة الأديب من أهل التفنُّن في العلوم، متقدما في المعارف كلها، متكلما على أنواعها، يِّد الحديث، وضبط ما روى، واتَّسع في الرواية، وأتقن مسائل الخلاف والأصول والكلام. ينظر، المقري التلمساني: **نفح الطيب**، ج2 ، المصدر السابق، ص34.

ويعتبر الإمام مجد الدين خير سفير للمغرب الأوسط في بلاد المشرق الإسلامي، لأنه أظهر براعة وتمكنا من العديد من ضروب العلوم وفنونها، ما جعله قبلة لطلبة العلم وتتلهف لحضور دروسه والاستماع إليه قوافل من الناس ومرتادي المساجد للاستفادة من علمه في حلقات العلم التي كان يعقدها في مساجد الشام وبغداد. ويذكر ياقوت الحموي أنه فاق جميع علماء الشام وحلب، وكان الوزراء والملوك يتفاخرون بمجالسته والاسترشاد بعلمه وآراءه[1]. ذاع صيته وتألق اسمه في سماء الفقه وعلوم الحديث، ولقي صدى واسعا في العالم الإسلامي بلغ بغداد، حاضرة العلم والعلماء. فكانت رسالة الوزير يحي بن هبيرة[2] إلى الملك العادل نور الدين زنكي[3] يسأله فيها بالسماح لهذا العالم الجليل بالقدوم إلى بغداد لينفع وينتفع الناس من علمه، فلبي نور الدين طلب يحي وسيره إليه في موكب مهيب،إلى غاية وصوله بغداد معززا مكرما. وليظهر تقدمه وريادته في الفقه.

بدأ بإقراء كتاب "الإفصاح عن معاني الصحاح" لمؤلفه ابن هبيرة نفسه وهو الأمر الذي أذهل الوزير وزاد من إعجابه وتوقيره له. وقد عرف عن بن هبيرة إقامة المجالس العلمية بحضور العلماء والفقهاء ويقرأ عنده الحديث على الرواة، فكان يبحث مع كل منهم فنه في حلقات الدروس والشروح التي تفنن فيها الإمام وأبدع في شرح أحاديث الصحيحين

---

(1)- ياقوت الحموي: **المعجم**، مج1، المصدر السابق، ص ص 202- 203.

(2)- يحيى بن محمد بن هبيرة الدوري البغدادي، أبي المظفر، أستوزر للخليفة المقتفي لأمر الله ولابنه المستنجد. لقب بالعالم العادل، قرأ القرآن وسمع الحديث، كانت له معرفة جيدة بالنحو واللغة والعروض وتفقه على مذهب الإمام أحمد، وصنف كتبا جيدة مفيدة "الإفصاح عن معاني الصحاح"، و"المقتبس من الفوائد العونية". وجاء كتاب الإفصاح في مجلدات، شرح فيه الحديث، وتكلم على مذاهب العلماء. كان على مذهب السلف في الاعتقاد. ينظر ابن كثير،**البداية والنهاية**، ج12، المصدر السابق ص344. الذهبي: **السيَر**، ج20، المصدر السابق، ص 426.

(3)- نور الدين، أبو القاسم، محمود بن الأتابك أبي سعيد زنكي، (511هـ/569هـ) ولد بالموصل بالعراق كان شهماً شجاعاً ذا همة عالية، وقصد صالح، وحرمة وافرة وديانة بينة، نشر مذاهب أهل السنة الأربعة، وبنى المدارس، ووقف الأوقاف، وأظهر العدل والإنصاف. ينظر، ابن كثير، **نفسه**، ج 12، ص297.

بخاري ومسلم رغم حجم المصنف الذي جاء في تسعة عشر كتابا وقد خلف عدة مصنفات أهمها "شرح قصيدة الحصري"*[1].

2- أبو القاسم يوسف بن علي جبارة بن محمد بن عقيل الهذلي (403/465هـ).

وهو أيضا من علماء المغرب الأوسط الذين شدوا الرحلة إلى المشرق، وشرفوا بعلمهم وصدقهم وأخلاقهم كامل بلاد المغرب الإسلامي، ونافحوا عن كتاب الله وسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وسيرة وصحابته في معقل الشيعة في بغداد وأصبهان والكوفة وغيرها ومن والاهم من الفرق التي طعنت في بعض الصحابة واتهموهم بكتم شيئا من القرآن فكان رده عليهم بالحجة والدليل والبرهان بقوله: "ولا خلاف في الستة آلاف ومئتين وهي عدد آيات القرآن الكريم... ولا عبرة بقول الروافضة والعامة ستة آلاف وست مئة وستة وستون، والناقص حسب قولهم،هي آيات حذفها الصحابة رضي الله عنهم لأنها نزلت في ولاية ووصاية الإمام علي رضي الله عنه وأهل البيت".

أ- **اسمه وكنيته ونسبه:** هو يوسف بن علي بن جبارة بن محمد بن عقيل بن سوادة الهذلي نسبة إلى قبيلة هذيل التي منها ينحدر أصله، وبعض من بطونها استوطنت منطقة الزاب، ولد سنة(403هـ)[2]. أخذ عن علماء مدينته، كغيره من أترابه، مبادئ الفقه وحفظ كتاب الله، ونال قسطا من اللغة والنحو والإعراب، بعدها عزم على الرحلة في طلب العلم. فكانت

(*)- قصيدة الحصري القيرواني لصاحبها أبي إسحاق علي بن عبد الغني الفهري الحصري الضرير أبو الحسن(420/488هـ) من بين أفضل ما جادت به قريحة هذا الشاعر المرموق الذي عاش في العصر العباسي الثاني، واعتبرت من أجمل ما قيل في الشعر العربي، ذاعت شهرتها انتشرت في مجالس الأدب والغناء وتغنى بها الشعراء في مجالسهم وجاراها الكثير منهم ومطلعها:

يَا لَيلَ ٱلصّبِ مَتَى غَدُهُ *** أَقِيَامَ ٱلسَاعَةِ مَوْعِدُهْ

رَقَدَ ٱلسَمَّارُ فَأَرّقَهُ *** أَسِفُ لِلْبَيـنِ يُرَدِدُهُ

(1)- عادل نويهض: **معجم أعلام الجزائر**، المرجع السابق، ص17. عبد الرحمن الجيلالي: **تاريخ الجزائر**، المرجع السابق، ج1، ص 305.

(2)- يذكر ابن حجر في كتابه "لسان الميزان" بأن سنة مولده كانت في (395هـ). ينظر، أبي القاسم يوسف بن علي بن جبارة: **الكامل في القراءات العشر والأربعين الزائدة عليها**، تح: جمال بن السيد بن رفاعي الشايب، مؤسسة سما للنشر والتوزيع، ط1، 1428هـ/2007م، ص4.

وجهته على عكس معاصريه مدينة أصبهان ووصلها سنة (425هـ) فاتصل بعلمائها ومنهم القاضي أبي العلاء محمد بن علي بن يعقوب الواسطي، وأبي القاسم الربذي، وأبي علي الأهوازي، ثم انتقل إلى نيسابور سنة (452هـ) فحضر دروس أبي القاسم القشيري في الأصول والفقيه أبي بكر أحمد ابن منصور، ومنها اتخذ قراره في التخصص في علوم اللغة والقراءات[1].

ب- رحلته في طلب العلم: يمكن القول بان رحلة هذا العالم كانت من بين أغرب وأطول الرحلات العلمية في العصر الوسيط، فهو قد زار ونزل في أكثر من سبعين مدينة، ولقي في رحلته ما يربو على الثلاثمائة وستين شيخا، قال عنه الحافظ ابن الجزري: "وطاف البلاد في طلب القراءات، فلا أعلم أحدا في هذه الأمة رحل في القراءات رحلته، ولا لقي من لقي من الشيوخ". وعن رحلاته وتنقلاته المتكررة يقول: "فجملة من لقيت في هذا العلم ثلاثمائة وخمسة وستون شيخا من آخر المغرب إلى باب فرغانة يمينا وشمالا وجبلا وبحرا ولو علمت أحدا تقدم علي في هذه الطبقة في جميع بلاد الإسلام لقصدته"[2]. فمدحه ابن الجزري بقوله: " كذا ترى همم السادات في الطلب"[3].

كانت لهذه التجربة الفريدة من نوعها لعالم من الغرب الإسلامي أفنى حياته كلها رغبة في طلب العلم على خطى السلف الصالح، وبلغت به طرق الأسفار والرحلة إلى أقاصي البلدان وأبعدها، ولم تثنه عن رغبته في التخصص في علوم القراءات لا بعد المسافة ولا قلة الذخيرة والمؤونة ولا الجوع ولا الفقر، ولم يكن يستحي أو يستكنف في طلب العلم من صغير ولا كبير، ذكر أو أنثى[4]. بل كان مثابرا مستحملا لتعب الرحلة وأهوالها إلى أن أصبح فقيه زمانه ومرجعا لا يستغنى عنه في مجاله، مما حذا بالأمير الوزير نظام الملك استدعاءه إلى الإقراء بمدرسة نيسابور وتم ترسيمه فيها أستاذا وظل كذلك إلى غاية وفاته سنة (465هـ) ودفن فيها كما أورده الإمام الذهبي، وابن ماكولا، والإمام ابن الجزري في تراجمهم.

---

(1)- محمد الطمار: **تاريخ الأدب الجزائري**، المرجع السابق، ص 47.

(2)- أبي القاسم يوسف: **الكامل في القراءات**، المصدر السابق، ص 5.

(3)- محمد الطمار: **نفسه**، ص 48.

(4)- عبد الرحمن الجيلالي: **تاريخ الجزائر العام**، ج1، المرجع السابق، ص 304.

يعتبر كتابه الكامل في القراءات من أمهات الكتب المؤلفة في هذا الباب، ولا يستغنى عنه في دراسة علوم القرآن وقراءاته، فقد ضمنه خمسين قراءة بألفين ومائتين وتسعين طريقا، وهو من أوسع وأغزر كتب القراءات، واحتوى على كنوز من المعرفة المتعلقة بالقراءات و التجويد وفضائل القرآن وسوره. فعنه يقول مؤلفه بأنه: " لم يتسنى له تدوينه حتى استكمل نظره في العربية والفقه والكلام وقراءات السلف والتفاسير والسنن والمعاني"[1]. فمن خلال هذه اللمحة القصيرة والمقتضبة على مسار وحياة هذا العالم الوجيه، نستبين حقيقة الإسهام العلمي والجهد الفكري الذي أظهره المغرب الأوسط بمثل هؤلاء العلماء والدور الكبير الذي لعبوه في ساحة التدريس والإقراء ونشر العلوم.

3- أبو الفضل ابن النحوي يوسف بن محمد التوزري (434هـ/513هـ):

هو أبو الفضل يوسف بن محمد بن يوسف، التوزري، التلمساني، القيرواني، القلعي، المعروف بابن النحوي التوزري. فقيه مجتهد ونحوي ناظم، أصله من تلمسان. ولد بمدينة توزر سنة (434هـ). لقب بالتوزري نسبة إلى مسقط رأسه توزر. عاش حياة الترحال في طلب العلم كانت له جولات بين حواضر المغرب الإسلامي، فتنقل بين معظمها، فقصد سلجماسة وفاس في المغرب الأقصى، ثم شرق نحو مدينة صفاقس وبعدها القيروان، ثم رأى أن يرحل إلى الأندلس رغبة في زيادة التحصيل ومقابلة العلماء، ثم ما لبث أن شدَّ الرحال إلى قلعة بني حماد وفي هذه الأخيرة التي استهوته وطاب له المقام بها بعد رحلاته المتعددة وتجواله في بلاد المغرب الإسلامي. فقرر الاستقرار بها بعدما رأى أنها تلائمه وبقي فيها معلما ومدرسا إلى أن وافته المنية سنة (512هـ) وعل ذلك كني فقيل له "القلعي"[2].

أ- نشأته التعليمية.

لم تورد المصادر أو كتب التراجم الكثير عن تفاصيل حياته، ونشأته وخاصة ما تعلق بصغره والبدايات الأولى لتعليمه ومن هم المعلمين أو المشايخ الذين أخذ عنهم. إلا أن بدايته

---

(1)- أبي القاسم يوسف: **الكامل في القراءات**، المصدر السابق، ص 9.

(2)- عبد الوهاب الشريف بوعافية الحسني: **الوسيلة إلى الله في القبول**، مكتبة دار المنهاج القويم للنشر والتوزيع، مكتبة الإمام أبي الحسن الشاذلي للدراسات والنشر، دمشق، سوريا، ط1 ، 1430هـ/ 2009م، ص 872، هامش 2. ينظر أيضا، أبو العباس أحمد بن حسن بن علي الخطيب: **الوفيات** تحقيق: عادل نويهض، دار صادر، بيروت، لبنان، 1982م ، ص 286.

كانت في توزر، وبها تتلمذ على الفقيه عبد الله بن محمد الشقراطسي وأخذ منه علوم الحديث والفقه واللغة العربية، ثم قصد قفصة وعندما لم يجد ما يبحث عنه فيها توجه على القيروان وفيها أخذ على جلة من الفقهاء والمشايخ وعلى رأسهم أبو الحسن علي بن محمد الربعي المعروف باللخمي[1]، الذي درس عنده صحيح البخاري كما أخذ العلم عن المازري وابن زكرياء ثم توجه إلى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج، وانقطع خبره عن أهل بلده أعواما متطاولة[2].

كان من بين الحواضر التي قصدها هذا العالم مدينة فاس، وحل بها سنة (494هـ) والتقى بشيوخها منهم قاضيها ابن دبوس و أبو عمران موسى بن حماد الصنهاجي، لكنه غادرها بعد مدة إثر إحراق كتب أبي حامد الغزالي من قبل المرابطين على عهد يوسف بن تاشفين، فأنكر هذا الأمر وغادرها متوجها نحو قلعة بني حماد ومنها تفجرت عيون المعارف والعلوم التي جمعها خلال رحلاته وتواصله مع عدد كبير من العلماء والفقهاء والمشايخ وبرزت شخصيته كنابغة في أصول الدين والفقه،وأظهر معرفة وتمكنا من الأدب والنثر والشعر وكانت قصيدته المشهورة "المنفرجة" والتي مطلعها:

اِشْتَدِي أَزَمَةِ تَنْفَــرِجِي	***	قَـــدْ آذَنَ لَيْلُكِ بِالْبلَجِ
وَظَلَامُ اللَّيْلِ لَــهُ سِرْجُ	***	حَتَــى يَغْشَاهُ أَبُو الْسِرْجِ
وَسَحَابُ الْخَيْرِ لَهَا مَطَرُ	***	فَإِذَا جَـــاءَ الإِبَّانَ نَجِ
وَفَوَائِدُ مَوْلَانَا جُـــمَلُ	***	لِسُرُوجِ الْأَنْفُسِ وَالْمُهَجِ[3]

يتفق الدارسون لسيرة هذا العالم الجليل بأن حياته لم تكن كلها دعة ورخاء، وإنما تعرض إلى الكثير من المواقف العصيبة، وجرت له شدائد ألمت به، فنظم هذه القصيدة التي جمعت بين شعر التوسل مع مسحة من أدب وروح التصوف، وعرفت شهرة واسعة وتنافس

---

(1)– ينظر ترجمته، القاضي عياض: **ترتيب المدارك**، ج8، المصدر السابق، ص 109.

(2)– أحمد أبو رزاق: **الأدب في عصر دولة بني حماد**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1979م، ص 284.

(3)– ينظر القصيدة كاملة، أبو الفضل يوسف بن النحوي: **المنفرجة، شرح أبي علي البوصيري** تحقيق: أحمد أبو رزاق، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1984م. رشيد بورويبة: **الدولة الحمادية**، المرجع السابق، ص ص 170– 171.

لحفظها المشايخ ورؤوس التصوف في بلاد المغرب، وتناولوها بالشروح والتفسير وفي ذلك يقول البوصيري: "القصيدة المسماة بالمنفرجة نظم الإمام العارف بالله أبي الفضل يوسف بن محمد بن يوسف المعروف بابن النحوي... لما احتوت على حكم وفوائد ومواعظ، واشتهر عند العلماء أرباب القلوب أنهم إذا ضاق بهم الحال قرأوها فتنفرج عنهم الكروب"[1].

رابعاً: نماذج لبعض علماء العهد المرابطي.

1- علي بن أبي القاسم القسنطيني (ت519هـ)[2].

هو علي بن القاسم القسنطيني الأشعري علي بن القاسم بن محمد التميمي، أبو الحسن القسنطيني الأشعري المغربي، أحد أشهر علماء الكلام على المذهب الأشعري[3]. لم تتطرق المصادر إلى مولده ولا إلى نشأته، وغاب ذكره من كتب التراجم وأحجم الدارسون على الإحاطة بتفاصيل حول حياته وعن البدايات الأولى لمراحل تعلمه، لكن يبدو من خلال ما أورده الصفدي فإن أبي القاسم كانت له رحلة إلى المشرق ودخل بغداد والمحتمل أنه زار مدينة البصرة معقل المعتزلة، وجالس محدثيها لأن البدايات الأولى لهذا الفكر ارتبطت بالمدرسة الكلابية لصاحبها أبي محمد عبد الله بن سعيد بن كلاب البصري، وكان الحسن الأشعري يوافقه في بعض ما يذهب إليه.

---

(1)- ينظر: **شرح البوصيري**، المصدر السابق، ص 17.

(2)- ينظر ترجمته، الصفدي: **الوافي بالوفيات**، المصدر السابق، ص 274.

(3)-نسبة إلى صاحب هذه العقيدة، علي بن إسماعيل بن أبي بشر إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري. وكنيته أبو الحسن. والأشعري نسبة إلى قبيلة أشعر المعروفة باليمن. ولد أبو الحسن بالبصرة سنة (260هـ). وسكن بغداد وتوفي بها سنة (324هـ). الأشاعرة من الفرق الإسلامية التي بنت أصولها على إثبات الصفات لله، مقدمين العقل على النقل، فالفكر عندهم فوق النص والسمع ويخالفون أهل السنة والجماعة في معنى التوحيد. ينظر، محمد إبراهيم الفيومي: **تاريخ الفرق الإسلامية السياسي والديني**، الكتاب الخامس: شيخ أهل السنة والجماعة الإمام أبو الحسن الأشعري. وفيه دراسة وافية عن الأشاعرة ومذهبهم وعلاقتهم بالمالكية وموقفهم من الفرق الأخرى.

وفي بغداد قرأ بها علم الكلام على محمد بن أبي بكر القيرواني[1] حتى برع فيه ولم تكن له عناية بالحديث. وتواصل مع العديد من الفقهاء والشيوخ، ولازمهم وشاركهم فنون العلوم وما أظهر براعة وتفوقا[2]. بعدها بمدة قصد الشام، وفي دمشق سمع من الفقيه نصر بن إبراهيم المقدسي شيخ الشافعية في عصره بالشام صحيح البخاري[3]، ونال حظوة عند رئيس دمشق أبو الذواد المفرج بن الصوفي، الوزير العالم والفقيه المتمكن، الذي أشتهر بالصلاح وكان صاحب صدقات[4]. فأكرمه وأحسن وفادته، ولم تلتفت كتب التراجم ولا الطبقات لمسار حياته في دمشق، إلا أن الظاهر يشير إلى تواصله مع العلماء، واشتغاله بالعلم ولم يكن يقتصر على العلوم الدينية التي صنف فيها كتابه المعروف "تنزيه الإله وكشف فضائح المشبهة الحشوية" الذي رد فيه على الرافضة واعتقاداتهم الخاطئة، كما ذُكر بأنه كان يشتغل بكيمياء الفضة، وكانت وفاته بدمشق يوم الأحد الثامن عشر من شهر رمضان سنة تسع عشرة وخمس مائة، ودفن في ذلك اليوم، وصلى عليه الفقيه أَبو الفتح نصر اللَّه بن محمد[5].

2- الحسن بن علي التيهرتي (ت501هـ).

هو الحسن بن علي بن طريف التيهرتي أحد كبار اللغويين والنحويين الذين أنجبتهم مدينة تيهرت، سافر مبكرا إلى الأندلس وفيها أخذ علومه على يد كبار علمائها وشيوخها،

---

(1)- هو ابن أبي كدية الأشعري محمد بن عتيق أبي بكر بن محمد بن أبي نصر، أبو عبد الله التميمي القيرواني الأشعري المتكلم المعروف بابن أبي كدية. درس الأصول بالقيروان على عبد الله الحسين بن حاتم الأزدي صاحب ابن الباقلاني، ومن مصر كان سماعه من أبي عبد الله القضاعي، ثم قصد الشام مدرسا وبعدها دخل العراق وأقرأ الكلام توفي سنة (512هـ). ينظر ترجمته، الذهبي: **سير الأعلام**، ج19، المصدر السابق، ص 390. محمد بن مكرم، ابن منظور: **مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر**، تح: روجية النحاس وآخرون، ط1، 1404هـ/1984م، ج23، ص 45.

(2)- ياقوت الحموي: **معجم البلدان**، ج4، المصدر السابق، ص 397.

(3)- عبد الرحمن الجيلالي: **تاريخ الجزائر**، ج1، المرجع السابق، ص، 319.

(4)- ينظر ترجمته، شمس الدين أبي المظفر، ابن الجوزي (ت 654هـ): **مرآة الزمان في تاريخ الأعيان**، تح: كامل الجبوري، قيس كاظم الجنابي، دار الكتب العلمية، دمشق، ج13، ص 529.

(5)- **موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين**، ج2، المرجع السابق، ص 427.

حتى أصبح عميد الأدب العربي في المغرب والأندلس، وأصبح فيها نبيلا جليلا وجيها في زمانه.

لم تشر المصادر إلى مولده ولا إلى المراحل الأولى لتعليمه، لكن شهرة مدينة تيهرت كحاضرة علمية ظلت تنشر العلوم والمعارف رغم المحن الخطوب التي ألمت بها، تغنينا عن البحث والتنقيب عن الأعلام الذين أخذ عنهم العلم في شبابه. فهجرته إلى الأندلس وهو في سن الشباب تجعلنا نخمن أنه تلقى تكوينه العلمي بداية في الكتاب، وحفظ القرآن وأصول اللغة والنحو فيها، ثم التحق بالعدوة لملاقاة شيوخها وعلمائها، ونستوضح ذلك من خلال ترجمة القاضي عياض للشيوخ الذين أخذ عنهم والذين كانوا من الكثرة والشهرة بحيث يتعذر علينا ذكرهم كلهم وسنقتصر على بعضهم. فقد أخذ عن الفقيه الحجاج بن المأمون، وعن الفقيه ابن سعدون، والفقيه مروان بن عبد الملك، والقاضي ابن سهل، وأبي محمد بن أبي قحافة وعن أبي تمام القطيني[1].

كانت هذه الكوكبة من أعلام الأمة هي التي صقلت مواهبه، وأثرت معارفه، ودفعت به إلى تصدر مجالس الإقراء والتدريس، فكان من فضله على الأمة أن تخرج على يديه عددا لا يحصى من الطلبة والفقهاء والعلماء والمشايخ ، وكان على رأسهم العالم الرباني وأحد حاملي مشعل المالكية وشيوخها القاضي أبي الفضل عياض بن موسى اليحصبي[2]، الذي أثنى عليه ومدحه وكان يسميه بـ "شخينا الكبير" من باب التوقير والإجلال واعترافا له بسبقه في العلوم وتبحره فيها فيصفه قائلا: "شيخ بلدنا في النحو مشهور بالصلاح"[3].

وحسب تلميذه القاضي عياض، فإنه استقر بسبتة، ومنها ذاع صيته وقصده العلماء والفقهاء والطلبة للأخذ عنه، لأنه استوفى جميع شروط العالم المتمكن، وكان مثالا للنبوغ

---

(1)- عادل نويهض: **المعجم**، المرجع السابق، ص59. عبد الرحمن الجيلالي: **تاريخ الجزائر العام**، المرجع السابق، ص 318.

(2)- هو أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي، ولد بسبتة سنة (476هـ) وقرأ على مشايخها القراءات والعربية، وأصول الفقه، وعلم الكلام. وتفقه بالمذهب المالكي، فأصبح إمام وقته في الحديث وعلومه والنحو واللغة، وكلام العرب وأيامهم وأنسابهم. توفي في مراكش سنة (544هـ).

(3)- القاضي عياض: **الغُنية فهرست شيوخ القاضي عياض (476 -544هـ/1083- 1149م)**، تح: ماهر زهير جرار، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ص 141.

النادر وبحرا زاخرا في النحو والأدب، وعرف عنه إطلاعه الواسع وعلمه الغزير. فصاحب الترجمة عدد بعضا من الكتب التي قرأها عليه فمنها: "مشكل الحديث" للإمام أبي بكر بن فورك، وكتاب "الجمل" لأبي القاسم الزجاجي، وكتاب "الواضح" للزبيدي، وكتاب "المقتضب" للمبرد، وله أيضا كتاب "الإيضاح" للفارسي، وكتاب "فصيح الكلام" لثعلب، و"الأماني" لأبي علي القالي وغيرها من أمهات المصنفات من المشرق والمغرب في الأدب واللغة والنحو والبلاغة. مما يظهر مكانة هذا العالم النحوي، الذي أفنى عمره كله في خدمة العلم والمعرفة[1].

خامساً: نماذج لبعض علماء العهد الموحدي:

1- يحي بن عبد المعطي بن عبد النور الزواوي (564هـ/628هـ).

هو العلامة شيخ النحو زين الدين أبو الحسين يحيى بن عبد المعطي بن عبد النور الزواوي المغربي النّحوي الفقيه الحنفي يكنى بأبي حسن و بأبي زكريا. ولد في منطقة زواوة بظاهرة بجاية، أول من ألف في النحو عن طريق النظم الشعري منظومته المسماة "الدرة الألفية"[2]. وكأقرانه تعلم القراءة والكتابة بمسقط رأسه، حفظ القرآن الكريم وأخذ مبادئ اللغة والنحو على معلمي الكتاتيب والزوايا التي اشتهرت بها عاصمة الحماديين بجاية، وفي سن الشباب أخذ على كبار معاصريه من الفقهاء والشيوخ كابن عساكر (ت600هـ)[3] ، والجزولي (ت606هـ)[1] الذي نزل بجاية والتاج الكندي[2] وغيرهم.

---

(1)- القاضي عياض: **الغنية**، المصدر السابق، ص 75.

(2)- الألفية نوع من النظم الشعرية التي تبلغ أبياتها ألفا أو تزيد، ظهرت كأداة تعليم وحفظ مطلع القرن الثاني الهجري بفضل مجموعة من العلماء والفقهاء والشعراء لنظم العلوم والمعارف على شكل قصائد شعرية لتسهيل وتسيير حفظها وتقريب معانيها لطلبة العلم. واشتهر منها ألفية ابن سينا في الطب، وألفية العراقي في أصول الحديث وألفية محب الدين الحلبي في الفرائض وغيرها. أما في مجال النحو والبلاغة فقد كان السبق فيها لعالمنا عبد المعط الزواوي بألفيته المشهورة.

(3)- هو أبو محمد قاسم بن علي ابن الحسن بن هبة الله، محدث وفقيه دمشقي ولد سنة (528هـ). كانت له رحلة في طلب العلم، فقصد مصر وأخذ عن علمائها، وعنه تتلمذ ابن المعط. خلف العديد من المؤلفات منها: فضل المدينة، الجهاد، الجامع المستقصى في فضائل الأقصى توفي سنة (600هـ).=

عاصر ابن معطي الزواوي عصرا زاهرا صنعه خلفاء الدولة الموحدية، التي اهتمت بالعلم والعلوم، وأولوها عناية واهتماما خاصا، وأطلقوا حرية التفكير فاستقطبوا العلماء والمشايخ والأدباء والشعراء والمفكرين، وعدت فترتها من أزهى فترات تاريخ المغرب الإسلامي في جانبه الثقافي والحضاري، فبرزت مجموعة كبيرة من أقطاب العلم في الفقه واللغة والفلسفة والأدب كالسهيلي، والشلوبين، وابن خروف، وابن مضاء وابن مالك وغيرهم. وكان من بينهم ابن معطي الزواوي الذي ضمن لنفسه الريادة وسط هذه المجموعة الكبيرة من العلماء، وتميز بتفوقه الواضح في اللغة والأدب. فقد وصفه السيوطي بالقول: "كان إماما مبرزا في العربية، وشاعرا محسنا، وكان يحفظ شعرا كثيرا وأشياء كثيرة ومن جملة محفوظاته كتاب الصحاح[3].

تعتبر ألفيته "الدرة الألفية" من بين أشهر ما صنف، بلغ عدد أبياتها الألف وعشرون بيتا بدأ تأليفها سنة(593هـ) وانتهى منها سنة (595هـ) وهي منظومة من بحرين بعضها من السريع والأخر من الرَّجز وقد بدأها بهذا الأبيات:

يَقُولُ رَاجِي رَبِّهُ الْغَفُورُ *** يَحْيىَ بْنُ مُعْطِ بْنُ عَبْدُ النُّور

الْحَمْـــدُ لله الَّذي هَدَانَا *** بِأَحْمَدِ دِيـنَا لَـــهُ ارْتَضَانَا

=ينظر، يحي بن معط: **البديع في علم البديع**، تح: محمد مصطفى أبو الشوارب، دار الوفاء، بيروت، ط1، 2003م، ص 24.

(1)– أبو موسى عيسى بن عبد العزيز الجزولي، من علماء اللغة والبيان، كانت له رحلة في طلب العلم تتلمذ على يدي ابن بري بمصر، كان إماما في العربية، وتخرج على يديه طائفة من العلماء والمشايخ، من أمثال أبو علي الشلوبين وصاحب الترجمة ابن المعط الزواوي توفي سنة (606هـ).

(2)– هو زيد بن حسن بن سعيد، كنيته أبو اليُمن. ولد ببغداد سنة (520هـ)، من أرباب اللغة والنحو ومحدث وأديب شاعر، قدم الشام واستوطن دمشق ودرَّس بمسجدها الجامع. توفي سنة(597هـ) بدمشق وعليه تتلمذ ابن معط.

(3)– جلال الدين السيوطي: **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا، لبنان، (د– ت)، ج2، ص 344.

فَلَمْ يَزَلْ يَنْمِى بِهِ الإِسْلاَمِ *** حَتَى اِسْتَبَانَتْ للِهُدَى أَعْلاَمٌ[1]

أفادت كتب المصادر بتوجه ابن المعطي إلى مدينة دمشق التي أتخذها مقرا له وأقام بها مدة طويلة، وفي سنة (624هـ) قصد مصر وكانت هذه الأخيرة في أيامه تعج بكوكبة من العلماء وجهابذة الفكر والعلم، وفطاحل اللغويين والأدباء مثل ابن بري المصري (ت584هـ)، ابن يعيش (ت636هـ)، وعلم الدين السخاوي، وابن الخباز والقائمة طويلة. وفيها بدأ بتدوين ألفيته وهو يبلغ من العمر التسعة وثلاثون سنة، وقد حظيت بمكانة عالية عند أئمة النحو والعلماء، واستقبلها طلبة العلم بحفاوة وفرحة، وأشاد بها علماء النحو واللغة، فحفظوها، وتناولوها بالشرح والدراسة، وسار الكثير من فضلاء الأمة على تقليدها ومجاراتها، مثل ابن مالك (ت572هـ)، والسيوطي (ت911هـ) وغيرهم، مشيدين بهذا العلامة الفذ والنحوي المقتدر حيث يصف ابن الوردي الألفية بالقول: "وهي شاهدة لناظمها بإصابة الصواب، والتفنن في الأدب حتى كأن سيبويه ذا الإعراب قال له: يا يحي خذ الكتاب"[2]. وأوصى شهاب الدين أبو جعفر أحمد بن يوسف بن مالك الرعيني الغرناطي، أحد شراح الدرة الألفية طلبة العلم بحفظها قائلا في أبيات شعرية:

يَا طَالِبَ الْنَحْوِ ذَا إِجْتِهَادِ *** تَسْمُو بِهِ فِي الْوَرَى وَتَحْيَا

إِنْ شِئْتَ نَيْلَ المُرَادَ فَإِقْصَدْ *** أُرْجُـــــوزَةَ لِلْإِمَامْ يَحْيىَ[3]

كما ترجم له الذهبي ووصفه بالقول: "العلامة شيخ النحو زين الدين أبو الحسين يحيى بن عبد المعطي بن عبد النور الزواوي المغربي النحوي الفقيه الحنفي مولده سنة أربع وستين وخمس مئة وسمع من القاسم بن عساكر وصنف الألفية والفصول وله النظم والنثر وتخرج به أئمة بمصر وبدمشق. فحضر عند الكامل مع العلماء فسألهم: زيد ذهب به، هل يجوز في زيد النصب؟ فقالوا: لا، فقال ابن معط: يجوز على أن يكون المرتفع يذهب به

---

(1)- سليمان إبراهيم البلكيمي: **ألفية ابن المعطي في النحو والصرف والخط والكتابة**، دار الفضيلة، القاهرة، مصر، 2010م، القاهرة، ص 17.

(2)- ابن الوردي: **تاريخ ابن الوردي**، ج2، المصدر السابق، ص 157.

(3)- سليمان إبراهيم البلكيمي: **ألفية ابن المعطي**، المرجع السابق، ص 18.

المصدر الذي دل عليه ذهب به وهو الذهاب، ويكون موضع به النصب، فيكون من باب زيد مررت به ، فأعجب الكامل ، وقرر له معلوما"[1].

ظل صاحب الألفية ينشر العلم ويدرس النحو في مصر، وقد صنع لنفسه اسما، وخلد التاريخ رسمه بألفيته التي لا تزال تدرس في الزوايا والكتاتيب لطلبة العلم للتحكم في قواعد اللغة والنحو. ولم ينقطع عطائه بهذا الإبداع الرائع، وإنما كانت له مصنفات ومؤلفات كثيرة وحقق العديد من الكتب أفاد علوم اللغة مثل كتاب "المثلث في اللغة"، و"العقود والقوانين في النحو"، وكتاب "الفصول الخمسون في النحو". كما ألف دواوين عدة منها "ديوان خطب"، "ديوان شعر"، و"أرجوزة في القراءات السبع"، "نظم ألفاظ الجمهرة"، "البديع في صناعة الشعر". توفي بالقاهرة في مصر يوم الاثنين سنة (628هـ).

وختاما تجدر الإشارة إلى نقطة في غاية الأهمية غابت عن الكثيرين فيما يخص ألفية النحو في اللغة، والتي كثيرا ما تذهب العقول عند ذكرها إلى ألفية ابن مالك المعروفة لكن الحقيقة أن ابن مالك النحوي المعروف، إنما نسج ألفيته على منوال ابن معطي الزواوي تقليدا وأخذا، وهو بنفسه يقر بذلك في بدايتها منوها بشيخه ابن معطي، مرجعا إليه الفضل والسبق في هذا المنوال. ويقول في مقدمتها:

قَالَ مُحَمَدُ هُــــوَ اِبْنُ مَالِكِ *** أَحْمَدُ رَبِي اللهَ خَيْرُ مَالِكِ
مُصَلِيًا عَلَى النَبِي الْمُصْطَفَى *** وَآلِهِ الْمُسْتَكْمِلِيــنَ الْشُرَفَا
وَأَسْتَعِيـــنُ اللهَ فِــي أَلْــفِيهْ *** مَقَاصِدُ الْنَحْوِ بِهَا مَحْوِيَهْ
تَقْرِّبُ الأَقْصَى بِلَفْظِ مُــوجِزِ *** وَتَبْسُطُ البَذْلِ بِوَعْدِ مُنْجَزِ
وَتَقْتَضِي رِضَىً بِغَيْرِ سُخْطِ *** فَائِقَـــةُ أَلْفِيَةَ اِبْنُ مُعْطِ
وَهُــوَ بِسَبْقِ حَائِزِ تَفْضِيلاَ *** مُسْتَوْجِبَ ثَنَائِي الْجَمِيلاَ

وقد ذكر المقري في ذلك قولا حين سأل عن الأفضل بين الالفيتين فقال: "نظمه، أي ابن مالك. أجمع وأوعب، ونظم ابن معطي أسلس وأعذب"[2].

---

(1)– الذهبي: **السيَر**، ج22، المصدر السابق، ص 324.

(2)– أحمد المقري: **نفح الطيب** ج2، المصدر السابق، ص 232.

2- محمد بن عبد الله بن مروان بن جبل الهمذاني(ت601هـ):

هو محمد أبو عبد الله بن علي بن مروان بن جبل الهمذاني الوهراني، من أشهر الفقهاء القضاة الذين أنجبتهم مدينة وهران[1]، ويرجع ابن الأبار أصله إلى الأندلس من مدينة شلوبية قرب البحر[2]. أما ابن سعيد الأندلسي فيذكر في كتابه "الغصون اليانعة" بأن ذكره ورد لدا التاج بن حمويه الدّمشقي في رحلته المغربية، مشيرا إلى أن أصله من ألمرية. كان والده من الأجناد، تقدم وترقى في المراتب حتى وساد وولي مدينة وهران وبها ولد أبو عبد الله، ونشأ بتلمسان مجدا في الفقه والأدب، ومال لعلم الظاهر وأكثر من مطالعة كتب ابن حزم فاشتهر بذلك، وكان ممن له مشاركة في صناعتي النظم والنثر. أما يحي بن خلدون فيذكر بأن أصله من وهران، وإنما نسب إلى الأندلس، فيقول: "بو عبد الله ... وهراني الأصل، نشأ بتلمسان، شلوباني الأول، روى عن أبي موسى عيسى بن عمران، وروى عنه أبو جعفر بن ثعبان "[3].

عرف عنه غزارة العلم، جمع بين الفقه والحفظ والشعر وحسن الخط[4]. جلس للقضاء في تلمسان، فكان ذو نباهة، بصير بالوثائق، صارم في الحق، حسن السيرة، وحاكم بالعدل فأحبه الناس وتناقلت أخباره الركبان حتى وصلت مسامع الخليفة الموحدي المنصور الذي استدعاه لقضاء الجماعة بعاصمة الموحدين مراكش سنة (584هـ)، بعدها تم تحويله إلى

---

(1)- ينظر،أبو عبيد البكري: **المسالك والممالك**، تح: أدريان فان ليوفن وأندري فيري، بيت الحكمة، الدار العربية للكتاب، قرطاج، تونس، 1992م، ج2 ص 738. مجهول: **كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار**، نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1985م، ص 134. الإدريسي: **نزهة المشتاق**، المصدر السابق، ص 153.

(2)- أبو عبد الله بن عبد المنعم الحميري: **صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار**، نشر، إ. ليفي بروفنسال، دار الجيل، بيروت، ط2، 1408هـ/ 1988م، ص111. ينظر، عادل نويهض: **معجم أعلام الجزائر**، المرجع السابق، ص 336.

(3)- يحي بن خلدون: **بغية الرواد**، ج1، المصدر السابق، ص 113.

(4)- **موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين**، ج2، المرجع السابق، ص 724.

إشبيلية لتولي منصب القاضي الأول فيها سنة (592هـ) ثم عاد ثانية إلى مراكش إلى خطة لقضاء سنة(596هـ)[1].

بدأ مسيرته العلمية بتلمسان، ولم تشر المصادر لسبب انتقال أسرته من وهران إلى تلمسان وفي هذه المدينة كان له سماع على شيوخها، وتدرج في العلوم إلى أن استحكمها، ونبغ في الفقه وعلوم الحديث واللغة، وكان مجدا في الأدب. ويبدو أنه كان يميل للمذهب الظاهري وأظهر اهتماما زائدا بكتب ابن حزم، وأكثر من مطالعتها، حتى فشي ذلك بين الناس، واشتهر بذلك[2]. لكن ذلك لم يمنعه من نيل إعجاب الخليفة المنصور الموحدي الذي قربه إليه، وأسند له منصب القضاء، فكان محمود السيرة، واتصف بالعدل والنزاهة والتوءدة، شديد الهيبة، عارفا بالأحكام، سريع الفصل بين الخصوم، لم يجلد أحد طول ولايته بالسوط[3].

لم يكن عبد الله بن مروان قاضيا فحسب، بل كانت صولات وجولات في الفنون الأخرى من العلوم، فقد عرف عنه اهتمامه بالأدب، وكانت له مشاركة في صناعتي النظم والنثر[4]. وذكر ابن السعيد المغربي أن أباه كان لقيه ووصفه بأنه من أهل العلم وأطنب في الثناء عليه وعلى حسن خلقه وعنه تتلمذ وأخذ العلم فيقول في ذلك: "كان ذو خلق أندى من النسيم، وأدب آنق من الوجه الوسيم، وحفظه وعلمه بالأدب فوق شعره"[5]. وساق لنا ابن السعيد البعض من أشعاره منها قوله في مدح الخليفة المنصور:

أَسَيِّدَنَا يَا ابن الإِمَامَيْنِ أَمْــرُكُمْ *** مَنُوطُ بِأَمْــرِ الله مَا عَنْهُ مَعدلُ
نُصِرْتُمْ لِأَنَ الَحقَ آن ظُـــهُورَهُ *** وَنَاصِــرُهُ فِي الله مَا كَانَ يُخْذلُ
أَزَلْتُمْ عَلَى مَا يَنْفَعُ اْلنَاسَ جَهْلُهَا *** وَعَلِمْتُمْ فِي الْدِينِ مَا كَانَ يُجْهَلُ[6]

---

(1)– ابن الأبار: **التكملة لكتاب الصلة**، ج2، المصدر السابق، ص 161.

(2)– ابن سعيد أبي الحسن علي بن موسى الأندلسي (610هـ/685هـ): **الغصون اليانعة في محاسن شعراء المائة السابعة**، تح: إبراهيم الأبياري، دار المعارف، مصر، ط4، 1990م، ص ص 29– 30.

(3)– أبو عبد الله بن عبد الملك المراكشي: **الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة**، تح: محمد بن شريفة، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، 1984م، السفر الثامن، ق2، ص 386.

(4)– ابن سعيد: **الغصون اليانعة**، نفسه، ص 30.

(5)– ابن سعيد: نفسه، ص 30.

(6)– ابن السعيد: نفسه، ص 31.

وختاما يمكننا القول بان هذا الفقيه القاضي الأديب الشاعر، وإن كان مولده في المغرب الأوسط، وأصله من الأندلس، إلا أنه فرض نفسه في المغرب الأقصى على أيام الموحدين واستطاع بعلمه ونباهته ونزاهته من أن يحوز على اعتراف وتقدير خلفائها، فلم تغره المناصب ولم تطر بعقله المراتب. كان نصيرا للحق، مطبقا للشرع، معروف بالتقوى والورع، ما أهّله ليكون قاضي الجماعة في عاصمة أقوى إمبراطورية عرفها المغرب الإسلامي على أيام الموحدين، وبقي يزاول عمله في القضاء إلى أن وافته المنية سنة (601هـ) ودفن بروضة الشيوخ بمراكش[1].

سادساً: نماذج لبعض علماء العهد الزياني:

شهد المغرب الأوسط في عهد الزيانيين، قفزة نوعية في مجال العلوم واشتهرت عاصمتهم بأنها مركز إشعاع ديني وفكري وعلمي، نافست القيروان وفاس وحواضر الأندلس والمشرق وأصبحت منارة للعلم والعلماء، ومستقر الصالحين والأولياء، وازدانت مجالس وباحات قصور سلاطينها وملوكها ووجهاء القوم منهم بجمع كبير من العلماء والفقهاء والأدباء والشعراء من أهل البلد أو من الذين حلوا بها بدعوة من أصحابها مؤثرينها على غيرها من المدن[2]. فأغنوا ساحة العلوم والثقافة فيها بالعديد من أمهات الكتب والمؤلفات في مختلف العلوم وأصنافها وصنعوا لها مجدا عريقا ومكانة مرموقة في العالم الإسلامي، وظهرت بها العديد من المراكز العلمية والثقافية كالمعاهد والمدارس والكتاتيب والمساجد والزوايا. وأنجبت ما أعتُبر خيرة العلماء وأهل الصنائع في مختلف العلوم والتخصصات الذين كانت سمعتهم تسبقهم في كل مكان حلوا به[3].

يعتبر يغموراسن مؤسس الدولة من الرجال الذين أرسوا تقاليد الاحتفاء بالعلماء والفقهاء والمشايخ والصلحاء والأولياء من رجال التصوف بالسير إليهم، فهو لم يتوانى في الخروج بنفسه لاستقبال العالم الجليل أبو إسحاق إبراهيم بن يخلف بن عبد السلام التنسي

---

(1)– عادل نويهض: **معجم أعلام الجزائر**، المرجع السابق، ص 336.

(2)– خالد بلعربي: **الدولة الزيانية في عهد يغمراسن بن زيان**، مطبعة تلمسان، ط1، 2005م، ص ص199–201.

(3)– فوزي مصمودي: **تلمسان بعيون عربية**، دار السبيل للنشر والتوزيع، 1431هـ، ص6.

(ت 680) في الجامع الأعظم عند مقدمه إلى تلمسان مخاطبا إياه بالقول: "ما جئتك إلا راغبا منك أن تنتقل إلى بلدنا، تنشر فيه العلم وعلينا جميع ما تحتاج إليه"[1]. وخصهم بالوظائف الحساسة في الدولة، مثل تعيينه العالم ابن الخطاب المرسي (ت686هـ) كاتبا خاصا له[2]. كما عرف عنه حرصه الشديد على حضور مجالسهم ومناظراتهم، وإتباع جنازة من توفي منهم[3].

ولم يحد من جاء بعده عن هذا النهج، فاتبعوا سيرته، فكانوا يجلون العلم والعلماء ويسعون لتوفير لهم سبل الراحة، وخدمتهم وإكرامهم وإغداق الأموال والهدايا عليهم بغير حساب. فهم أصلا كانوا من أهل العلم ورواده. مثل أبي تاشفين الأول وأبي عمر عبد الله بن عثمان بن يغمراسن المعروف بابن أبي حفص وأبو حمو موسى الثاني الشاعر الأديب صاحب كتاب "نظم السلوك في سياسة الملوك"، الذي حدد فيه سيرة الملوك وكيفية تدبير شؤون الحكم وقيادة الرعية، وتنظيم الدولة وإدارتها وضمنه بعض الأشعار. وإليه ويرجع الفضل في جعل تلمسان محَجة للعلم والعلماء.ففي عهده بلغت الدولة أوج ازدهارها الحضاري والعلمي والعمراني بتواجد خيرة علماء الأمة فيها من المغرب والأندلس، وبلغ من درجة إكرامه للعلم والعلماء أن قام بتزويج ابنته للعالم الجليل أبي عبد الله الشريف التلمساني.

كما كان السلطان أبي زيان محمد الثاني عالما فقيها مولعا بالكتب والتأليف، فقد نسخ بخط بيده نسخا من القرآن، وأخرى لصحيح البخاري ونسخا من "كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى" للقاضي عياض الذي عدد فيه شمائل الرسول صلى الله عليه وسلم وخصاله إضافة إلى قريحته الفياضة في نظم الشعر ومشاركة في الأدب[4]. ويمكن القول بأن جل

---

(1)– يحي بن خلدون، **بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد**، تح: عبد الحميد حاجيات، المكتبة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1400هـ، ص185.

(1)– يحي بن خلدون: **البغية**، المصدر نفسه، ص 205.

(3)– ألفرد بيل: **الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم**، ترجمة :عبد الرحمن بدوي، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط3 ،1987م، ص 251.

(4)– هو أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى بن عياض اليحصبي الأندلسي، السبتي المالكي. ولد في سنة ست وسبعين وأربعمائة، وصفه الذهبي بأنه كان إمام علامة مستبحرا في العلوم، جامعا مؤلفا، ذاع صيته في الآفاق وسارت بتصانيفه الركبان. ينظر، الذهبي: **السيَر**،ج 20، المصدر السابق، ص ص213– 214 وما بعدها.

حكام هذه الدولة كان لهم باع كبير ونصيب وافر في العلوم والمعارف، وما ذكرناه هو غيض من فيض في ما بلغته هذه الدولة من رقي ونبوغ بفضل هؤلاء السلاطين الذين ازدهرت في أيامهم الدولة الزيانية، وباتت العديد من مدنها تضاهي عواصم الدول القائمة من حيث العلوم وسعة العيش ووفرة المباني وكثرة المساجد وتعدد الأسواق[1]. وسنحاول الترجمة لبعض أعلامها ممن تركوا بصماتهم في مجال العلوم، والذين لا تزال مؤلفاتهم تغني طلبة العلم بالكثير من العلوم والفوائد في مختلف مجالات المعرفة.

1- محمد بن يوسف السنوسي (832/895هـ).

هو أبو عبد الله محمد ابن أبي يعقوب يوسف بن عمر بن شعيب السنوسي، نسبة لقبيلة بني سنوس، الحسني، نسبة للحسن بن علي من جهة أم أبيه، كما لقب بأبي عبد الله[2]. أحد كبار علماء تلمسان ومن أئمة أهل السنة، وهو الذي قيل فيه: "إن سمعته تغني عن التعريف به"[3]. كان من أساطين الدين، ومن أهل التمكين الراسخين، الذين تخلقوا بعلوم الظاهر ،وتحققوا بعلوم الباطن، كما أثنى عليه المترجمون له ولسيرته، وقد عدوا بالعشرات.

نشأ هذا العالم في مدينة تلمسان وفيها بدأ مشواره التعليمي، وقد ارتاد الكتاتيب كغيره من الصبية في مثل سنه لحفظ القرآن الكريم، والحديث الشريف، ودروس في التفسير وأصول

---

(1)- الحاج محمد بن رمضان شاوش: **باقة السوسان في التعريف بحضارة تلمسان عاصمة دولة بني زيان**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط1، 1991م، ص 394- 395. ابن الأحمر: **تاريخ الدولة الزيانية**، المرجع السابق، ص47.

(2)- ينظر، التنبكتي: **نيل الابتهاج**، المصدر السابق، ص563 وما بعدها. عبد الفتاح عبد الله بركة: **شرح السنوسية الكبرى، المسمى عمدة أهل التوفيق والتسديد**، دار القلم، الكويت، 1403هـ/1983م ص5. أبي عبد الله محمد بن عمر الملالي التلمساني: **المواهب القدوسية في المناقب السنوسية**، تح: علال بوربيق، بحث مقدم للمشاركة في المسابقة الدولية لإحياء التراث، الجزائر، 1429هـ/ 2088م. ابن مريم: **البستان**، المصدر السابق، ص،237. أبي القاسم محمد الحفناوي: **تعريف الخلف برجال السلف**، المصدر السابق، ج1 ص 176. محمد مخلوف: **شجرة النور الزكية**، المصدر السابق، ص 266. عادل نويهض: **معجم أعلام الجزائر**، ص ص 180- 181.

(3)- محمد بن عسكر الحسني الشفشاوني: **دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر**، تح: محمد حجي، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، 1977م ص ص121- 122.

اللغة العربية من قواعد ونحو، وأساسيات العلوم. وكانت طرق التدريس في هذه المرحلة تقوم أيضا على تعليم النشء الحروف الهجائية والكتابة[1]. لكن والده أبي يعقوب يوسف الذي كان هو أيضا من كبار علماء تلمسان ومشايخها، وُصف بالشيخ العلامة الصالح الزاهد العابد المحقق المتفنن المقرئ الخاشع[2]. لم يكتفي بما تقدمه تلك المراكز بل حرص على متابعة ابنه والوقوف على تربيته بما يتوافق مع أخلاق الإسلام، فكبر فاضلاً مباركاً ديِّناً ورعاً، وكان والده يراجعه في حفظ القرآن الكريم على أن أتم حفظه وهو لم يتم العاشرة من عمره.

كانت مرافقة الوالد للابن في مرحلة التعليم الاحترافي، أثرا كبيرا على صقل موهبته بعدما ظهرت عليه علامات النبوغ مبكرا، فأخذ عنه مبادئ العلوم الشرعية، وغالبا ما كان يأخذه إلى جلسات العلم والدروس التي كانت تقام في مساجد تلمسان بحضور نخبة من كبار الفقهاء والعلماء، وهي حلقات تعقد فيها الحوارات الفقهية والمناظرات العلمية بمحضر السلاطين والوزراء، ووجهاء القوم وعليتها، وطلبة العلم من كل الأصناف والأعمار. فكان ذلك دافعا للابن في أن يأخذ مسار أبيه، بعدما دفعه أبوه عند خيرة علماء عصره للترقي في عوالم العلوم الشرعية والعقلية،كما لعب أخوه لأمه أبا الحسن علي بن محمد السنوسي الفقيه الحافظ الشهير بالتالوتي (ت895هـ)[3] ، دورا لا يستهان به في ترسيخ حب العلم في نفسه، فكان من بين الذين تتلمذ عليهم وأخذ عنهم علوم الفقه والحديث، إذ قرأ عليه رسالة أبي زيد القيرواني وكان هو أيضا يصطحبه إلى مجلس الشيخ الحسن أبركان، أحد أعمدة الفقه في تلك الفترة، ومن الذين استفاد من علومهم إلى أن أصبح إماما عالما يشار إليه بالبنان[4].

---

(1)– محمد بن رمضان شاوش: باقة السوسان، المرجع السابق، ص11.

(2)– ينظر،إبراهيم بن أحمد المارغني الزيتوني المالكي (ت1349هـ): **طالع البشرى على العقيدة الصغرى**، اعتناء: نزار حمادي، تونس، (د– ط)، 1434هـ/2012م، ص 10.

(3)– هو أبو الحسن علي بن محمد التالوتي الأنصاري التلمساني، أخو الإمام محمد بن يوسف لأمه من أصحاب الفقيه الحسن أبركان، تتلمذ على يد العالم المقتدر إبراهيم التازي، ويعد أحد أعمدة علوم الحديث والقراءات. أنظر، المهدي لعرج: **ديوان إبراهيم التازي (ت 866هـ)**، كتاب ناشرون، (د–ت) لبنان، ص40.

(4)– إبراهيم المارغني الزيتوني: **طالع البشرى**، المرجع السابق، ص 11.

كان لمحمد بن يوسف حظا وافرا عندما ابتدأ حياته العلمية، فقد أخذ على أكابر المشايخ في المدينة، ونذكر منهم على سبيل الحصر لا العدً: إبراهيم بن محمد بن علي اللّنتي التازي (ت866هـ)، ومحمدَ بن الحسن بن مخلوف بن مسعود المزيلي الراشدي، الملقب بأبركان (ت868هـ)، وأبا عبد الله محمد بن أحمد بن الحبّاك (ت868هـ)، وأبا العباس أحمد بن عبد الله الجزائري الزواوي (ت884هـ). وأبا زيد عبد الرحمن الثعالبي (ت875هـ) وأبا الحسن علي بن محمد البسطي القرشي الشهير بالقلصادي الأندلسي (ت891هـ)، فتخرج على أيديهم عالما متمكنا، وفقيها متيقنا، وصفه تلميذه ومترجم سيرته الملالي قائلا: "الشيخ الإمام، حامل لواء شريعة الإسلام، الزاهد العابد الناسك، الولي الصالح الوارع الناصح القطب العارف، الغوث المكاشف، إمام الطريقة، الجامع بين الشريعة والحقيقة"[1].

لم يكن هذا الوصف مجرد كلام، أو إعجاب لطالب بمعلمه، فقد اتفقت جل الأقوال وعبارات الثناء والمدح التي حلاه بها أصحاب التراجم والطبقات ممن درس على أيديهم أو من الذين تتلمذوا على يديه وكانوا بالكثرة التي لا تعد ولا تحصى، على اعتباره مجدد الدين في القرن التاسع الهجري وحامل لواء الإصلاح والتوفيق بين تيارات الفكر الديني من أهل الكلام المستدلين بالعقل، ومعاصريه من الفقهاء والعلماء المتمسكين بالتقليد الذين أظهروا عجزهم على مواكبة روح العصر، وأصحاب النزعة الأشعرية، الراغبين في العودة إلى الأصل وآراء الفلاسفة وأصحاب الجدل والمتصوفة الذين مزجوا بين المنطق والشريعة فكان السيد في ذلك بلا منازع[2]. فتبحره في العلوم، واعتناءه بالعقائد وعلم التوحيد، وردوده على المعتزلة في قضية نفي الصفات بالحجج الدامغة والمفحمة، جعلته يحظى بمكانة عالية، واعترافا من طبقة النخبة في كامل بلاد المغرب بتفوقه وريادته، فكانوا يعظمونه ويبجلونه ويسمونه بشيخ العلماء.فهو الفقيه العالم العامل،المعتني بالعقائد وعلم التوحيد الذي به تعرف حقائق الأشياء، وعمل جاهدا على تحفيز الناس للعودة إلى أصول الإسلام وعقيدته

(1)– خالد زهري: **شرح أم البراهين**، المرجع السابق، ص 7.

(2)– أحمد طالب الإبراهيمي: **آثار البشير الإبراهيمي**، ج5، المرجع السابق، ص 315.

الصحيحة كما كان عليها السلف الصالح، فكانت مؤلفاته التي تعد بالعشرات خير دليل على مدا سعة علمه وعلو شأنه في المنقول والمعقول.

حظي محمد بن يوسف بتقدير العلماء، لغزارة علمه، وسمو خلقه، وزهده في مكاسب الدنيا ومراتبها، فقد رفض ما عرض عليه من امتيازات مادية من قبل أصحاب الملك بقوله: "أما نيتك فالله يجازيك عليها خيرا، وأما أنا فأخاف أن تفيض علي بحور الآخرة فأردت أن تجدني خفيفا من الدنيا، لعلني أقطعها بخفة"[1]. أما عن مؤلفاته التي ناهزت الخمسين فلا يسعنا هنا المقام لاستعراضها كلها وسنكتفي ببعض منها: "عمدة أهل التوفيق والتسديد في شرح عقيدة أهل التوحيد"، "العقيدة الوسطى"، "شرح العقيدة الوسطى"، "العقيدة الصغرى الشهيرة بذات البراهين"، "المنهاج السديد في شرح كفاية المريد"، "المنهاج السديد في شرح كفاية المريد"، "شرح العقيدة الصغرى"، "شرح المقدّمات"، "شرح واسطة السلوك". أما في التفسير، فله "تفسير الفاتحة" و"فواتح البقرة"، "مختصر حواشي التفتازاني على الكشاف". وفي علوم الحديث، "مختصر شرح صحيح المسمى بإكمال الإكمال"، "شرح صحيح البخاري"، "شرح مشكلات البخاري". كما له "شرح الأجرومية"، وخاض أيضا في المنطق بكتابه، "شرح مختصر ابن عرفة في المنطق".

أما عن تلاميذه فمنهم ، أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم بن محمد المغيلي التلمساني (ت909هـ)، محمد بن إبراهيم بن عمر بن علي، أبو عبد الله، الملالي التلمساني (898هـ) وأحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي الفاسي (899هـ)، ومحمد بن أبي الفضل بن سعيد بن صعد التلمساني (ت901هـ)، ومحمد بن عبد الرحمن الحوضي، التلمساني (ت910هـ)، ومحمد بن أبي مدين التلمساني (ت915هـ)، ومحمد بن محمد بن العباس التلمساني، المكنى بأبي عبد الله (920هـ)، وبلقاسم بن محمد الزواوي (ت922هـ)، وغيرهم.

وفاته: يذكر مترجمه الملالي أن مدة مرضه كانت عشرة أيام، تضاعف فيها ألمه وبدأت تظهر عليه علامات الضعف، إلى أسلم روحه إلى بارئها سنة(895هـ).

---

(1)– خالد زهري: **أم البراهين**، المرجع السابق، ص 8.

2- **ابن خميس التلمساني(645هـ/708هـ):**

هو محمد عمر بن محمد بن عمر الحجري الرعيني، أبو عبد الله، الشهير بابن خميس التلمساني: شاعر فحل، عالم بالعربية، ولد بتلمسان، وبها نشأ وأخذ عن مشيختها. ولاه السلطان أبو سعيد بن يغمراسن ديوان الإنشاء وأمانة سره. ثم رحل إلى سبتة فأقام بها مدة ومدح رؤساءها من بني العزفي. وفي أواخر سنة (703هـ) دخل الأندلس وسكن غرناطة وتصدر للإقراء، فذاع صيته، فضمه الوزير أبو عبد الله بن الحكيم إلى مجلسه، وله فيه مدائح كثيرة. وكانت وفاته في حادثة نكبة الوزير ابن الحكيم، قتله بعض مهاجمي قصر الوزير دون جريرة، صحوة يوم الفطر، مستهل شوال، وله نيف وستون سنة.

3- أبو علي الحسن الونشريسي(724هـ/788هـ).

هو أبو علي الحسن بن عثمان بن عطية بن موسى التوجاني الونشريسي، العالم الشيخ الفقيه، المفتي، القاضي الأديب الشاعر، من أكبر فقهاء المذهب المالكي في بلاد المغرب من قبيلة بني توجين[1]. ولد في حدود سنة (724هـ)[2] ، ونشأ في أسرة ذات وجاهة وعلم، وبيتها معروف بالتقوى والورع. فجَدُّه عطية بن موسى الونشريسي كان من أعلام منطقة ونشريس، وكثيرا ما كان يقصده الناس لطلب المشورة والفتوى في أمور دينهم، أما والده أبو السعيد عثمان بن عطية فكان فقيها عالما، اشتغل بالفتيا وعرف عنه الصلاح والاستقامة.

وكان الأمر سيان بالنسبة لعمه أبو الخير يونس بن عطية الذي تولى منصب القضاء بقصر كتامة[3]. كما كان عمه الآخر الحسن بن عطية (ت781هـ)، قاضيا وفقيها أصوليا ومحصلا راويا لكتاب الموطأ عن طريق يحي لن يحي الليثي. أما أخوه عمر بن عثمان بن عطية (ت 816هـ)[4]، فكان هو أيضا من المشتغلين بالعلم والعلوم، وله رحلة إلى المغرب

---

(1)- بني توجين، من الطبقة الثالثة من زناتة، مواطنهم بوادي الشلف، قِبل جبل الونشريس من أرض السرسو. ينظر، ابن خلدون، **العبر**، ج7، المصدر السابق، ص ص 184- 185.

(2)- أبي الوليد إسماعيل ابن الأحمر: **نثير الجمان في شعر من نظمني وإياه الزمان**، تح: محمد رضوان الداية، مؤسسة الرسالة، لبنان، ط2، 1987م، ص ص 366- 367.

(3)- عادل نويهض: **المعجم**، المرجع السابق، ص 346.

(4)- عادل نويهض، **نفسه**، ص 345.

الأقصى، وفيه فضل الاستقرار بمكناس الزيتون[1] بعدما خاض تجربة التدريس بفاس، وكان يعد من أرباب اللغة والأدب متبحرا في فنون العربية وصروفها، وقد تتلمذ على يديه طائفة من الطلبة الذين أصبحوا بعدها أعلاما بارزة في المنقول، مثل أبن غازي المكناسي[2] ولسان الدين ابن الخطيب الوزير. بعدها انتقلت أسرته إلى المغرب الأقصى على عهد جده عطية، واستقروا بحوز مكناس[3] وربما كان للابن عثمان دور في إقناع الأسرة الكبيرة بالقدوم إلى المغرب الأقصى.

يعد أبو علي الحسن بن عثمان من العلماء الأفذاذ من ذوي الذكاء والنباهة، المعتنين بالفقه وفروعه وعلوم الحديث وله باع في الفرائض والفروع جسيم، مستحكم في اللغة ومتونها، وله حظ في الأدب وقرض الشعر وتنسب إليه بعض الأبيات الشعرية. وشعره فيه حلاوة، وكلامه فيه عذوبة وطراوة. أخذ عن أبي البركات ابن الحاج البلفيقي وغير، بعدها شغل منصب القضاء نيابة في فاس، ثم ولي قضاء مكناسة الزيتون ومدينة سلا، فكان فاضلا عدلا في أحكامه، مترويا في إصدارها غير مستعجل متحريا مدققا، فكان له قبول من العامة والخاصة. أثنى عليه الونشريسي في المعيار بقوله: "القاضي العلامة"[4] وقد استند على بعض فتاويه ونقلها في بعض أجزاء مؤلفه الشهير "المعيار". كانت له رحلة إلى الحج كما أوردها التمبكتي في ترجمته نقلا عن ابن غازي وبعدها عاد لمزاولة عمله في القضاء إلى أن توفي في حدود سنة (790هـ).

---

(1)– مكناسة الزيتون مدينة اسمها من قبيلة مكناسة البربرية التي نزحت إليها، وإليها نسبت. أضيفت لها كلمة الزيتون تميزاً لها عن مدينة مكناسة تازه، وقيل لكثرة أشجار الزيتون فيها. بنيت في أواسط القرن الثالث الهجري، وهي مرتفعة على الأرض ويجري في شرقها نهر صغير.ينظر،الحميري: **الروض المعطار في خبر الأقطار**، المصدر السابق، ص 544. مجهول: مؤلف، (من كتاب القرن السادس الهجري/الثاني عشر ميلادي)، **الاستبصار في عجائب الأمصار**، تح: سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1986م، ص187.

(2)– ينظر ترجمته، التنبكتي: **نيل الابتهاج**، المصدر السابق، ص 158.

(3)– عادل نويهض: **المرجع السابق**، ص 346.

(4)– التنبكتي: **نيل الابتهاج**، نفسه، ص 159.

بلغ من درجة كبيرة من التفقه في المذهب المالكي، فكان آية في الحفظ،ساردا لنصوص المذهب،دارسا لتصنيفات شيوخ المالكية، وعرف بحسن السيرة وتضلعه في علوم الحديث فكان أن أسند إليه قضاء مدينة فاس وهو المنصب السامي الذي لا يتولاه إلا من كان له رسوخ واعتناء بمختلف العلوم غزارة في العلم، ورغم تخليه عن القضاء لاحقا مفضلا التدريس والإقراء، إلا أن شهرته وعلمه أهلاه ليتصدر إلقاء الدروس في حلقات العلم بجامع القرويين بفاس، كما اشتغل بالمدرسة النظامية، التي حملت اسمه فيما بعد، وتخرج على يديه جمع كبير من الطلبة الحفاظ والمشايخ الكبار كابن الأحمر ولسان الدين بن الخطيب السالف الذكر[1].

لم تذكر التراجم عن مؤلفاته الشيء الكثير سوى أرجوزته في علم الفرائض، وجاءت مبسوطة العبارة، مستوفية المعنى[2].

1- أبو عبد الله المقري (ت759هـ).

هو محمد بم محمد بن أحمد بن أبي بكر بن يحي بن عبد الرحمن القرشي التلمساني المشهور بالمقري[3]. من أكبر علماء المذهب المالكي في وقته، وشيخ العالِمين، لسان الدين بن الخطيب، وعبد الرحمن بن خلدون[4]. فاقت شهرته موطنه تلمسان ليذيع اسمه في بلاد المغرب الإسلامي كأحد أعمدة المذهب ممن تفنن في العلوم واستبحر[5]. يقول عنه أبو عبد

---

(1)- الحسين مختار: **من أعلام الجزائر المنسيين القاضي ابن عطية الونشريسي**، رسالة المسجد، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، العدد3، مارس، 2009م، ص 42.

(2)- محمد بن الغازي العثماني: **الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون**، تح: عبد الوهاب ابن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، ط2، 1988م، ص 46.

(3)- ينظر ترجمته في: التمبكتي: **نيل الإبتهاج**، ص 420. يحي بن خلدون: **بغية الرواد**، ص 121، ابن الخطيب: **الإحاطة**، ج2، ص191، ابن فرحون: **الديباج المذهب**، ص 288، ابن مريم: **البستان**، ص154. المقري: **نفح الطيب**، ج 5، ص 203. المقري: **أزهار الرياض**، ج5، ص12. مخلوف: **شجرة النور الزكية**، ج1، ص 232. الزركلي: **الأعلام**، ج2، ص 266. نويهض: **المعجم** ص180.

(4)- عادل نويهض: **المعجم**، المرجع نفسه، ص 312.

(5)- ابن خلدون: **التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا**، تح وتع: محمد بن تاويت الطنجي، وزارة الثقافة، الجزائر، 2007م، الجزائر، ص 60.

الله بن مرزوق الجد: "كان صاحبنا المقري معلوم القدر، مشهور الذكر، ممن وصل إلى درجة الاجتهاد المذهبي، ودرجة التخير والتزييف بين الأقوال، وتبعه بعد موته من حسن الثناء وصالح الدعاء ما يرجى النفع به يوم اللقاء، وعوارفه معلومة عند الفقهاء، ومشهورة بين الدهماء"[1].

مولده ونشأته.

من المؤكد أن مولده كان بتلمسان في عهد السلطان الزياني أبي حمو موسى بن عثمان بن يغمراسن، كما ترجم له حفيده شهاب الدين أحمد المقري في كتابه أزهار الرياض على لسانه في مؤلفه المسمى "نظم اللائي في سلوك الأمالي" نقلا عنه قوله: "كان مولدي بتلمسان أيام أبي حمو موسى بن عثمان بن يغمراسن بن زيان، وقد وقفت على تاريخ ذلك، ولكني رأيت الصفح عن ذلك"[2]. وهو بذلك أبقى تاريخ مولده مجهولا، لقناعة دينية شخصية متأسيا ببعض أئمة السلف وشيوخ المذهب، وعلى رأسهم إمام المذهب مالك بن أنس الذي لم يجب سائله عن تاريخ مولده[3]، وكذلك تبعه جمع من كبار الفقهاء وعلماء المذهب من أمثال أبو البركات محمد بن محمد بن إبراهيم البلفيقي السلمي (ت771هـ)، وأبا بكر محمد بن عبد الرحمن بن الفخار (ت 723هـ)، وغيرهم ممن أعرضوا عن ذكر تاريخ مولدهم.

وبناءا على ما أورده المترجم له فإنه ولد على الترجيح ما بين سنتي (707هـ و718هـ) وهي مدة حكم السلطان أبو حمو الأول[4]، من أسرة ثرية مارست مهنة التجارة، كما كان لها وجود كبير في عالم المعرفة والثقافة المتجذرة فيهم منذ أمد بعيد، فمن الواضح أن الجانب المادي قد ساهم في الدفع به مبكرا لتلقي العلوم والمعارف من دون جهد أو عناء على أيدي كبار الشيوخ والمعلمين في عصر الدولة التي كانت تشهد حركة علمية نشطة بتواجد المئات من العلماء والمشايخ والمدرسين، فأسماء مثل أبو عبد الله ابن مرزوق الخطيب (ت781هـ) والشريف التلمساني (ت771هـ)، تعطينا صورة معبرة عن واقع المشهد

(1)– ابن مريم: **البستان**، المصدر السابق، ص 155. أحمد المقري، **النفح**، ج5، ص 279.

(2)– أحمد المقري: **أزهار الرياض**، المصدر السابق، ص 28.

(3)– التمبكتي: **نيل الابتهاج**، المصدر السابق، ص 215.

(4)– أبو الأجفان محمد: **الإمام أبو عبد الله محمد المقري التلمساني**، الدار العربية للكتاب، تونس 1988م، ص 32.

العلمي في عاصمة الزيانيين. فهو نفسه يذكر أنه صافح العالم الفقيه والشيخ القدير أبي عثمان سعيد بن علي الخياط (ت729هـ) عندما كان صغيرا[1]، وكان يحضر مجالس العلماء للتلقي عليهم فيقول: "فاستوعبت أهل البلد لقاء وأخذت عن بعضهم عرضا وإلقاء سواء المقيم القاطن والوارد الظاعن"[2].

ويذكر أبو عبد الله أنه تلقى على يد علماء أجلاء مفاتيح العلوم في مختلف الفنون وبلغ شيوخه نحو سبعة وستين، منهم سبعة وعشرين في تلمسان وحدها[3]، أشهرهم ابني الإمام، أبو زيد عبد الرحمن، وأخاه أبو موسى عيسى، والشيخ الآبلي[4] ومن أبي موسى عمران بن موسى بن يوسف المشدالي، ومن أبي علي ناصر الدين والقائمة طويلة. فبعد حفظه القرآن الكريم على الروايات السبع، درس اللغة العربية وقواعدها من خلال كتاب "التسهيل" لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن مالك الأندلسي الجياني النحوي (ت672هـ) الذي جمع فيه مختصرا قواعد النحو، وفي الفقه "مختصر ابن الحاجب"[5]. ثم كانت له رحلة إلى حاضرة بجاية التي التقى فيها بجلة من العلماء، بعدها قصد تونس ثم المغرب الأقصى، ثم عاد مجددا إلى تلمسان التي جلس فيها للتدريس والتعليم.

---

(1)– أحمد المقري: **نفح الطيب**، ج5، المصدر السابق، ص 241.

(2)– بن الخطيب: **الإحاطة**، ج2، المصدر السابق، ص ص 193– 194.

(3)– المقري: **المصدر نفسه**، ص 30.

(4)– هو أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الآبلي أصله من آبله بالأندلس، وصفه ابن خلدون بأنه شيخ العلوم العقلية. درس بتلمسان وتخرج على يديه جيل من العلماء والمشايخ (ت 757هـ)، ينظر، التمبكتي: **نيل الابتهاج**، المصدر السابق، ص 66.

(5)– هو أبو عثمان بن عمر جمال الدين المعروف بابن الحاجب (ت 646 هـ)، كردي الأصل مصري الموطن، من فقهاء المالكية، وأحد اجل علماء النحو في عصره. تتلمذ على ثلة كبيرة من الشيوخ والمحققين الكبار مثل الإمام الشاطبي (ت590هـ)، أبو القاسم هبة الله بن علي بن مسعود البوصيري (ت598هـ)، والحافظ بهاء الدين أبو محمد القاسم بن عساكر (ت600هـ). ترك العديد من المصنفات، أهمها "الكافية في النحو"، "الشافية في الصرف" وغيرها. ينظر، ابن عماد الحنبلي: **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، دار الكتب العلمية، لبنان، (د– ت)، ج5، ص 234.

ولم يلبث أن قصد الحجاز لأداء فريضة الحج وكانت طريقه إليها تمر عبر مصر التي التقى فيها بكبار علمائها وبمكة المكرمة التي جالس فيها أيضا العديد منهم، ولم يتوانى في زيارة الشام وزار علمائها مثل شمس الدين بن القيم، وصدر الدين الغماري المالكي، ثم كانت عودت إلى بلاد المغرب واختار المغرب الأقصى، فدخل سجلماسة ودرعة، وسرعان ما شد الرحلة إلى الأندلس سنة (756هـ) وكانت غرناطة وجهته، ومنها عاد على فاس وولي فيها قضاء الجماعة، ولم يستمر فيه طويلا بعد عزله، فاشتغل بالتدريس إلى أن توفي سنة (759هـ) وحمل جثمانه إلى تلمسان ليدفن فيها[1].

يعد الشيخ المقري من بين العلماء الأفذاذ التي تفتخر بهم تلمسان، فقد حاز على اعتراف وتقدير من عاصروه من العلماء والفقهاء والمشايخ، كانت سمعته تسبقه أينما حل وارتحل، وكان محل تنويه واحترام من قبل السلاطين والأمراء، لغزارة علمه وعطائه، وليس أدل من ذلك حادثة نقيب الشرفاء بفاس بمجلس أبي عنان (749- 759هـ) الذي كان يحظى بمكانة عالية مجلس السلطان، فعند دخوله كان يقوم له كل من يتواجد بالمجلس وحتى السلطان نفسه إكراما لنسبه الشريف، إلا الشيخ المقري، فخاطبه الشريف بالقول: "مالك لا تقوم كما يفعل السلطان وأهل مجلسه إكراما لجدي وشرفه. فأجابه المقري قائلا: "أما شرفي فمحقق بالعلم الذي أنا أبثه ولا يرتاب فيه أحد، وأما شرفك فمضنون، ومن لنا بصحته منذ أزيد من 700 مائة سنة"[2].

لقد وهب هذا العالم الفذ حياته كلها في سبيل العلم والاجتهاد، مشاركا في مختلف العلوم الإسلامية، وترك العديد من المؤلفات، منها كتاب "القواعد"، و"الحقائق والرقائق" و"عمل من طبّ لمن حبّ"، و"الجامع في أحكام القرآن" و"حاشية على مختصر ابن الحاجب".

---

(1)- نصر الدين بن داود: **بيوتات العلماء بتلمسان من القرن 7هـ/13م إلى القرن 10هـ/16م** أطروحة دكتوراه، جامعة أبو بكر بلقايد، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ وعلم الآثار، تلمسان، السنة الجامعية (1430- 1431هـ/ 2009- 2010م)، ص ص 68- 69.

(2)- أحمد المقري: **نفح الطيب**، ج5، المصدر السابق، ص 281.

خاتمة

لقد شد انتباهنا خلال هذه الجولة القصيرة من تاريخ المغرب الأوسط في جانبه الحضاري وتطور العلوم النقلية فيه، هو ما قدمه من إسهام وإنجازات في هذا المجال ظلت في طي النسيان ومهملة في غالبها من قبل الدارسين لتاريخه المجيد، ولم تحظى بعناية المؤرخين الذين تجاوزوا هذا القطر ونسبوا الفضل لغيره رغم دوره المحوري الذي ميزه عن غيره من أقطار بلاد المغرب الإسلامي. فبمراجعة سريعة لبعض المحطات الفاصلة في تاريخه تجعلنا ندرك وبشكل جازم أن المغرب الأوسط لا يمكن اختزال تاريخه ولا تفاعله في صنع الأحداث بكل تفاصليها في بحث أو رسالة أو كتاب.فحجم الإبداعات وما رافقها من مؤلفات ورسائل ومصنفات، وتناثر أسماء الأعلام من كبار الفقهاء والعلماء والمحدثين ومن تبعهم من المشتغلين بأنواع الفنون الأخرى في العلوم النقلية بين كتب المصادر المشرقية والمغربية من كتب التراجم والطبقات والرحلات وكتب الأدب والنحو والشعر استئثار الأندلس وكثير من الحواضر العلمية الأخرى بعطاياهم وتآليفهم واجتهاداتهم التي لا يمكن حصرها ولا عدها ولا حتى إحصائها، أمر جعلنا نصطدم بصعوبات جمة، بدءا بغياب شبه تام لمؤلفات اختصت بالترجمة أو التنويه بهؤلاء الأعلام المنحدرين من المغرب الأوسط، والذين كانوا في غالب الأحيان يدرجون ضمن الإطار المغاربي اللهم إلا تلك القلة القليلة التي تنبهت والتفت إلى هذه المسألة الهامة، فلم نجد سوى كتاب معجم أعلام الجزائر لعادل نويهض، أو بعض رسائل الماجستير والدكتوراه التي حاول أصحابها على قدر جهودهم إعطاء دفع جديد لمثل هاته الدراسات لإبراز الجوانب المخفية من تاريخ رجال بنوا صرحا شاهقا من الإنتاج الفكري، ولم يتم رصدهم إلا من خلال تلك الألقاب التي كانت ترافق أسماهم ناسبة إياهم إلى أماكن ومحلات ازديادهم أو المنطقة التي ينحدرون منها.

فغالبا ما كنا نجد الدراسات السابقة تجمل كل نواحي وزاويا وتفاصيل الحركة العلمية والفكرية في المغرب الإسلامي ضمن الجناح الغربي للدولة للإسلامية، وتصدر المغرب الأدنى والمغرب الأقصى صفحات المصادر والمراجع والدراسات الاستشرافية ورأينا كيف نحى واتبع غالبية من تناولوا الجانب الحضاري للمغرب الإسلامي مسايرة الخطأ التاريخي الذي وقعوا فيه بإدماج وإلحاق المغرب الأوسط تارة بالمغرب الأدنى، وتارة أخرى بالمغرب الأقصى أو حتى حجب اسمه من جغرافية بلاد المغرب متحججين بأسباب واهية وأعذار لا

تستند إلى أي منطق أو منهج علمي، كالقول باستحالة فصل الأحداث التاريخية والسياسية والثقافية من هذا الحيز الجغرافي عن بقية النواحي المشكلة لبلاد المغرب، أو الدفع بالقول بأنه لم تكن هنالك مركزا لإمارة أو مقرا لوالي من الولاة المعينين في فترة الخلافة العباسية أو الأموية.

حتى وإن سلمنا بهذه التفسيرات التي لا تستند في الحقيقة إلى الصواب، يبقى الواقع يكذب تلك التوجهات استنادا إلى الحقائق التاريخية التي أجمع عليها جل المؤرخين والجغرافيين العرب، منها أن أول دولة مستقلة ظهرت في المغرب الإسلامي في وقت مبكر بعد انتهاء عملية الفتح كانت الدولة الرستمية بعاصمتها تيهرت، التي اتخذت من المغرب الأوسط مقرا لها وهي الدولة التي رسمت حدوده بشكل شبه رسمي لما بات يعرف اليوم بالجزائر بداية من سنة 160هـ.

يبقى الالتباس الذي يمكن تفسيره بالنسبة لتلك الأقلام هو ما رأوه بأنه أسباب بديهية لهذا المزج، تتصدرها تنقلات العلماء وانعدام الحواجز الجغرافية لدول المغرب الإسلامي ووحدة اللغة والانتماء والهوية والتاريخ المشترك والعادات والتقاليد. كلها عوامل جعلت في كثير من الأحيان من مهمة التمييز بين هؤلاء العلماء والفقهاء والمجتهدين الذين نبتوا وأينعوا في رحاب المغرب الأوسط، وتلاقحهم الفكري مع غيرهم من الأقطار والأندلس بفعل الرحلات والأسفار والتنقلات إما في طلب العلم أو نشره، بمثابة أعذارا منعتهم من تحديد خاصية المغرب الأوسط، وبأنهم عجزوا عن تحديد عنصر الانتماء أو الانتساب نظرا للانصهار العرقي والحضاري الذي تميز به المغرب الإسلامي عن غيره من الأمصار الإسلامية. لكن هذا التبرير الغير مقنع يجعلنا نشعر بأنهم استصغروا أهمية هذه النقطة بالذات دون إدراك منهم بأنها بمثابة إقصاء لهذا القطر في الهيكل الحضاري للمغرب الإسلامي، وأن هذا الصرح لا يمكنه أن يكون سويا ومتينا من دون إرجاع الحق لأصحابه لأن التاريخ يبقى دائما سجلا للأمم يحفظ إنجازاتها وبه تحجز مكانتها في ركب الأمم والشعوب وتتطلع إلى مستقبلها بثقة مستندة إلى ماضيها.

من خلال هذه المعطيات توصلنا إلى استخلاص بعض النتائج والاستنتاجات ورتبناها في هذه الخاتمة على حسب الأهمية المستقاة من الدراسة على النحو التالي:

- كان لانتشار المذهب الإباضي بأرض المغرب الأوسط أسبابه فالحرية الفكرية والمذهبية التي شهدتها عاصمة بني رستم هي محور مذهب الخوارج وقوامه، وعلى اعتبار أن الإمامة حقٌ مُتاح لكل مسلم، فبديهي أن يلقى المذهب الإباضي قبولاً لدى البربر الذين طال حرمانهم من المساواة مع العنصر العربي، ومن الطبيعي أن يتولد لديهم نزعة تتطلع إلى إزاحة نفوذ العرب من مكان الصدّارة في الحكم في إطار شرعي يكفله الدين.
- على الرغم من تقدم الدرّاسات التّاريخية التي تبحث في تاريخ الخلافة الفاطمية وشموليتها لعديد من الموضوعات السياسية والاجتماعية والدينّية إلا أن معظمها تناولت تاريخها بمصر وتظل دراسة العلوم الدينية لهذه الدولة في مرحلتها المغربية (المغرب الأوسط) ناقصة ولم تنل قسطاً وافراً من البحث والتنقيب، ومازال ينتابها بعض القصور والغموض، حتى وإن تناولها بعض الباحثين المعاصرين بالدراسة والتأليف، وخاض في بعض جوانبها، تبقى عبارة عن محاولات تحتاج إلى مزيد من العناية والاهتمام لأن فترة الوجود العبيدي كما تذكر المصادر الشيعية وحتى بعض السنية ببلاد المغرب الإسلامي تركت أثاراً واضحة المعالم في حياة المجتمع المغاربي ولم تقدم لنا الكتابات التاريخية شيئاً واضحاً بخصوص موضوعنا المهتم بالعلوم النقلية وفروعها الدينية، أسماء العلماء الذين ذاع صيتهم بأرض المغرب الأوسط.
- إن التاريخ الحضاري لدولة المرابطين مازال من أغمض فترات تاريخ المغرب الأوسط خاصة والمغرب الإسلامي عامة بالرغم مما أفرزته النصوص والدراسات في السنوات الأخيرة من اهتمام أكبر وتقدم لا بأس به. والسبب جلي وبين إذ لم يصلنا من الكتب التاريخية التي تناولت عهد المرابطين (الجانب الثقافي والفكري منه) إلا شيء يسير نجده في ثنايا ما كتب في تاريخ المغرب مثل ما ورد في الحلل الموشية لمؤلف مجهول، أو المعجب لعبد الواد المراكشي، وروض القرطاس لابن زرع، والاستقصا للسلاوي، والعبر لأبن خلدون وهي كتب تتحدث عن المرابطين في إيجاز شديد، كما أن كثير منها متأخر لا يكاد يمدنا بتفصيل وافٍ عن أخبار هذه الدولة التي خدمت الإسلام في المغرب والأندلس أجل الخدمات وجاهدت في سبيله أعظم الجهاد.

- شهد المغرب الأوسط نهضةً فكريةً ذات مستوى عال شمّلت جميع مجالاّت الحياة وصلت إلى درجة الرقي الحضاري والفقهي، بفضل العناية الفائقة والمتزايدة التي كان يوليها أمراء هذه الدويلات المستقلة لرجال العلم والأدب والثقافة وبما كانوا يجودون به عليهم من منح وبما كانوا يجدونه من حظوة واهتمام، أطلقت ألسنة الشّعراء بالمديح والثّناء وأسالت حبر المؤلفين، لتسجيل المآثر وتخليد المواقف، والتعمق في المسائل العقدية والفقهية المطروحة في الساحة الإسّلامية.
- التركيز على أهمية مدينة القيروان باعتبارها المركز الإسلامي الأول الذي منه انطلقت النهضة العلمية التي أسست لظهور جيل جديد من البربر والعرب المستقرين فيها، خلفوا جمع الصحابة والتابعين الذين كونوا النواة الأولى لنشأة المدرسة الفقهية المغربية في العلوم النقلية.
- الاعتماد على المذهب المالكي كمرجعية وحيدة لبلاد المغرب الإسلامي، حتى بوجود مذاهب أخري لم تقنع أغلبية أهل المغرب، ولم تثر فيهم الرغبة في إتباعها رغم وصولها إلى المنطقة ونجاحها في شحذ وجلب الأتباع والأنصار لمشروعها إلا أنها سرعان ما انحصرت في مناطق محدودة وزوايا معدودة. لكن هذا لا ينفي ولا ينقص من دورها المؤثر في التنوع الفكري وتراكم في الإنتاج المعرفي الذي خلفته كإرث ثقافي مشترك لا تزال إرهاصاته ماثلة للعيان إلى يومنا هذا في شكل ممارسات عقدية وتوجهات مذهبية صانعة مزيجا ثقافيا إيجابيا خاليا من التطرف والإقصاء ونبذ الآخر.
- التأكيد على بقاء التواصل العلمي بين المشرق والمغرب عبر مختلف مراحل تاريخ المغرب الأوسط في ظل التقلبات السياسية التي لم تمنع من إظهار روح التحدي الذي كان السمة البارزة لفئة العلماء والفقهاء والشيوخ المنتمين إلى هذا القطر، الذين لم يقتصر دورهم على نشر معارفهم ضمن الإطار المحلي، بل كانوا خير رسل علم وفكر نقلوه إلى مختلف أنحاء العالم الإسلامي. ونالوا به المكانة العليا في مجالس الملوك والسلاطين.
- لم يشهد قطر من أقطار بلاد المغرب الإسلامي حركية سياسية وعلمية مؤثرة رسمت أحداثه مثل المغرب الأوسط الذي أعطى المنطقة صبغتها الخاصة بانخراطه المبكر

في وضع معالم التطور السياسي والمذهبي، وما تمخض عنه من نتائج مهمة صنعت وجه بلاد المغرب الإسلامي المتجدد عبر فترات زمنية متعاقبة بظهور دول وحركات دينية إصلاحية ذات أصول عربية وأخرى محلية غيرت من وجه المنطقة ودفعت بها إلى إظهار تفوقها في مختلف مجالات العلوم، ناهيك عن أنظمة الحكم المستندة على أفكار واجتهادات المذاهب الفقهية المشرقية المنشأ المغربية التجسيد كدول الخوارج الصفرية الإباضية والشيعة وتلك التي قامت على مزيج من الأفكار والقناعات المتولدة عن اجتهادات فكرية وطموحات شخصية.

- بروز وبشكل لافت لظاهرة الرحلة في طلب العلم التي اختص وتميز بها المغاربة عن غيرهم من الشعوب والأمم الإسلامية وهي التي كانت تنطلق من كل أنحاء البلاد على شكل قوافل وركب متلاحقة نحو حواضر المشرق، بحيث أنها لم تكن تستثني الكبير من الصغير العالم من المتعلم،الطالب من الفقيه المتمكن. فالكل كان يتطلع إلى أخذ نصيبه من العلوم والمعارف أو الاستزادة منها أو التخصص في إحداها. فتلك الرغبة كانت استجابة لتعاليم الإسلام وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، فضلا على الأجر العظيم الذي خصه الله لطالب العلم وحامله. كما أن المجتمع المغاربي ينظر إلى العالم أو الفقيه نظرة احترام وتبجيل ويحظى لدى السكان والأهالي بالمكانة المرموقة والمقام العالي، وهي المرتبة والصفة المتوارثة إلى يومنا هذا لأنهم أعرف الناس بالحلال من الحرام. وهم من يميز الحق عن الباطل وبهم تستنير الأمة وتعرف مقاصد الشريعة. وكانت الوجهة المقصودة وبالأخص نحو المدن المعروفة كمكة والمدينة وبغداد والبصرة والكوفة والقاهرة وبيت المقدس وغيرها مما ولد تنافسا علميا قلما تجد نظيره في غيره من الأقطار والأمصار وولد نشاطا وحركية علمية وعطاء فكري ظهر على شكل مؤلفات ومصنفات في مختلف أنواع العلوم، وساهم في رقي وتطور المجتمع المغاربي بشكل عام وأصبغ عليه ميزته الخاصة المعروفة.
- لقد أظهر المغرب الإسلامي عبر صيرورة التاريخ في كنف الدولة الإسلامية صلابة في التمسك بروح الإسلام الخالية من الشوائب، وإن كان خوضه في معترك التجاذبات السياسية التي عرفتها الحياة المذهبية والفكرية في العالم الإسلامي وما أفرزته من

نظريات وأفكار متباينة وانعكاساتها على المشهد السياسي والديني في كل أرجائه، فإنها تفسر من منطلق الصفاء الديني والعقدي، وطبيعة المنطقة وسكانها المجبولين على نصرة الحق والوقوف في وجه الظلم والطغيان حتى وإن كان من أقرب المقربين، ممن تجمعهم ملة وشريعة واحدة. فنظرة على زخم الأحداث المتلاحقة في المشرق من فتن ومعارك كلامية واختلافات فكرية فإن صداها سرعان ما كنا نجد له ردة فعل آنية من قبل المجتمع المغاربي الذي كان يتفاعل معها من منطلق التآزر والتلاحم، أو المساهمة في صياغة أجزاء منها أو حتى صنعها وهو ما تجلى في قيام دول وإمارات اختارت الوقوف في وجه الحكم المركزي في دمشق وبغداد، وكان سندها في ذلك سواعد القبائل البربرية التي أخذت على عاتقها نصرة ودعم جهود من نادوا بها. ويمكن القول أن قيام الخلافة الفاطمية في بلاد المغرب وعلى جغرافية المغرب الأوسط شكل ذروة النجاح للغرب الإسلامي في التأثير على مجريات الأحداث في المشرق.

- لم يقتصر الأمر على الجانب السياسي فحسب، بل تعداه إلى المجال العلمي والمعرفي خاصة في شقه الديني الذي هو سنام الإسلام وقاعدته التي منها تبنى المجتمعات. فلقد بين ورثة الأنبياء المغاربة أي العلماء الذين خاضوا في كل العلوم وأبدعوا في مجالات التأليف والتصنيف، بأنهم ليسوا أقل شانا من نظرائهم في المشرق أو بلاد ما وراء النهرين حينما تفوقوا في العلوم النقلية وأظهروا علو كعبهم فيها وخلفوا تراثا معرفيا ضخما في علوم الحديث والتفسير واللغة والشعر بلسان عربي مبين، لا يزال يدرس ويأخذ به في مناهج التدريس. فكان للمغرب الأوسط الحظ الوافر في هذا المجال بأسماء لامعة، مثل المقري وكتابه نفح الطيب، وفتاوى الونشريسي في كتاب المعيار، ومقدمة ابن خلدون التي ألفها في رحابه ومهدت لظهور علم الاجتماع الحديث بفروعه، ومن بجاية انتقلت أرقام الحروف العربية إلى أوروبا عن طريق إيطاليا بفضل ليوناردو ديفانشي، ومن قلعة بني حماد وضع ابن أحمد تطبيقه الرياضي لعلم الميراث الذي حدَّد نصيب الورثة بدقة متناهية وغيرهم من الأعلام الذين تربعت أسمائهم المشهد الثقافي والعلمي في المغرب الأوسط و حواضره، وكذا في

غيره من البلدان المجاورة. وامتد نشاطهم العلمي غلى المشرق وأرض الحرمين الشريفين خاصة المدينة المنورة، وجلسوا فيها للإقراء والتدريس والتأليف.

- بروز المدرسة الفقهية المغربية وتميزها عن بقية المدارس بفضل إسهامات علماءها ونبوغهم في مختلف العلوم، وقد ساعد التنوع المذهبي الذي عرفه المغرب الأوسط في تنوع الإنتاج الفكري والأدبي فظهرت كوكبة من الفقهاء والنحويين والشعراء أثروا وساهموا في التعريف بما اقتنعوا به على أنه الصواب، وجاءت ردودهم على منتقديهم ومعارضيهم على شكل مؤلفات وكتب وقصائد شعرية أغنت المغرب الإسلامي بكم هائل من التصانيف التي انتفعت بها الأجيال اللاحقة وأرست أرضية صلبة لتراث إسلامي أصيل مستمد من روح الإسلام ومبادئه.
- إن محاولة حصر تطور العلوم النقلية والعقلية لبلاد المغرب الإسلامي عامة والمغرب الأوسط خاصة على أسماء أو عناوين كتب، أو فهارس المخطوطات لا يفي بالغرض نظرا للعدد الكبير من العلماء والمشتغلين بالعلوم الذين أنجبتهم هاته الأقطار مجتمعة دون إغفال عدوة الأندلس التي اعتبرت قاطرة الجذب ومحور التطور العلمي المواكب للحركية والنشاط المستمر في بلاد المغرب، التي كانت وليدة الانتقال المستمر لرحلات العلماء في إطار التبادل العلمي، مما ساعد على صنع أجواء ثقافية وعلمية مستندة على قواعد وأسس عقدية عرفت اجتهادات وتأطيرا من علماء المشرق الإسلامي وصاغوها في قوالب دينية على شكل تيارات وأفكار مهدت للتعدد السياسي والعقدي في الدولة الإسلامية فكانت عاملا مهما من عوامل الازدهار العلمي والفكري في المشرق والمغرب.

وأخيراً فإنّ وفقنا فذلك بفضل الله وكرمه، وان كنا أخطأنا فعزائنا أننا اجتهدنا ولكل مجتهد نصيب. على أننا لا ندعي الإصابة والعصّمة من الخطأ فيما قمنا به، فالكمال لله وّحده والعصّمة لمن عصمه الله، ولذاَ رجاؤنا لمن وجد خللا أن يبصرنا به، أو عيباً أن يرشدنا إليه وسنكون له من الشاكرين، وبالتالي قد يفتح هذا العمل الفرصة أو الرغبة لدى عدد من الباحثين للتعمق فيه أكثر أو التعرض له من زوايا أخرى، كما يهمنا أن نسجل في هذه الكلمة تقديرنا وشكرنا الخالص لكل إخواننا الذين سهلوا لنا السبيل في انجاز هذا العمل،

عملاً بقوله صلى الله عليه وسلم "**من لا يشكر الناس لا يشكر الله**"، والله نسأل أن يسدد خطاناَ، ويلهمنا التوفيق لتقديم المزيد من العمل لهذه الأمة، راجين أن نكون قد وفقنا فيما بذلنا وحققنا ولو القليل من الغاية، وعلى الله قصد السبّيل والاتكال في الحال والمال.

وآخر دعوانا أن الحمد الله رب العالمين... وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وأشياعه إلى يوم الدين.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

- **القـرآن الكريـم.**
- **الحديث النبوي الشريف.**

أولا: المصادر:

1- **ابن أبي دينار القيرواني، محمد بن أبي القاسم الرعيني:** كتاب المؤنس في أخبارافريقية وتونس، ط1، مطبعة الدولة التونسية وحاضرتها المحمية 1286.

2- ابن **أبي زرع:** الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة، الرباط، 1972م.

3- **ابن عماد الحنبلي:** شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار الكتب العلمية، لبنان، (د– ت)،ج5.

4- **ابن الخطيب، لسان الدّين (ت776هـ/1374م):** الإحاطة في أخبار غرناطة، ج1، مطبعة الموسوعات ، مصر ، 1901.

5- **ابن الخطيب، لسان الدين:** تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط، القسم الثالث من كتاب اعمال الأعلام، تحقيق وتعليق: أحمد مختار العبادي،ومحمد إبراهيم الكتاني، دار الكتاب للنشروالتوزيع، الدار البيضاء 1964م.

6- **ابن الزيات التادلي:** التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، تح: أحمد توفيق، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، ط2، 1997م.

7- **ابن الأبار أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر الصنهاجي البلنسي:** التكملة لكتاب الصلة، تحقيق:عبد السلام الهراس، ج2، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1415هـ/ 1995.

8- **ابن الأثير، محمد بن محمد بن عبد الكريم،بن عبد الواحد الشيباني، الجزري، (تـ 630هـ):** الكامل في التاريخ (من سنة 218هـ لغاية 318هـ)، راجعه وصححه: محمد يوسف الدقاق، ج6، ط1، 1407هـ/ 1987م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

9- **ابن الأحمر، أبو الوليد إسماعيل:** روضة النسرين في دولة بني مرين، تحقيق: عبد الوهاب بن منصور، مطبوعات القصر الملكي، المطبعة الملكية، الرباط، 1962.

10- **ابن الأحمر:** تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان، تح: هاني سلامة، مكتبة الثقافة الدينية للنشر والتوزيع مصر، ط1، 1421هـ/2001م.

11- **ابن الجوزي، جمال الدين أبي الفرج، (تـ597هـ):** صفوة الصفوة، تحقيق: خالد طرطوسي، دار الكتاب العربي، لبنان،1433هـ/2012م.

12- **ابن الصغير (القرن الثالث الهجري):** أخبار الأئمة الرستميين، تحقيق: محمد ناصر، إبراهيم بحاز، دارالغرب الإسلامي، 1986، بيروت.

13- **ابن الفرضي،أبي الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف الأزدي(تـ403هـ):** تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس، ج1، تحقيق: عزت العطار الحسيني، القاهرة، 1373هـ/ 1954م.

14- **ابن القاضي: درة الحجال،** تح: مصطفى عبد القادر عطا، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت 2002م.

15- **ابن القطان المراكشي:** نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، دراسة وتقديم وتحقيق: محمود علي مكي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1410هـ/1980م.

16- **ابن بشكوال أبو جعفر أحمد بن إبراهيم الغرناطي:** صلة الصلة، تحقيق شريف أبو العلا العدوى ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2008، ج3.

17- **ابن بشكوال:** الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم، نشر عزت العطار الحسيني، مكتبة الخانجي، ط2، 1994م، القاهرة، ج2.

18- **ابن تومرت، محمد:** أعز ما يطلب، تقديم وتحقيق: عمار طالبي، الجزائر عاصمة الثقافة العربية 2007.

19- **ابن تيمية، أحمد:** مجموع الفتاوى، دار الفضاء بالمنصورة، ط1، مكتبة العبيدات، الرياض، 1418هـ /1998م، ج3.

20- **ابن جلجل:** طبقات الأطباء والحكماء، تح: فؤاد سيد، مطبعة المعهد الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة.

21- **ابن حزم الأندلسي (384هـ-456هـ):** جمهرة أنساب العرب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط5، دار المعارف، القاهرة.

22- **ابن حماد، أبي عبد الله محمد بن علي:** أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، تحقيق: التهامي نقرة، وعبد الحليم عويس، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة، (د.ت).

23- **ابن خاقان:** قلائد العقيان ومجالس الأعيان، تح: حسين يوسف خربوش مكتبة المنار، ط1، 1989، ج4.

24- **ابن خلدون، أبوزيد عبد الرحمن، (732هـ-808هـ/1332م-1406م):** ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ج3، ضبط: خليل شحاذة، ومراجعة: سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنش والتوزيع،1421هـ/ 2000م.

25- المقدمة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع،1421هـ/2000م.

26- **ابن خلدون:** التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا، تحقق وتعليق: محمد بن تاويت الطنجي، وزارة الثقافة، الجزائر، 2007م، الجزائر.

27- **ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بك، (608-681هـ):** وفيات الأعيان وانباء أبناء الزمان، ج1، حققه: احسان عباس، دار صادر، بيروت.

28- **ابن رشيق القيرواني:** العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد مطبعة السعادة، القاهرة ، ط3، 1960م ،ج 1.

29- **ابن سعيد أبي الحسن علي بن موسى الأندلسي (610هـ/685هـ):** الغصون اليانعة في محاسن شعراء المائة السابعة، تح: إبراهيم الأبياري، دار المعارف، مصر، ط4، 1990م.

30- **ابن سناء الملك:** ديوان ابن سناء الملك، تح: إبراهيم محمد نصر، حسين محمد نصار، دار الكتاب العربي، مصر، 1388هـ/1969م.

31- **ابن صاحب الصلاة:** المن بالإمامة، تح:عبد الهادي التازي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط3 1987.

32- **ابن عربي أبو بكر:** كتاب أحكام القرآن، مطبعة السعادة، القاهرة، (د– ت)، ج2.

33- **ابن عذاري المراكشي:** البيان المغرب في أخبار الاندلس والمغرب، ج1، حققه وراجعه :ج. س. كولان، وليفي بروفنسال، دار الثقافة، ط2، بيروت، 1980.

34- **ابن فرحون، إبراهيم بن نورالدين المالكي (ت799هـ):** الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، ط1، دراسة وتحقيق: مأمون بن يحي الدين الجنان،1417هـ/ 1996، مدار الكتب العلمية، بيروت– لبنان.

35- **ابن فضل الله العمري:** مسالك الأبصار في مسالك الأمصار،السفر الثامن" طوائف الفقراء الصوفية"، تح: بسام محمد بارود، المجمع الثقافي أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، 2000م.

36- **ابن قتيبة عبد الله بن مسلم الدينوري (ت 276هـ):** إصلاح غلط أبي عبيد في غريب الحديث، تح: عبد الله الجبوري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1403هـ/1983م.

37- **ابن مرزوق، محمد:** المسند الصّحيح في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، تحقيق: ماريا خيسوس بيغيرا، الشّركة الوطنيّة للنّشر والتّوزيع، الجزائر، 1981م.

38- **ابن مريم، أبوعبد الله محمد بن أحمد، (كان حيا سنة 1014هـ/1605م):** البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، تحقيق: محمد بن أبي شنب، ديوان المطبوعات الجامعة، الجزائر، 1986م.

39- **ابن منظور:** مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، تحقيق: روجية النحاس وآخرون، ط1، 1404هـ /1984م، ج 23.

40- **ابن وردان:** تاريخ مملكة الأغالبة، دراسة وتقديم وتحقيق وتعليق: محمد زينهم محمد عزب، مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر، ط1، 1408هـ/1988م.

41- **أبو الحسن علي القابسي:** الرسالة المفصلة لأحوال المعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين، تح: أحمد خالد، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، ط1، 1986م.

42- **أبو العباس أحمد القلقشندي:** نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط2، 1980م.

43- **أبو العباس أحمد بن سعيد الدرجيني:** طبقات المشائخ بالمغرب، تح: إبراهيم طلاي، مطبعة البعث قسنطينة، الجزائر،(د– ت)، ج2.

44- **أبو العباس أحمد بن عبد الواحد الشماخي:** كتاب السيًر،ج2، تح: محمد حسن، دار المدار الإسلامي، بيروت، ط1، 2009م.

45- **أبو العباس أحمد بن حسن بن علي الخطيب:** الوفيات، تح، عادل نويهض، دار صادر، بيروت، لبنان، 1982م .

46- **أبو العباس علي بن الخطيب ابن القنفد القسنطيني:** الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تح: محمد الشاذلي النيفر وعبد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر، تونس، 1968م.

47- **أبو العرب محمد بن أحمد بن تميم التميمي (ت333هـ):** كتاب المحن، تح: يحي وهيب الجبوري، دار الغرب الإسلامي، ط3، 1427هـ/2006م.

48- **أبو العرب محمد بن أحمد تميم:** طبقات علماء إفريقية وتونس، تح:علي الشابي ونعيم حسن الباقي، الشركة التونسية للنشر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985م.

49- **أبو الفضل يوسف بن النحوي:** المنفرجة، شرح أبي علي البوصيري، تحقيق: أحمد أبو رزاق، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1984م.

50- **أبو القاسم ابن إبراهيم البرادي،** الجواهر المنتقاة، (د– ت)، (د– ط).

51- **أبو القاسم محمد الحفناوي:** تعريف الخلف برجال السلف، طبع مطبعة فونتانة الشرقية، الجزائر 1324هـ/1906م، ج2.

52- **أبو بكر بن محمد بن خير بن عمر بن خليفة الأموي (ت 575هـ):** فهرسة ابن خير الإشبيلي، وضع حواشيه، محمد فؤاد منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1،1419هـ / 1998م.

53- **أبو جعفر أحمد بن إبراهيم الثقفي الغرناطي (ت708هـ/1308م):** كتاب صلة الصلة، تح: عبد السلام الهراس وسعيد أعراب، مطبعة فضالة، المغرب، 1993م.

54- **أبو حامد الغزالي:** فضائح الباطنية، تح: عبد الرحمن بدوي، دار الكتب الثقافية، الكويت،(د ت).

55- **أبو حمو موسى الزياني:** واسطة السلوك في سياسة الملوك، تحقيق: محمود بوترعة، دار الشيماء، دار الطباعة،2011م، الجزائر.

56- **أبو زكريا يحي بن أبي بكر (ت471هـ):** كتاب سير الأئمة وأخبارهم، تحقيق وتعليق: إسماعيل العربي، المكتبة الوطنية، الجزائر، 1399هـ/ 1979م.

57- **أبو زكرياء يحي بن محمد ابن خلدون (ت780هـ/1378م):** بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، ج1، تحقيق: عبد الحميد حاجيات، المكتبة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1980.

58- **أبو عبد الله البكري:** المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب وهو جزء من كتاب المسالك والممالك، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

59- **أبو عبيد البكري:** المسالك والممالك، تح: أدريان فان ليوفن وأندري فيري، بيت الحكمة، الدار العربية للكتاب قرطاج، تونس، 1992م، ج2.

60- **أبو عبد الله الشريف الإدريسي:** نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، مطبعة بريل، مدينة ليدن،(د–ت).

61- **أبو عبد الله القضاعي ابن الأبار:** تكملة كتاب الصلة، تعليق، ألفرد بل وابن أبي شنب، مكتبة الخانجي، مصر،1955م.

62- **أبو عبد الله بن عبد المنعم الحميري:** صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار، نشر: إ. ليفي بروفنسال، دار الجيل، بيروت، ط2، 1408هـ/ 1988م.

63- **أبو عبد الله بن عبد الملك المراكشي:** الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تح: محمد بن شريفة مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، 1984م، السفر الثامن، ق2.

64- **أبو عبد الله محمد بن احمد ابن الشماع:** الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية، تح: الطاهر بن محمد المعموري، الدار العربية للكتاب، تونس، 1984م.

65- **أبو عبد الله محمد الأنصاري:** فهرست الرصاع، تحقيق: محمد العنابي، المكتبة العتيقة، تونس، ط1، 1967م.

66- **أبو عمر محمد بن يوسف الكندي المصري:** الولاة والقضاة، تهذيب وتصحيح: رفن كست، طبع مطبعة الآباء اليسوعيين (1908م)، بيروت.

67- **أبو الوليد إسماعيل ابن الأحمر:** النّثير الجمان في شعر من نظم وأياه الزمان، مؤسّسة الرّسالة بيروت، (ب ت).

68- **أبو العباس أحمد ابن عمّار:** نحلة اللّبيب باختيار الرّحلة إلى الحبيب، مطبعة فونتانة، الجزائر 1902م.

69- **أبو سليمان، صابر حسن محمد:** مورد الظمآن في علوم القرآن، نشر، الدار السلفية، ط1 1404هـ/ 1984م، بومباي، الهند.

70- **أبو نعيم الأصفهاني:** حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، مطبعة السعادة، 1933م، ج3.

71- **أبو هلال الحسن بن سهل بن مهران العسكري:** كتاب الصناعتين، الكتابة والشعر، تحقيق: علي البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط1، (د- ت).

72- **أبي الفضل عياض بن موسى اليحصبيً (ت 544هـ):** ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، ضبط وتصحيح: محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1418هـ/1998م، ج2.

73- **أبي عبد الله محمد بن إبراهيم الزركشي:** أخبار الدواتين الموحدية والحفصية، تحقيق: محمد ماضور، المكتبة العتيقة، مصر، 2002م.

74- **أبي الحسن علي القلصادي الأندلسي (ت891هـ):** رحلة القلصادي، تح: محمد أبو الأجفان، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1978م.

75- **أبي الحسن علي بن بسام الشنتريني (542هـ):** الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، القسم الثاني تح: إحسان عباس، دار الثقافة، لبنان، 1417هـ/1997م، ج1.

76- **أبي الحسن علي بن عبد الله ابن أبي زرع الفاسي:** الأنيس المطرب روض القرطاس في أخبار ملوك المغرب ومدينة فاس، صور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972م، الرباط.

77- **أبي العباس أحمد القلقشندي:** صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج1، دار الكتب المصرية، (1340هـ/ 1923م)، القاهرة.

78- **أبي الفدا عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر:** تقويم البلدان، تصحيح، رينود والبارون ماك كوكين، دار الطباعة السلطانية، باريس، 1830م.

79- **أبي القاسم يوسف بن علي بن جبارة:** الكامل في القراءات العشر والأربعين الزائدة عليها، تح: جمال بن السيد بن رفاعي الشايب، مؤسسة سما للنشر والتوزيع، ط1، 1428هـ/2007م.

80- **أبي بكر بن علي الصنهاجي البيذق:** أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1971م.

81- **أبي بكر عبد الله بن محمد المالكي:** رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، حققه: بشير البكوش،راجعه:محمد العروسي المطوي، ج2، ط2. 1414هـ/1994، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان.

82- **أبي بكر محمد بن الحسن الزبيدي الأندلسي:** طبقات النحويين واللغويين، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، ط2، 1392هـ/1973م.

83- **أبي عبد الله محمد بن عمر الملالي التلمساني:** المواهب القدوسية في المناقب السنوسية، تح: علال بوربيق، بحث مقدم للمشاركة في المسابقة الدولية لإحياء التراث، الجزائر، 1429هـ/ 2088م.
84- **أبي الوليد إسماعيل ابن الأحمر:** نثير الجمان في شعر من نظمني وإياه الزمان، تح: محمد رضوان الداية، مؤسسة الرسالة، لبنان، ط2، 1987م.
85- **أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الزهري:** كتاب الجغرافية، تح: محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، مصر.
86- **أبي عبيد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي (ت 487هـ):** المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، تقديم وتعليق: حماة الله ولد السالم، دار الكتب العلمية، لبنان.
87- **أبي علي منصور العزيزي، الجوذري:** سيرة الأستاذ جوذر، تح: محمد كلما حسين ومحمد عبد الهادي شعيرة، دار الفكر العربي، 1374هـ/1954م.
88- **أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري(ت 276هـ):** أدب الكاتب، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر، ط4،(د–ت).
89- **أبي منصور عبد القاهر بن محمد البغدادي:** الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم، تح:محمد عثمان الخشيت، القاهرة، مكتبة ابن سينا، 1409هـ/1988م.
90- **إبراهيم بن علي بن محمد، ابن فرحون:** الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تح: محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث للطبع والنشر، القاهرة، (د–ت)، ج2.
91- **إبراهيم بن أبي بكر بن خلكان:** وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، دار صادر، لبنان، 1972م، ج5.
92- **أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان (608 – 681هـ):** وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1397هـ/ 1977م، مج 5.
93- **أسكان الحسين:** تاريخ التعليم بالمغرب خلال العصر الوسيط، نشر المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، 2004م، الرباط، المملكة المغربية.

94- **الأشعري، أبا الحسن علي بن أبي إسماعيل:** مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، ج1، ط1، 1369هـ/1950، مكتبة النهضة المصرية.

95- **الأصفهاني، أبي نعيم احمد بن عبد الله (ت430هـ):** حلية الاولياء وطبقات الاصفياء، ج3، مكتبة الخانجي، دار الفكر للطباعة والنشر، 1416هـ/1996م، بيروت، لبنان.

96- **الباقلاني، أبي بكر محمد بن الطيب:** إعجاز القرآن، تح: أحمد صقر، دار المعارف القاهرة، مصر، 1374هـ/ 1954م

97- **البرادي، أبو القاسم محمد بن إبراهيم (ق8هـ):** الجواهر المنقاة في إتمام ما أخل به كتاب الطبقات، طبع حجرية قسنطينة، 1302هـ.

98- **البيذق أبي بكر الصنهاجي:** كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب، تحقيق: عبد الوهاب بن منصور، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1971م.

99- **التادلي، أبي يعقوب يوسف بن يحي، (تـ617هـ/1220م):** التشوف إلى رجال التصوف، وأخبار أبي العباس السبتي، تحقيق: أحمد التوفيق، ط2، 1997، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء.

100- **التلمساني احمد بن محمد المقري:** نفخ الطيب من غصن الأندلس الرطيب، حققه: إحسان عباس، المجلد1، المجلد2، المجلد3 ، المجلد 5، دار صادر، بيروت–1428هـ/1988م.

101- **التنسي، محمد بن عبد الله: (899هـ/1493م):** تاريخ بني زيان ملوك تلمسان مقتطف من نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان، تحقيق: محمود بوعياد، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985.

102- **الحسن ابن محمد الوزان الفاسي(ت957 هـ/ 1550م):** وصف إفريقيا، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، لبنان ،1983م.

103- **الحميدي، أبي عبد الله محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله الأزدي، (تـ488هـ)**: جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، الدار المصرية للتأليف والترجمة، 1966.

104- **الدَّاواداري عبد الله بن أيبك**: كنز الدرر وجامع الغرر، الجزء السادس، الدرَّة المضية في أخبار الدولة الفاطمية، تح: صلاح الدين المنجد، قسم الدراسات الإسلامية، القاهرة، مصر، 1380هـ/1961م.

105- **الذهبي أبي عبد الله بن قايماز (ت748هـ)**: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تح: عبد القادر عطا: دار الكتب العلمية، لبنان، ج11، ص 202. المقري، **النفح**، المصدر السابق،ج3.

106- **الدباغ أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الأنصاري الأسيدي (ت 696هـ)**: معالم الإيمان في معرفة رجال القيروان، تعليق: أبو الفضل أبو القاسم بن عيسى بن ناجي التنوخي (ت839هـ) تح: إبراهيم شبوح، نشر مكتبة الخانجي، ط2، 1388هـ/1968م، ج1.

107- **الدرجيني أبي العباس أحمد بن سعيد**: طبقات المشائخ بالمغرب، تح: إبراهيم طلاي، مطبعة البعث قسنطينة، الجزائر، 1394هـ/1974م، ج1.

108- **الرقيق القيرواني**: تاريخ إفريقية والمغرب، تح: محمد زينهم محمد عزب، دار الفرجاني للنشر والتوزيع، القاهرة ط1، 1414هـ/1994م

109- **السبتي، القاضي عياض بن موسى، (ت سنة544هـ)**: ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق: محمد بن تاويت الطنجي، ط3، 1403هـ/1983م، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية.

110- **السخاوي شمس الدين**: وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام، تح: بشار عواد وآخرون، مؤسسة الرسالة، لبنان، ط1، 1416هـ/1995م، ج1.

111- **السيوطي جلال الدين** : بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا، لبنان، (د– ت)،ج2.

112- **الشيباني عبد الواحد ابن الأثير:** الكامل في التاريخ، تح: عمر عبد السلام التدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، 2012م، ج6.

113- **الشماخي، عبد الواحد:** سيَّر الشماخي، تح :أحمد بن مسعود السباحي، المكتبة الوطنية الجزائرية الجزائر، 1992م، ج1.

114- **الشماخي، أبو العباس أحمد بن سعيد، (ت 928هـ):** السيَّر، طبع حجري، قسنطينة،1301هـ.

115- **الشماخي، أبو العباس أحمد بن سعيد، (ت 928هـ):** السيَر، تحقيق: أحمد بن سعود السيابي وزارة التراث القومي، 1987م، سلطنة عمان، ج1.

116- **الشهرستاني،أبا الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد،(ت548هـ):** الملل والنحل تحقيق: محمد سيد كيلاني، ط2، دار المعرفة للطباعة والنشر، 1395هـ/1975م، بيروت، لبنان.ج1.

117- **الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك:** الوافي بالوفيات، تح، أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 2000م، ج4.

118- **الطوسي، أبي نصر السراج:** اللمع في التصوف، "ت:378هـ"، تح: عبد الحليم محمود طه عبد الباقي سرور، 1380هـ/1960م، دار الكتب الحديثة، مصر، مكتبة المثنى، بغداد.

119- **العباس بن إبراهيم السملالي:** الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، راجعه: عبد الوهاب ابن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، ط2، 1413هـ/1993م، ج4.

120- **العماد الأصفهاني:** خريدة القصر وجريدة العصر، تحقيق: محمد المرزوقي ومحمد العروسي المطوي، **قسم شعراء المغرب،** الدار التونسية للنشر، تونس، ط3، 1986م، ج1.

121- **الغبريني، أبو العباس احمد أحمد بن أحمد، ت 704هـ/1305م:** عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تحقيق: رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، ط2، 1981.

122- **الغبريني أحمد أبو العباس:** عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية (644- 714هـ)، تح: عادل نويهض، منشورات دار الآفاق، بيروت، ط2، 1979م.

123- **القاضي النعمان:** اختلاف أصول المذاهب، تحقيق مصطفى غالب، ط 3، دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت، 1983.

124- **القاضي النعمان:** افتتاح الدًعوة، تح: فرحات الدشراوي، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط2، 1986م.

125- **القاضي النعمان:** شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار، تح: محمد حسينى الجلالي، منشورات الإعلامي، 2006م، ج1، لبنان.

126- **القاضي النعمان:** الهَمة في آداب إتَباع الأئمة، تح: محمد كامل حسين، دار الفكر العربي، مصر، 2002م.

127- **القاضي النعمان (ت 363هـ):** المجالس والمسايرات، تح: الحبيب الفقي، إبراهيم شبوح، محمد اليعلاوي، دار المنتظر، بيروت.

128- **القاضي عياض:** الغُنية فهرست شيوخ القاضي عياض (476 -544هـ/1083- 1149م)، تح: ماهر زهير جرار، دار الغرب الإسلامي، لبنان.

129- **الكندي، أبو عمر محمد بن يوسف، (ت350هـ)**، الولاة وكتاب القضاة، تهذيب وتصحيح رفن كست، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، 1908.

130- **المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي:** اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، تح: محمد حلمي محمد أحمد، وزارة الأوقاف لجمهورية مصر، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، 1416هـ /1996م، ج2.

131- **القيرواني حسن بن الرشيق،** أنموذج الزمان في شعراء القيروان، جمع وتحقيق: محمد العروسي المطوي وبشير البكوش، الدار التونسية للنشر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1406هـ/1986م.

132- **المالكي أبي بكر عبد الله بم محمد:** رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، تح: بشير

البكوش، مراجعة: محمد العروسي المطوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1414هـ/1994م، ج1.

133- **الماوردي أبي الحسن:** أدب الدين والدنيا، شرح وتعليق، محمد كريم رابح، دار إقرأ، بيروت، ط4، 1405هـ/1985م.

134- **المبرد أبي العباس محمد بن يزيد (ت 285هـ)** : الكامل في اللغة والأدب، تح: عبد الحميد الهنداوي، 1419هـ/1998م، دار الكتب العلمية، لبنان، ج1.

135- **المقري التلمساني:** أزهار الرياض في أخبار عياض، تح: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1939م، ج1.

136- **المهدي بن تومرت (المهدي):** أعز ما يطلب، تقديم وتصحيح عمار طالبي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الرغاية، الجزائر، 1985م.

137- **بالنثيا أنخل جنتالث: تاريخ الفكر الأندلسي،** نقله عن الإسبانية : حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، 1955م.

138- **القلصادي، أبي الحسن علي الأندلسي:** رحلة القلصادي، (ت بباجة إفريقية سنة891هـ) دراسة وتحقيق محمد أبو الأجفان، الشركة التونسية للتوزيع- تونس.

139- **القلقشندي، أبو العبّاس أحمد:** صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج5، المؤسّسة المصريّة العامّة (د- ت).

140- **القيرواني، أبي محمد عبد الله بن أبي زيد، المتوفي 386هـ** :الرسالة: في فقه الإمام مالك، ضبطه وصححه: الشيخ عبد الوارث محمد علي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

141- **المبرد،أبي العباس محمد بن يزيد:** الكامل المبرد، حققه وعلّق عليه وصنع فهارسه: محمد أحمد الدالي، المجلد4، مؤسسة الرسالة.

142- **المراكشي،عبد الواحد،(ت647هـ):** وثائق المرابطين والموحدين، تحقيق: حسين مؤنس، ط1، 1997، الناشر مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة.

143- **المراكشي، عبد الواحد: المعجب في تلخيص أخبار المغرب:** تحقيق صلاح الدّين الهوّاري، المكتبة العصريّة، بيروت، ط1، 2006م.
144- **المعجب في تلخيص اخبار المغرب:** الكتاب الثالث، تحقيق: محمد سعيد العريان،1283هـ /1962م القاهرة.
145- **المسعودي، أبي الحسن بن علي (ت346هـ/957م):** مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج3، أعتنى به وراجعه: كمال حسن مرعي، ط1، 1425هـ / 2005م.
146- **المقديسي، شمس الدين أبو عبد الله:** أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، تعليق: محمد أمين الضناوي منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2003م.
147- **المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي، (ت845هـ):** اتعاظ الحنفا بأخبار الائمة الفاطميين الخلفا، تحقيق : جمال الدين الشيال،ج1، ط2، 1416هـ/1996م، القاهرة.
148- **كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار**، المعروف بالخطط المقريزية، ج2، ط2، الناشر مكتبة الثقافة الدينية،1987.
149- **النديم، أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب إسحاق:** الفهرست، ضبط وشرح: يوسف علي الطويل، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1996.
150- **النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب:** نهاية الأرب في فنون الأدب، ج24، تحقيق: عبد الحميد توحيني، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
151- **الهمذاني محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب بن يوسف بن داود:** صفة جزيرة العرب، مطبعة بريل، ليدن، فيينا، النمسا، 1883م.
152- **الوسياني، أبي الربيع:** سير مشائخ المغرب، تحقيق وتعليق: إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، 1985، الجزائر.
153- نهاية الأرب في فنون الأدب، ج24 (الجزء22 من تصنيف النويري)، تحقيق: محمد جابر عبد العالي الحبني، ومراجعة: إبراهيم مصطفى، المكتبة العربية،

يصدرها المجلس الأعلى بالاشتراك مع الهيئة المصرية العامة للكتاب (مركز تحقيق التراث)، مصر 1404هـ /1984م.

154- **تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، من نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان،** تح: محمود آغا بوعياد، موفم للنشر، الجزائر، 2011 م.

155- **عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الأنصاري الدباغ، (ت696هـ/1320م):** معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان،ج2، مكتبة الخانجي، مصر، 1968م.

156- **علي ابن أبي ورع الفاسي:** الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب ومدينة فاس، دار المنصورة للطباعة والوراقة، الرباط، 1972.

157- كتاب **السيَر والجوابات لعلماء وأئمة عمان،** تح: سيدة إسماعيل كاشف، نشر وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، 1406هـ/1986م، ج2.

158- **محمد بن أبي الفضل بن سعيد بن صعد التلمساني(ت 910هـ):** النجم الثاقب فيما لأولياء الله من المناقب، مؤسسة الملك بن عبد العزيز، الدار البيضاء، المملكة المغربية، (د– ت).

159- **محمد بن أبي القاسم الرعيني، ابن أبي دينار:** المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، مطبعة الدولة التونسية تونس، 1682م.

160- **محمد بن تومرت المهدي:** أعز ما يطلب، تق و تح: عبد الغني أبو العزم، مؤسسة الغني للنشر، الرباط، المغرب، 1997م.

161- **محمد بن عبد الله التنسي:** تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، تح: محمود آغا بوعياد، موفم للنشر، الجزائر، 2011، ص 126.

162- **محمد بن عبيد الله ابن خاقان الاشبيلي الأندلسي (ت529هـ):** مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس، ط1، دار الكتب العلمية، لبنان.

163- **محمد بن عسكر الحسني الشفشاوني:** دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر، تح: محمد حجي، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، 1977م.

164- **محمد بن لطفي الصباغ:** لمحات في علوم القرآن، واتجاهات التفسير، ط3- 1410هـ/1990م، المكتب الإسلامي، بيروت.

165- **محمد بن محمد بن عمر بن قاسم مخلوف،** شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، ج1، تخ وتع: عبد المجيد خالي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط3، 1424هـ/20003م.

166- **محمد بن محمد مخلوف، (ت 1360هـ):** شجرة النور الزكية في طبقات المالكية خرج حواشيه وعلق عليه: عبد المجيد خيالي (جزآن)، دار الكتب العالمية، ط1، 1424هـ /2003م.

167- **محمد الأندلسي الوزير السراج:** الحلل السّندسيّة في الأخبار التّونسيّة، ج2، تحقيق: محمّد الحبيب الهيلة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1985م.

168- **مجهول:** مؤلف، (من كتاب القرن السادس الهجري/الثاني عشر ميلادي)، الاستبصار في عجائب الأمصار، تح، سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1986م.

169- **مجهول:** كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1985م .

170- **مجهول أندلسي من أهل القرن الثامن الهجري:** الحلل الموشية في الأخبار المراكشية تح: سهيل زكار وعبد القادر زمامة،دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء،المغرب،ط1، 1399هـ/1979

171- **مجهول: زهرة البستان في دولة بني زيان،** تح: بوزياني الدراجي، مؤسسة بوزياني والنشر والتوزيع، الجزائر، ج2، 2013م.

172- **موسى بن يوسف أبو حمو بن زيان العبد الوادي:** واسطة السلوك في سياسة الملوك، مطبعة الدولة التونسية، تونس، (1279هـ).

173- **هود بن محكم الهواري، ت280هـ:** تفسير كتاب الله العزيز، حققه: بالحاج سعيد شريفي، ط1 1990م، ج1، دار الغرب الإسلامي.

174- **يحي بن معط:** البديع في علم البديع، تحقيق: محمد مصطفى أبو الشوارب، دار الوفاء، بيروت، ط1، 2003م.

175- **يحي بن خلدون:** بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تح: عبد الحميد حاجيات المكتبة الوطنية الجزائرية للنشر و التوزيع، 1400هـ/1980م، ج1.

- **كتب الجغرافيا والرحلات:**

176- **ابن حوقل، أبي القاسم محمدبن علي الموصلي، البغدادي، النصيبي، ت 367هـ/977م:** كتاب صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر، بيروت.

177- **ابن رشيد السني، أبو عبد الله محمد بن عمر بن رشيد الفهري السبتي، ت 720هـ/1320م:** ملئ العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيهة إلى الحرمين مكة وطيبة، ج5، تحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، لبنان، 1988.

178- **أبي الفداء، عماد الدين إسماعيل:** المختصر في أخبار البشر، ط1، المطبعة الحسينية المصرية (د.ت).

179- **الإدريسي، محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحمودي الحسيني الشريف:** المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس مأخوذة من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الأفاق طبع في مدينة ليدن المحروسة، بمطبعة بريل1899.

180- **البكري، أبي عبيد الله،487هـ:** المغرب في دكر بلاد افريقية والمغرب، وهو جزء من كتاب المسالك والممالك، دار الكتاب الإسلامي،القاهرة.

181- **البلنسي محمد العبدري**: الرحلة المغربية، تقديم سعد بولافة، منشورات بونة للبحوث والدراسات.

182- **الحميري، أبو عبدالله محمد عبد المنعم الصنهاجي السبتي، (ت727هـ/1327م):** الروض المعطار في خبر الأمصار، تحقيق: إحسان عباس، مكتبة لبنان، ط2، 1984.

183- **الحميري محمد بن عبد المنعم:** الروض المعطار في خبر الأقطار: تح: إحسان عباس، طبع هيدلبرغ، لبنان 1975م، ص 582.
184- **الحموي شهاب الدين ياقوت بن عبد الله،** معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1397هـ/1977م، ج5.
185- **الحموي ياقوت:** معجم الأدباء، تح: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1993، ج6.
186- **القلصادي أبي الحسن علي الأندلسي، (ت بباجة افريقية سنة 891هـ)،** رحلة القلصادي، دراسة وتحقيق محمد أبو الأجفان، الشركة التونسية للتوزيع، تونس 1974.
187- **المباركفوري محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم:** تحفة الأحوذي، دار الكتب العلمية، بيروت.
188- **المغربي، ابن سعيد:** كتاب الجغرافية، تحقيق: اسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، ط2، الجزائر، 1982.
189- **المقدسي شمس الدين أبي عبد الله محمد:** أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط2، طبعة ليدن، مطبعة بريل، 1902م.
190- **الوزان، الحسن بن محمد الفاسي، المعروف بليون الإفريقي:** وصف افريقيا، ج2، ترجمة عن الفرنسية: محمد حجي، محمد الأخضر، ط2، دارالغرب الإسلامي، 1983، بيروت.
191- **مجهول، كاتب مراكشي من كُتاب القرن 6هـ/12م:** كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار وصف مكة والمدينة ومصروبلاد المغرب، نشره وعلّق عليه: سعد زغلول عبد الحميد، طباعة ونشر الشؤون الثقافية العامة، بغداد.

ثانيا: المراجع.

1- **أحمد أمين:** ضحى الإسلام، مطبعة لجنة التأليف، القاهرة، مصر، ط2، 1987م، القاهرة، ج3.
2- **أحمد أمين:** ضحى الإسلام، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، 2012م.

3- **أحمد أمين:** فجر الإسلام، دار الكتاب العربي، بيروت، ط 10، 1969م.

4- **أحمد أبو رزاق:** الأدب في عصر دولة بني حماد، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979.

5- **أحمد شلبي:** موسوعة التاريخ الإسلامي، ط3، مكتبة النهضة المصرية، مصر، ط3، 1988م، ج1.

6- **الإبراهيمي أحمد الطالب:** آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي (1929-1940م)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1997م، ج1.

7- هذه هي الجزائر، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1956.

8- **أحمد تيمور باشا:** المذاهب الفقهية الأربعة (الحنفي والمالكي، والشافعي، والحنبلي وانتشارها عند جمهور المسلمين)، ط1، دار الأفاق العربية، 1421هـ/2001م.

9- **أحمد شلبي:** تاريخ التربية الإسلامية، مكتبة النهضة المصرية، 1973م.

10- **أعوشت، بكيرين سعيد:** الاباضية في مرآة علماء الاسلام قديماً وحديثاً، المطبعة العربية، غرداية، 1955.

11- **آدم متز:** الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري أو عهد النهضة في الإسلام، ج2، تعريب: محمد عبد الهادي أبو ريدة، فهرسة: رفعت البدراوي، ط5، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

12- **ألفرد بل:** الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم، ترجمة: عبد الرحمن بدوي، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط3، 1987م.

13- **أيمن فؤاد سيد:** الدولة الفاطمية في مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2007.

14- دولة بني حماد، ملوك القلعة وبجاية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1980م.

15- **إسماعيل سامعي،** القاضي النعمان وجهوده في إرساء دعائم الخلافة الفاطمية والتطور الحضاري ببلاد المغرب (القرن 4هـ/10م)، ط1، (1431هـ/2010م)، مركز الكتاب الأكاديمي.

16- **إبراهيم بحاز:** الدولة الرستمية، (160- 296هـ/777- 909م)، دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية، نشر جمعية التراث، القرارة، الجزائر، ط2 ،1414هـ/1993م.

17- **إبراهيم بحاز:** الدولة الرستمية، دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية، ط2، جمعية التراث، القرارة، الجزائر،(1993م)، ص 321.

18- **إبراهيم بحاز بكير:** الدولة الرستمية (160- 296هـ/777- 909م)، دراسة الأوضاع الاقتصادية والفكرية، جمعية التراث، القرارة، الجزائر، ط1، 1985م، الجزائر.

19- **إبراهيم حركات:** المغرب عبر التّاريخ، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، المملكة المغربية، ط2، 1984م، ج2.

20- **إبراهيم حركات:** المغرب عبر التاريخ، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، المملكة المغربية، 1420هـ/ 2000م ، ج1.

21- **إحسان عباس:** تاريخ الأدب في الأندلس عصر الطوائف والمرابطين، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، ط2، 1997م، هامش 2.

22- **إحسان إلهي ظهير:** الإسماعيلية تاريخ وعقائد، إدارة ترجمان السنة، 1985م، لاهور، باكستان.

23- **إميل بديع يعقوب:** المعجم المفصل في اللغويين العرب، (د- ت)، دار الكتب العلمية، لبنان،ج2.

24- **إسماعيل سامعي:** القاضي النعمان وجهوده في إرساء دعائم الخلافة الفاطمية والتطور الحضاري ببلاد المغرب، القرن4هـ/10م، مركز الكتاب الأكاديمي، مصر، ط1، 1431هـ/2010م.

25- **إسماعيل محمود:** الأغالبة سياستهم الخارجية (184هـ/296هـ)، نشر عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ط3، 2000م.

26- **أبو القاسم سعد الله:** تاريخ الجزائر الثقافي، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط2، 1985م، ج1.

27- **ابن مجاهد:** كتاب القراءات السبعة في القراءات، تحقيق: شوقي ضيف،دار المعارف بمصر.

28- **أبو القاسم سعد الله:** تاريخ الجزائر الثقافي (10هـ إلى 14هـ/16- 20م)، ج2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985.

29- **أبو زهرة، محمد:** تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية، دار الفكر العربي للطبع والنشر، القاهرة، 1997.

30- **أبو حمو موسي الزياني:** حياته وأثاره، ط1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974.

31- **أبو عمار الكوفي الإباضي:** آراء الخوارج الكلامية، تح: عمار طالبي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1398هـ/1978م، ج1.

32- **بن الذيب عيسى:** الحواضر والمراكز الثقافية في الجزائر خلال العصر الوسيط، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر1954، طبعة خاصة، وزارة المجاهدين، الجزائر،2007.

33- **بكير سعيد أعوشت:** دراسات إسلامية في الأصول الإباضية، دار التضامن للطباعة، ط3، 1408هـ/1988م، القاهرة.

34- **بيير كوبرلي:** مدخل إلى دراسة الإباضية وعقيدتها، تر: عمار الجلاصي، مراجعة: محمد ؤمادي، مؤسسة تاوالت الثقافية، الجزائر، 2003م

35- **بكير بن سعيد أعشت:** دراسات إسلامية في الأصول الإباضية، ط3، دار التضامن للطباعة، 1408هـ/1988م.

36- **بوبة مجاني:** دراسات إسماعيلية، مطبوعات جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، 2002- 2003.

37- **بوعزيز يحي:** موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب، ج1، دار الهدى، عين ميلة، 2009م.

38- الموجز في تاريخ الجزائر، ج1، (الجزائر القديمة والوسيطة)، دار المطبوعات الجامعية، ط2.

39- **رابح بونار:** المغرب العربي، تاريخه وثقافته، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1968م.
40- **تاديوس ليفيسكي:** المؤرخون الإباضيون في إفريقيا الشمالية، تر: ماهر وريما جرار، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1.
41- **جرجي زيدان:** الموشحات في بلاد الشام منذ نشأتها حتى نهاية القرن الثاني الهجري، عالم الكتب، لبنان، ط1، 1987م.
42- **خالد بلعربي:** الدولة الزيانية في عهد يغمراسن بن زيان، مطبعة تلمسان، ط1، 2005م.
43- **خالد بلعربي:** الدولة الزيانية في عهد يغمراسن، دار الألمعية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2001م.
44- **رابح بونار:** المغرب العربي تاريخه وثقافته، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1968م، الجزائر.
45- **صابر طعيمة:** الإباضية عقيدة ومذهبا، دار الجيل، لبنان، 1406هـ/1986م.
46- **صالح باجية:** الإباضية بالجريد في العصور الاسلامية الأولى، الجامعة التونسية، الزيتونة للشريعة وأصول الدين، دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع، تونس، ط1، 1396هـ/1976م.
47- **صالح بن قربة:** عبد المؤمن بن علي مؤسس دولة الموحدين، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1991م.
48- **صفية الذيب:** التربية والتعليم في المغرب والأندلس في عصر الموحدين بين القرنين (6 – 7هـ/ 12– 13م)، نشر مؤسسة كنوز الحكمة، الأبيار، الجزائر، 2011م.
49- **ضيف شوقي:** الرحلات، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط4، (د– ت).
50- **طقوش محمد سهل:** تاريخ الفاطميين في شمالي إفريقية ومصر وبلاد الشام، دار النفائس بيروت، ط2، 1428هـ/2007م.

51- **شارل أندري جوليان:** تاريخ إفريقيا الشمالية (تونس، الجزائر، المغرب الأقصى) من الفتح الإسلامي إلى سنة 1830، تعريب، محمد مزالي والبشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر والتوزيع، تونس، 1983، ج2.

52- **جمال أحمد طه:** مدينة فاس في عصري المرابطين والموحدين، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، مصر 2001م.

53- **جمال الدين، بوقلي حسن:** الإمام ابن يوسف السنوسي وعلم التوحيد، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985.

54- **جودت، عبد الكريم يوسف:** العلاقات الخارجية للدولة الرستمية، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1984.

55- **جورجي زيدان:** تاريخ التمدن الإسلامي، ج4، راجعها وعلق عليها: حسين مؤنس، دار الهلال، (د.ت).

56- **جورج مارسيه:** بلاد المغرب وعلاقاتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى، تر: محمود عبد الصمد هيكل، مراجعة: مصطفى أبو ضيف أحمد، منشأة المعارف،الإسكندرية، 1999م.

57- **حاجيات عبد الحميد:** أبو حمو موسى الثاني الزياني حياته وآثاره، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982م.

58- **حامد محمد خليفة:** انتصارات يوسف بن تاشفين، 400هـ/1009م-500هـ/1106م، مكتبة الصحابة، ط1، 1425هـ/2004م، الشارقة، الإمارات.

59- **حبيب الجنحاني:** دراسات مغربية في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للمغرب الإسلامي، دار الطليعة، بيروت، لبنان، 1990.

60- تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني 610هـ/1213م-869هـ/1465م، ط2، 1408هـ/1987م، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت.

61- **حسن إبراهيم حسن:** تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب، ومصر، وسورية وبلاد العرب، ط3، مكتبة النهضة المصرية، 1964.

62- **حسن حسني عبد الوهاب:** ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية التونسية، منشورات مكتبة المنار، تونس، 1972م.

63- **حسن إبراهيم حسن، وطه أحمد شرف:** عبيد الله المهدي إمام الشيعة الإسماعيلية ومؤسس الدولة الفاطمية في بلاد المغرب، مكتبة النهضة، القاهرة، 1366هـ/1947.

64- **حسن أحمد محمود:** قيام دولة المرابطين، صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى، دار الفكر العربي للنشر والتوزيع، القاهرة.

65- **حسن الحاج حسن:** حضارة العرب في صدر الإسلام، ط1، 1412هـ/1992م، المؤسسة الجامعة للدراسات للنشر والتوزيع.

66- **حسين مؤنس:** معالم تاريخ المغرب والأندلس، دار الرشاد ضمن مشروع مكتبة الأسرة، 1992.

67- تاريخ المغرب وحضارته، من قبل الفتح الإسلامي إلى الغزو الفرنسي، ج1، ط1، العصر الحديث للنشر والتوزيع، بيروت 1412هـ/1992م.

68- شيوخ العصر، ط1، الدار المصرية للتأليف والترجمة، 1965، القاهرة.

69- **حسين مؤنس:** فجر الأندلس، دراسة في تاريخ الأندلس من الفتح إلى قيام الدولة الأموية (711- 756م)، دار المناهل للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، ط1، 1432هـ/2002م.

70- **حسين مؤنس:** معالم تاريخ المغرب والأندلس، دار الرشد، القاهرة، ط5، 1421هـ/2000م.

71- **حسن إبراهيم حسن،** طه أحمد شرف: المعز لدين الله، إمام الشيعة الإسماعيلية ومؤسس الدولة الفاطمية في مصر، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، 1367هـ/1947م.

72- **حسن احمد محمود:** قيام دولة المرابطين، دار الفكر العربي القاهرة، (د- ت).

73- **حسني محمود حسني:** أدب الرحلة عند العرب، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط2، 1403هـ/1983م.

74- **حسين يوسف دويدار**: المجتمع الإسلامي، دار الحسين الإسلامية، ط1.
75- **حسن إبراهيم حسن وطه أحمد شرف:** المعز لدين الله، منشورات مكتبة النهضة المصرية، مصر، ط2، 1963م.
76- **حسن حسين الحاج:** حضارة العرب في صدر الإسلام، المؤسسة الجامعية للدراسات والنّشر والتّوزيع، الجزائر، ط1، 1412هـ/1992م.
77- **حسين مؤنس:** معالم تاريخ المغرب والأندلس، دار الرشاد، القاهرة، ط5، 1421هـ- 2000م.
78- **حسين مؤنس:** سبع وثائق جديدة عن دولة المرابطين وأيامهم في الأندلس، مكتبة الثقافة الدينية مصر، ط1، 1420هـ/2000م.
79- **حسين مؤنس:** معالم تاريخ المغرب والأندلس، دار الرشاد، القاهرة، ط4، 1420هـ/1999م.
80- **حسين مؤنس:** شيوخ العصر في الأندلس، دار الرشد، ط4، 1418هـ/1997م.
81- **حمدي عبد المنعم محمد حسين:** التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، 1997، دار المعرفة الجامعية، مصر.
82- **حمودة عبد الحميد حسن:** تاريخ المغرب في العصر الإسلامي منذ الفتح حتى نهاية الدولة الفاطمية، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ط1، 1421هـ/2007م.
83- **حماه الله ولد السالم:** تاريخ الأمازيغ والهجرة الهلالية، دار الكتب العلمية، بيروت، 1432هـ، ج1.
84- **حوالة يوسف بن أحمد:** الحياة العلمية في إفريقية منذ الفتح وحتى منتصف القرن الخامس الهجري (90-450هـ)، ج1، مركز بحوث الدراسات الإسلامية، مكة المكرمة، 1421هـ/2000م، جامعة أم القرى، السعودية.
85- **خالد بلعربي:** الدولة الزيانية في عهد يغمراسن بن زيان (633-681هـ/1235-1282م)، دراسة تاريخية وحضارية، المكتبة الوطنية، ط1، ،2005م.

86- **خالد بن أحمد الزهراني:** موقف الطاهر بن عاشور في الإمامة الاثني عشرية، تقديم: صالح مقبل العصيمي التميمي، ط1، 1431هـ/2101م، مركز المغرب العربي للدراسات والتدريب.

87- **خليفة، حامد محمد:** انتصارات يوسف بن تاشفين، مكتبة الصحابة بالشارقة، ومكتبة التابعين بالقاهرة، ط1، 1425هـ/2004م.

88- **رابح بونار:** المغرب العربي تاريخه وثقافته، دار الهدى، ميلة، الجزائر، ط3، 2000م.

89- **رشيد بورويبة:** الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،1977.

90- **زيغريد هونكه:** شمس العرب تسطع على الغرب، نقله عن الألمانية: فاروق بيضون وكمال دسوقي، مراجعة: مارون عيسى الخوري، دار الجيل، دار الآفاق، بيروت، ط8، 1413هـ.

91- **سالم بن حمد بن سليمان الحارثي:** العقود الفضية في أصول الإباضية، مراجعة: إبراهيم بن محمد العساكر، وزارة التراث والثقافة، سلطنة عمان، 1438هـ/2017م، ط2.

92- **سعد زغلول عبد الحميد:** تاريخ المغرب العربي، من دول الأغالبة والرستمين والمدرارين حتى قيام الدولة الفاطمية، ج2، منشأة المعارف بالإسكندرية، (د.ت).

93- **سعدون عباس نصر الله:** دولة المرابطين في المغرب والأندلس، دار النهضة، بيروت، ط1، 1985

94- **سعيد بن محمد الهاشمي،** قراءة في سيرة الإمام محمد بن محبوب إلى أهل المغرب، أعمال ندوة تطور العلوم الفقهية، التدوين الفقهي، الإمام محمد بن محبوب نموذجا، ط4، 1433هـ/2012م، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، سلطنة عمان.

95- **سعد رستم:** الفرق والمذاهب الإسلامية منذ البدايات، النشأة. التاريخ. العقيدة. التوزع الجغرافي، الأوائل للنشر والتوزيع، جمهورية سوريا العربية، 2004م، ط1.

96- **الباروني سليمان:** الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية، القسم الثاني، (د–ت)، (د–ط).

97- **سليمان عبد الله السلومي:** أصول الإسماعيلية: دراسة– تحليل– نقد، ج1، دار الفضيلة، الرياض، المملكة العربية السعودية.

98- **سليمان سليم علم الدين:** القرامطة نشأتهم وعقائدهم حروبهم، ط1، دار نوفل، بيروت،2003 .

99- **شكري فيصل:** المجتمعات الإسلامية في القرن الأول، دار العلم للملايين، ط5، بيروت،1981.

100- **سعد رستم:** الفرق والمذاهب الإسلامية منذ البدايات.النشأة. التاريخ. العقيدة. التوزع الجغرافي، ط3، الأوائل للنشر والتوزيع، سوريا، 2005م.

101- **سعد زغلول عبد الحميد:** تاريخ المغرب العربي، (تاريخ دولة الأغالبة والرستميين وبني مدرار والأدارسة حتى قيام الفاطميين)، منشأة المعارف، حلال حزى وشركاه، 1993م، ج2.

102- **سعد زغلول عبد الحميد:** تاريخ المغرب العربي، منشأة المعارف، 1979م، مصر، ج3.

103- **سلامة محمد سلمان الهرفي:** دولة المرابطين في عهد علي بن يوسف بن تاشفين دراسة سياسية وحضارية، دار الندوة الجديدة، بيروت، 1405هـ/1985م.

104- **سيف الدين القصير:** ابن حوشب والحركة الفاطمية في اليمن، دار الينابيع للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق.

105- **شمس الدين أبي المظفر، ابن الجوزي (ت 654هـ):** مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، تح: كامل الجبوري، قيس كاظم الجنابي، دار الكتب العلمية، دمشق، ج13.

106- **شوقي ضيف:** تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الثاني، ط12، دار المعارف، مصر (د.ت).

107- عصر الدول الإمارات (الجزائر–المغرب الأقصى–موريتانيا–السودان)، ط1، دار المعارف، القاهرة.

108- **صالح باجية:** الإباضية بالجريد في العصور الإسلامية، ط1، الجامعة التونسية، الزيتونة للشريعة وأصول الدين، دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع، تونس، 1976.

109- **صالح بن قربة:** عبد المؤمن بن علي، مؤسس دولة الموحدين، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1991.

110- **صبحي الصالح:** علوم الحديث ومصطلحه، عرض ودراسة، ط15، دار العلم للملايين، لبنان.

111- فقه التمكين عند دولة المرابطين، ط1، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، 1427هـ/2006م.

112- دولة الموحدين، صفحات من التاريخ الإسلامي في الشمال الإفريقي، ط1، 1428هـ/2007م، دار ابن الجوزي، مصر.

113- **عادل أديب:** الأئمة الإثنى عشر، دراسة تحليلية، ط1، 1405هـ/1985م، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت.

114- **عبد العزيز فيلالي وإبراهيم بحاز:** مدينة ميلة في العصر الوسيط، دار البلاد للخدمات، قسنطينة، الجزائر، 1998م.

115- **عبد الغني الدقر:** الإمام مالك بن أنس إمام دار الهجرة (93هـ– 179هـ)، دار القلم، دمشق، سوريا، ط3، 1419هـ/ 1998م.

116- **عبد المجيد لنجار:** تجربة الإصلاح في حركة المهدي بن تومرت، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، هيرندن، فيرجينيا، الو. م. أ، ط1، 1415هـ/1995م.

117- **علي محمد الصلابي:** تاريخ دولتي المرابطين والموحدين في الشمال الإفريقي، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط3، 1430هـ/2009م.

118- **عمار طالبي:** آراء الخوارج الكلامية، **ج2**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1978م.

119- **عمارة عمورة، نبيل دوادة:** الجزائر بوابة التاريخ الجزائر عامة ما قبل التاريخ إلى 1962م، ج1، دار المعرفة.

120- **عز الدين عمر موسى:** الموحدون في الغرب الإسلامي تنظيماتهم ونظمهم، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990م.

121- **عبد الله على علام:** الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي، دار المعارف، مصر، ط1، 1971م.

122- **عبد العزيز فيلالي:** تلمسان في العهد الزياني، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002م، ج1.

123- **عبد الوهاب حسن حسني:** ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية التونسية،تاريخ الفتح العربي في ليبيا، مج3، جمع وإشراف: محمد العروسي المطوي، مكتبة المنار، 1972م.

124- **عبد الدائم عبد الله:** التربية عبر التاريخ من العصور القديمة حتى أوائل القرن العشرين، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1984م.

125- **علي بن أبي طالب**: نهج البلاغة، ج4.

126- **علي بن موسى بن عبد الملك ابن سعيد المغربي (ت685هـ):** المغرب في حلى المغرب، تح: شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ط2، 1964م.

127- **عبد المجيد النجار:** المهدي بن تومرت أبو عبد الله محمد بن عبد الله المغربي السوسي المتوفى سنة 1129/524، حياته وآراؤه وثورته الفكرية والاجتماعية وأثره بالمغرب، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1403هـ/1983م.

128- **عبد الله كنون،** النبوغ المغربي في الأدب العربي،ج1، (د– ط)، 1960م، طنجة، المملكة المغربية.

129- **عصمت عبد اللطيف وندش:** أضواء جديدة على المرابطين، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1991م.

130- **عبد العزيز فيلالي:** تلمسان في العهد الزياني، دار موفم للنشر والتوزيع، ج2، 2002م.

131- **عبد المجيد النجار:** تجربة الإصلاح في حركة المهدي بن تومرت، الحركة الموحدية بالمغرب أوائل القرن السادس الهجري، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، هيرندن، فرجينيا، 1415هـ/1995م.

132- **عبد العزيز فيلالي:** تلمسان في العهد الزياني دراسة عمرانية اجتماعية ثقافية، المؤسسة الوطنية لوحدة الرّغاية، الجزائر، 2000م، ج2.

133- **عبد العزيز غوردو:** الفتح الإسلامي لبلاد المغرب "جدلية التمدين والسلطة"، دار ناشري للطبع الإلكتروني، المملكة المغربية، ط2، 1432هـ/2011م.

134- **علي حسنى الخربوطلي:** أبو عبد الله الشيعي مؤسس الدولة الفاطمية، المطبعة الفنية الحديثة، مصر، 1972م.

135- **عمار هلال:** العلماء الجزائريون في البلدان العربية الإسلامية فيما بين القرنين 3- 14هـ/9 – 20م، ديوان المطبوعات الجامعة، الجزائر، 1995م.

136- **عبد القادر بوباية:** المؤنس في مصادر من تاريخ المغرب والأندلس، دار كوكبة العلوم للنشر والتوزيع الجزائر، ط1، 1432هـ/2011م.

137- **عبد الكريم غلاب:** قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2005م، ج3.

138- **عبد الله كنون:** ذكريات مشاهير رجال المغرب في العلم والأدب والسياسة، في العلم، تقديم واعتناء وترتيب تراجمه إلى طبقات: محمد بن عزوز، مركز التراث الثقافي المغرب، دار ابن حزم المملكة المغربية، 2010م، ج1.

139- **عبد الوهاب الشريف بوعافية الحسني:** الوسيلة إلى الله في القبول، مكتبة دار المنهاج القويم للنشر والتوزيع، مكتبة الإمام أبي الحسن الشاذلي للدراسات والنشر، دمشق، سوريا، ط1، 1430هـ/ 2009م.

140- **عبد الفتاح عبد الله بركة:** شرح السنوسية الكبرى، المسمى عمدة أهل التوفيق والتسديد، دار القلم، الكويت، 1403هـ/1983م.

141- **عبد الله على علام:** الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي، دار المعارف مصر، ط1، 1971م.

142- **عادل نويهض:** معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، ط2، 1400هـ/1980م.

143- **عبد الله شريط:** مختصر تاريخ الجزائر السياسي والثقافي والاجتماعي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985م.

144- **عبد المجيد الصغير:** تقويم ابن خلدون للحالة العلمية في الغرب الإسلامي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، ط1، 2001م.

145- **عبد الرحمن حسين العزاوي:** المغرب العربي في العصر الإسلامي، دار الخليج، عمان، ط1، 1432هـ/2011م، 2010م.

146- **عبد الكريم زيدان:** الوجيز في أصول الفقه، مؤسسة قرطبة للطباعة والنشر والتوزيع، بغداد، العراق، 1396هـ/ 1976م.

147- **عارف تامر:** المعز لدين الله الفاطمي، ط1، دار الآفاق الجديدة، لبنان، 1402هـ/1982م.

148- **عارف تامر:** تاريخ الإسماعيلية، ج2، من الغرب إلى الشرق، ط1، رياض الريس للكتب والنشر، 1991، قبرص.

149- **عارف تامر:** الإمامة في الإسلام، دار الأضواء للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1419هـ /1998م.

150- **عبد الحكيم العفيفي:** موسوعة 1000 مدينة إسلامية، ط1، الأوراق الشرقية للطباعة والنشر بيروت، 1421هـ/ 2000م.

151- **عبد الحليم عويس:** دراسة لسقوط ثلاثين دولة إسلامية، ط3، 1404هـ/1983م، دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة، السعودية.

152- **عبد الحليم عويس:** دولة بني حماد صفحة رائعة من تاريخ الجزائر، دار الصحوة، القاهرة، ط1، 2002م.

153- دولة بني حماد صفحة رائعة من التاريخ الجزائري، ط2، 1411هـ /1991م، دار الوفاء، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة.

154- **عبد الحميد حاجيات:** دراسات حول التاريخ السياسي والحضاري لتلمسان والمغرب الإسلامي، ج1، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011.
155- **عبد الحميد حاجيات:** أبي حمو موسى الزياني حياته وآثاره، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982م.
156- **عبد الرحمن الجيلالي:** تاريخ الجزائر العام،ج1، مكتبة الشركة الجزائرية، منشورات دار الحياة، بيروت،(د.ت).
157- **عبد السلام الكنوني:** المدرسة القرآنية في المغرب من الفتح الإسلامي إلى ابن عطية، ج1، ط1، مكتبة المعارف،1411هـ/1981م، القاهرة.
158- **عبد العزيز المجدوب:** الصراع المذهبي بإفريقية إلى قيام الدولة الزيرية، ط1، دار سحنون للتوزيع والنشر، وابن حزم للنشر والتوزيع، 1429هـ/2008م.
159- **عبد العزيز سالم:** المغرب الكبير العصر الإسلامي (دراسة تاريخية وعمرانية وأثرية)، ج2، دار النهضة العربية، بيروت 1981.
160- تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية.
161- **عبد العزيز فيلالي:** تلمسان في العهد الزّياني، ج1، موفم للنّشر، الجزائر، 2002.
162- تلمسان في العهد الزياني، ج2، موفم للنشر، الجزائر، 2002.
163- دراسات في تاريخ الجزائر والغرب الإسلامي، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، 2012م.
164- **عبد الله الباروني النفوسي:** الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية، مطبعة الأزهار البارونية، (د- ت).
165- **عبد الكريم غلاب:** قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي، مغرب الأرض والشعب. عصر الدول والدويلات، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، لبنان، ج1.
166- **حسين مؤنس:** معالم تاريخ المغرب والأندلس، دار الرشاد، ط4، 1421هـ/2000م، القاهرة.

167- **عبد الله العروي:** مجمل تاريخ المغرب، ط2، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت.
168- **عبد الله كنون:** النبوغ المغربي في الأدب العربي، طنجة، المملكة المغربية، ط1، 1960م.
169- **عبد الله شريط، ومحمد مبارك:** مختصر تاريخ الجزائر، السياسي والثقافي والاجتماعي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1985م.
170- **عبد الله على علام:** الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي، دار المعارف، مصر، 1971.
171- **عبد الله كنون:** النبوغ المغربي في الأدب العربي، ج1، 1380هـ/1960م، طنجة، المملكة المغربة.
172- **عبد المجيد النجار:** تجربة الإصلاح في حركة المهدي بن تومرت، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، هيرندن، فيرجينيا، الو.م.أ، ط2، 1415هـ/1995م.
173- **عبد المنعم الحفني:** الفرق والجماعات والمذاهب الإسلامية، ط1، دار الرشاد للطبع والنشر والتوزيع 1413هـ/1993م.
174- **عبد الواحد الشماخي:** السيَّر، تح: أحمد بم مسعود السيابي، وزارة التراث القومي والثقافي، سلطنة عمان، ط2، 1412هـ/1992م، ج1.
175- **عبد الوهاب بن منصور:** قبائل المغرب، المطبعة الملكية، الرباط، 1968.
176- **عز الدين عمر أحمد موسى:** دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي، دار الشروق، بيروت، ط1، 140هـ/1983م.
177- **عصام الدين عبد الرؤوف الفقي: تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس،** مكتبة نهضة الشرق القاهرة، مصر، 2000م.
178- **عصمت عبد المجيد دندش:** الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1408هـ/ 1988م.

179- **عصمت عبد اللطيف دندش:** دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا(430-515هـ/1038-1121م)، مع نشر وتحقيق رسائل أبي بكر بن العربي، ط1، دار العرب الإسلاميين، 1408هـ/1988م

180- **علاوة عمارة:** دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر والغرب الإسلامي، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 2008م.

181- **علي بن سالم الورداني:** الرحلة الأندلسية ،تحقيق: عبد الجبار الشريف، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984.

182- **عمورة عمار:** موجز في تاريخ الجزائر، ط1، دار ريحانة للنشر والتوزيع، 2002.

183- الجزائر بوابة التاريخ، الجزائر عامة– ما قبل التاريخ إلى 1962، ج1، دار المعرفة، الجزائر.

184- **عنان، محمد عبد الله:** دولة الإسلام في الأندلس، العصر الثاني، دولة الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي، الناشر مكتبة الخانجي، القاهرة.

185- عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، وهو العصر الثالث من كتاب دولة الإسلام في الأندلس، القسم الثاني، **عصر الموحدين** وانهيار الأندلس الكبرى، ط1، 1411هـ/1990م، مكتبة الخانجي، المؤسسة السعودية بمصر.

186- عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، وهو العصر الثالث عصر المرابطين والموحدين، القسم الأول، **عصر المرابطين** وبداية الدولة الموحدية، ط2، 1411هـ/1990م، مكتبة الخانجي، المؤسسة السعودية بمصر.

187- **عوض الشرقاوي:** التاريخ السياسي والحضاري لجبل نفوسة، في القرنين(2،3)، منشورات مؤسسة توالت الثقافية، سلسلة الأبحاث التاريخية، 2011.

188- **عوض محمد خليفات:** الأصول التاريخية للفرقة الإباضية، **العدد27**، ط3، 1415هـ/1994م، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان.

189- **عيس الحريري:** الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت، ط3، 1408هـ/1987م.

190- **فاتن كوكة:** التصنيف اللغوي والأدبي في عصري المرابطين والموحدين 484هـ/670هـ، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، جمهورية سوريا العربية، 2012م.

191- **فرانز روزنثال:** علم التاريخ عند المسلمين، تر: صالح أحمد العلي، مؤسسة الرسالة، لبنان، ط2، 1403هـ /1983م مؤسسة الرسالة.

192- **فرحات الدشراوي:** الخلافة الفاطمية بالمغرب (296- 365هـ/909- 975م)، التاريخ السياسي والمؤسسات، نقله على العربية، حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط1، 1994م.

193- **فرهاد دفتري:** الإسماعيليون في العصر الوسيط، تر: سيف الدين القصير، دار المدى للثقافة والنشر، دمشق، سوريا، ط1، 1999م.

194- **فوزي مصمودي:** تلمسان بعيون عربية، دار السبيل للنشر والتوزيع، 1431هـ.

195- **قايد مولود:** البربر عبر التاريخ من الكاهنة إلى العهد التركي، ترجمة إبراهيم سعدي، منشورات ميموني، الرويبة، الجزائر، 2007م.

196- **كارل بروكلمان:** تاريخ الأدب العربي، نقله إلى العربية، عبد الحميد النجار، دائرة المعارف، ط4، (د- ت)، ج 2.

197- **كامل محمد محمد عويضة:** دعبل بن علي الخزاعي الصورة الفنية في شعره، دار الكتب العلمية، لبنان، ص128.

198- الحموي، **معجم البلدان**، ج3.

199- **فرحات الدشراوي:** الخلافة الفاطمية بالمغرب، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1994م.

200- **كمال أبو مصطفى:** جوانب حضارة المغرب الإسلامي من خلال نوازل الونشريسي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1997.

201- **لخضر سيفر:** التاريخ السياسي لدول المغرب الإسلامي، ج1، مطبعة أمل للدراسات، (د.ت).

202- **لوبون غوستاف:** حضارة العرب، ترجمة:عادل زعيتر، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2013م القاهرة، مصر.

203- **لخضر عبدلي:** التاريخ السياسي لمملكة تلمسان في عهد بني زيان، ديوان المطبوعات الجامعية، وهران، 1428هـ/2007م.

204- **لطيفة بنت محمد البسام:** الحياة العلمية في إفريقية في عصر بني زيري، مكتبة الملك فهد الرياض، 1422هـ/2001م.

205- **ليفي بروفنسال:** مجموع رسائل موحدية من إنشاء كتاب الدولة المؤمنية، المطبعة الاقتصادية، الرباط، 1941م.

206- **مبارك بن محمد الميلي:** تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج2، تعليق وتصحيح: محمد الميلي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985م، ج2.

207- **مجموعة من الأساتذة:** أبو عمران الفاسي (ت430هـ) حافظ المذهب المالكي، نشر، مركز الدراسات والأبحاث وإحياء التراث، المملكة المغربية، ط1، 1431هـ/2010م.

208- **محمد أحمد لوج:** تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي، دار ابن القيم، دار غبن عفان، القاهرة، مصر، ط1، 1422هـ/ 2002م، ج1.

209- **محمد أبو زهرة:** الحديث والمحدثون، طبع الرئاسة العامة لإدارة البحوث، القاهرة، مصر، ط2، 1404هـ/ 1984م.

210- **محمد بن رمضان شاوش:** الدر الوقاد من شعر بكر بن حماد التاهرتي، طبع المطبعة العلوية ، مستغانم ، الجزائر، ط1، 1385هـ/ 1966م.

211- **محمد بن الغازي العثماني:** الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون، تح: عبد الوهاب ابن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، ط2، 1988م.

212- **محمد بن رمضان شاوش:** باقة السوسان في التعريف بحضارة تلمسان عاصمة دولة بني زيان، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1991م.

213- **محمد حسين الذهبي:** التفسير والمفسرون، ج2، مكتبة وهبة، ط2، (1396هـ/1976م).

214- **محمد رزوق:** الأندلسيون وهجرتهم إلى المغرب خلال القرنيين (16– 17)، طبع إفريقيا الشرق، الرباط، المملكة المغربية، ط3، 1988م.

215- **محمد سيد كيلاني:** أثر التشيع في الأدب العربي، دار العرب للبستاني، القاهرة، ط5، 1995م 1996م.

216- **محمد علي دبوز:** تاريخ المغرب الكبير، دار إحياء الكتب العربية، 1963م، ج3.

217- **محمد عبد الله عنان:** دولة الإسلام في الأندلس، العصر الثالث عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، القسم الأول، عصر المرابطين وبداية الدولة الموحدية، مطبعة الخانجي القاهرة، مصر ط2، 1411هـ/1990م.

218- **محمد عبد الله عنان:** نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة، ط3، 1386هـ/1966م.

219- **محمد عبد الله عنان:** دولة الإسلام في الأندلس، العصر الثاني، دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي، مكتبة الخانجي، ط4، (1417هـ/1997م)، القاهرة، مصر.

220- **محمد عبد الله عنان:** دولة الإسلام في الأندلس، العصر الثالث، عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1411هـ/ 1990م .

221- **محمد علي دبوز:** تاريخ المغرب الكبير، مؤسسة توالت الثقافية، الجزائر، 2010م.

222- م**حمد عادل عبد العزيز:** التربية الإسلامية في المغرب (أصولها المشرقية وتأثيراتها الأندلسية)، الهيئة المصرية العامة للكتاب،1987.

223- **محمد عبد الله عنان:** دولة الإسلام في الأندلس، العصر الثالث، عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، القسم الأول، عصر المرابطين وبداية الدولة الموحدية، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط2، 1411هـ/1990م.

224- **محمد علي دبوز:** تاريخ المغرب الكبير، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركائه، 1963، ج3، ط1، دار أحياء الكتب العربية–الجزائر.

225- **محمد مختار إسكندر:** المفسرون الجزائريون عبر التاريخ، دحلب للنشر، الجزائر، (د- ت)، ج1.

226- **محمد نوار صلاح الدين:** نظرية الخلافة والإمامة وتطورها السياسي والديني، دار المعارف لبنان، 1966م.

227- المغرب الأوسط في ظل صنهاجة، ديوان المطبوعات الجامعية، 2010، الجزائر.

228- **محمد المختار اسكندر:** المفسرون الجزائريون عبر التاريخ، ج1، دحلب للنشر، الجزائر، (د.ت).

229- **المنوني محمد:** حضارة الموحدين، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1989.

230- **محمد زغلول سلام:** الأدب في العصر الفاطمي الكتابة والكتاب، منشأة المعارف، الإسكندرية، (د- ت) ،ج1.

231- **محمد زينهم محمد عزب:** قيام وتطور الدولة الرستمية في المغرب، دار العالم العربي، القاهرة، مصر، ط1، 1434هـ/2013م.

232- **محمد زينهم محمد عزب:** الإمام سحنون، تقديم: حسين مؤنس، دار الفرجاني، القاهرة – طرابلس– لندن، 1992م، مصر.

233- **محمد كامل حسين:** طائفة الإسماعيلية، (تاريخها، نظمها، عقائدها)، ط1، 1959م، مكتبة النهضة المصرية.

234- **محمد طه الحاجر:** مرحلة التشيع في المغرب العربي، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، 1403هـ/1983م.

235- **محمود إسماعيل عبد الرازق:** الخوارج في بلاد المغرب، في منتصف القرن الرابع الهجري، نشر وتوزيع دار الثقافة، ط2، الدار البيضاء،1406 هـ/1985م، المغرب.

236- **محمود السيد:** تاريخ دولتي المرابطين والموحدين، الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة،2004م.

237- **محمود بوعياد:** جوانب من الحياة في المغرب الأوسط في القرن 9هـ/15م، الشركة الوطنية الجزائر، 1982.

238- **محمود إسماعيل عبد الرزاق:** الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري، دار الثقافة، الدار البيضاء، المملكة المغربية، ط2، 1406هـ/1985م.

239- **محمود إسماعيل:** الأغالبة، 184هـ–296هـ، سياستهم الخارجية، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ط3، 2000م.

240- **مصطفى غالب:** تاريخ الدعوة الإسماعيلية، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، ط2، 1965م.

241- **مصطفى غالب:** أعلام الإسماعيلية، دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر، دار الثقافة 1984، بيروت، لبنان.

242- **مختار حساني:** تاريخ الدولة الزيانية، الأحوال الاقتصادية والثقافية، ج2، دار الحضارة، ط1 2007.

243- الحواضر والأمصار الإسلامية الجزائرية، ج1، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة– الجزائر، 2001م.

244- **مرمول محمد صالح:** السياسة الداخلية للخلافة الفاطمية في بلاد المغرب الإسلامي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983م.

245- **معروف بلحاج بن بنوح:** العمارة الدينية الإباضية بوادي ميزاب في تاريخ العمارة الإسلامية، تلمسان، 2000.

246- **معمر علي يحي:** الإباضية في موكب التاريخ، ج4، الإباضية في الجزائر، مطبعة الدعوة الإسلامية، مكتبة وهبة، 1399هـ/1979م، القاهرة.

247- **موسى لقبال:** دور كتامة في تاريخ الدولة الفاطمية منذ تأسيسها إلى منتصف القرن الخامس الهجري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979م.

248- الحسبة المذهبية في بلاد المغرب العربي نشأتها وتطورها، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، 1971.

249- **مهدي محمد حسن:** الإباضية نشأتها وعقائدها، الأهلية لنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2011م.

250- **موسى لقبال:** دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية منذ تأسيسها إلى منتصف القرن الخامس الهجري (11) ميلادي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979م.

251- **موسى لقبال:** المغرب الإسلامي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1981م.

252- **موسوعة حديث الثقلين:** القسم الثالث، مركز الأبحاث العقائدية، ط1، 1431هـ، النجف، العراق،ج4.

253- **نجيب زبيب:** الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والأندلس،ج1، تقديم: أحمد بن سودة، ط1، 1415هـ/1995م، دار الأمير للثقافة والعلوم للنشروالتوزيع، بيروت.

254- **نويهض، عادل:** معجم أعلام الجزائرمن صدر الإسلام حتّى العصر الحاضر، مؤسّسة نويهض للثّقافة، بيروت، ط2، 1980.

255- **يحي بوعزيز:** أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009م، ج1.

256- **يحي بوعزيز:** الموجز في تاريخ الجزائر، ديوان المطبوعات الجزائرية، الجزائر، 1995م، ج1.

257- **يحي إبراهيم بحاز:** معجم أعلام الإباضية من القرن الأول الهجري إلى العصر الحاضر، دار المعرفة الجزائر، (2009م)، ج2.

258- **يحي علي معمر:** الإباضية في موكب التاريخ ج1، نشأة المذهب الإباضي، ط1، مطابع دار الكتاب العربي، مكتبة وهبة القاهرة، 1384 هـ/1864م.

259- **يوسف عيد:** التوشيح في الموشحات الأندلسية، باب جديد في أوزان الموشح ونغماته، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط1، 1993م.

260- **يوسف أشباخ:** تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، تر: محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط2، 1417هـ/1996م، ج1.

261- **الألباني محمد ناصر الدين:** الحديث حجة بنفسه في العقائد والأحكام، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، 1325هـ/2005م.

262- **الألباني ناصر الدين،** السلسلة الصحيحة " 5 / 355.

263- **الحاج محمد بن رمضان شاوش:** باقة السوسان في التعريف بحضارة تلمسان عاصمة دولة بني زيان، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط1، 1991م.

264- **الشوابكة نوال عبد الرحمن:** أدب الرحلات الأندلسية والمغربية، تق: صلاح جرار، دار المأمون للنشر والتوزيع، المملكة الأردنية الهاشمية، 2007م.

265- **العربي إسماعيل:** دولة بني حماد ملوك القلعة وبجاية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، 1980م، الجزائر.

266- **المشرفي محمد محي الدين:** إفريقيا الشمالية في العصر القديم، دار الكتب العربية، لبنان، ط4، 1389هـ/ 1969م.

267- **الفيومي محمد إبراهيم:** تاريخ الفرق الإسلامية السياسي والديني، الكتاب الخامس: شيخ أهل السنة والجماعة الإمام أبو الحسن الأشعري.

268- **الحفناوي محمد:** تعريف الخلف برجال السلف، مطبعة بيير فونتانة الشرقية، الجزائر،1906م.

269- **المنوني محمد:**حضارة الموحدين، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1989م.

270- **الطمار محمد:** تلمسان عبر العصور، دورها في سياسة وحضارة الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007م.

271- **الطمار محمد:** تاريخ الأدب الجزائري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1969م.

272- **الطمار محمد:** الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر.

273- الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983.

274- تلمسان عبر العصور، دورها في سياسة وحضارة الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.

275- **البيلي محمد بركات:** التشيع في بلاد المغرب الإسلامي حتى منتصف القرن الخامس الهجري، دار النهضة العربية، القاهرة، مصر، 1993م.

276- **العيدروس محمد حسن:** حضارة دول المغرب العربي في عصر الدولة الفاطمية، دار الكتاب الحديث، مصر، ط1، 2010م، مصر.

277- **لطيب محمد سليمان:** موسوعة القبائل العربية بحوث ميدانية وتاريخية، دار الفكر العربي، بيروت، ط1، 1414هـ/1993م.

278- **الهرفي محمد سليمان:** دولة المرابطين في عهد علي بن يوسف بن تاشفين، دراسة سياسية حضارية، دار الندوة الجديدة، مكة المكرمة، 1404هـ/1983م.

279- **الجابري محمد عابد:** ابن رشد سيرة وفكر دراسة ونصوص، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 1998م.

280- **الحريري محمد عيسى:** الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي حضارتها وعلاقاتها الخارجية بالمغرب والأندلس (160هـ/296هـ)، دار القلم للنشر والتوزيع، مصر، ط3، 1408هـ/1987م.

281- **الطوخي أحمد محمد:** مظاهر الحضارة في الأندلس في عصر بني الأحمر، تقديم: محمد مختار العبادي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية.

282- **التركماني أحمد محمد:** تعريف بمذهب الشيعة الإمامية، جمعية عمال المطابع التعاونية، عمان ط1، 1403هـ/1983م.

283- **المدني أحمد توفيق:** تاريخ الجزائر، المطبعة العربية، الجزائر، 1350هـ.

284- **العربي إسماعيل:** المدن المغربية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م.

285- **الغزالي أبو حامد:** فضائح الباطنية، تح:عبد الرحمن بدوي، دار الكتب الثقافية، الكويت، (د– ت).

286- **الدراجي بوزياني:** نظم الحكم في دولة بني عبد الواد الزيانية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،1993م.

287- **الجحمة منوف عبد العزيز:** رحالة الغرب الإسلامي وصورة المشرق العربي، من القرن السادس إلى القرن الثامن الهجري، دار السويد، أبو ضبي، الإمارات، ودار الأهلية للنشر، ط1، الأردن، 2008 .

288- **القاسمي خالد بن محمد مبارك:** تاريخ الحضارة الإسلامية بالأندلس، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، مصر، ط1، 1429هـ/2008م.

289- **الجزائري بشير ضيف بن أبي بكر بن البشير بن عمر:** فهرست معلمة التراث الجزائري بين القديم والحديث، مراجعة عثمان بدري، منشورات شالة، الأبيار، الجزائر، 2007م.

290- **الفاضل بن عاشور محمد:** التفسير ورجاله، مجمع البحوث الإسلامية، الأزهر الشريف، مصر، 1390هـ/1970م.

291- **القادري بوتشيش إبراهيم:** مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، بيروت: دار الطليعة، 1998م.

292- **السبحاني السبحاني:** دور الشيعة في بناء الحضرة الإسلامية، دار الأضواء، لبنان، ط1، 1414هـ/1993م.

293- **الطنطاوي محمد:** نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، مراجعه وتعليق: سعيد محمد اللحام، عالم الكتب، بيروت، 2005م، بيروت.

294- **العقل ناصر بن عبد الكريم:** الخوارج، أول الفرق في تاريخ الإسلام، مناهجهم وأصولهم وسماتهم قديما وحديثا، وموقف السلف منهم، ط1، (1419هـ/1998م)، دار اشبيليا للنشر والتوزيع، السعودية.

295- **المهدي لعرج:** ديوان إبراهيم التازي (ت 866هـ)، كتاب ناشرون، (د– ت) لبنان.

296- **التوزري إبراهيم العبيدي:** تاريخ التربية بتونس، الشركة التونسية للتوزيع، تونس،1967م، ج1.

297- **الجديع عبد الله بن يوسف:** المقدمات الأساسية في علوم القرآن، مركز البحوث الإسلامية ليدز، بريطانيا، ط1، 1422هـ/2001م، توزيع مؤسسة البيان، لبنان.

298- **الباروني، سليمان بن الشيخ، النفوسي:** كتاب الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية، القسم الثاني، مطبعة الأزهار البارونية.

299- **التدوين الفقهي،** أعمال ندوة تطور العلوم الفقهية، الإمام محمد بن محبوب نموذجا، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، سلطنة عمان، ط4، 1433هـ/ 2012م.

300- **التليسي، بشير رمضان:** الاتجاهات الثقافية في بلاد الغرب الإسلامي، خلال القرن الرابع الهجري، العاشر للميلاد، ط1، 2003، المدار الإسلامي، بيروت، لبنان.

301- **الجهني، مانع بن حماد:** الموسوعة الميسرة في الأديان، والمذاهب، والأحزاب المعاصرة، ط4، 1420هـ، ج1، الناشر: دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع.

302- **الحاج محمد بن رمضان شاوش:** باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995.

303- **الحريري، محمد عيسى:** الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي (حضارتها وعلاقاته الخارجية بالمغرب والأندلس160−296هـ)، ط3، 1408هـ/1987، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت.

304- **الحسن السائح:** الحضارة الإسلامية في المغرب، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المملكة المغربية، ط2، 1406هـ/1986م.

305- **الدراجي، بوزياني:** دور الخوارج والعلويين في بلاد المغرب والأندلس، وأثرها في قيام الدول وسقوطها ونشاط الحضارة وأفولها بالمغرب، ط1، ج2، دار الكتاب، (د.ت).

306- نظم الحكم في دولة بني عبد الواد الزيانية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،1993م.

307- **الزحيلي وهبة:** أصول الفقه الإسلامي، ج1، دار الفكر، ط1، دمشق،1986.

308- **العبادي، أحمد مختار:** دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر، (د.ت).
309- **الشيخ عبد الله نعمة:** فلاسفة الشيعة، حياتهم وآرائهم، مكتبة الحياة، بيروت، (د.ت).
310- **الصلابي، علي محمد:** الدولة الفاطمية، صفحات من التاريخ الإسلامي في الشمال الإفريقي، ط1، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، 1427هـ/2006م، القاهرة، مصر.
311- **الطاهر أحمد الزاوي:** تاريخ الفتح العربي في ليبيا، دار المدار الإسلامي، ط4، 2004، بيروت.
312- **الفيومي، محمد إبراهيم:** تاريخ الفلسفة الإسلامية، في الغرب والأندلس ط1، دار الجيل 1997م ، بيروت، لبنان.
313- **الميلي، محمد بن المبارك:** تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج2، تحقيق: محمد الميلي، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط3، 1993 .
314- **المجدوب، عبد العزيز:** الصراع المذهبي بإفريقيا إلى قيام الدولة الزيرية، تحقيق: علي الشابي، تونس: الدار التونسية للنشر، 1975م.
315- **المحرمي، زكريا بن خليفة:** الإباضية تاريخ ومنهج ومبادئ، ط1، 1426هـ/ 2005 م، مكتبة الغبيراء، سلطنة، عمان.
316- **الناصري، أبو العباس أحمد بن خالد،** الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق وتعليق: جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، 1418هـ/1997م، ج1، الدار البيضاء، المملكة المغربية.
317- **النيفر، محمد توفيق:** الحياة الأدبية بإفريقية في العصر الفاطمي، تونس،1991.
318- **الهادي روجي إدريس:** الدولة الصنهاجية تاريخ إفريقية في عهد بني زيري من القرن 10 إلى القرن 12م، ترجمة، حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1992م.

ثالثا: المذكرات والرسائل الجامعية.

أ- رسائل الدكتوراه.

319- **حوالة يوسف أحمد:** الحياة العلمية في إفريقية منذ إتمام الفتح وحتى منتصف القرن الخامس الهجري "90هـ/450هـ"، رسالة دكتوراه، 1045-1406هـ/ 1985م- 1986م، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، ج1.

320- **حساين عبد الكريم:** حركة التأليف التاريخي بالمغرب الأوسط خلال العهد الزياني (633- 962 هـ /1235- 1554م)، أطروحة دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الجيلالي ليابس، سيدي بلعباس، السنة الجامعية، 2017- 2018.

321- **رافعي نشيدة:** الحياة الفكرية والثقافية في المغرب في العصر الفاطمي 296هـ - 362هـ، رسالة لنيل شهادة دكتوراه دولة (المغرب الإسلامي الوسيط)، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2002-2003م.

322- **زغيشي سعاد:** منهج هود بن محكم الهواري في التفسير، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، السنة الجامعية (1427-1428هـ/2006-2007م).

323- **عفيفي محمود إبراهيم عبد الله:** مظاهر الحضارة في بلاد المغرب منذ انتقال الخلافة الفاطمية إلى مصر حتى منتصف القرن السادس الهجري: أطروحة الدكتوراه في التاريخ (مرقونة) قسم التاريخ الإسلامي، كلية الأدب، القاهرة 1980.

324- **عقيلة العشبي:** المدرسة النحوية المغاربية من القرن الخامس إلى القرن الثامن الهجري، أطروحة دكتوراه، تخصص لغة وأدب عربي، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، السنة الجامعية 2018-2019.

325- **عيسى بن الذيب:** المغرب والأندلس في عصر المرابطين دراسة اجتماعية واقتصادية 480-540هـ/1056- 1145م، أطروحة دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية

والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، السنة الجامعية 1429- 1430هـ/2008- 2009م.

326- **محمد بوشقيف:** تطور العلوم بالمغرب الأوسط خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين، أطروحة دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، السنة الجامعية 2010- 2011.

327- **محمد بن معمر:** العلاقات السياسية والروابط الثقافية بين المغربيين الأوسط والأقصى من نهاية القرن الثاني إلى أواسط القرن السادس الهجريين، شهادة دكتوراه دولة مرقونة، جامعة وهران السنة الجامعية 2001م - 2002م.

328- **مزهودي مسعود:** جبل نفوسة منذ الفتح الإسلامي الى هجرة بني هلال الى بلاد المغرب (21-442هـ/642- 1053م)، رسالة دكتوراه عير منشورة، جامعة قسنطينة ،السنة الجامعية 1996م.

329- **نصر الدين بن داود:** بيوتات العلماء بتلمسان من القرن 7هـ/13م إلى القرن 10هـ/16م، أطروحة دكتوراه، جامعة أبو بكر بلقايد، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ وعلم الآثار، تلمسان، السنة الجامعية (1430- 1431هـ/ 2009- 2010م).

ب- رسائل الماجستير

330- **بوداعة نجادي:** الحياة الفكرية في الأندلس على عهد الدولة الموحدية (541هـ- 668هـ/ 1147م - 1269م)، مذكرة التخرج لنيل شهادة الماجستير، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية قسم التاريخ جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، 1430- 1431هـ/ 2009 - 2010م.

331- **حسين تواتي:** الوظائف السلطانية في الدولة الزيانية- الكتابة أنموذجا -(633- 791هـ/1236 /1389م)، مذكرة ماجستير كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، السنة الجامعية، 2013- 2014.

332- **حفيظ كعوان:** أثر فقهاء المالكية الاجتماعي والثقافي بإفريقية من ق(2- 5هـ/8 – 11م)، مذكرة ماجستير، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة العقيد الحاج لخضر، السنة الجامعية، (1429- 1430هـ/2008- 2009م).

333- **رضا بن النية:** صنهاجة المغرب الأوسط،من الفتح الإسلامي حتى عودة الفاطميين، مصر (80هـ- 699م/362هـ- 973م)، دراسة اجتماعية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، جامعة منتوري، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، قسم التاريخ، السنة الجامعية 1426- 1427هـ/2005-2006م.

334- **سامية مقري:** التعليم عند الإباضية في بلاد المغرب الإسلامي من سقوط الدولة الرستمية إلى تأسيس نظام العزابة (296- 409هـ/909- 1018م)، رسالة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ والآثار، جامعة منتوري، قسنطينة، السنة الجامعية، (1426- 1427هـ/ /2005- 2006م).

335- **سامي محمود محمد أحمد:** منهج الشيخ هود بن محكم الهواري في تفسيره (كتاب الله العزيز) دراسة ونقد، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية غزة، عمادة الدراسات العليا، كلية أصول الدين، قسم التفسير وعلوم القرآن، (1423هـ/2002م).

336- **سبع قادة:** المذهب المالكي بالمغرب الأوسط حتى منتصف القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي، كلية العلوم نية والحضارة الإسلامية، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة وهران، 2003-2004م.

337- **عبد الحفيظ منصور:** السياسة الداخلية للإمارة الرستمية (160هـ-296هـ/909م-777م)، رسالة ماجستير جامعة قسنطينة، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، قسم التاريخ،1421هـ/2001م.

338- **محمد الشريف سيدي موسى:** الحياة الفكرية ببجاية من القرن السابع الهجري إلى بداية القرن العاشر الهجري (13-16م)، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، سنة 2001.

339- **محمد عليلي:** الإشعاع الفكري في عهد الأغالبة والرستميين خلال القرنين 2 – 3ه/8–9م، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ المغرب الأوسط، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة تلمسان،2008/2007.

340- **محمد بوشقيف:** العلوم الدينية في بلاد المغرب الأوسط خلال القرن التاسع الهجري، الخامس عشر ميلادي، مذكرة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2004/2003.

341- **مزهودي مسعود:** الإباضية في المغرب الأوسط من سقوط الدولة الرستمية إلى هجرة بني هلال، رسالة ماجستير، جامعة القاهرة، 1982م.

رابعا: المقالات التاريخية

342- **إبراهيم حركات:** دور بجاية في الحضاري، الأصالة، مجلة ثقافية تصدرها وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، السنة الرابعة، صفر– ربيع الأول 1394ه/ مارس– ابريل 1974، العدد19،مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر.

343- **أبو القاسم درارجة:** العلاقات الثقافية بين المغرب الأوسط والأندلس، مقال بمجلة بحوث، العدد2، السنة 1994، جامعة الجزائر .

344- **ابن الذيب عيسى:** الحواضر والمراكز الثقافية في الجزائر خلال العصر الوسيط، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث، الجزائر، 2007م.

345- ابن **ذيب عيسى وآخرون:** الحواضر والمراكز الثقافية في الجزائر في العصر الوسيط، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، دار القصبة للنشر، الجزائر،2007م.

346- **بوقرط الطيب:** أدب الرحلة بين محوري التموقع والتوقع من منظور النقد الأدبي، قراءة في الإشكالات والآفاق، مجلة تاريخ العلوم، العدد 3، جامعة زيان عاشور، الجلفة، 2017م.

347- **بغداد غربي:** الكتابة الرسمية عند الموحدين في الغرب الإسلامي 541–668ه/1146– 1269م أنواعها، مراسيمها، وأهميتها التاريخية، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، العدد 16، جوان، 2016م.

348- **تهاني سلامة حسن سلامة:** العلوم الدينية وأعلامها بالأندلس في عصر الموحدين(541- 642هـ/ 1145- 1244م)، المجلة الليبية العالمية، عدد 20، 2017م.

349- **رابح بونار:** تاريخ بني حماد للسان بن الخطيب (ت776هـ)، مجلة ثقافية تصدرها وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، السنة الرابعة، صفر- ربيع الأول 1394هـ/مارس- ابريل 1974، العدد 19، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر.

350- **حسين مؤنس:** المساجد، المنشور في مجلة عالم المعرفة، العدد 37، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1981م.

351- **خالد بلعربي:** ملامح الحركة التعليمية في تلمسان خلال القرن 08هـ/14م، مجلة العلوم الآداب والإنسانية، مجلة أكاديمية محكمة تعني بالدراسات النقدية واللغوية والتاريخية، جامعة سيدي بلعباس، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ع2، سنة 2003/2002.

352- **رضوان حمد سعيد عجاج إيزوي:** تجليات الحب الإلهي وفلسفته في الشعر الصوفي: "أبو مدين التلمساني أنموذجا"، دراسة تتناول العلاقة بين الحب الصوفي والحب العذري"، جامعة البلقاء التطبيقية، الأردن، العدد 55، 2013م.

353- **عبيد بوداود:** ثورات الحركة الخارجية الصفرية في المغرب الإسلامي وتداعياتها، مجلة المواقف، عدد خاص، منشورات المركز الجامعي مصطفى اسطنبولي، معسكر، افريل، 2008.

354- **علاوة عمارة:** الرقيق القيرواني وبلورة الفكر التاريخي ببلاد المغرب، مجلة التاريخ العربي، العدد 25، 2003م.

355- **علمي عبد الرحيم:** أدب الرحلة الصوفية في الغرب الإسلامي، مجلة دعوة الحق، العدد 350، ذو الحجة، 1420هـ/2000م، وزارة الأوقاف المغربية.

356- **قاسم بشرى حميدان:** دور العلم والمعرفة في بناء الحضارة، مجلة جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، العدد التاسع (عدد خاص)، 1425هـ/ 2004م.

357- **عبد الحميد حاجيات:** الحياة الفكرية بتلمسان في عهد بني زيان، مجلة الأصالة، السنة الرابعة العدد26، جويلية– أوت1975، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر.

358- **عبد الرحمن حسب الله الحاج أحمد:** بنو الأغلب: إدارتهم ودورهم الحضاري في إفريقيا، مجلة دراسات إفريقية، تونس، العدد20، 1419هـ/1999م.

359- **عبد العزيز فيلالي:** تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية، مجلة الوعي، دار الوعي، العدد3، الجزائر، 4 أفريل – ماي،2011 م.

360- **عبد العزيز فيلالي:** قلعة بني حماد الحاضرة الاقتصادية والثقافية للمغرب الأوسط القرن 5هـ/11م، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، عدد7، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2006م.

361- **عبد العزيز عبد الجليل:** الموسيقى الأندلسية المغربية "فنون الآداء"، سلسلة عالم المعرفة المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد129، 1988م

362- **كساس صافية:** الرحلات العلمية من وإلى المغرب العربي ودورها في تنشيط الحركة العلمية والتعليمية بالمغرب العربي، مجلة الممارسات اللغوية، العدد08، جامعة مولود معمري، تيزي وزو.

363- **محمد بوشقيف:** المؤسسات التعليمية في تلمسان خلال العهد الزياني، قرطاس الدراسات الحضارية والفكرية، العدد التجريبي، تلمسان، 2008م.

364- **وداد القاضي:** ابن الصغير مؤرخ الدولة الرستمية، مجلة الأصالة، العدد45، مطبعة البعث قسنطينة، الجزائر،1387هـ/1977م.

365- **المهدي بن محمد السعيدي:** المدارس العلمية العتيقة بالمغرب وإشعاعها العلمي والأدبي، منشورات وزارة الأوقاف، الرباط، المملكة المغربية، 2006م.

خامسا: المراجع الأجنبية

366- **GEORGE MARCAIS**.,Mélange D'histoire et D'archéologie De L'occident Musulmane ,Tome 1, Article ET Conférence .ALGER, 1957.

367- **Habib FEKI**. Les religieuses et philosophiques de L'islamisme Fatimide organisation et doctrine le tawil ; chap : 2, 1978.

سادسا: القواميس والمعاجم.

368- **أبو العباس أحمد الخطيب، المشهور بابن قنفد القسنطيني (ت810هـ/1407-1408م):** الوفيات معجم زمني للصحابة، واعلام المحدثين والفقهاء، والمؤلفين، من سنة11-807هـ، تحقيق وتعليق: عادل نويهض، ط4، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1403هـ/1983م.

369- **أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، (ت711هـ):** لسان العرب، دار صادر، ج7، بيروت (د.ت).

370- **الزركلي، خير الدين:** الأعلام: قاموس أجيم لأشهر الرجال والنساء والعرب والمستعربين والمستشرقين، ج7، ط10، ماي 2002، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان.

371- **محمد بن موسى بابا عمي وآخرون:** معجم أعلام الإباضية، من القرن الأول الهجري إلى العصر الحاضر، قسم المغرب الإسلامي، جمعية التراث، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، 2009، ج2.

372- **الحموي، أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي البغدادي، ت926هـ/1228م:** معجم البلدان ج5، دارصادر، بيروت، 1397هـ/1977م.

373- **محمد سليمان الطيب:** موسوعة القبائل العربية، بحوث ميدانية وتاريخية، دار الفكر العربي، ط1، 1414هـ/1993م.

374- **محمد عبد المنعم الصنهاجي السبتي، الحميري(ت727هـ/ 1327م):** الروض المعطار في خبر الأمصار، تحقيق: إحسان عباس، مكتبة لبنان، ط2، 1984.

375- **موسوعة الشعر الجزائري**، مجموعة أساتذة من جامعة منتوري، دار الهدى، الجزائر، 2002م، ج1.

376- **موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين:** رابح خدوسي ومجموعة من الأساتذة، تقديم: محمد الأمين بلغيث، منشورات الحضارة، الجزائر، 2004م، ج1.

377- **ابن منظور محمد بن مكرم:** لسان العرب، دار صادر، بيروت، 1990م، ج4.

378- **الفيروز أبادي:** القاموس المحيط، تح: أبو الوفاء نصر الدين الهوريني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 2007م.

379- **شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت الحموي:** معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1977م، ج4.

380- **الغنيمي عبد الفتاح مقلد:** موسوعة المغرب العربي، مكتبة مدبولي، لقاهرة، ط1، 1414هـ/ 1994م ج4.

381- **عارف تامر:** الموسوعة التاريخية للخلفاء الفاطميين، الخليفة الرابع، المعز لدين الله الفاطمي، دار الجيل، دار دمشق، ط1، 1400هـ/1980م،ج4.

382- **رفيق العجم:** موسوعة مصطلحات أصول الفقه عند المسلمين، ج2 ،(غ– ي)، مكتبة لينان ناشرون، ط1، 1998م.

383- **عارف تامر:** الموسوعة التاريخية للخلفاء الفاطميين، الخليفة الرابع، المعز لدين الله، دار الجيل، مصر، ط1، 1400هـ /1980م.

الفهارس

فهرس الأعلام

(أ)

(ج)

(ح)

(د)

(ر)

(ز)

(س)

(ل)

(م)

فهرس البلدان

(أ)

(ب)

(ت)

(ج)

(ح)

(د)

(ر)

(س)

(ش)

(ص)

(ط)

(ع)

(غ)

(ف)

(ق)

(م)

(ن)

(و)

فهرس الدول

(أ)

فهرس المذاهب

(أ)

فهرس القبائل البربرية

(ب)

(ج)

(ر)

(ز)

(ف)

(ك)

(ل)

(م)

(هـ)

فهرس القبائل العربية

فهرس المواضيع

فهرس المواضيع